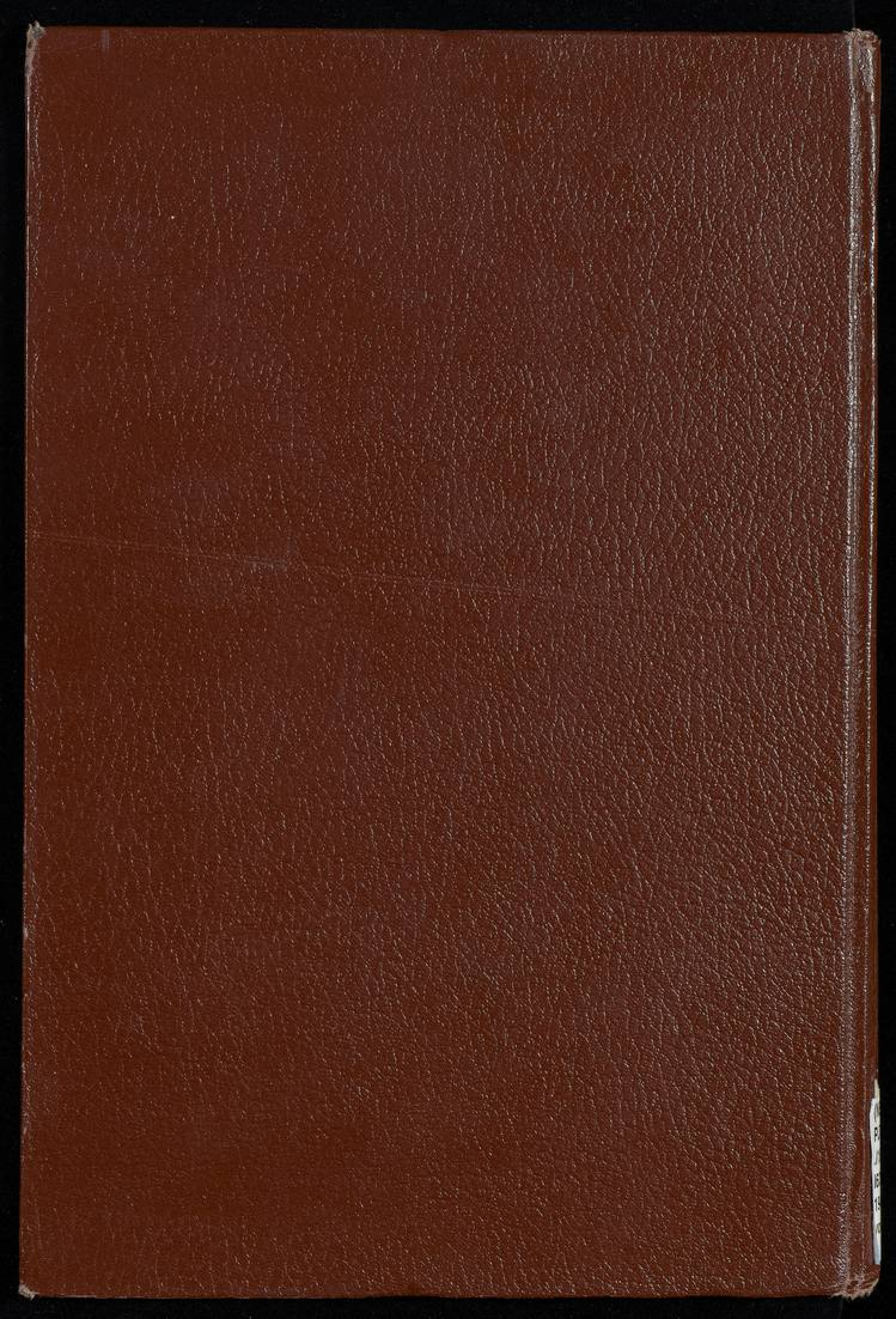
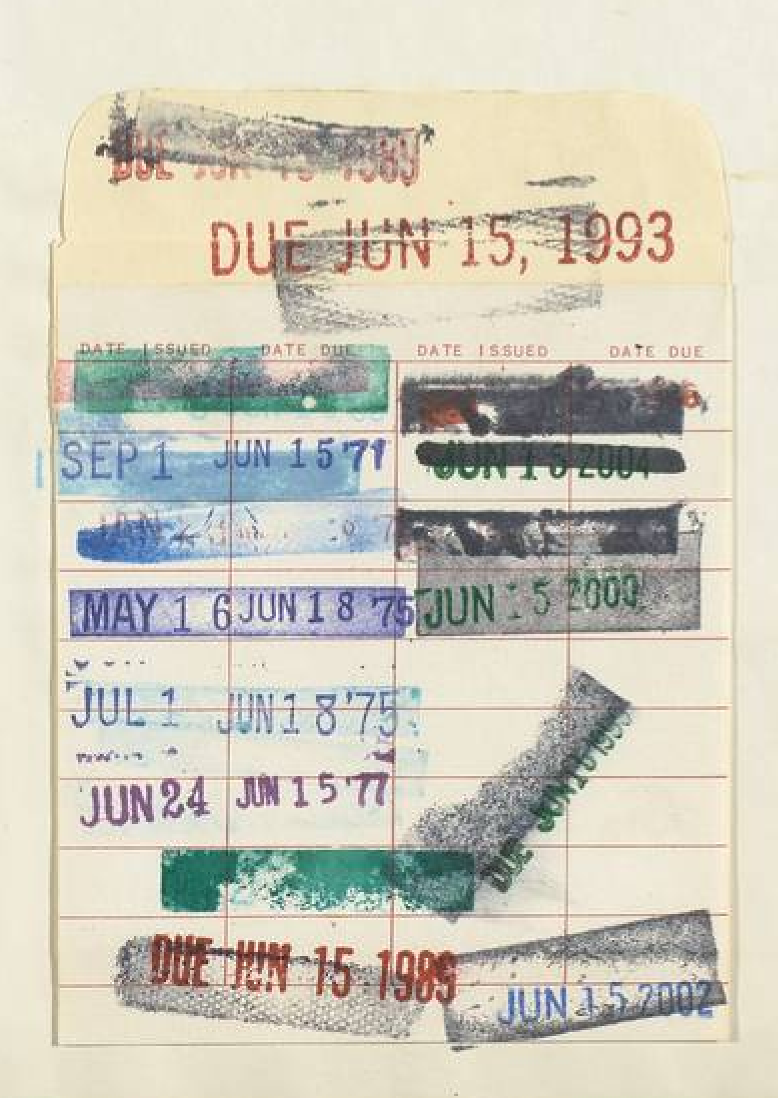



DUE JUN 15, 1993
DATE ISSUED
DATE DUE
DATE ISSUED
DATE DUE
SEP 1
JUN 15 '71
MAY 16
JUN 18 '75
JUN 15 2000
JUL 1
JUN 18 '75
JUN 24
JUN 15 '77
DUE JUN 15 1989
JUN 15 2002



Ibn ʿAbd Rabbihi

لجنة التأليف والترجمة والنشر

al-ʿIqd al-farīd

كتاب العقد الفريد

تأليف

أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته
ورتب فهارسه

أحمد أمين ٥ أحمد الزين ٥ ابراهيم الابيارى

الجزء الأول

الطبعة الثالثة

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م

ثم تلحظ أنها انتقلت خطوة أخرى إلى الكمال والترتيب فى مثل « عيون الأخبار » لابن قتيبة ، ذلك أنه رتب المختارات وبوّبها ، وجمع ما تشابه منها تحت عنوان واحد ، مثل كتاب السلطان ، وكتاب الحرب ، وكتاب الأطعمة وكتاب النساء وصفاتهن ... الخ .

ثم هناك تطور آخر فى كتب الاختيار ؛ فالجاحظ والمبرد — فى كتابيهما — إنما يعنيان بالنتاج العربى غالباً ، أما ابن قتيبة فيوسع اختياره من نتاج عربى ، ونتاج فارسى وهندى ، وتوراة وإنجيل وزبور .

وقد اختلفت كتب المختارات — وإن شئت فقل كتب المحاضرات — وتنوعت حسب أغراض المؤلف وذوقه ؛ فهذا الجاحظ يعنى مع الأدب الصرف بالأحداث الاجتماعية فى عصره كالشعوبية ، ونحوها . وهذا المبرد يعنى أشد عناية فى جانب الأدب بمسائل النحو والصرف ، كما يعنى بالخوارج لأدبهم من جهة ، ولأن التنكيل بهم كان على يد آل المهلب ، وهم أزديون ، والمبرد أزدى من جهة أخرى . واتسعت بعدُ أغراض كتب المحاضرات من لهو ومجون ، إلى وعظ وزهد وتصوف ، إلى غير ذلك من أغراض .

* * *

كان من أهم كتب المختارات أو المحاضرات « العقد الفريد » لأبى عُمَر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حُدَيْر بن سالم القرطبى ، مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموى .

ولد سنة ٢٤٦ ﻫ ، ونشأ بقرطبة وتثقف ثقافة عصره ، من فقه وتفسير وحديث ونحو وعروض وتاريخ وأدب ، واتصف بصفات الندمان من حب للموسيقى ، وغرام بالصوت الحسن والوجه الحسن ، وظهر أثر ذلك كله فى كتابه العقد ؛ ففيه الثقافة الدينية واضحة ، والثقافة الأدبية واضحة ، وميله إلى الغناء

والموسيقى والإشادة بهما وبالنبيذ وبالوجه الحسن واضح جلى .

وقد لازم الأميرَ عبد الله الذى تولى عرش قرطبة سنة ٢٧٥ هـ ونادمه زمنا ، ومدحه بمدائح ، فلما مات الأمير عبد الله سنة ٣٠٠ هـ تولى بعده عبد الرحمن الناصر ، أول من لقب بأمير المؤمنين ، فاتصل به ولازمه ومدحه . وتوفى ابن عبد ربه بالفالج سنة ٣٢٧ بعد أن عُمر إحدى وثمانين سنة وشهراً .

كان ابن عبد ربه أديباً شاعراً ، يقول فيه الفتح بن خاقان ، إنه : « حجة الأدب ، وإن له شعراً انتهى منتهاه ، وتجاوز سماك الإحسان وسهاه » . ويقول ابن سعيد : « إمام أهل أدب المائة الرابعة ، وفرسان شعرائها فى المغرب كله » .

ولم يعرف عن ابن عبد ربه رحلة إلى المشرق ، فعلمه الواسع بأدب المشرق جاءه من أشياخه الذين أخذ عنهم بالأندلس ، أمثال الخُشَنى وابن وضاح وبقى ابن مَخْلَد ، ومن طول قراءته للكتب .

وقد عابوا العقد بأنه عنى بأدب المشرق ، وكان الأولى به أن يعنى بأدب الأندلس منشئه ومرباه . ورووا عن الصاحب بن عباد أنه لما وصل إليه العقد وقرأه قال : « هذه بضاعتنا ردت إلينا ، ظننت أن هذا الكتاب يشتمل على شىء من أخبار بلادهم ، وإنما هو يشتمل على أخبار بلادنا ، لا حاجة لنا فيه » .

والحق إن هذا ليس عيباً فى الكتاب ، فقد كان فى الأندلس مدرستان لهما غرضان شريفان ، إحداهما تعنى بأدب الأندلس وتدوينه ونشره كما فعل الفتح بن خاقان فى كتابه « مطمح الأنفس ، ومسرح التأنس ، فى ملح أهل الأندلس » وابن بسام فى كتابه « الذخيرة » وأخيراً المَقَّرِىّ فى « نفح الطيب » . والأخرى تعنى بنقل أدب الشرق لأهل الأندلس كما فعل أبو على القالى — نزيل الأندلس — فى كتابه « الأمالى » وكان به زعيم هذه المدرسة ، فقد كان كتابه النواة الأولى التى بذرها أبو على فى بلاد الأندلس من علوم المشرق ، فنمت وأثمرت ونضجت وآتت أكلها كل حين بإذن ربها ، وقد كانت أماليه

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

كان العرب فى جاهليتهم وإسلامهم ينتجون أدباً ، شعراً ونثراً ، فيما يعرض من مناسبات ، وما يجدّ من أحداث . تدعو دواع للخطبة فيخطبون ، وللمثل فيضربون ، وللشعر فيشعرون .

وكان يقابل عملية الإنتاج عملية أخرى مكملة لها وهى حفظ هذا النتاج ، فكان يقوم به — أيام فشو الأمية — الرواة شفاهاً ، وكان بعض هؤلاء الرواة محترفين الرواية منقطعين لها ، وبعضهم يروى ما سمع فى الحادثة أو الحوادث المعينة فى غير احتراف .

واتسع النتاج فى العصر العباسى ، فكان بجانب النتاج العربى نتاج فارسى حُوّل إلى العربية ، ونتاج هندى كذلك ؛ وبجانب أدب القرآن والحديث أدب التوراة والإنجيل ، وبجانب الآداب الإسلامية آداب زرادشت ومانى وغيرهما .

وكما اتسع النتاج اتسع الجمع ، فجماعة من العرب ، كأبى عمرو بن العلاء والأصمعى ، يجمعون ما يتلقفون من العرب فى البوادى والحواضر ، وابن المقفع وأمثاله يجمعون ما وصل إليهم من أدب فارسى وهندى ، ويصوغونه صوغا عربياً يحاذون به النتاج العربى .

واحتذوا فى هذا الجمع جمع القرآن الكريم والحديث النبوى ، فلم يمض إلا قليل من العصر العباسى حتى كان لنا مجموعات ضخمة من الآداب المختلفة

باللسان العربى : شعر ونثر ، وخطب وأمثال ، وحكم ونوادر ، وملح وفكاهات ، إلى غير ذلك .

فلما تجمع هذا التراث الضخم ، ورأوا أن من العسير الإحاطة به واستقصاءه ، وأن الخاصة — فضلا عن العامة — ينوءون بحمله ، ظهرت ظاهرة أخرى وهى « الاختيار » اختيار خير ما روى .

وكان الباعث على الاختيار أموراً مختلفة ، منها : أن الأدب كان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمجالس الخلفاء والأمراء ، وكان الأدباء بحاجة إلى استدرار المال من أيديهم ، وكانوا لا يدرّون المال إلا إذا سرهم الحديث أو أعجبهم الشعر ، فعكف رواة الأدب على تخير ما يحسن أن يروى فى هذه المجالس مما يعجب أو يضحك أو يهز الأريحية ، فانتخلوا الأدب يستخرجون منه أوْلاه بهذه الأغراض . ومنها : أن هؤلاء العلماء والأدباء قد يعهد إليهم تربية أولاد الخلفاء والأمراء فيتخيرون لهم ما هو أنسب لهم مما يتحررون فيه عن قول الهجر وما يبعث فيهم حب مكارم الأخلاق ، وما هو مملوء لغة وأساليب راقية ، حتى يتذوقوا الأدب ، كما فعل المفضل الضبى فى مفضلياته . ومنها : أن يكون شاعراً تعجبه المعانى فيعكف على الشعر الكثير يستعرضه ويختار منه ما يصح أن يستمد منه ويحاكيه ، ويتأدب به هو وغيره من رجال الأدب وناشئة الشعراء ، كما فعل أبو تمام فى ديوان الحماسة . إلى غير ذلك من بواعث .

على كل حال كانت عملية الإنتاج ، ثم عملية الجمع ، ثم عملية الانتخاب . ثم إن عملية الانتخاب هذه أيضاً خضعت لسنة النشوء والارتقاء ، فنشأت ساذجة لا يعنى فيها إلا بالاختيار ؛ فمسألة من هنا ومسألة من هناك ، واستطراد لا ضابط له ، ومسائل من واد واحد مفرقة فى الكتاب ، ومسائل مجتمعة لا يجمعها موضوع ، وهكذا تلحظ ذلك فيما ألف من كتب الاختيار فى أول عهدها ، كالبيان والتبيين للجاحظ والكامل للمبرد .

المدرسة التى تخرج عليها مشهورو الأدباء فى الأندلس ، ولقيت منهم من العناية ما هى جديرة بها . ينقل فى أماليه القطعة المختارة من أقوال العرب فى شعرهم ونثرهم وحكمهم وخطبهم ووصاياهم — وأكثر ما ينقل عن أستاذه أبى بكر ابن دريد — ثم يتبع نقله بتفسيره لما ورد فى القطعة الأدبية من ألفاظ لغوية . وأتى بعده من تلاميذ هذه المدرسة ابن عبد ربه .

وكلا المذهبين يكمل بعضه بعضاً كما تفعل الأمم الحية إلى اليوم ، تدون أدبها ونتاجها ، وتنقل إليها أدب غيرها ونتاجه .

وابن عبد ربه — مع ذلك — لم يغفل الأندلس إغفالا تاما فى كتابه العقد ، فقد عارض كثيراً من شعر المشارقة فى الموضوعات المختلفة بشعره هو ، كما وضع أرجوزة فى مغازى عبد الرحمن الناصر ، ذكر فيها أحداثه كل سنة حتى سنة ٣٢٢ هـ إلى غير ذلك .

* * *

مهما اختفت شخصية المختار وراء ما اختار ، فإن هذا المختار يدل على ذوق من اختار وميله وثقافته ، وما يحب وما يكره ، وما يخفى وما يظهر ، كما يدل على مجونه أو جده ، وعلى ضيق أفقه أو سعته .

لقد ألف فى هذا الباب البيان والتبيين ، والكامل والأمالى وعيون الأخبار والعقد ، ونحو ذلك كثير ، ولكن على الرغم من أنها كتب مختارات فإن لكل كتاب طعما يدل على ذوق صانعه ، ولونا يدل على شخصية مصوره . هذا الجاحظ يدل كتابه على استغلاله لتجاربه وظروفه الاجتماعية ، وعلى ما للمتكلمين من خصائص فى تفتيق الموضوع وتشقيق الكلام ؛ وهذا المبرد أديب نحوى متحفظ فى مجونه عربى لا غير فى ثقافته ، يتأثر ذوقه إلى حد كبير بذوق النحاة والعلماء أكثر مما يتأثر بذوق الأدباء ، وهذا أبو على القالى تغلب عليه اللغة أكثر مما يغلب عليه النحو ، فهو مؤلف « البارع » فى اللغة وشارح المعلقات ، ومؤلف فى الإبل

ونتاجها والخيل وشياتها ، فإذا روى مختاراً وقف وراءه ليظهر مهارته اللغوية ، وقدرته اللفظية . وهذا ابن قتيبة واسع الثقافة فى آداب العرب والعجم ؛ يخلط الجد بالمزاح ولكن فى تحفظ رجال الدين ، ينقل أكثر مما ينقد ، ويروى أكثر مما يبدع ، شأنه فى ذلك شأن المحدِّثين .

فما خصائص ابن عبد ربه فى العقد ؟ وما منزلته بين هؤلاء ؟

لقد تصور المؤلف كتابه « عقداً » كما سماه ، مؤلفا من خمس وعشرين جوهرة كريمة ، اثنتا عشرة فى جانب واثنتا عشرة أخرى فى جانب ؛ ولكن لم يسم إلا الاثنتى عشرة الأولى ، فلؤلؤة وفريدة ، وزبرجدة وجمانة ، ومرجانة وياقوتة وجوهرة وزمردة ، ودرة ويتيمة ، وعسجدة ومجنبة . أما الاثنتا عشرة التى فى الجانب الآخر فهى هذه الأسماء مكررة ، فاللؤلؤ الثانية والفريدة الثانية .الخ وفى الوسط ـــ وهى الثالثة عشرة ـــ جوهرة تسمى الواسطة .

فعقده منظوم من جواهر كريمة فيه من كل صنف جوهرتان إلا الواسطة ، وهو خيال شاعر لطيف لا أعرف أحداً سبقه إليه ، ولا أظن أنه وقف طويلا عند اختيار اسم الجوهرة لتشاكل الموضوع ، فاللؤلؤة الأولى فى السلطان ، واللؤلؤة الثانية فى الفكاهات والملح ، والفريدة الأولى فى الحروب ، والثانية فى الطعام والشراب ... الخ . وقد تأثر ابن عبد ربه كثيراً بكتاب ابن قتيبة « عيون الأخبار » ، واستغله أعظم استغلال ، سواء فى ترتيبه وتبويبه أو فى مشتملات أبوابه ، ولكنه غمطه حقه فى التصريح بما أخذ عنه إلا فى القليل النادر ، وأخذ أيام العرب مما حكاه أبو عبيدة كما ورد فى شرح النقائض ، كما اقتبس من الجاحظ فى البيان والتبيين وغيره ، ومن المبرد فى الكامل والروضة ، ومن ابن المقفع ، ومن دواوين الشعراء ، ومن غير ذلك مما يصعب استقصاؤه[1] .

وقد أوضح منهجه فى التأليف فى مقدمة الكتاب فذكر أنه (١) تخيره

(١) انظر كتاب ابن عبد ربه وعقده للأستاذ جبرائيل سليمان جبور ، فهو بحث جليل .

من متخير جواهر الأدب ومحصول جوامع البيان . (٢) وأن ليس له إلا تأليف الاختيار وحسن الاختصار ، وفرش لدرر كل كتاب . (٣) وأنه تطلب نظائر الـكلام وأشكال المعانى فقرن كل جنس منها إلى جنسه ، وجعل كل جنس بابا على حدته . (٤) وأنه عمد فى اختياره من جملة الأخبار وفنون الآثار إلى أشرفها جوهراً ، وأظهرها رونقا ، وألطفها معنى ، وأجزلها لفظا ، وأحسنها ديباجة وأكثرها طلاوة وحلاوة . (٥) وأنه حذف الأسانيد طلباً للاستخفاف والإيجاز . (٦) وأنه رأى الـكتب قبله قاصرة فجعل كتابه هذا كافياً جامعاً لأكثر المعانى التى تجرى على أفواه الخاصة والعامة . (٧) وأنه أتبع ذلك بشواهد من الشعر تجانس الأخبار ، وقرن بها غرائب شعره .

والـكتاب كله صدًى لشخصيته التى حكينا طرفاً منها ، فهو أديب حسن الذوق فى الاختيار ، وإن كان ذوقه ينبو أحيانا فيروى من الهجر ما لا يليق . ولـكن لا يفوتنا أن لـكل عصر ذوقه ولـكل بيئة حكمها ، وهو نديم تابع للأمراء والخلفاء فيتسع فى ذكر الأجواد وعطاياهم حتى يرقق قلوبهم ويلين أيديهم فتغدق عليـه هو وأمثاله ، وهو مثقف ثقافة دينية فيعنى بحلال النبيذ وحرامه ، وبالمذاهب الدينية وأقوال الفرق ، وهو أميل إلى التشيع فى اعتدال ، فيقص ما يعلى شأن الطالبيين فى رفق ، ولا يتحرج من ذكر ما ليس من مذهبه ؛ وهو شغوف بالموسيقى والغناء ، يبث فى ثنايا كلامه ما يمجدهما ويعلى شأنهما ؛ وهو شاعر يعنى بالعروض ويضع له بابا طويلا ؛ ثم هو فوق ذلك يمتاز عن غيره — من الأدباء الذين ذكرناهم وكتبهم التى ألفوها — بميله الشديد إلى التاريخ يعرضه ويتوسع فيه وينقل منه كثيراً ممزوجاً بالأدب ؛ فـكلام كثير فى الوفود ، وفى الأنساب ، وفى أيام العرب ، وباب فى أخبار زياد والحجاج ، ويختارهما — خاصة — لأنهما شخصيتان تشبعان ميله التاريخى والأدبى معاً ، ثم باب واسع مطول فى الخلفاء وتواريخهم .

وفى الحق إن شخصية المؤلف فى « العقد » أوضح من شخصيات المؤلفين

فى « البيان والتبيين » و « الكامل » و « الأمالى » و « عيون الأخبار » ، فإن مؤلف « العقد » مختار ومنشئ معاً ، فهو يقدم الباب بمقدمة من إنشائه لطيفة الأسلوب جيدة المعانى ، وهو يتبع الباب بما ينشئه من شعره ، وهو يشيع فى الكتاب آراءه فى نقد ما ينقل ؛ ينقد رأى ابن قتيبة فى الشعوبية ، وينقد المبرد ببرودة اختياره الشعر ، وينقد المغنين والملحنين فى ترك ما هو أحسن وأرق وأصفى إلى ما هو أسخف وأسمج . وله آراء جليلة فى النقد الأدبى شائعة فى الكتاب ، فيستحسن ويستهجن ، ويبين مواضع الاستحسان والاستهجان ، ويخالف النقاد فى آرائهم فى أحسن بيت ، وآرائهم فى عيوب شعر ، ويبدى رأيه فيما يحسن من الكلام وما لا يحسن ، وأسباب الحسن وأسباب القبح ... الخ .

وقد أدرك الناس — من قديم — قيمة « العقد » ، فأحبوه وعكفوا على مطالعته ، واقتبسوا منه ، واستعانوا به فى تأليفهم ومحاضراتهم ومحفوظهم ، ورووا منه فى ملحهم ونوادرهم .

ولكن من سوء حظ الناس وحظه أنه ملئ بالتحريف والتصحيف ، والنقص والزيادة ، حتى كاد يكون شيئاً آخر ، فقد ساءت نسخه المخطوطة ونسخه المطبوعة ، على كثرتها وتداول العلماء لها .

فقد طبع فى مصر أكثر من أربع طبعات أميرية وأهلية كلها فى العيوب سواء لا تمتاز منها طبعة عن طبعة إلا بجودة الورق أو حسن الحروف ، أما التحريف فيها فقدر مشترك .

ثم بدأ هذا الحظ الأسود يتغير ، وبدأت السحب القاتمة تنقشع ، وبدأ العلماء يجدُّون فى خدمة الكتاب من شتى نواحيه .

فالأستاذ جبرائيل سليمان جبور مدرس الأدب العربى فى الجامعة الأمريكية ببيروت يضع كتاباً قيماً فى « ابن عبد ربه والعقد » يبحث فيه بحثاً علمياً فى حياة

ابن عبد ربه ، وما قيل فيه ، وفى كتابه العقد ومزاياه ، والمآخذ عليه ، وفى نثر ابن عبد ربه وشعره .

وقبله وضع الأستاذ أفرام البستانى جزءاً لطيفاً من سلسلته « الروائع » فى ابن عبد ربه وكتابه .

والأستاذ محمد شفيع أستاذ العربية فى جامعة بنجاب بالهند ، بذل مجهوداً كبيراً فى « العقد » وأخرج جزءين كبيرين ، أحدهما فهرس للنسخ المطبوعة ، والثانى فى تعليقات ومقارنات وتصحيحات . وقد استفدنا من عمله فوائد عظيمة .

ثم ها نحن أولاء نحاول أن نخرج الكتاب إخراجا علميا ، مصححين — ما استطعنا — أغلاطه ، معارضين نسخه المختلفة بعضها على بعض ، مثبتين أصحها ذاكرين فى حواشى الكتاب ما ورد فى النسخ الأخرى ، مكملين ما نقص من عباراته ، مفسرين ما أبهم من كلماته ، شارحين ما غمض من مشكلاته ، ضابطين ألفاظه ، متحرين أصح الأقوال فى نسبة المقطوعات الشعرية والنثرية والأخبار إلى أصحابها ، مبينين اختلاف الروايات فى الشعر والنثر ، منبهين على أحسنها ، معنونين كل خبر وكل مقطوعة بعنوان خاص يدل عليه ويجمع ما فيه مع الإيجاز ، كل ذلك حسب استطاعتنا . وعسى أن نكون قد وفقنا فيما حاولنا .

وكان أول ما فعلنا أن كتبنا إلى الأستاذ ريتر المستشرق الألمانى بالآستانة نرجوه أن يتحرى نسخ « العقد » فى مكاتب الآستانة ، ليتبين خيرها وأصحها وأحسنها ، فكتب لنا وصفا مطولا بالموجود من نسخ الكتاب ومزاياها وعيوبها ، وقد اخترنا خيرها — بناء على وصفه — ورجوناه أن يصورها لنا بالفوتوغراف ، ففعل مشكوراً .

وقد استعنا — إلى جانب هذه النسخة — فى طبع هذا الجزء بجميع نسخ

العقد الموجودة فى دار الـكتب المصرية خطية ومطبوعة ، ورمزنا لهذه الأصول جميعاً بالحروف الآتية :

(ا)

للنسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى عن أصح نسخ الآستانة ، وهى أقرب النسخ إلى الصحة وفيها زيادات كثيرة ليست فى غيرها .

(ب)

لنسخة خطية محفوظة بدار الـكتب المصرية رقم ٧٧٥٢ . وهى كثيرة التحريف والنقص .

(ح)

للنسخة المطبوعة فى بلاق سنة ١٣٩٢ هـ .

(ء)

للنسخة المطبوعة فى المطبعة العثمانية سنة ١٣٠٢ هـ .

(هـ)

للنسخة المطبوعة بالمطبعة الشرفية سنة ١٣٠٥ هـ

(و)

لنسخة أخرى طبع المطبعة الشرفية سنة ١٣١٦ هـ .

(ز)

للنسخة المطبوعة بالمطبعة الأزهرية سنة ١٣٢١ هـ .

(ح)

للنسخة المطبوعة بالمطبعة الجمالية سنة ١٣٣١ .

(ط)

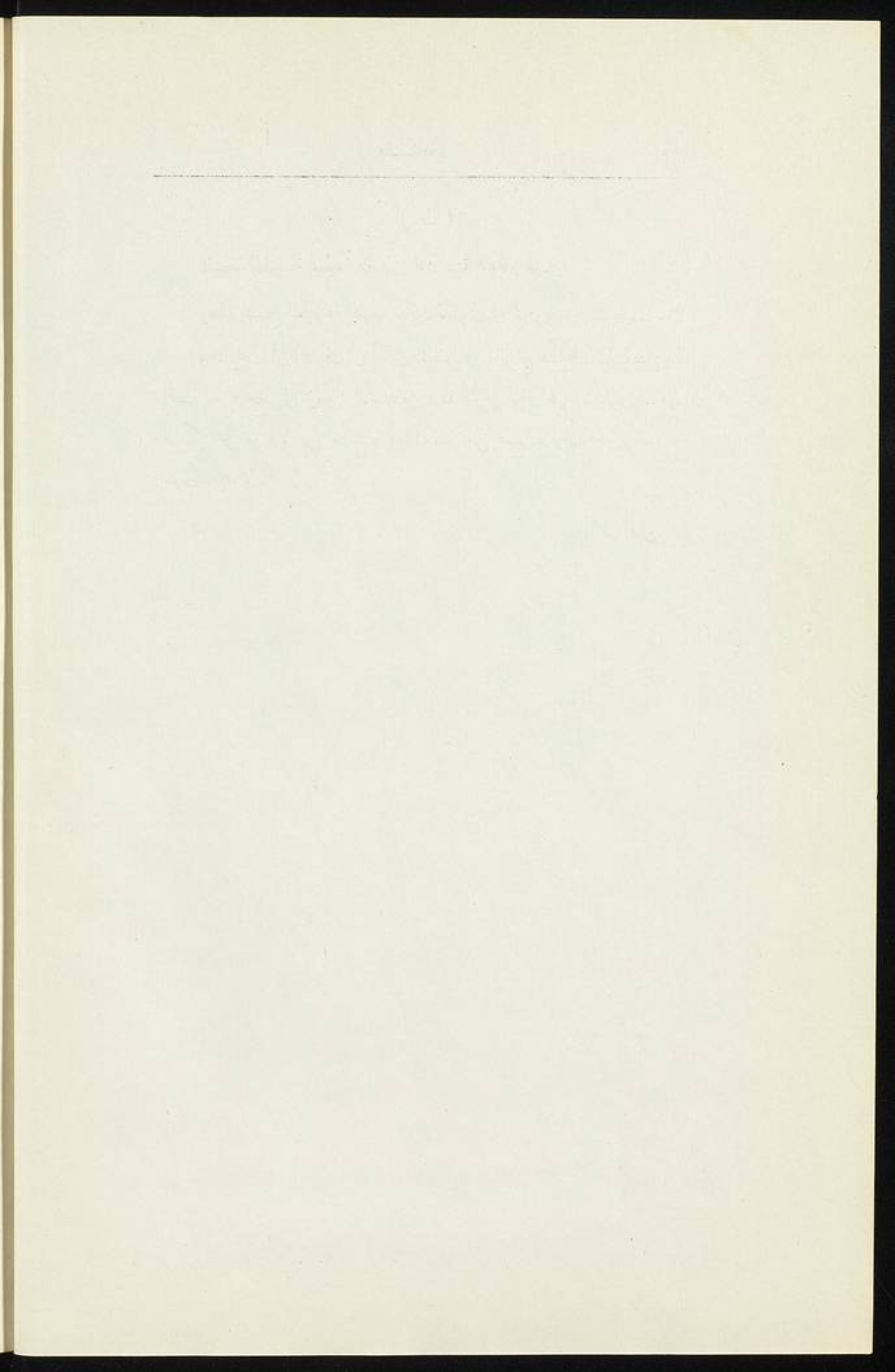
للنسخة المطبوعة بمطبعة مصطفى محمد سنة ١٣٥٣ هـ .

وهذه النسخ المطبوعة جميعها تكاد تستوى فى التحريف والتصحيف .

وهنا يجب أن أعترف أن أكبر الفضل فى إخراج هذا الكتاب على هذا النمط إنما يرجع إلى زميلىّ الأستاذين أحمد الزين وإبراهيم الإبيارى . فلهما الشكر على ما بذلا من جهد ، وما أحسنا من صنع ، والله — وحده — يتولى جزاءهما ؟

القاهرة فى أكتوبر سنة ١٩٤٠

أحمد أمين



بسم الله الرحمن الرحيم

[ربِّ يسِّر وأعِن

قال أبو عمرو أحمدُ بنُ عَبْدِ ربِّه الأندلسيُّ ، رحمه الله] :

٢/١ الحمد لله الأوّلِ بلا ابتداء ، الآخرِ بلا انتهاء ؛ المُنفردِ بقُدْرته ، المُتعالِي في سُلْطانه ؛ الذي لا تَحْويه الجهات ولا تَنْعتُه الصِّفات ؛ ولا تُدْرِكه العُيون ، ولا تَبْلُغه الظُّنُون ؛ البادِئِ بالإحسان ، العائدِ بالامْتنان ؛ الدالِّ على بَقائه بفَناء خَلْقِه ، وعلى قُدْرته بعَجْز كلِّ شيء سِواه ؛ المُغتفِر إساءةَ المُذْنِب بعَفْوه ، وجَهْلَ المُسيء بحِلْمه ؛ الذي جَعل مَعْرِفَتَه اضْطرارا ، وعبادتَه اختيارا ؛ وخَلَق الخَلْقَ مِن [بين] ناطِق مُعْتَرِف بوَحْدانيّته ، وصَامِتٍ مُتخَشِّعٍ لرُبُوبِيّته ؛ لايَخرُج شيء عن قُدْرته ، ولا يَعزُب عن رُؤْيته ؛ الذي قَرَن بالفضل رَحْمَتَه ، وبالعَدْل عَذابَه ؛ فالناسُ مَدِينُون بين فَضْله وعَدْله[1] ، آذِنُون بالزَّوال ، آخِذون في الانتقال ؛ من دار بَلاء ، إلى دار جزاء .

أحْمَده على حِلْمه بعد عِلْمه ، وعلى عَفْوه بعد قُدْرته ؛ فإنه رَضِي الحمدَ ثَمنًا[2] لجزيل نَعْمائه ، وجَليل آلائه ؛ وجعله مِفْتاح رَحْمته ، وكِفاءَ نِعْمته ، وآخِرَ دَعْوى أهلِ جَنّته ، بقوله جلّ وعزّ : ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ وصلّى الله على [سيّدنا محمد] النبيّ المُكرَّم ، الشافع المقرَّب ، الذي بُعِث آخِرا واصْطُفِيَ أوّلا ، وجَعَلنا مِن أهل طاعته ، وعُتَقاء شفاعته .

وبعد : فإنّ أهلَ كلِّ طبقة ، وجَهابِذَة كلِّ أُمَّة ؛ قد تكلّموا في الأدب

---

(١) كذا في ا ، ب . والذى في سائر الأصول : « وعذابه » . ولا يستقيم به الكلام .

(٢) كذا في ا . والذى في سائر الأصول : « شكرا » .

وتفلسفوا فى العلوم على كلِّ لِسان، ومع كلِّ زمان؛ وإنّ كلَّ متكلّم منهم قد استفرغ غايتَه وبذَل مجهوده فى اختِصار بَديع مَعانى المُتقدِّمين، واختيار جواهر ألفاظ السالفين؛ وأكثروا فى ذلك حتى احتاج المُختَصَر منها إلى اختصار، والمُتخيَّر إلى اختِيار.

ثم إنى رأيتُ آخِرَ كلِّ طَبقة، وواضِعى (١) كلِّ حكْمة ومؤلّفى كل أدَب، أعذبَ ألفاظًا وأسهلَ بِنْيةً وأحْكَمَ مَذْهبًا وأوضحَ طريقةً من الأوّل، لأنه ناكِصٌ (٢) مُتعقِّب، والأوّل بادئٌ مُتقدِّم. ٣/١

فلْيَنظُرُ الناظرُ إلى الأوضاع المُحْكَمة والكُتب المُتَرْجمة بعَيْن إنْصاف، ثم يَجْعَلْ عقلَه حَكمًا عادِلا [وفَيْصلا] قاطِعا؛ فعِنْد ذلك يعلم أنها شَجرة باسِقة الفَرْع، طَيِّبة المَنْبِت، زَكِيّة التُّرْبة، يانِعة الثَّمرة. فمن أخذ بنَصيبه منها كان على إرْثٍ من النُّبوّة، ومِنْهاجٍ من الحِكْمة؛ لا يَسْتوحِش صاحبُه، ولا يَضِلّ من تَمسَّك به.

نهج المؤلف فى كتابه

وقد ألّفتُ هذا الكتابَ وتخيَّرت جواهرَه (٣) من مُتَخيَّر جواهِر الآداب ومَحْصول جوامع البَيان، فكان جَوْهَرَ الجَوْهَر ولُبابَ الألباب؛ وإنّما لى فيه تأليفُ [الأخبار، وفضل] الاختيار، وحُسْن الاختِصار، وفَرْش فى صَدْر (٤) كلِّ كِتاب؛ وما سِواه فمأخوذ من أفواه العُلَماء، ومأثورٌ عن الحُكَماء والأدباء. واختيار الكلام أصعبُ من تأليفه. وقد قالوا: اختيار الرجل وافِدُ (٥) عقْله. وقال الشاعر:

قد عرَفْناك باختيارِك إذ كا ... نَ دليلاً على اللَّبيب اختيارُهْ

(١) يلاحظ أن كلمتى « واضعى » و « مولفى » معطوفتان على « كل »، أى آخر واضعى وآخر مؤلفى.

(٢) كذا فى ا. والذى فى سائر الأصول: « ناقص ».

(٣) فى ا « نوادره ».

(٤) كذا فى ا. والذى فى سائر الأصول: « لدور »؛ وهو ظاهر التحريف.

(٥) وافد عقله، أى صادر عنه ومنبعث منه.

وقال أفلاطون : عُقُول الناس مُدوَّنة فى أطراف أقلامهم ، وظاهرة فى حُسْن اختيارهم .

فتطلَّبتُ نظائرَ الكلام وأشكالَ المعانى وجواهرَ الحِكَم وضُروبَ الأدب ونوادرَ الأمثال ، ثم قرَنْتُ كلَّ جِنْس منها إلى جِنْسه ، فجعلته باباً على حِدَته ؛ ليَسْتَدِلَّ الطالبُ للخَبَر على مَوْضعه من الكتاب ، ونظيرِه فى كلّ باب .

وقصدتُ مِن جُمْلة الأخبار وفُنون الآثار أشرفَها جَوْهرا ، وأظهرَها رَوْنقا ، وألطفَها معنًى ، وأجْزلَها لَفْظا ، وأحسنَها ديباجة ، وأكثرَها طلاوةً وحلاوة ؛ آخذاً بقول الله تبارك وتعالى : (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَه) .

وقال يحيى بن خالد : الناس يَكتُبون أحسنَ ما يَسْمعون ، ويَحفَظون أحسنَ ما يكتبون ؛ ويتحدَّثون بأحْسنِ ما يَحفَظون .

وقال ابن سِيرين : العِلم أكثر من أن يُحاط به فخُذُوا من كلّ شىء أحسنَه .

وفيما بين ذلك سَقَط[1] الرأى ، وزَلَل القَوْل ؛ ولكلّ عالِمٍ هَفوَة [ولكلّ جوادٍ كَبْوَة] ، ولكلّ صارمٍ نَبْوَة[2] .

وفى بعض الكتب : انفرد الله تعالى بالكمال ، ولم يَبرأ أحدٌ من النُّقْصان .

وقيل للعَتّابى : هل تَعلم أحدا لا عَيْبَ فيه ؟ قال : إنّ الذى لا عيبَ فيه لا يموت [أبدا] ، ولا سبيلَ إلى السّلامة من ألسنة العامّة .

وقال العَتّابى : من قَرَضَ شِعْرا أو وَضَع كِتابا فقد اُستهدف للخُصوم واُستشرف للألسُن ، إلا عند من نَظر فيه بعَيْن العَدْل ، وحَكَم بغيْر الهوى ، وقَليلٌ ما هُم .

وحذفتُ الأسانيدَ من أكثر الأخبار طَلَبا للاستِخفاف والإيجاز ، وهربا

(١) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « سقطة » .

(٢) زيد فى ا بعد هذه الكلمة : « ولابد لكل ليل من نهار ؛ ففرقت الأبواب وجمعت المعانى ، لينور ليل الكتاب ، ولكل موج بحر غرقة ، ولكل صارم خبوة » .

من التَّثْقيل والتَّطْويل ؛ لأنها أخبارٌ مُمْتِعة وحِكَمٌ ونوادر ، لا ينفعها الإسْناد باتِّصاله ، ولا يَضُرُّها ما حُذِف منها .

وقد كان بعضُهم يَحْذِف أسانيدَ الحديث من سنَّةٍ مُتَّبَعة ، وشريعةٍ مفروضة ؛ فكيف لا نحذِفه من نادِرةٍ شاردة ، ومَثَل سائر ، وخبرٍ مُسْتَطرَف ، [وحديثٍ يَذهَب نورُه إذا طال وكَثُر] .

سأل حَفْصُ بنُ غِياث الأعْمشَ عن إسناد حديث . فأخذ بحَلْقه وأسْنَده إلى حائط وقال : هذا إسنادُه !

وحدَّث ابنُ السَّماك بِحَديث ، فقيل له : ما إسنادُه ؟ فقال : هو من المُرْسَلات عُرْفا .

[وروى الأصمعيّ خبرا ، فَسُئل عن إسناده . فقال : هو من الآيات المُحْكَمات التى لا تحتاج إلى دليل وحُجَّة] .

وحدَّث الحسنُ البَصْرىُّ بحديث ، فقيل له : يا أبا سَعيد ، عَمَّن ؟ قال : وما تَصْنع بعَمَّن يابنَ أخى ؟ أمّا أنت فنالتْك موعظتُه[(١)] ، وقامتْ عليك حُجَّته .

وقد نظرتُ فى بعض الكُتُب المَوْضوعة فوجدتها غيرَ متصرّفة فى فُنون الأخبار ، ولا جامعةٍ لجل الآثار ؛ فجعلتُ هذا الكتابَ كافياً [شافيا] جامعاً لأكثر المعانى التى تجرى على أفواه العامّة والخاصّة . وتدُور على ألسِنة المُلوك والسُّوقة . وحلَّيت كلَّ كِتاب منها بشواهدَ من الشِّعر ، تُجانِس الأخبار فى ٤/١ معانيها ، وتُوافقها فى مَذاهِبها ؛ وقرَنتُ بها غرائبَ من شِعرى ، لِيَعْلَمَ الناظرُ فى كتابنا هذا أنّ لِمَغربنا على قاصِيته ، وبلدِنا على انقطاعه ، حظًّا من المنظوم والمَنْثور .

وسَمّيته كتابَ (العقد الفريد) لِما فيه من مُختلف جَواهر الكلام ، مع

(١) كذا فى ا وعيون الأخبار (ج ١ ص ١٢٧ طبعة دار الكتب المصرية) . والذى فى سائر الأصول : « موعظتنا » .

وجه تسميته هذا الكتاب بالعقد الفريد وذكر أبوابه

دقّة السِّلْك[1] وحُسْن النِّظام؛ وجزّأته على خمسةٍ وعِشْرين كتابا، كل كتاب منها جُزْآن، فتلك خمسون جزءاً فى خمسة وعشرين كتابا. [و] قد انفرد كلُّ كتاب منها باسمِ جَوْهرة من جواهر العِقْد، فأوّلها:

كتاب اللؤلؤة فى السلطان.

ثم كتاب الفَريدة فى الحُروب [ومَدار أمرها].

ثم كتاب الزَّبَرْجدة فى الأجواد والأصفاد.

ثم كتاب الجُمانة فى الوُفود.

ثم كتاب المَرْجانة فى مُخاطبة الملوك.

ثم كتاب الياقوتة فى العِلْم والأدب.

ثم كتاب الجوهرة فى الأمثال.

ثم كتاب الزُّمُرُّدة فى المواعظ والزُّهد.

ثم كتاب الدُّرّة فى التعازى[2] والمَراثى.

ثم كتاب اليَتيمة فى النسب [وفَضائل العَرب].

ثم كتاب المَسْجَدة فى كلام الأعراب.

ثم كتاب المُجَنَّبة فى الأَجْوبة.

ثم كتاب الواسطة فى الخُطَب.

ثم كتاب المُجَنَّبة الثانية فى التَّوْقيعات والفُصول والصُّدور وأخبار الكَتَبة.

ثم كتاب المَسْجَدة الثانية فى الخُلفاء وتَواريخهم وأيامهم.

ثم كتاب اليَتيمة الثانية فى أخبار زياد والحجّاج [والطالبيِّين والبرامكة].

ثم كتاب الدرة الثانية فى أيام العرب ووقائعهم.

ثم كتاب الزُّمرّدة الثانية فى فضائل الشِّعر ومَقاطعه ومَخارجه.

(١) كذا فى ا، ب. والسلك كالنظم (وزنا ومعنى). والذى فى سائر الأصول: « المسلك ».

(٢) فى ا: « النوادر ». وهو تحريف.

ثم كتاب الجوهرة الثانية فى أعاريض الشِّعر وعِلَل القوافى .

ثم كتاب الياقوتة الثانية فى [علم][1] الألحان واختلاف الناس فيه .

ثم كتاب المَرجانة الثانية فى النّساء وصِفاتهنّ .

ثم كتاب الجُمَانة الثانية فى المُتنبِّئين والممْرورين والبُخَلاء والطُّفيليّين .

ثم كتاب الزَّبرجدة الثانية فى بيان طبائع الإنسان وسائر الحيوان [وتفاضل البلدان] .

ثم كتاب الفَرِيدة الثانية فى الطَّعام والشراب .

ثم كتاب اللؤلؤة الثانية فى [النُّتف والهدايا و] الفُكاهات والمُلَح .

(١) هذه الكلمة التى بين مربعين ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها أخذاً عن عنوان هذا الباب فى موضعه من الكتاب .

[فرش] كتاب اللؤلؤة فى السلطان

حاجة العمران إلى السلطان

السُّلطان زِمَام الأُمور ، ونِظَام الحُقوق ، وقِوَام الحُدود ، والقُطْب الذى عليه مَدَار الدّنيا ؛ وهو حِمَى اللهِ فى بِلَاده ، وظِلّه المَمْدود على عباده ؛ [به] يَمْتنع حَرِيمهم ، و يَنْتصر مَظْلومهم ، و يَنْقمِع ظالمهم ، و يأمَن خائفهم .

قالت الحكماء : إمام عادِل ، خَيْر من مَطَر وابل ؛ و إمام غَشُوم ، خير من فِتْنة تَدُوم ؛ ولَمَا يَزَع[1] الله بالسلطان أكثرُ مما يَزَع[1] بالقرآن .

وقال وَهْبُ بنُ مُنبِّه : فيما أنزل الله على نبيِّه داودَ عليه السلام : إنّى أنا الله مالِكُ الملوك ، قلوبُ المُلوك بِيَدِى ، فمن كان لى على طاعة جعلتُ الملوكَ عليهم نِعْمة[2] ، ومن كان لى على مَعْصية جعلت الملوك عليهم نِقْمة .

فحَقّ على من قلَّده الله أزِمَّةَ حُكْمِه ، ومَلّكه أمورَ خَلْقه ؛ واختصّه بإحسانه[3] ، ومكّن له فى سُلْطانه ، أن يكون من الاهتمام بِمَصالح رعيَّته ، والاعتناء بمَرافق أهل طاعته ؛ بحيثُ وَضَعه الله [عزّ وجل] من الكرامة ، وأجرَى له[4] من أسباب السعادة . قال الله عز وجل : (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِى الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلّٰهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) .

[وقال حُذَيفة بن اليمان : ما مشى قوم [قطُّ[5]] إلى سُلطان الله [فى الأرض[5]] لِيُذِلّوه إلا أذلّهم الله قبل موتهم] .

وقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : عَدْلُ ساعة فى حُكومة خَيْر من عبادة ستّين سنة .

---

(١) فى ا : « يرعى » ؛ وهو تحريف .
(٢) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « رحمة » .
(٣) فى ا . « باختيار » .
(٤) كذا فى ا : والذى فى سائر الأصول : « وأجرى عليه » .
(٥) هذه التكملة عن عيون الأخبار (ج ١ ص ٢٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم : كلُّكم راعٍ وكل راعٍ مَسئول عن رعيّته . ٥/١

وقال الشاعر :

فكُلُّكم راعٍ ونحنُ رَعيَّة وكلٌّ سيلقَى[1] رَبَّه فيُحاسِبُهْ

الرعية والراعى

ومن شأن الرعيّة قلّةُ الرِّضا عن الأئمة ، وتَحجُّر[2] العُذْر[3] عليهم ، وإلزام اللائمة لهم ؛ ورُبَّ مَلوم لا ذنبَ له . ولا سَبيلَ إلى السَّلامة من ألسنه العامة ، إذ كان رِضا جُمْلتها ، ومُوافقة جماعتها ؛ من المُعْجز الذى لا يُدْرَك ، والمُمْتنِع الذى لا يُملك ؛ ولكلٍ حِصَّتُه من العدل ، ومنزلتُه من الحكم .

فمن حَقِّ الإمام على رعيّته أن تَقْضِيَ عليه[4] بالأغلب من فِعْله ، والأعمِّ من حُكْمه . ومن حقِّ الرعيّة على إمامها حُسْن القَبول لظاهر طاعتها ، وإضرابه صَفْحاً عن مكاشفتها ، كما قال زياد لمّا قَدِم العراقَ والياً عليها : أيها الناس ، قد كانت بينى وبينكم إحَن[5] ، فجعلتُ ذلك دَبْرَ أذنى ، وتحت قَدَمى ، فمن كان مُحْسناً فليزدَدْ فى إحسانه ، ومن كان مُسيئاً فلْيَنزِع عن إساءته . إنّى [والله] لو علمتُ أنّ أحدَكم قد قتله السِّلُّ من بُغضى لم أكشِفْ له قِناعاً ، ولم أهتِك له سِتْراً ، حتى يُبْدِى صَفْحَته لى .

وقال عبدُ الله بنُ عمر[6] : إذا كان الإمام عادلًا فله الأجر وعليك الشُّكر ، وإذا كان [الإمام] جائراً فعليه الْوِزْر وعليك الصبر .

وقال كعب الأحبار : مَثَل الإسلام والسُّلطان [والناس] مثل الفُسطاط

(١) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « يلاقى » .

(٢) كذا فى أكثر الأصول . والتحجر : والتضييق ؛ يقال : تحجر على ما وسعه الله ، أى ضيقه . والذى فى ا : « وتحجز » وهى بمعناها . يريد أن الرعية تضيق العذر على أئمتهم فلا تقبل منهم معذرة .

(٣) فى أكثر الأصول : « الغدر » . والظاهر أنها مصحفة عما أثبتناه والذى فى ا : « العدل » .

(٤) فى أكثر الأصول : « عليهم والميم زائدة من النساخ . والذى فى ا : « له » .

(٥) فى ا : « إنه كان بينى وبين قوم إحن » .

(٦) فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٣) : « عبد الله بن مسعود » .

والعَمود [والأطناب والأوتاد][١] ، فالفُسطاط الإسلام ؛ والعمود السلطان ؛ [والأطناب و][١] الأوتاد الناس . ولا يصلح بعضها[٢] إلا ببعض .

وقال الأَفْوه الأوْدِىّ :

لا يَصْلحُ الناسُ فوضَى لا سَراةَ لهمْ ... ولا سَراةَ إذا جُهّالهم سادُوا
والبيتُ لا يُبْتنَى إلاّ له عَمَد ... ولا عِمادَ إذا لم تُرْسَ أوتاد
فإنْ تَجَمّع أوتادٌ وأعمدةٌ ... يوْمًا فقد بَلَغوا الأمرَ الذى كادُوا

نصيحة السلطان ولزوم طاعته

بعض ما جاء فى طاعة السلطان

قال الله تباركَ وتعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ .

وقال أبو هرُيرة : لمّا نزلت[٣] هذه الآية أُمِرْنا بطاعة الأئمة . وطاعتُهم من طاعة الله ، وعِصْيانهم من عِصْيان الله .

وقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : من فارَق الجماعة ، أو خَلَع يداً من طاعة ، مات مِيتةً جاهلية .

وقال صلّى الله عليه وسلّم : الدِّينُ النَّصيحة ، الدِّينُ النَّصيحة ، [الدِّين النَّصيحة] . قالوا لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولأُولى الأمْر مِنْكم .

فنُصْح الإمام ولُزوم طاعته [واتباع أمره ونَهْيِه فى السرّ والجهر] فَرْض واجب ، وأمْرٌ لازِم ، ولا يتم إيمان إلا به ، ولاَ يَثْبُت إسلام إلا عليه .

نصيحة العباس لابنه حين قربه عمر بن الخطاب منه

الشّعْبِىّ عن ابن عبّاس [رضى الله عنهما] ، قال لى أبى : أرى هذا الرجلَ — يعنى عمرَ بن الخطّاب — يَسْتفهمك ويُقدّمك على الأكابِر من أصحاب محمد صلّى الله عليه وسلم ، وإنى مُوصِيك بخِلاَل أرْبَع : لا تُفْشِيَنّ له سِرّا ،

(١) التكملة عن عيون الأخبار (ج ١ ص ٢) .
(٢) فى عيون الأخبار « بعضه » .
(٣) فى ا : « قرأ » .

ولا يُجرِّبَنّ عليك كَذِباً ، ولا تَطوِ عنه نَصِيحة ، ولا تَغتابَنّ عنده أحدا .

قال الشعبيّ : فقلت لابن عبّاس : كلّ واحد خيرٌ من ألف . قال : إى والله ، ومِن عشرة آلاف .

من نصائح الهند لبعض ملوكهم

وفى كتاب للهِنْد[1] : أن رجلاً دخلَ على بعض ملوكهم ، فقال أيها الملك ، إن نَصِيحَتك واجبة فى الصَّغير الحَقير ، والكَبير الخطير[2] . ولولا الثِّقة بفَضِيلة رأيك ، واحتمالك ما يسوء[3] مَوْقِعه من الأسماع والقلوب فى جَنْب[4] صلاح العامّة وتألّف الخاصة[5] ، لكان خُرْقاً منّى أن أقول . ولكنّا إذا رَجَعنا إلى أنّ بقاءنا مَوْصول ببقائك ، وأنفُسَنا مُتعلِّقة بنَفْسك ، لم نجد بُدًّا من أداء الحق إليك ، وإن أنت لم تَسلنى ذلك[6] ؛ فإنه يُقال : من كَتَم السلطانَ نصيحتَه ، والأطباءَ مَرَضَه ، والإخوانَ بَثَّه[7] ، فقد أخلّ بنفسه[8] . وأنا أعلم أنّ كلّ [ما كان] من كلامٍ يَكْرهه سامعه لا يَتشجع عَليه قائله ، إلاّ أن يثق بعَقْل المَقول له [ذلك] . فإنه إذا كان عاقلا احتمل ذلك ، لأنه ما كان ٦/١ فيه من نَفْع فهو للسامع دون القائل . وإنك أيها الملك ذو فَضِيلة فى الرأى ، وتصرّف فى العِلم ، ويُشجِّعنى ذلك على أن أخبرك بما تَكْره ، واثقا

---

(١) يريد بكتاب الهند « كليلة ودمنة » . وكذلك شأن ابن عبد ربه فى أكثر ما يقول : « كتاب الهند » .

(٢) رواية هذه العبارة فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٩٢) : « فى الحقير الصغير بله الجليل الخطير » .

(٣) كذا فى ا ، ب وعيون الأخبار . والذى فى سائر الأصول : « ما يشق » .

(٤) كذا فى عيون الأخبار . والذى فى ا : « موقعه منك فى جنب . . . الخ » . والذى فى سائر الأصول : « موقعة فى جنب . . . الخ » .

(٥) فى بعض الأصول : « وتلافى » وفى عيون الأخبار : « فى جنب صلاح العاقبة وتلافى الحادث قبل تفاقمه » .

(٦) زيد فى عيون الأخبار بعد هذه الكلمة : « أو خفت ألا تقبل منى » :

(٧) فى ا : « نثه » . والبث والنث : نشر الحديث . وقيل : النث : نشر الحديث الذى كتمه أولى من نشره .

(٨) عبارة عيون الأخبار : « فقد خان نفسه » . وقد زيد فى ا بعد هذه الكلمة : « ذا والعجز والتقصير » .

بمعرفتك[١] نصيحتى [لك] وإيثارى إياك على نفسى .

نصيحة ابن عتبة للوليد

وقال عمرو بن عُتبة للوليد[٢] ، حين تغيّر[٣] الناس عليه : يا أمير المؤمنين ، [إنه] يُنطقنى الأُنْس[٤] بك ، وتُسْكتنى الهَيْبة لك[٥] ، وأراك تأمن[٦] أشياء أخافها عليك ؛ أفأسكُت مُطيعا أم أقول مُشْفقا ؟ قال : كلٌّ مقبول منك ، ولله فينا عِلْم غَيْب نحن صائرون إليه . فقُتل بعد ذلك بأيام[٧] .

كلمة لابن صفوان فى ناصح السلطان

وقال خالد بنُ صفوان : من صَحِب السلطان بالصِّحة والنَّصيحة [كان] أكثر[٨] عدوًّا ممن صَحِبه بالغِشّ والخِيانة ؛ لأنه يجتمع على الناصح عدوُّ السلطان وصديقُه بالعداوة والحسد ، فصديق السلطان يُنافسه فى مَرْتبته ، وعدوُّه يُبغضه لنصيحته .

ما يصحب به السلطان

نصيحة ابن المقفع لمن خدم السلطان

قال ابن المُقفّع : يَنْبغى لِمَن خدَم السلطان أن لا يغترّ به إذا رَضِى ، ولا يتغيَّر له إذا سَخِط ، ولا يَستثقل ما حَمَّله ، ولا يُلحِف فى مسألته .

وقال أيضاً : لا تَكُن صُحْبتك للسلطان إلا بعد رِياضة منك لنفسك على طاعتهم[٩] ؛ فإن كنت حافظاً إذا وَلَّوْك ، حَذِرًا إذا قرَّبوك ، أمينا إذا ائتمنوك ،

(١) كذا فى ا ، ب . والذى فى سائر الأصول : « بمعرفة » .

(٢) عمرو بن عتبة : كان يكتب للوليد بن يزيد على خاص أمره ويلزم حضرته ، كما فى الوزراء والكتاب . وليس هو عمرو بن عتبة بن أبى سفيان ، لأن هذا قتل فى فتنة ابن الأشعث سنة ٨٣ ه والوليد قتل سنة ١٢٦ .

(٣) فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٩٢) : حين تنكر له الناس » .

(٤) فى ا : « الأمن » .

(٥) رواية هذه العبارة فى عيون الأخبار : « إنك تنطقنى بالأنس بك وأنا أكفت ذلك بالهيبة لك » . وفى الوزراء والكتاب للجهشيارى (ص ٦٨ طبعة الحلبى) : « إنك تلطفنى بالأنس ... الخ » .

(٦) فى ا : « تأتى أشياء » .

(٧) فى ا : « بثلاثة أيام » .

(٨) فى ا : « أكبر » .

(٩) زاد ابن قتيبة فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٢٠) بعد هذه الكلمة هذه العبارة : =

ذليلا إذا صرموك(١)، راضيا إذا أسخطوك؛ تعلّمهم وكأنك تتعلّم منهم، وتؤدّبهم وكأنك تتأدب بهم(٢)، وتشكرهم ولا تكلّفهم الشكر، وإلا فالبُعدَ منهم كلَّ البعد، والحذرَ [منهم(٣)] كلَّ الحذر.

كلمة للمأمون فيما لا يتحمله الملوك

وقال المأمون: الملوك تتحمّل كلَّ شيء إلا ثلاثةَ أشياء: القَدْحَ(٤) في المُلك، وإفشاء السرّ، والتعرضَ للحرَم.

كلمة لابن المقفع في عدم ملازمة الدعاء للسلطان

وقال ابن المُقفَّع: إذا نزلتَ من السلطان بمنزلة الثقة فلا تلزم الدُّعاء له في كل كلمة، فإنّ ذلك يُوجِب الوَحشةَ ويُلْزم الانقباض.

ما توصل إليه الأصمعي

وقال الأصمعي: توصّلتُ بالمُلَح، وأدركت بالغَرِيب.

كلمة لأبي حازم في السلطان

وقال أبو حازم الأعْرَج لسُليمان بن عبد الملك: إنما السُّلطان سُوق، فما نفَق عنده حُمِلَ إليه(٥).

وصية أم معاوية وأبيه له حين استعمله عمر على الشام

ولما قَدِم مُعاوية من الشّام — وكان عُمر قد استعمله عليها — دخَلَ على أمّه هِنْد، فقالت له: يا بُنيّ، إنه قلّما ولدتْ حُرّةٌ مثلَك، وقد استعملك هذا [الرجلُ]، فاعملْ بما وافقه، أحببتَ ذلك أم كرهتَه. ثم دخل على أبيه أبي سُفيانَ، فقال له: يا بُنيّ، إنّ هؤلاء الرَّهطَ من المُهاجرين سبقونا وتأخّرنا [عنهم]، فرفعهم(٦) سَبْقُهم وقصَّر بنا تأخُّرنا، فصِرْنا أتباعا وصاروا قادة. وقد قلّدوك جَسِيما من أمرهم، فلا تخالفنّ أمرَهم، فإنك تجري إلى أمدٍ لم تَبْلُغه ولو قد بلغتَه لنُوفِسْتَ(٧) فيه.

= ج ١ ص ٢٠ « في المكروه عندك، وموافقتهم فيما خالفك، وتقدير الأمور على أهوائهم دون هواك ».

(١) في الأدب الكبير: « ضاموك ».
(٢) كذا في أكثر الأصول وعيون الأخبار. والذي في ا: « منهم ».
(٣) هذه الكلمة عن عيون الأخبار.
(٤) كذا في ا. وفي سائر الأصول: « الفرح في أملك ». وهو تحريف.
(٤) في عيون الأخبار (ج ١ ص ٢). أتى به».
(٦) في ا: « فنفعهم ».
(٧) في الأصول: « لتنفست ».

قال معاوية : فعجبتُ من اتفاقهما فى المعنى على اختلافهما فى اللفظ .

نصيحة أبرويز لصاحب بيت ماله

وقال أبرويز لصاحب بيت المال : إنى لا أعْذِرك[١] فى خِيانة دِرهم ولا أحمدَك على صِيانة[٢] ألف ألف : لأنك إنما تحقِن بذلك دمَك وتُقيم أمانتك ، فإن خُنْتَ قليلاً خُنْتَ كثيراً . واحترس من خَصْلتين : النُّقصانِ فيما تأخذ ، والزيادةِ فيما تُعطى . واعلم أنّى لم أجعلك على ذَخائر المُلْك وعِمارة المملكة والقوّة على العدوّ ، إلا وأنتَ عِنْدى آمِنُ [من] موضعه الذى هو فيه ، وخواتمه التى هى عليه ، فحقِّق ظنّى باختيارى إياك أُحقق ظَنَّك فى رَجائك إياى : ولا تتعوّض[٣] بخير شرًّا ، ولا برِفْعة ضَعة ، ولا بِسلامة ندامة ، [ولا بأمانة خِيانة[٤]] .

نصيحة يزيد لسلم بن زياد حين ولاه خراسان

ولما ولى يزيدُ بن مُعاوية سَلْمَ بنَ زياد خُراسانَ ، قال له : إنّ أباك كفى أخاه عَظيما ، وقد استكفيتُك صغيراً ، فلا تتّكانّ على عُذْر منّى ، فقد اتّكلت[٥] على كفاية منك[٦] . وإياكَ منّى قبل أن أقول إياىَ منك ، فإنّ الظن إذا أُخلف منّى فيك أخلفَ منك[٧] فىّ . وأنت فى أدنَى حظّك فاطلُب أقصاه[٨] ، وقد أتعبك أبوك فلا تُريحنّ [نَفْسك[٩]] .

وقال يزيد : حدثنى أبى : أن عمر بن الخطاب لما قَدِم الشام قدِم على حِمار ، ٧/١

---

(١) فى عيون الاخبار (ج ١ ص ٥٦) : « إنى لا أحتملك .
(٢) فى ا : فى خيانة » وهو تحريف .
(٣) كذا فى ا وعيون الاخبار . والذى فى سائر الأصول : « ولا تعوض » . وهو تحريف .
(٤) التكملة عن عيون الأخبار .
(٥) كذا فى عيون الأخبار (ج ١ ص ١١٠) . والذى فى الأصول : « اتكلتك » . وكاف الضمير زيادة من الناسخ .
(٦) فى ا : « على كفايتك » .
(٧) كذا فى ا : والذى فى عيون الأخبار : « أخلف فيك أخلف منك » . والذى فى سائر الأصول : « اختلف » .
(٨) كذا فى ا وعيون الأخبار . والذى فى سائر الأصول : « فى اقتضائه » . وهو تحريف .
(٩) زيد فى عيون الأخبار بعد هذه الكلمة العبارة الآتية : « وكن لنفسك تكن لك . واذكر فى يومك أحاديث غدك ترشد إن شاء الله » .

الحديث عن قدوم عمر على معاوية بالشام

ومعه عبدُ الرحمن بن عوف على حمار، فتلقاهما مُعاوية فى مَوْكِب ثَقِيل[١]، فجاوز عمرَ [معاويةُ] حتى أُخْبِر [به]، فرجع إليه. فلما قَرُب منه نزل إليه، فأعْرضَ عنه، فجعل يَمشى إلى جَنْبه راجلا. فقال له عبدُ الرحمن بن عوف: أتعبتَ الرجل. فأقبل عليه عُمر، فقال: يا معاوية، أنت صاحبُ المَوْكِب آنفاً مع ما بلغنى من وقوف ذوى الحاجات ببابك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: ولِمَ ذاك؟ قال: لأنّا فى بلاد لا نَمْتنع فيها من جَواسيس العدوّ، ولا بدّ لهم مما يُرْهِبهم من هَيْبة السلطان، فإن أمرتنى بذلك أقمتُ عليه، وإن نَهيتنى عنه انتهيت. فقال لئن كان الذى تقول حقًّا فإنه رأىُ أرِيب، وإن كان باطلا إنها خُدعة أديب، وما آمُرك به ولا أنهاك عنه. فقال عبدُ الرحمن بنُ عوف: لَحَسَنٌ ما صدَر هذا الفتى عمّا أوردتَه فيه! فقال: لحُسْن [مصادره و] موارده جَشَّمناه ما جَشّمناه.

حديث عمر بن الخطاب مع الربيع بن زياد من عمال أبى موسى

وقال الربيع بن زياد الحارثى: كنتُ عاملا لأبى موسى الأشعرِىّ على البَحْرين، فكتب إليه عمرُ بن الخطّاب [رضى الله عنه] يأمره بالقدوم عليه هو وعُمّاله، وأن يَسْتخلفوا مَنْ هو[٢] من ثِقاتِهم حتى يرجعوا. فلما قَدِمنا أتيتُ يَرْفأ[٣]، فقلت: يا يَرْفأ، إنى سائل[٤] مسترشد، أخبِرْنى أىُّ الهيئات أحبّ إلى أمير المؤمنين أن يَرى فيها عُمّالَه؟ فأومأ إلى الخُشونة. فاتخذت خُفين مُطارَقين، ولبست جُبّــة صُوف، ولُثْت رأسى بعمامة دَكْناء. ثم دخلنا على عمر، فصفنا بين يدَيْه وصعّد فينا نظرَه وصوّب، فلم تأخــذ عينه

(١) فى ا: « نبيل ».

(٢) فى ا: « من أهل ثقاتهم ».

(٣) يرفأ: مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

(٤) كذا فى ا. والذى فى سائر الأصول: « ابن سبيل » مكان قوله « إنى سائل ».

(٥) كذا فى أكثر الأصول. ومطارقين: أى أطبقت نعل على نعل فخرزتا. وفى ا: « مطابقين ». والمطابقة بين الشيئين: جعلهما على حذو واحد ثم لزقهما.

أحدًا غيرى ، فدعانى فقال : من أنت ؟ قلت : الربيع بنُ زِياد الحارثىّ . قال : وما تتولّى من أعمالنا ؟ قلت : البَحْرَين . قال : فكم تُرزق ؟ قلت : خمسة دراهم فى كلّ يوم . قال كَثير : فما تصنع بها ؟ قلت : أتقوّت منها شيئًا وأعود بباقيها على أقاربَ لى ، فما فَضَل منها[١] فعلى فقَراء المُسلمين . فقال : لا بأس ، ارجع إلى موضعك . فرجعت إلى موضعى من الصفّ . ثم صعّد فينا وصوّب ، فلم تقع عينهُ إلا علىّ ، فدَعانى فقال : كم سِنُوك ؟ فقلت : ثلاث وأربعون سنة . قال : الآن حين استحْكَمْتَ . ثم دعا بالطعام ، وأصحابى حديثُو عهْد[٢] بلَيِّن العيش ، وقد تجوّعت له ، فأتى بخُبز يابِس وأكْسار بَعير[٣] . فجعل أصحابى يَعافُون ذلك ، وجعلت آكل فأجيد الأكل . فنظرت فإذا به يَلحظنى من بينهم . ثم سبقتْ منّى كلمة تمنّيت أنى سُخْت فى الارض ولم ألفِظْ بها ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن الناس يحتاجون إلى صَلاحك ، فلو عَمَدْتَ إلى طَعام هو ألْيَن من هذا ؟ فزَجَرنى وقال : كيف قُلْتَ ؟ قلتُ : أقول : لو نظرتَ يا أمير المؤمنين إلى قُوتك من الطَّحين [فيُخْبَزَ لك] قبلَ إرادتك إيّاه بيوم ، ويُطبَخ لك اللحمُ كذلك ، فتُؤْتَى بالخبز لَيِّنًا وباللحم غَريضا . فسكَن عن غَرْبه ، وقال: هذا قصدْتَ ؟ قلت : نعم . قال : يا ربيع ، إنّا لو نشاء لملأنا هذه الرِّحابَ من صَلائقَ وسَبائك وصِناب ، ولكنّى رأيتُ الله تعالى نَعَى على قوم شهَواتِهم ، فقال : (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا) ثم أمر أبا مُوسى أن يُقرّنى على عملى وأن يَستبدل بأصحابى .

تفسير المؤلف لغريب هذه القصة

قوْله : لُثْنها عَلَى رأسِي ؛ يُقال : رَجُل ألْوَث ، إذا كان شديداً ، وذلك من اللَّوث ، ورَجُل ألوث ، إذا كان أهْوجَ ، وهو مأخوذ من اللوثة ؛ يقال : لُثْتُ عمامةً على رأسى ؛ يقول : أدرتُها بعضَها على بعض على غير استواء .

(١) فى ا : « عنهم » أى عن الأقارب .

(٢) فى ا : « حديث عهدهم » .

(٣) كذا فى ا ، ب . والذى فى سائر الأصول : « وأكسار بغير لدام » .

وقوله : صلائق ، هو شيء يعمل من اللحم ، فمنها ما يُطبخ ومنها ما يُشْوَى . يقال : صَلَقتُ اللحم ، إذا طَبَخْتَه ؛ وصَلَقْتَه ، إذا شويتَه .

وقوله : غَرِيضا ، يقول : طريًّا ؛ يقال : لحم غَرِيض ، تُراد به : الطَّراءة .

قال العتّابى :

إذا ما فاتنى لحمٌ غَرِيضٌ ضَرَبتُ ذِرَاعَ بَـكْرِى فاشتويتُ

وقوله : سبائك ، يريد الحُوَّارَى من الخُبْز ، وذلك أنه يُسْبك فيُؤخذ خالِصه ، والعربُ تسمِّى الرُّقاق : السبائك .

٨/١ الصِّنَاب : صِباغٌ يتخذ من الزَّبيب والخَرْدل ؛ ومنها قيل للفرس : صِنَابىّ ، إذا كان ذلك اللون[(١)] .

قال جرير :

تُـكلِّفنى مَعِيشةَ آل زَيْدٍ ومَنْ لى بالمُرَقّق[(٢)] والصِّنابِ

وقوله : أكسار بَعِير ، فالـكِسْر والعَصَل والجِزْل : العظم يُفصل ما عليه من اللحم .

وقوله : نَعَى على قوم شَهَواتِهم ، أى عابَهم[(٣)] بها ووبّخهم] .

أول من استن ترك السلام على قادم بين يدى السلطان

ومما يُصحب به السلطان : أن لا يُسلَّم على قادم بين يدَيْه ، وإنما استَنّ ذلك زِيَاد ، وذلك أنّ عبدَ الله بن عبَّاس قَدِم على مُعاوية وعِنْده زِياد ، فرحَّب به مُعاوية وألطفه وقرَّب مجلسه ، ولم يُكلِّمه زيادٌ شيئا . فابتدأه ابنُ عبّاس وقال : ما حالُك أبا المُغيرة ؟ كأنك أردتَ أن تُحْدِث بيننا وبينك هَجْرا[(٤)] ! قال : لا ، ولـكنه لا يُسلَّم على قادم بين يَدَىْ أمير المؤمنين ؛ فقال له ابنُ عبّاس : ما ترك الناسُ التحيّة بينهم بين يدى أمرائهم . فقال له مُعاوية : كُفَّ عنه يا ابن

(١) عبارة اللسان : « شبه لونه بذلك » .
(٢) رواية اللسان (مادتى صلق وصنب) : « بالصلائق » .
(٣) فى ا : « أصابهم » . وهى محرفة عما أثبتناه . (انظر لسان العرب مادة هيب) .
(٤) كذا فى ا ، ب . والذى فى سائر الأصول : « هجرة » .

عَبّاس فإنّك لا تشاء أن تَغلِب إلا غَلَبْتَ .

حديث أبى مسلم فى تركه السلام على المنصور بحضرة السفاح

[دخل أبو مُسْلم على [أبى][1] العبّاس وعنده المَنْصور فسلّمَ على أبى العبّاس ؛ فقال له : يا أبا مسلم ، هذا أبو جعفر ! فقال له : يا أمير المؤمنين ، هذا موضع لا يُقضى فيه إلا حقّك] .

ما كان بين معاوية وعمرو عند عمر حين سألهما عن أعمالهما فى الشام ومصر

أبو حاتم عن العُتْبِىّ قال : قَدِم مُعاوية من الشام ، وعَمْرُو بن العاص من مِصْر ، على عُمَرَ بن الخطّاب [رضى الله عنه] ، فأَقعدهما بين يدَيْه ، وجعل يُسائلهما عن أعمالهما ، إلى أن اعترض عَمرو فى حديث معاوية ، فقال له معاوية : أعملِى تَعيب وإلىَّ تَقْصِد ؟ هلمَّ تُخْبِر أميرَ المؤمنين عن عملى وأُخبره عن عَملك . قال عمرو : فَعلِمْتُ أنه بعَمَلى أبصرُ منّى بعَمله ، وأنَّ عُمَرَ لا يدَع [أولَ] هذا الحديث حتى يَصيرَ إلى آخره ، فأردت أن أفعل شيئاً أشغلُ به عُمَرَ عن ذلك ، فرفعت يَدِى فلطمتُ مُعاوية . فقال عمر : تالله ما رأيتُ رجلا أسفهَ منك ، قُمْ يا مُعاوية [فاقتصَّ منه] . قال مُعاوية : إنَّ أبِى أمرنى أن لا أقضِىَ أمراً دونه . فأرسل عُمَر إلى أبى سفيان ، فلما أتاه ألقَى له وِسادةً ، وقال : قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إذا أتاكم كريمُ قَوْم فأَكرموه . ثم قصَّ عليه ما جرى بين عمرو ومعاوية . فقال : لِهذا بعثتَ إلىَّ ! أخوه وابنُ عمّه ، وقد أتى غيرَ كبير ، وقد وهبتُ ذلك له :

أداء النصيحة للسلطان

وقالوا : يَنْبغى لمن صَحِب السُّلطانَ أن لا يكتُم عنه نصيحة وإن استثقلها[2] ولْيكُن كلامه له كلامَ رِفْق لا كلام خُرْق ، حتى يُخْبِرَه بعَيْبه من غير أن يُواجهه بذلك ، ولـكن يَضْرِب له الأمثالَ ويُخبِره بعَيْب غَيْره ليَعْرف عيبَ نفسِه .

من تعرض للسلطان

وقالوا : من تعرّض للسُّلطان أَرْداه ، ومَن تَطامَن له تخطّاه فشبَّهوا السلطانَ فى ذلك بالرِّيح الشَّديدة[3] التى لا تَضُرُّ بما لانَ [لها] وتمايل معها من الحَشِيش

(١) هذه الكلمة فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٢١) .
(٢) فى ا : « استقلها » .
(٣) فى ا : « المبوبة » . وهى الريح المثيرة للغبار .

والشَّجر ، وما استهدَف لها قَصَمَتْه . قال الشاعر :

إنَّ الرِّياح إذا ما أَعْصَفَتْ قَصَفَتْ عِيدانَ نَبْعٍ ولا يَعْبأْن بالرَّتَم[١]

الزيادة فى إعظام السلطان

وقالوا : إذا زادَك السلطان إكراماً فزِدْه إعظاماً ، وإذا جعلك عَبْداً[٢] فاجعله ربًّا .

الأدب فى مسايرة السلطان

[وقال شَبِيب بن شَيْبَة : يَنْبغى لمن سايرَ خليفةً أن يكونَ بالمَوْضع الذى إذا أراد الخليفةُ أن يسأله عن شىء لم يحتجْ إلى أن يلتفت ، ويكونَ من ناحية إذا التفت لم تستقبله] [الشمس[٣]] .

حديث بعض الوزراء وقد أهديت لملكه هدية

وقرأتُ فى كتاب [للهند[٤]] : أنه أُهدى لملك ثِيَاب وحَلْى ، فدعا بأمرأتين له ، وخيَّر أحظاهما عنده بين اللِّباس والحَلْى ، وكان وزيره حاضراً ، فنظرت المرأة إليه كالمُستشيرة [له[٤]] ، فغمزها باللباس تَغْضِيناً بعَيْنه ، فلحظه[٥] الملك ، فاختارت الحِلْية لئلا يَفطَن للغَمْزة ، وصار [اللباس] للأخرى . فأقام الوزير أربعين سنةً كاسراً عينه [لئلا تَقِرّ فى نفس الملك ، وليَظن[٤]] أنها عادة وخِلقة[٦] .

---

(١) النبع : من شجر الجبال تتخذ منه القسى وربما اقتدح به . والرتم : نبات من دق الشجر ، كأنه من دقته يشبه بالرتم ، وهى الخيوط .

(٢) فى ا : « والدا » . وفيها قبل هذه العبارة قوله : « إن جعلك والدا فاجعله أخا » .

(٣) هذه الكلمة عن عيون الأخبار (ج ١ ص ٢٢) . وفيه بعد هذه الكلمة العبارة الآتية : « وإن سار بين يديه أن يحيد عن سنن الريح التى تؤدى الغبار إلى وجهه » .

(٤) هذه الكلمة عن عيون الأخبار وكتاب الوزراء والكتاب .

(٥) كذا فى عيون الأخبار وكتاب الوزراء والكتاب والذى فى الأصول : « فلحظها » .

(٦) فى بعض الأصول : « أو خلقة » .

اختيار السلطان لأهل عمله

وصاة ابن هبيرة لابن سعيد حين وجهه إلى خراسان

لما وجّه عُمر بن هُبيرة مُسْلمَ بنَ سَعِيد إلى خُراسانَ ، قال له : أُوصيك بثلاثة : حاجِبك ، فإنه وَجْهك الذى به تَلْقَى الناس ، إن أحسَن فأنت المُحْسن ، وإن أساء فأنتَ المُسِيء ، وصاحب شُرْطتك ، فإنه سَوْطك وسَيْفك ، حيث وضعتَهما فقدِّر ضِعتهما[1] . عُمّالِ القَدْر[2] . قال : وما عُمّال القَدْر ؟ قال أن تَخْتار من كلِّ كُورة رجالا لعَمَلك فإن أصابوا فهو الذى أردت ، وإن أخطأوا فهم المُخطِئون وأنت المُصِيب .

استقضاء عدى ابن أرطاة لإياس ابن معاوية دون القاسم بن ربيعة الجوشنى وسبب ذلك

وكتب عمرُ بنُ عبد العزيز [رحمه الله] إلى عَدِىّ بن أَرْطاة : أن اجمع بين إياس بنِ مُعاوية والقاسم بنِ ربيعة الجَوْشَنِىّ[3] ، فولِّ القضاء أنفذَهما فجمع بينهما ، فقال له إياس : أيها الرجل ، سَلْ عنّى وعن القاسم فقيهَى البصرة[4] : الحسنَ [البصرى] وابنَ سِيرِين — وكان القاسم يأتى الحسنَ وابنَ سِيرين ، وكان إياسٌ لا يأتيهما — فعَلِم القاسم أنه إن سألهما [عنه] أشارا به . فقال القاسم : لا تسأل عنّى ولا عنه ، فوالله الذى لا إله إلا هو ، إنّ إياسَ بنَ مُعاوية أفقهُ منّى وأعلم ٩/١ بالقَضاء ، فإن كنتُ كاذبًا فما ينبغى أن تُولِّيَنى[5] ، وإن كنت صادقا ، فينبغى

(١) كذا فى ا : والضِعة (بالكسرة) : الوضع . والذى فى ه : « فأنت رضعتَها حيث وضعهما » : والذى فى سائر الأصول : حيث وضعتَهما فأنت وضعتَهما » . ولا يخفى ما فى العبارتين من الاضطراب .

(٢) يريد « بعمال القدر » : ذوى الشرف والحسب . والذى فى ا : « الغدر » . والذى فى سائر الأصول : « القرى» . ولا يخفى ما فى كلتا الروايتين من التحريف . وما أثبتناه عن محاضرات الأدباء (ج ١ ص١٠٢) فى خبر روى عن عمر بن عبد العزيز ونصه : « استشار عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى قوم يوليهم فقيل له : عليك بأهل القدر الذين إن عدلوا فذلك ما رجوت فيهم وإن قصروا قيل قد اجتهد عمر » .

(٣) كذا فى المشتبه والتهذيب والقاموس (مادة جوشن) : والذى فى الأصول : « الجوشى » وهو تحريف .

(٤) فى ا : « المصر » .

(٥) فى ا « فما عليك أن تولينى وأنا كاذب » . ولا يستقيم بها المعنى .

لك أن تقبَل قولى. فقال له إياس: إنك جئتَ برجل فوقّفته على شَفير جهنّم فنجّى نفسَه منها بيمين كاذِبة، يستغفر الله مِنها ويَنجُو مما يخاف. فقال له عدىّ: أما إذ فَهِمْتها فأنت لها، فاستَقْضاه.

حديث عدى ابن أرطاة مع إياس بن معاوية فيمن يصلح الولاية من القراء

قال عَدِىّ بن أرطاة لإياس بنِ معاوية دُلّنى على قوم من القُرّاء أُوَلّهِم. فقال له: القُرّاء ضَرْبان: ضَرْب يَعْملون للآخرة ولا يعملون لك، وضَرْب يَعْملون للدنيا[1]، فما ظَنّك بهم إذا أمكنتهم منها؟ ولكن[2] عليك بأهل البُيوتات الذين يَستحيون لأحسابهم فوَلّهم.

هروب أبي قلابة من القضاء

أيّوب السَّخْتِيانىّ، قال: طُلِب أبو قِلاَبة لقضاء[3] البَصْرة، فهرب إلى الشّام، فأقام حينا ثم رجع. قال أيوب: فقلت له: لو وليتَ القضاء وعَدَلْت كان لك أجْران. قال: يا أيّوب، إذا وقَع السّابح فى البحر كَمْ عسى أنْ يَسبح!

سؤال عبد الملك عمن يوليه ومشورة ابن زنباع عليه بالشعبى

وقال عبدُ الملك بنُ مَرْوان لجُلَسائه: دُلّونى على رَجُل أستعمله. فقال له رَوْح بن زِنْباع: أدلّك يا أميرَ المؤمن على رجل إنْ دَعَوْتموه أجابكم، وإن تَرَكْتموه لم يَأْتِكم؛ ليسَ بالمُلْحِف طلبا، ولا بالمُمْعِن هَرَبا: عامر الشَّعْبىّ. فولّاه قضاء البصرة[4].

مساءلة عمر بن عبد العزيز لأبى مجلز عن رجل يوليه خراسان

وسأل عمرُ بنُ عبدِ العزيز [رحمه الله] أبا مِجْلَز[5] عن رجل يولّيه خراسان. فقال له: ما تقول فى فلان؟ قال: مَصْنوع له وليس بصاحبها. قال: ففُلان؟ قال: سريع الغضب بَعيدُ الرضا، يَسْأل الكثير ويَمْنع القليل، [و] يحسُدُ [أمّه]، ويُنافس أباه، ويُحقّر مولاه. قال: ففلان؟ قال:

(١) فى محاضرات الأدباء: «ضرب طلبوا الأمر لله وأولئك لا حاجة لهم فى لقائلك، وضرب طلبوا بذلك الدنيا».

(٢) فى عيون الأخبار: «إذا أنت وليتهم فكنتهم منها؟ قال: وما أصنع؟ قال: عليك... الخ».

(٣) كذا فى ا. والذى فى سائر الأصول: «للقضاء».

(٤) ورد هذا الخبر فى البيان والتبيين (١: ١٨٣) بين موسى وابن شبرمة.

(٥) كذا فى تاريخ الطبرى. والذى فى سائر الأصول: «أبا مخلد». وهو تحريف.

يُكافِئُ الأكفاء ، ويُعادِي الأعداء ، ويفعل ما يشاء . قال : ما فى واحد من هؤلاء خَيْر .

إباء عمر استعمال رجل طلب العمل

وأراد عمرُ بنُ الخطَّاب [رضى الله عنه] أن يَستعمِل رجُلاً . فبَدَر الرجلُ فطلب منه العملَ . فقال عمر : والله لقد [كنت] أردتُك لذلك ، ولكن مَنْ طَلب هذا الأمرَ لم يُعَنْ عليه .

إباء النبى استعمال رجل يريد العمل

وطلب رجلٌ إلى النبيّ صلَّى الله عليه وسلّم أن يَستعمله ، فقال [له] : إنّا لا نستعمل على عَمَلنا مَنْ يُرِيده .

إباء النبى تولية عمه العباس

وطلب العبّاسُ عمُّ النبيّ صلَّى الله عليه وسلّم [إلى النبيّ] ولاية . فقال : يا عمّ ، نفْس تُحْيِيها ، خير من ولاية لا تُحصِيها .

نصيحة أبى بكر لخالد بن الوليد

وقال أبو بكر الصدِّيق رضى الله عنه لخالد بن الوَليد : فِرَّ من الشرف يَتْبعك الشرف ، واحرِص على الموت تُوهَبْ لك الحياة ،

قول النصارى فيمن يختار للجثلقة

وتقول النَّصارى : لا يُختار للجَثْلَقة[1] إلا زاهدٌ فيها غيرُ طالِب لها .

حديث عمر بن هبيرة مع إياس ابن معاوية حين أراد ابن هبيرة توليته

وقال إياس بن مُعَاوية : أرسلَ إليَّ [عمرُ] بنُ هُبَيرة فأتيتُه ، فساكتنى[2] فسكتُّ ، فلما أطلتُ [قال] : هِيه . قلت : سَلْ عمّا بدا لك . قال : أتقرأ القرآن ؟ قلت : نعم . قال : أتفرِض الفرائض ؟ قلتُ : نعم . قال : أتعرف من أيام العرب شيئاً ؟ قلت : نعم . قال : أتعرف من أيام العجم شيئا ؟ قلت : أنا بها أعْرف . قال : إنى أريد أن أستعينَ بك على عملى . قلت إن فىَّ خِلالاً ثلاثاً لا أصْلحُ معها للعمل . قال : [و] ما هى ؟ قلت : دَمِيم كما ترى ، وأنا حَدِيد ، وأنا عَيِيّ . قال : أمّا دَمامتك فإنّى لا أريد أن أحاسِن الناسَ بك ،

---

(١) كذا فى الأصول . والجثلقة : رياسة دينية عند النصارى يسمى صاحبها جاثليق (بفتح الثاء) ، وهو رئيس للنصارى فى بلاد الإسلام . والذى فى ا : « للخلافة » . وهو تحريف .

(٢) كذا فى ا وعيون الأخبار (ج ١ ص ١٨) . والذى فى سائر الأصول : « فسألنى » . وهو تحريف إذ لا يستقيم الكلام بها .

وأما العِىّ فإنى أراكَ تُعرِب(١) عن نفسِك ، وأما الحِدّة فإنّ السَّوط يُقوّمك(٢) . قُمْ [قد وليّتك](٣) . قال : فولّانى وأعطانى مائة(٤) درهم . فهى أول مالٍ تموّلتُه .

ولاية سليمان المحاربى قضاء دمشق لستة من الخلفاء

وقال الأصمعىّ : وَلِىَ سُليمان بنُ حَبيب المحاربىّ قضاءَ دِمشقَ لعبد الملك والوليد وسُليمان وعمرَ بنِ عبد العزيز [رحمه الله] ويزيدَ وهِشام .

إباء مكحول ولاية القضاء حين طلبه عمر ابن عبد العزيز

وأراد عمرُ بن عبد العزيز [رحمه الله] مَكْحولاً على القضاء ، فأبَى عليه . قال له : وما يَمنعك ؟ قال مَكحول : قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لا يَقْضِ بين الناس إلا ذو شَرَف [فى] قومه ، وأنا مَوْلى .

شكاية أهل الكوفة واليهم ابن أبى وقاص إلى عمر بن الخطاب وتوليته المغيرة عليهم

ولما قَدِم رجالٌ [من] الكُوفة على عمرَ بن الخطّاب [رضى الله عنه] يشكون سعدَ بن أبى وقّاص ، قال : من يَعْذِرنى(٥) من أهل الكوفة ؟ إن ولّيت(٦) عليهم التَّقِىّ ضَعّفوه ، وإن ولّيت(٦) عليهم القَوِىّ فَجّرُوه . فقال له المُغيرة : يا أميرَ المؤمنين ، إن التّقِىّ الضعيفَ له تَقْواه وعليك ضَعْفُه . والقوىّ الفاجرَ ١٠/١ لك قُوّته وعليه فُجُوره . قال : [صدقت] ، فأنت القوىّ الفاجر ، فاخرُج إليهم . [فخرج عليهم] ، فلم يزل عليهم أيامَ عُمَر وصَدْرًا من أيام عثمان وأيام مُعاوية حتى مات المُغيرة .

حسن السياسة وإقامة المملكة

كتاب الحجاج إلى الوليد يشرح له سيرته

كَتَب الوليدُ بنُ عبدِ الملك إلى الحجّاج بن يُوسفَ يأمُره أن يكتُب إليه بسِيرته . فكتَب إليه : إنى أيْقظت رَأْيى وأنَمْت هَواى ، فأدْنيت السيّدَ المُطاع

(١) فى عيون الأخبار : « تعبر » .
(٢) فى عيون الأخبار : « وأما سوء الخلق فيقومه السوط » .
(٣) التكملة فى عيون الأخبار .
(٤) فى ا « مائتى » . وفى عيون الأخبار : « ألفى » .
(٥) فى شرح نهج البلاغة (ج ٣ ص ٩٧) : « قد أعيانى أهل الكوفة » .
(٦) كذا فى محاضرات الأدباء . والذى فى الأصول فى هذين الموضعين « وليتهم » . وفى شرح نهج البلاغة : « استعملت عليهم » .

فى قَوْمه ، ووليّت الحَرْبَ[1] الحازِمَ فى أمره ، وقلّدت الخراجَ المُوفِّرَ لأمانته. وقَسَمْتُ لكل خَصْم من نَفْسى قِسْما ، أُعطيه حظّا من لَطيف عِنايتى ونظرى[2]. وصَرَفْت السيفَ إلى النَّطِف[3] المُسىء ، والثوابَ إلى المُحْسِن البرىء ، فخاف المُرِيبُ صولةَ العِقاب ، وتمسّك المُحسن بحظّه من الثواب .

وصاة أردشير لابنه

وقال أردشير لابنه : يا بنىّ : إن المُلْك والعَدْل[4] أخوان لا غِنَى بأحدهما عن الآخر[5] ، فالمُلْك أسّ والعدل حارس[6] . و [البناء[7]] ما لم[8] يكن له أسّ فمَهْدوم ، و [الملك[7]] ما لم[8] يكن له حارس فضائع . يا بنىّ ، اجعل حديثَك مع أهْل المَراتب ، وعطيّتَك لأهل الجهاد ، وبِشْرَك لأهل الدين ، وسِرّك لمن عَناه ما عَناك من ذوى[9] العُقول .

كلام للحكماء فيما يجب على السلطان

وقالت الحكماء : ممّا يجب على السلطان [أن يلتزمه] العدلُ فى ظاهر أفعاله لإقامة أمْر سُلْطانه ، وفى ضميره لإقامة أمر دينه . فإذا فَسَدت السياسةُ ذهب السلطان . ومَدَار السياسة كلّها على العَدْل والإنصاف ، لا يقوم سُلطان لأهْل الكُفْر والإيمان إلا بهما ، ولا يدُور إلا عليهما ، مع ترتيب الأمور مراتبها وإنزالها منازلَها . ويَنْبغى لمن كان سُلطانا أن يُقيم على نفسه حُجّة [الرعيّة ، ومن كان رعيّة أن يُقيم على نفسه حجّة] السلطان . وليكن حُكْمه على غيره

---

(١) كذا فى ا وعيون الأخبار . والذى فى سائر الأصول : « المجرب » .

(٢) عبارة عيون الأخبار : « وحظا من نظرى ولطيف عنايتى » .

(٣) النطف : المتهم بريبة .

(٤) فى عيون الأخبار (ج ١ ص ١٣) : « والدين » . والذى فى محاضرات الأدباء (ج ١ ص ١٠٤) : « الدين والملك » .

(٥) كذا فى ا وعيون الأخبار ومحاضرات الأدباء . وفى سائر الأصول : « صاحبه » . والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٦) فى عيون الأخبار ومحاضرات الأدباء : « فالدين أس والملك حارس » .

(٧) هذه الكلمة عن محاضرات الأدباء .

(٨) كذا فى محاضرات الأدباء . والذى فى ا : « وما ليس » . والذى فى سائر الأصول : « فما لم » .

(٩) فى عيون الأخبار : « أرباب » .

مثلَ حُكْمِه على نفسه . وإنما يَعرف حقوقَ الأشياء من يعرف مَبْلغ حدودها ومواقعَ أقدارها . ولا يكون أحدٌ سلطاناً حتى يكون قبلَ ذلك رعيّة .

كلام لعبد الملك فيمن يصلح للخلافة من بنيه

وقال عبدُ الملك بنُ مَرْوان لبَنيه : كلّكم يَتَرشح لهذا الأمر ، ولا يصلُح له منكم إلا من كان له سَيْف مَسْلول ، ومالٌ مبذول ، وعَدْل تطمئنّ إليه القلوب .

ملك يصف سياسته

[ووَصف بعضُ الملوك سياستَه فقال : لم أهزِل فى وَعْد ولا وَعِيد ، ولا أمْر ولا نَهْى ، ولا عاقبتُ للغضب ، واستكْفيت(١) ، وأثبْت على الغَناء لا للهوى(٢) ، وأودعت القلوب هَيْبة لم يَشُبْها مَقْت ، ووُدًّا لم تَشُبه جُرْأة ، وعَمَمْت بالقُوت ، ومَنَعت الفضول .

أعرابى يصف أميرا

وذكر أعرابيّ أميراً فقال : كان إذا وَلِيَ لم(٣) يُطابق بين جُفونه ، وأرسل العيونَ على عُيونه ؛ فهو غائب عنهم شاهد معهم ، فالمُحْسِن راجٍ(٤) والمُسِيء خائف] .

كلمة لعمر فيمن يصلح لأمر الولاية

وقال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه :

لا يصلُح لهذا الأمر إلا اللّين من غير ضَعْف ، القويّ من غير عُنْف .

حديث بين الوليد بن عبد الملك وأبيه فى السياسة

وقال الوليدُ بن عبد الملك لأبيه : يا أبتِ ما السياسة ؟ قال : هَيْبة الخاصّة مع صِدْق مودّتها ، واقتيادُ قلوب العامّة بالإنصاف لها ، واحتمالُ هَفوات الصّنائع .

نصيحة أرسطوطاليس للإسكندر

وكتب أرِسطُوطاليس إلى الإسكندر : [أن] املِك الرعيةَ بالإحسان إليها تَظفَر بالمحبّة منها ، فإن طلَبَك ذلك [منها](٥) بإحسانك [هو] أدوم بقاء منه

(١) استكفيت ، أى وليت الأكفاء .
(٢) كذا فى عيون الأخبار . والذى فى ا : « وأثبت على الغنى إلا الهوى » .
(٣) فى محاضرات الأدباء : « طابق » .
(٤) فى محاضرات الأدباء : « آمن » .
(٥) هذه الكلمة عن عيون الأخبار (ج ١ ص ٨) .

باعتسافك . واعلم أنك تملِك الأبدان ، فاجمع لها القلوبَ بالمحبّة[١] . واعلم أن الرعيّة إذا قدرتْ [على] أن تقول قدرتْ [على] أن تفعل ، فاجتهد ألاّ تقول تَسْلَم [من أن تَفْعل] .

دستور أردشير فى حكمه

وقال أرْدَشِير لأصحابه : [إنّى] إنما أملِكُ الأجسادَ لا النيّات ، وأحكمُ بالعَدْل لا بالرِّضا ، وأفْحَص عن الأعمال لا عن السَّرائر .

وصف عمرو بن العاص لمعاوية

وكان عمرو بن العاص يقول فى مُعاوية : اتقوا أكرمَ[٢] قُرَيش وابنَ كريمها ، من يضحك فى الغضب ، ولا ينام إلا على الرِّضا[٣] ، ويتناول ما فوقَه من تحته[٤] .

معاوية يصف نفسه

وقال مُعاوية : إنى لا أضَع سَيْفِى حيثُ يَكْفِينى سَوْطى ، ولا أضع سَوْطى حيثُ يكْفينى لسانى ، ولو أنَّ بينى وبين الناس شعرةً ما انقطعتْ [أبدا] . فقيل له : وكيف ذلك ؟ قال : كنتُ إذا مدّوها أرخيتُها ، وإذا أرخَوْها مَدَدْتها .

حديث لعمرو بن العاص عن معاوية

وقال عمرو [بنُ العاص] : رأيتُ معاويةَ فى بعض أيّامنا بصِفِّين خرج فى عُدّة لم أرَه خرج فى مثلها ، فوقف فى قَلْب عَسْكره ، فجَعَل يَلْحظ مَيْمنته فيرى [فيها] الخَلل ، فيَبْدُر إليه من يَسُدّه[٥] ؛ ثم يفعل ذلك بمَيْسرته ، فتُغْنيه اللّحْظَة عن الإشارة . فدخله زَهْو بما رأى ، فقال : يا بن العاص ، كيف ترى هؤلاء وما هم عليه ؟ فقلت : والله يا أمير المؤمنين ، لقد رأيت من يَسُوس الناس بالدين والدنيا ، فما رأيت أحداً تأتّى له من طاعة رعيّته ما تأتّى لك من هؤلاء .

---

(١) فى عيون الأخبار ومحاضرات الأدباء (ج ١ ص ١٠٤) : « فتخطها إلى القلوب بالمعروف » .

(٢) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « آدم » .

(٣) أى إنه لا يبيت إلا منتقما ممن أغضبه مرضيا نفسه بذلك .

(٤) يصفه بالدهاء وحسن السياسة وسعة الحيلة ، حتى إنه ينال ما صعب من الأمور بأيسر وسيلة .

(٥) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « ميسرة » وهو تحريف .

فقال : أفتدرى متى يَفْسُد هذا ؟ وفى كم يَنتقِض جميعه ؟ قلت : لا. قال : فى يوم واحد . قال : فأكثرتُ التعجّب . قال : إى والله ، وفى بعض يوم . ١١/١ قلت : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : إذا كُذِبوا فى الوَعد والوَعِيد ، وأُعْطُوا على الهوى لا على الغَناء ، فسَد جميعُ ما ترى .

من ابن عباس إلى الحسن حين ولاه الناس أمرهم

وكتب عبدُ الله بن عبّاس إلى الحَسن بن علىّ إذ[1] ولّاه الناسُ أمرَهم بعد علىّ رضى الله عنه : أن شمِّر للحرب ، وجاهد عدوَّكَ ، واشترِ من الظَّنين دينَه بما لا يَثْلِم دينَك ، ووَلِّ أهلَ البُيوتات تَسْتَصْلِح بهم عشائرَهم[2] .

وكلام للحكماء فى أسوس الناس لرعيته

وقالت الحكماء : أَسْوَس الناس لرعِيّته ، مَنْ قاد أبدانَها بقُلوبها وقلوبَها بخواطرِها ، وخواطرَها بأسْبابها من الرَّغبة والرَّهبة .

نصيحة أبرويز لابنه شيرويه فى سياسته لجنده

وقال أبْرَويز لابنه شِيرَوَيْه . لا تُوسِّعَنَّ على جُندكَ سَعةً يَستغنون بها عنك ، ولا تُضيِّقن عليهم ضِيقاً يَضجَرون به منه ، ولكنْ أعطِهم عَطاء قَصْدا ، وامنَعْهم منعاً جميلا ، وابسُط لهم فى الرجاء ، ولا تبسُط لهم فى العطاء .

نصيحة للمنصور فى عدم البسط فى العطاء

ونحو هذا قولُ المَنْصور لبعض قُوّاده : صدق الذى قال : أجِعْ كلبَك يَتْبعك ، وسمِّنه يأكلك . فقال له أبو العبّاس الطُّوسىّ : [أما تخشى] يا أمير المؤمنين إن أجعْته [أن] يُلوِّح له غيرُك برَغيف فيتبعه ويدَعَك .

نصيحة أبرويز لابنه شيرويه فى سياسة الحكم

وكتب أبرويز إلى ابنه شِيرَوَيْه من الحَبْس : اعلم أنّ كلمةً منك تَسفِك دَماً ، وأخرى [منك] تحقِن دَماً ، وأنّ سخطَك سيفٌ مَسْلول على من سَخِطت عليه ، وأنّ رِضاك بَرَكة مُستفيضة على من رضِيت عنه ، وأنّ نفاذَ أمرِك مع ظُهور كلامك . فاحترس فى غَضبك من قولك أن يُخطِئ ، ومن لَونك أن

---

(١) عبارة عيون الأخبار (ج ١ ص١٤) : « إن المسلمين ولوك أمرهم بعد على فشمر » .

(٢) زيد فى عيون الأخبار بعد قوله « عشائرهم » العبارة الآتية : « حتى تكون الجماعة ، فإن بعض ما يكره الناس – ما لم يتعد الحق وكانت عواقبه تؤدى إلى ظهور العدل وعز الدين – خير من كثير مما يحبون ، إذا كانت عواقبه تدعو إلى ظهور الجور ووهن الدين » .

يتغيّر ، ومن جَسدك أن يخِفّ ؛ فإن الملوك تُعاقِب حَزْماً[١] وتعفُو حِلْماً[٢] . واعلم أنك تَجِلّ عن الغضب ، وأنّ مُلْكك يَصْغُر عن رِضَاك[٣] ، فقدِّر لسُخْطك من العقاب ، كما تُقدِّر لرضاك من الثواب .

كلمة ابن سويد فى السلطان

وخطب سَعيد بن سُوَيْد بحِمْص ، فَحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس إنّ للإسلام حائطا منيعاً وباباً وثيقاً ، فحائط الإسلام الحقّ و بابُه العدل . ولا يزال الإسلام مَنِيعاً ما اشتدّ السلطان . وليست شدّةُ السلطان قتلاً بالسيف ولا ضَرْباً[٤] بالسوط ، ولكنْ قضاء بالحق وأَخْذاً بالعدل .

لعبد الله ابن الحكم فيمن يضطغن على السلطان

وقال عبدُ الله بن الحَكَم : إنه قد يَضْطَغِن على السلطان رجلان : رجل أحْسَنَ فى مُحْسِنين فأُثيبوا وحُرِم ، ورجل أساء فى مُسِيئين فعُوقِب وعُفِيَ عنهم . فينبغى للسلطان أن يحترس[٥] منهما .

وصية أبرويز لابنه شيرويه

وفى [كتاب] التاج : [أن] أبْرَوِيز كتب لابنه شيرَويه يُوصِيه [بالرعيّة] : [و] ليكُن مَنْ تختاره لوِلايتك امرأً كان فى ضَعة[٦] فرفعتَه ، أو ذا شَرَف كان[٧] مُهمَلا فاصطنعته . ولا تجعلْه امرأً أصبْته بعقُوبة فاتّضع لها ، [ولا امرأً أطاعك بعد ما أذْلَلته[٨]] ، ولا أحداً ممن يقع فى قلبك[٩] أن إزالة سُلْطانك

(١) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « حذوا » . وهو تحريف . والذى فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٢٨٩) : « قدرة وحزما » .

(٢) فى عيون الأخبار : تفضلا وحلما » . وفيه زيادة على ما هنا بعد قوله « وحلما » قوله : « ولا ينبغى للقادر أن يستخف ولا للحليم أن يزهو ، وإذا رضيت فأبلغ بمن رضيت عنه يحرص من سواه على رضاك ، وإذا سخطت فضع من سخطت عليه يهرب من سواه من سخطك ، وإذا عاقبت فأنهك لئلا يتعرض لعقوبتك » .

(٣) عبارة عن عيون الأخبار : « وأن غضبك يصغر عن ملكك » .

(٤) فى ا : « ولا حدا » .

(٥) فى ا : « يحترز » .

(٦) كذا فى عيون الأخبار (ج ١ ص ١٥) . والذى فى ا : « فى وضعه » . والذى فى سائر الأصول : « فى وضيعة » .

(٧) فى عيون الأخبار : « وجدته » .

(٨) التكلة عن عيون الأخبار .

(٩) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول ، « بقلبه » . والذى فى عيون الأخبار : « فى خلدك » .

أحبَّ إليه من ثُبوته . وإياك أن تستعمله ضَرَعا غُمْرًا[١] كثيراً إعجابه بنفسه ، قليلاً تجربته فى غيره ؛ ولا كبيراً مُدْبِراً قد أخذ الدهر من عقله ، كما أخذت السنّ من جسمه .

بسط المعدلة ورد المظالم

إنصاف المأمون لامرأة من ابنه العباس

الشَّيبانىّ قال : حدّثنا محمدُ بنُ زكريا عن عبّاس بن الفضل الهاشمى عن قَحْطَبَة بن حُميد قال : إنى لواقِفٌ على رأس المأمون يوماً وقد جلس للمظالم ، فكان آخر من تقدم إليه — وقد همّ بالقيام — امرأة عليها هَيئة السفر ، وعليها ثِياب رثّة ، فوقفتْ بين يدَيْه فقالت : السلام عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته . فنظر [المأمون] إلى يحيى بنِ أكْثَم . فقال [لها] يحيى : وعليك السلام يا أمَةَ الله ، تَكلّمى بحاجتك . فقالت : ١٢/١

يا خيرَ مُنتَصِف يُهدَى له الرَّشَدُ ويا إماماً به قد أشرقَ البَلدُ
تَشكو إليك ـ عميدَالقوم ـ أرْمَلَةٌ عُدِى عليها فلم يُترك لها سَبَدُ[٢]
وابتُزّ منّى ضِياعى بعد مَنْعتها ظُلماً وفُرّق منّى الأهلُ والوَلَدُ[٣]

فأطرق المأمون حيناً ، ثم رفع رأسه إليها وهو يقول :

فى دُون ماقلتِ زال الصَّبْرُ والجَلَدُ عنّى وأقْرِح منّى القَلْبُ والكَبِدُ[٤]

(١) الضرع ، الضعيف . والغمر : الذى لا تجربة له .

(٢) السبد الشعر ، ويكنى به عن الإبل ؛ كما يكنى بالوبر عن الغنم ؛ فيقال : ما له سبد ولا لبد ، أى ذو وبر ولا صوف متلبد ، يريد إبلا وغنما . وورد الشطر الثانى من هذا البيت فى نهاية الأرب (ج ٦ ص ٢٧٦) هكذا :
• عدا عليها فما تقوى به أسد •

(٣) رواية الشطر الثانى من هذا البيت فى نهاية الأرب :
• لما تفرق عنها الأهل والولد •

(٤) فى نهاية الأرب :
من دون ما قلت عيل الصبر والجلد وأقرح القلب هذا الحزن والكمد
وأقرحه : غمه .

هذا أذانُ[١] صلاةِ العَصْرِ فانصرِفِي وأحضرِى الخصْمَ فى اليوم الذى أَعِد

فالمجلسُ السَّبْتُ ـ إن يُقْضَ الجلوس لَنا نُنْصِفْكِ منه ـ وإلا المجلسُ الأحد

قال : فلمّا كان يوم الأحد جلَس ، فكان أوّل من تقدم إليــه تلك المرأة ، فقالت : السلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمة الله و بركاته . فقال : وعليك السلام [ثم قال] : أين الخصْم ؟ فقالت : الواقفُ على رأسك [يا أميرَ المؤمنين] — وأومأت إلى العبّاس ابنِه — فقال : يا أحمد بنَ أبى خالد ، خُذْ بيده فأجْلِسه معها مَجْلِسَ الخصوم . فجعل كلامُها يعلو كلامَ العبّاس. فقال لها أحمدُ بن أبى خالد : يا أَمَةَ الله ، إنّكِ بين يدَى أمير المؤمنين ، و إنّكِ تُكلّمين الأمير ، فاخفضى من صوتك . فقال المأمون : دَعْها يا أحمد ، فإن الحقَّ أَنْطَقها و [الباطلَ] أَخْرَسه . ثم قضَى لها بردّ ضَيْعتها إليها ، [وظَلَّمَ العبّاس بظُلْمه لها] ، وأمر بالكتاب لها إلى العامل [الذى] ببلدها أن يُوغِر[٢] لها ضَيْعتها و يُحسن معاونتها ، وأمَرَ لها بنَفَقة .

حديث خصومة بين هشام بن عبد الملك وابرهيم ابن محمد والقضاء على هشام فيها

العُتْبِىّ[٣] قال : إنى لقاعِد عند قاضى هِشام بن عبد الملك إذ أقبل إبراهيم ابن محمد بن طلحة وصاحبُ حَرَس هشام حتى قعدا بين يديه ، فقال : إن أمير المؤمنين جَرّانى[٤] فى خُصومة بينه و بين إبراهيم . فقال القاضى : شاهِدَيك على الجِرَاية[٥] . فقال : أترانى قلتُ على أميرِ المؤمنين ما لم يقُلْ ، وليس بينى و بينه إلا هذه السُّتْرة ! قال : لا[٦] ، ولكنّه لا يَثْبت الحق لك ولا عليك إلّا ببيّنة . قال : فقام الحرَسىّ فدخل على[٧] هشام فأخبره . فلم نَلْبث أن

(١) فى نهاية الأرب : « أوان » .
(٢) يوغر لها ضيعتها ، أى يسقط عنها خراجها .
(٣) فى ا ، « قال الشعبى » .
(٤) جرانى ، أى وكلنى .
(٥) الجراية (بفتح الجيم وكسرها) : الوكالة .
(٦) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « بلى » .
(٧) كذا فى ا ، ب . والذى فى سائر الأصول : « إلى » .

تَقَعْقَعَت الأبواب وخرج الحَرَسىّ ، وقال[١] : هذا أمير المؤمنين[٢] . وخرج هشام ، فلما نظر إليه القاضى قام ، فأشار إليه وبسَط له مصلًّى ، فقعد عليه وإبراهيم بين يَدَيه . وكنّا حيث نسمع بعض كلامهم ويخفى عنّا بعضُه[٣] قال : فتكلّما وأحضرا البيّنة ، فقضَى القاضى على هشام [بن عبد الملك] . فتكلّمَ إبراهيمُ بكلمة فيها بعضُ الخُرْق فقال : الحمد لله الذى أبان للناس ظُلْمَك . فقال له هشام : هَمَمْتُ أن أضرِبكَ ضربةً ينتثر منها لحمُك عن عظمك . قال : أمَا والله لئن فعلتَ لتفعلنّه بشَيْخٍ كَبير السنّ قَرِيبِ القَرَابة واجبِ الحقّ . فقال هشام : [يا إبراهيم] ، استُرْها علىّ . قال : لا سَتَر الله [علىّ] إذاً ذَنْبِي يوم القيامة [إن سترتُها] . قال : فإنى مُعْطيك عليها مائةَ ألف . قال إبراهيم : فسترتها عليه [أيامَ] حياته ثمناً لما أخذت منه ، وأذعتُها بعد مماته تَزْييناً له .

مظلمة بن سلكة بين يدى الحجاج وإنصاف الحجاج إياه

قال : وورد على الحجّاج بن يوسف سُلَيكُ بن سُلَكَة[٤] ، فقال : أصلح الله الأمير ، أرعِنى[٥] سَمْعَك ، واغضُض عنّى بصرَك ، واكْفُف عنّى غَرْبك . فإن سمعتَ خطأً أو زَللاً فدُونك والعقوبةَ . قال : قل . فقال : عصَى عاصٍ من عُرْض العَشيرة فحُلِّق على اسمى[٦] ، وهُدِم منزلى وحُرِمْتُ عطائى . قال : هيهات ! أو ما سمعت قول الشاعر :

جانيكَ من يَجْنِي عليك وقَدْ ... تُعدِى الصِّحَاحَ مَبارِكُ الجُرْبِ

---

(١) كذا فى ا ، ب والذى فى سائر الأصول : « فقالوا » .

(٢) الذى فى ا بعد هذه الكلمة : « فقال : فقام القاضى فأشار إليه فقعد وبسط له مصلى فقعد عليه هو وإبراهيم . . . الخ » .

(٣) الذى فى ا : « بعضا ويخفى علينا البعض » .

(٤) كذا فى الأصول . وسليك بن السلكة هذا قتل فى الجاهلية ، والذى عاصر الحجاج هو فرعون بن عبد الرحمن ، المعروف بابن سلكة . فلعله هو واختلط على النساخ . (انظر معجم البلدان ج ٤ ص ٢٣١ طبعة أوربة) .

(٥) فى ا : « أعرنى » .

(٦) حلق على اسمى ، أى جعل داخل حلقة من المداد ، وكان يفعل ذلك بكل اسم يراد حبس العطاء عن صاحبه . وهو بمنزلة الضرب على المكتوب فى أيامنا .

ولرُبَّ مأخوذٍ بذنب عشيرةٍ ونجا المُقارِفُ صاحبُ الذَّنب

١٣/١ فقال : أصلح الله الأمير ، إنى سمعتُ الله عزّ وجلّ يقول غيرَ هـذا . قال : وما ذاك ؟ قال : قال الله تعالى : (يَاأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ . قَالَ مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلاَّ مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ) . قال الحجّاج : علىَّ بيزيدَ بنِ [أبى] مُسْلم . فمَثَل بين يديه . فقال : افكُك لهذا عن اسمه ، واصكُك له بعَطائه ، وابْنِ له منزلَه ، ومُرْ منادياً ينادى : صدَق الله وكذَب الشاعر .

لمعاوية فى كراهة الظلم

وقال معاوية : إنى لأستحى أن أظلِمَ من لا يجد علىّ ناصراً إلا الله .

بين عمر بن عبد العزيز وعامل له استأذنه فى تحصين مدينة

وكتب إلى عمرَ بنِ عبد العزيز [رحمه الله] بعضُ عمّاله يستأذنه فى تحْصين مدينته . فكتب إليه : حَصِّنها بالعدل ، ونَقِّ طُرقَها من الظلم .

نصيحة المهدى لابن أبى الجهم وقد ولاه فارس

وقال المَهدىّ للرَّبيع بن أبى الجَهْم ، وهو والى أرضِ فارس[1] : يا رَبيع ، آثِر الحق ، والزَم القَصْد ، وابسُط العدل ، وارفُق بالرعية ، واعلم أنّ أعدلَ الناس من أنصفَ من نفسه ، وأظلمَهم[2] من ظلم الناسَ لغيره .

حديث ابن عامر وعمرو بن أصبغ عامله على الأهواز

وقال ابن أبى الزِّناد عن هشام بن عُرْوة قال : استعمل ابن عامر عَمرَو بنَ أصبغ على الأهواز ، فلما عزله ، قال له : ما جئتَ به ؟ قال له : ما معى إلا مائة درهم وأثواب . قال : كيف ذلك ؟ قال : أرسلتَنى إلى بلد أهلُه رجلان : رجلٌ مُسْلِم له ما لى وعليه ما علىّ ، ورجل له ذِمّة الله ورسولِه ، فوالله ما دَرَيْتُ أين أضع يدى . قال : فأعطاه عشرين ألفاً .

كلمة لجعفر بن يحيى فى العدل وضده

وقال جعفر بن يحيى : الخراج عَمود المُلْك ، وما استُغْزِر بمثل العدل ، وما استنْزِر بمثل الظلم .

حديث للنبى صلى الله عليه وسلم فى الظلم

وقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : الظُّلم ظُلمات يوم القيامة .

(١) فى ا : « وولى المهدى الربيع بن أبى الجهم أرض فارس فقال له » .
(٢) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « وأجورهم » .

صلاح الرعية بصلاح الإمام

تبعية الناس لإمامهم

قالت الحكماء: الناس تَبَعٌ لإمامهم فى الخير والشرّ.

كلمة لأبى حازم فى الإمام

وقال أبو حازم الأعرج: الإمام سُوق، فما نَفَقَ عنده جُلِب إليه[1].

إعجاب عمر برجل أدى إليه تاج كسرى وسواريه

ولما أُتِى عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه بتاج كِسْرى وسِوَارَيْه، قال: إن الذى أدّى هذا لأمين! قال له رجل: يا أمير المؤمنين، أنت أمين الله يُؤَدُّون إليك ما أدّيت إلى الله تعالى، فإذا رَتَعْتَ رتَعُوا.

ومن أمثالهم فى هذا قولهم: إذا صلحت العَيْن صلحت سواقيها[2].

من يصلح الناس بصلاحهم

الأصمعىّ قال: [كان] يُقال: صِنْفان إذا صلَحا صلَح الناس: الأُمراء، والفُقهاء.

بين مروان بن الحكم وبعض وكلائه

[و] أُطّلع مَرْوان بن الحَكَم على ضَيْعة [له] بالغُوطَة[3] فأنكر شيئاً، فقال لوكيله: وَيْحك! إنى لأظنّك تخوننى. قال: أفتظنّ ذلك ولا تَسْتَيْقِنه؟ قال: وتَفْعله[4]؟ قال: نعم، والله إنى لأخونك، وإنك لتَخُون أميرَ المؤمنين، وإن أميرَ المؤمنين ليخون الله، فلَعَن الله شرّ الثلاثة.

قولهم فى المَلِك وجلسائه ووزرائه

ما يستقيم به أمر الملوك والوزراء

قالت الحكماء لا ينفع المَلِكُ إلا بوُزرائه وأعوانه[5]، ولا يَنْفع الوزراء والأعوان إلا بالمودّة والنصيحة، ولا تنفع المودّة والنصيحة إلا مع الرأى والعَفاف. ثم على الملوك بعد [ذلك] ألّا يتركوا مُحْسناً ولا مُسيئاً ما دُونَ جزاء؛

---

(١) مر هذا الخبر (ص ١٢ من هذا الجزء) باختلاف يسير، فأرجع إلية.

(٢) فى ا: إذا صلحت الساقية صلحت مجاريها».

(٣) الغوطة: كورة منها دمشق.

(٤) كذا فى ا. والذى فى سائر الأصول: «ونفعل».

(٥) فى ا: «لا ينفع السلطان إلا بالوزارة والأعوان».

فإنهم إذا تركوا ذلك تهاونَ المُحسن ، واجترأ المسىء ، وفَسَد الأمر ، و بطَل العمل .

للأحنف فيمن فسدت بطانته

وقال الأحنف بنُ قيس . مَنْ فَسَدت بِطَانتُه كان كمن غَصَّ بالماء ، [ومن غَصَّ بالماء] فلا مَساغ له ، ومن خانه ثِقاته فقد أُتِىَ من مَأْمَنِه .

شعر لابن الأحنف وغيره فى ذلك

وقال العبّاس بنُ الأحنف :

قَلْبِى إلى ما ضَرّنى داعِى يُكْثِر أحزانى[1] وأوجاعِى
كيف احتراسى[2] من عَدوّى إذا كان عَدوّى بين أضلاعى

وقال [آخر] :

كنتُ من كُرْبتى أفِرُّ إليهم فهمُ كُرْبتى فأين الفِرارُ

وأوّل من سَبق إلى هذا المعنى عَدِىُّ بن زَيْد فى قوله للنُّعمان بن المُنْذِر :

١٤/١ لو بغَيْر الماء حَلقى شَرِقٌ كنتُ كالغَصّانِ بالماء اعْتِصارِى[3]

[وقال آخر :

إلى الماءِ يَسْعَى من يَغَصُّ بِرِيقه فقُل أين يَسْعى من يَغَصّ بماءِ]

لعمرو بن العاص فى قيام السلطان

وقال عمرو بنُ العاص : لا سُلطانَ إلا بالرجال ، ولا رجالَ إلا بمال ، ولا مالَ إلا بعمارة ، ولا عمارةَ إلا بعَدْل .

كلمات آخر فى ذلك

وقالوا : إنما السلطان بأصحابه كالبحر بأمواجه .

وقالوا : ليس شىء أضرّ بالسلطان من صاحبِ يُحسن القول ، ولا يُحسن الفِعْل . [و] لا خيرَ فى القول إلا مع الفعل ، ولا فى المال إلا مع الجود ، ولا فى الصِّدق إلا مع الوفاء ، ولا فى الفِقْه إلا مع الوَرَع ، ولا فى الصَّدقة إلا مع حُسن النيَّة ، ولا فى الحياة إلا مع الصحَّة .

وقالوا : إن السلطان إذا كان صالحا ووزراؤه وزراءَ سَوْء امتنع خيره

(١) فى ا : « أسقامى » .
(٢) فى ا : « احتيالى » .
(٣) الاعتصار : إزالة الغصة بالماء قليلا قليلا .

من الناس ، ولم يُنتفَع منه بمنفعة[١] ، وشبَّهوا ذلك بالماء الصافى يكون فيه التِّمساح ، فلا يستطيع أحد أن يدخلَه ، وإن كان محتاجاً إليه .

صفة الإمام العادل

كتاب الحسن البصرى إلى عمر فى وصف الإمام العادل

كتب عُمرُ بن عبد العزيز رضى الله عنه لما وَلِى الخلافةَ إلى الحسن بن أبى الحسن البَصرىّ أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل ، فكتب إليه الحسن [رحمه الله] : اعلم يا أمير المؤمنين ، أن الله جعل الإمام العادل قِوَامَ كلِّ مائل ، وقَصْدَ كل جائر ، وصَلاَحَ كل فاسد ، وقُوّة كل ضعيف ، ونَصَفَة كلِّ مظلوم ، ومَفْزَع كل مَلْهوف . والإمام العَدْل يا أمير المؤمنين كالراعى الشَّفيق على إبله ، الرفيق بها ، الذى[٢] يرتاد لها أطيبَ المراعى ، ويذُودها عن مَراتع الهَلَكة ، ويحميها من السباع ، ويكنُّها[٣] من أذى الحرّ والقرّ . والإمام العَدْل يا أمير المؤمنين كالأب الحانى[٤] على ولده ، يَسعى لهم صِغاراً ، ويُعلِّمهم كباراً ؛ يكتسب لهم فى حياته ، ويدّخر لهم بعد مماته[٥] . والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأُم الشفيقة البرّة الرفيقة بولدها ، حَمَلته كُرْهاً ، ووضعته كُرْهاً ، وربّته طِفْلا تسهر بسهَرِه ، وتَسْكُن بسكونه ، تُرْضعه تارة وتَفْطِمه أخرى ، وتَفْرح بعافيته ، وتَغْتمّ بشِكَايته . والإمام العدل يا أمير المؤمنين وَصِىُّ اليتامى ، وخازِن المساكين ، يُرَبِّى صغيرَهم ، ويَمُون كبيرَهم . والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالقَلْب بين الجوارح[٦] ، تَصْلُح الجوارح[٦] بصلاحه ، وتَفْسُد بفساده . والإمام العدل يا أمير المؤمنين هو

(١) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « ولم يستطع أحد ينتفع منه بمنفعة » .

(٢) فى ا ونهاية الأرب (ج ٦ ص ٣٧ طبعة دار الكتب المصرية) : « الشفيق الحازم الرفيق الذى يرتاد . . . الخ » .

(٣) فى ا : « ويكفيها » . وفى نهاية الأرب : « ويكنفها » .

(٤) كذا فى ا ونهاية الأرب . والذى فى سائر الأصول : « الحان » .

(٥) فى ا ونهاية الأرب : « وفاته » .

(٦) كذا فى نهاية الأرب . يشبه منزلة الإمام بين رعيته بمنزلة القلب بين سائر الأعضاء . والذى فى الأصول : « الجوانح » .

القائم بين الله و بين عباده ، يَسْمع كلام الله و يُسْمِعهم ، و ينظُر إلى الله و يُرِيهم ، و ينقاد إلى الله و يقُودهم . فلا تكُن يا أمير المؤمنين فيما ملَّكك الله [عزّ وجلّ] كعَبْدٍ ائتمنه سيّدُه ، واستحفظه مالَه وعيالَه ، فبدّد(١) المال وشرّد العيال ، فأفقر أهلَه وفرّق(٢) ماله .

واعلم يا أمير المؤمنين أنّ الله أنزل الحُدود ليزجُرَ بها عن الخبائث والفواحش ، فكيف إذا أتاها مَن يَلِيها ! وأنّ الله أنزل القِصاصَ حياةً لعباده ، فكيف إذا قتلهم مَن يَقْتصّ لهم ! واذكر يا أمير المؤمنين الموتَ وما بعده ، وقِلّةَ أشياعك عنده ، وأنصارِك عليه ، فتزوَّدْ له ولما بعده من الفَزع الأكبر .

واعلم يا أمير المؤمنين أنّ لك منزلاً غيرَ منزلك الذى أنت فيه(٣) ، يطُول [فيه] ثواؤك ، ويُفارقك أحباؤك ، يُسلِمونك فى قعْره فريداً وحيداً . فتزوَّد له ما يَصْحبك (يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ). واذكر يا أميرَ المؤمنين (إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ . وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ) ، فالأسرار ظاهرة ، والكتاب لا يغادر صغيرةً ولا كبيرة إلا أحصاها . فالآن يا أمير المؤمنين ١٥/١ وأنت فى مَهَل قبل حُلول الأجل ، وانقطاعِ الأمل . لا تحكمْ [يا أمير المؤمنين] فى عباد الله بحُكم الجاهلين ، ولا تَسْلُك بهم سبيل الظالمين ، ولا تُسلّط المُسْتكبرين على المُسْتَضْعَفِين ؛ فإنهم لا يَرْقُبون فى مُؤْمن إلاًّ ولا ذِمّةً ، فتبُوء بأوْزَارِك وأوزار مع أوزارك ، وتَحْمِل أثقالك وأثقالاً مع أثقالك . ولا يغُرنّك الذين يَتَنعَّمون بما فيه بؤسُك ، ويأكلون الطَّيِّبات فى دُنْياهم بإذهاب طَيِّباتك فى آخرتك . [و] لا تنظرْ إلى قُدْرتك(٤) اليومَ ، ولكن انظرْ إلى قدرتك(٥) غداً وأنت مأسُور فى حَبائل الموت ، ومَوْقوف بين يدى الله فى

---

(١) فى ا : « فذر » .
(٢) فى ا : « وأهلك » .
(٣) فى ا « به » .
(٤) فى ا ونهاية الأرب : « قدرك » .

مجمع [من] الملائكة [والنبيين] والمرسلين ، وقد عنت الوجوه للحي القيوم . إني يا أمير المؤمنين ، وإن لم أبلغ بعظتي ما بلغه أولو النهى [من] قبلي ، فلم آلك شفقة ونصحا ، فأنزل كتابي إليك كمداوي حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له في ذلك[١] من العافية والصحة . والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

هيبة الإمام في تواضعه[٢]

لابن السماك في التواضع

قال ابن السماك لعيسى بن موسى : تواضعك في شرفك أكبر من شرفك .

لعبد الملك في أفضل الرجال

وقال عبد الملك بن مروان : [إن] أفضل الرجال من تواضع عن رفعة ، وزهد عن قدرة[٣] ، وأنصف عن قوة .

قصة للنجاشي في التواضع

[و] ذكر عن النجاشي أمير الحبشة : أنه أصبح يوما جالسا على الأرض والتاج على رأسه ، فأعظم ذلك أساقفته ، فقال لهم : إني وجدت فيما أنزل الله تعالى على المسيح عليه السلام ، يقول له : « إذا أنعمت على عبدي نعمة فتواضع لها[٤] أتممتها عليه » . وإني ولد لي الليلة[٥] غلام فتواضعت لذلك شكرا لله تعالى .

شعر في التواضع والهيبة

وقال ابن قتيبة : لم يقل في [الهيبة مع] التواضع بيت أبدع من قول الشاعر[٦] في [بعض] خلفاء بني أمية :

يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم إلا حين يبتسم

وأحسن منه عندي قول الآخر[٧] .

(١) في ا ونهاية الأرب : « بذلك » .
(٢) كذا في ا . والذي في سائر الأصول : « وتواضعه » .
(٣) في ا : « مقدرة » .
(٤) كذا في ا . والذي في سائر الأصول : « لي » .
(٥) في ا : « في هذه الليلة » .
(٦) الشاعر ، هو الفرزدق .
(٧) كذا في ا والذي في سائر الأصول : « قول » .

فتى زادَه عِزُّ المَهابةِ ذِلّةً … فكلُّ عزيزٍ عنده مُتواضِعُ

وقال أبو العَتاهية :

يا مَن تَشرّف بالدُّنيا وَطِيبتها(١) … ليس التشرُّفُ رفعَ الطِّين بالطينِ
إذا أردتَ شريفَ الناسِ كلَّهمُ … فانظُر إلى مَلِك فى زىِّ مِسْكين
ذاك الذى عَظُمت فى الله نِعمتُه … وذاك يصلُح للدُّنيا وللدِّين

وقال الحسنُ بن هانئ فى هَيْبة السلطان مع مَحبّة الرعية :

إمامٌ عليه هَيْبـــة ومَحبّة … ألا حبّذا(٢) ذاك المَهيب المُحبّبُ(٣)

وقال آخر فى الهَيبة ، وإن لم تكن فى [طريق] السلطان :

بنَفْسِىَ مَنْ لو مرَّ بَرْدُ بنَانِه … على كَبدِى كانت شِفاءً أناملُهْ
ومَنْ هابنَى فى كلِّ شىء وهِبْتُه … فلا هو يُعْطِينى ولا أنا سائِله

[ولابن هَرْمة فى المنصور :

له لَحَظاتٌ عن(٤) حِفَافَىْ(٥) سَرِيره … إذا كرَّها فيها عِقاب ونائلُ
كَريمٌ له وَجْهان وَجْهٌ لدَى الرِّضا … أَسِيلٌ ووَجْه فى الكريهة باسِل
فأُمّ الذى آمنتَ آمِنةُ الرَّدَى … وأمّ الذى أوعدت(٦) بالثُّكل ثاكِل
وليس بمُعْطِى العَفْو من غير قُدْرة … ويَعْفُو إذا ما مكّنتْه المَقاتِل]

وقال آخر فى الهَيْبة :

أهاشمُ يا فتَى دِينٍ ودُنيـــا … ومنْ هُو فى اللُّباب من الُّلبابِ
أهابُك أن أبوحَ(٧) بذاتِ نفْسى … وتَرْكى للِعتاب من العِقاب

(١) كذا فى ديوان أبى العتاهية . والذى فى ا « وزينتها » . والذى فى سائر الأصول : « وبالدين » . وهذه الأخيرة ظاهرة التحريف .
(٢) كذا فى ا والديوان . والذى فى سائر الأصول : « ألا بأبى » .
(٣) كذا فى ديوان أبى نواس . والذى فى الأصول : « الحبيب » .
(٤) كذا فى الأغانى (ج ٦ ص ١٠٩ طبعة دار الكتب المصرية) . والذى فى ا : « فى » .
(٥) حفاف الشىء : جانبه .
(٦) فى الأغانى : « خوفت » .
(٧) فى ا : « أقول » .

وقال أشجع بن عمرو فى هَيْبة السلطان[1] :

مَنَعتْ مهابتُك النفوسَ حَديثَها ... بالشىء تَكْرَهه وإن لم تعْلمِ

ومِنَ الوُلاة مُفخمٌ لا يُتَّقى ... والسيفُ تَقطُرُ شَفْرَتاه من الدّمِ

وقال أيضاً لهارونَ الرشيد : ١٦/١

وعلى عَدوِّك يابنَ عم محمد ... رَصَدان ضوء الصُّبح والإظلامُ

فإذا تنبَّه رُعْتَه وإذا غفا ... سَلّت عليه سُيوفَك الأحلام

وقال الحسنُ بن هانئ [فى الْهَيْبة] فأفرط :

مَلِك تَصوَّر فى القلوب مِثالُه ... فكأنَّه لم يَخْلُ منه مكانُ

ما تَنْطَوِى عنه القُلوب بفَجْرَة[2] ... إلا يكلِّمه بها اللَّحظان[3]

حتى الذى فى الرَّحْم لم يكُ صُورةً ... لفؤاده من خوْفه خفقان

فمجاز هذا البيت فى إفراطه أنَّ الرجل إذا خاف شيئاً وأحبّه أحبّه بسَمْعه وبصره وشَعَره وبشره ولحمه ودَمه وجميع أعضائه ، فالنُّطف التى فى الأصلاب داخلة فى هذه الجملة . قال الشاعر :

ألا ترْنى لمُكْتئِب ... يُحبُّك لَحْمُه وَدَمُهْ

وقال المَكْفوف فى آل محمد [عليهم السلام] :

أُحبُّكم حُبًّا على الله أجرهُ ... تضَمَّنه الأحشاء واللَّحم والدَّمُ

و[فى] مثلِ هذا قول الحسن بن هانئ :

وأخَفْتَ أهلَ الشِّرك حتى إنَّه ... لتخافُك النُّطَفُ التى لم تُخْلَقِ

(١) فى ا : « الإمام » . وهذا الشعر لأشجع فى إبراهيم بن عثمان بن نهيك لما ولى الشرطة . (راجع الأغانى ج ٧ ص ٣٨ طبعة دار الكتب المصرية)

(٢) كذا فى ديوان أبى نواس . والفجرة : مصدر للمرة من الفجر ، وهو الانبعاث فى المعاصى . والذى فى الأصول : « بعجرة » .

(٣) اللحظان (بالتحريك) : النظر بمؤخر العين .

فإذا خافه أهلُ الشرك[1] خافَتْهُ النُّطف التى فى أصْـلابهم ، على المجاز الذى ذكرناه .

ومجاز آخر : أنّ النطف التى أخذَ الله [عليها] ميثاقَها يجوز أن يضَاف إليها ما هى [لا بد] فاعلة من قبلِ أن تفعَله ، كما جاء فى الأثر : إن الله عزّ وجلّ عرض على آدم ذرّيته ، فقال : هؤلاء أهل الجنة ، و بعملِ أهل الجنة يعملون ، وهؤلاء أهلُ النار ، و بعمل أهلِ النار يعملون .

شعر المؤلف فى الهيبة

ومن قولنا فى الهَيْبة[2] :

يا مَنْ يُجرّد من بَصـيرته تحت الحوادث صارمَ العَزْمِ
رُعتَ العدوّ فما مَثُلْتَ له إلا تفزّعَ منك فى الحُلْمْ
أضحَى لك التّدْبيرُ مُطّرِداً مِثْلَ اطّراد الفِعْل للإسمِ
رفعَ الحسودُ إليك ناظرَه فرآكَ مُطّلِعا مع[3] النَّجْم

والأخطل فى معاوية

أبو حاتم سهل بن محمد ، قال : أنشدنى العُتْبىّ للأخطل فى معاوية :

تَسْمو العُيون إلى إمام عادلٍ مُعْطَى المَهابة نافعٍ ضَرّارِ
وترى عليه إذا العُيون لَمَحْنَه سِيما الحَليم وهَيْبةَ الجبّار[4]

---

(١) فى ا : « الحد » . وهو تبديل من الناسخ .
(٢) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « وها أنا أقول فى الخيبة » .
(٣) فى ا : « من » .
(٤) زيد فى ا بعد هذا الشعر العبارة الآتية : « تم الجزء الأول من كتاب اللؤلؤة فى السلطان بعون الله ومنه ، من قسمة خمسة وعشرين قسما من تجزئة المؤلف يتلوه الجزء الثانى من القسم ، وهو باقى كتاب اللؤلؤة فى السلطان من كتاب العقد ، ولله الحمد والمنة ، والحمد لله أولا وآخرا ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم » .

حسن السيرة والرفق بالرعية[1]

بعض ما جاء فى الكتاب والسنة عن الرفق

قال الله تعالى لنبيّه [محمد] صلى الله عليه وسلم فيما أوْصاه به من الرِّفق بالرعية : (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) .

وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : من أُعطِى حظَّه من الرفق فقد أُعطِىَ حظَّه من الخير كله ، ومن حُرِم حظَّه من الرِّفق فقد حُرِم حظّه من الخير كله .

ما أشار به سالم ابن عبد الله ومحمد ابن كعب على عمر ابن عبد العزيز من الرفق بالرعية

ولما استُخلِف عمر بن عبد العزيز [رحمه الله] أرسل إلى سالم بن عبد الله ومحمد بن كَعْب ، فقال لهما : أشيرا علىّ . فقال له سالم : اجعل الناس أبا وأخاً وابناً ، فَبَرَّ أباك ، واحفظ أخاك ، وارحم ابنك . وقال [له] محمد بن كعب : أَحِبَّ للناس ما تُحِبّ لنفسك ، واكره لهم ما تكره لنفسك ، واعلم أنك لَسْتَ أوّل خليفة يموت .

بين عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز وأبيه فى الرفق وضده

١٧/١ وقال عبدُ الملك بنُ عمرَ بنِ عبد العزيز لأبيه عمر : يا أبتِ ؛ مالك لا تُنْفِذُ [فى] الأمور ؟ فوالله لا أبالى فى الحقّ لو غَلَت بى وبك القُدور . فقال له [عمر] : لا تعجَل يا بُنىّ ، فإن الله تعالى ذمَّ الخمر فى القرآن مرّتين وحرّمها فى الثالثة ، وأنا أخاف أن أحمِل الناسَ على الحق جُملة فيدَعوه وتكون فِتْنة .

من عمر بن عبد العزيز إلى عدى ابن أرطاة

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عَدِىّ بن أرطاة ، أما بعد ، فإن أمكنَتْك القُدْرة على المخلوق فاذكر قُدرةَ الخالق عليك ، واعلم أنّ ما لَك عند الله مِثلُ ما للرعيّة عِندَك .

نصيحة المنصور لابنه المهدى

وقال المنصور لولده [عبدِ الله] المهدىّ : لا تُبْرِم أمراً حتى تفكّر فيه ، فإنّ فكرةَ العاقل مرآة تُريه حسناتِه وسيّآتِه . واعلم أنّ الخليفة لا تُصْلحه إلا التّقْوى ، والسلطانَ لا تُصلِحه إلا الطاعة ، والرعيّة لا يُصْلحها إلا العدل .

---

(١) زيد فى ا قبل هذا العنوان : « بسم الله الرحمن الرحيم . رب يسر وأعن » .

وأولَى الناس بالعفو[١] أقدرُهم على العُقوبة ، وأنقصَ الناس عقلا من ظَلَم مَن هو دونه .

كلمة لخالد بن عبد الله القسرى لبلال ابن أبي بردة

وقال خالد بن عبد الله القَسْرى لبلال بنِ أبى بُردة : لا يَحْمِلَنَّك فضلُ المَقْدِرة على شدَّة السَّطْوة ، ولا تطلُب من رعيّتك إلا ما تبذُله لها ، فإن الله مع الذين اتّقَوْا والذين هم مُحسنون .

كلام لأبي عبيد الله كاتب المهدى فيما يحتاج إليه السلطان

وقال أبو عُبيد الله كاتبُ المهدىّ : ما أحوجَ ذا القُدْرة والسُّلطان إلى دين[٢] يَحْجُزه ، وحياء يكُفّه ، وعقل يَعْقِله ، [وإلى] تجربة طويلة ، وعَيْنٍ حَفِيظة ؛ وأعْراق تسرى إليه ، وأخْلاق تُسهِّل الأمور عليه ؛ وإلى جَليس شفيق ، [وصاحب رفيق] ؛ وإلى عَيْن تُبْصِر العواقب وقلب يخاف الغِيَر . ومن لم يعرف لُؤْم[٣] الكِبْر لم يَسْلَم من فَلَتات اللسان ، ولم يتعاظم[٤] ذنبا وإن عَظُم ، ولا ثناء وإن سَمُح .

كتاب من أردشير إلى جميع الطوائف من رعيته

وكتب أردشير إلى رعيّته : من أردشير المؤيّد ملكِ المُلوك ووارثِ العظماء إلى الفقهاء الذين هم حَملة الدين ، والأساورةِ الذين هم حَفظة البَيْضة ، والكُتّاب الذين هم زِينة المملكة ، وذوى الحَرْث الذين هم عِمَاد البلاد : السلام عليكم ، فإنّا بحمد الله إليكم سالمون[٥] . فقد وضعنا[٦] عن رعيّتنا بفضل رأفتنا بها إتاوتَها المُوظَّفة[٧] عليها ، ونحن مع ذلك كاتبون بوصيّة فاحفظوها : لا تَسْتشعروا الحِقد فيَدْهَمَكم العدوّ ، ولا تحتكروا فيَشْملَكم القَحط ، وتزوّجوا فى الأقارب فإنه أمسّ للرَّحِم وأثبت للنَّسب ، ولا تعدُّوا هذه الدنيا شيئا فإنها

(١) فى ا : « بالقسم » وهو تبديل من الناسخ .
(٢) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « قرين » .
(٣) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « ذم » .
(٤) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « ولم يتعاظمه ذنب » .
(٥) فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٧) : « صالحون » .
(٦) فى ا : « رفعنا » .
(٧) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « الموضوعة » .

لا تُبْقِ على أحد ، ولا ترفضُوها فإن الآخرة لا تُدرَك إلا بها .

وصية مروان ابن الحكم لابنه عبدالعزيز حين استعمله على مصر

ولما انصرف مَرْوان بنُ الحكم من مِصْرَ إلى الشام استعمل عبدَ العزيز ابنَه على مِصْر ، وقال له حين ودَّعه[١] : أرْسِلْ حكيما ولا تُوصه . أى بُنيّ ، انظر إلى عُمَّالك[٢] ، فإنْ كان لهم عندك حقٌّ غُدوةً فلا تؤخّره[٣] إلى عشيّة ، وإن كان لهم عشيّةً فلا تؤخّره[٣] إلى غُدوة ، وأَعطهم حقوقَهم عند مَحلها ، تَسْتوجبْ بذلك الطاعة [منهم] . وإياك أن يظهَر لرعيّتك منك كَذِب [فإنهم إن ظهر لهم منك كذب] لم يصدّقوك فى الحق . واستَشِر جلساءك وأهلَ العلم ، فإن لم يَسْتَبِن لك فاكتُبْ إليّ يأتِك رأيى فيه إن شاء الله تعالى . وإن كان بك غضب على أحد من رعيّتك فلا تؤاخذْه به عند سَوْرة الغضب ، واحبِس [عنه] عُقوبتَك حتى يَسْكُنَ غضبُك ، ثم يكون منك ما يكون وأنت ساكنُ الغضب منطفِىء[٤] الجمْرة ؛ فإن أوّل مَن جعل السجنَ كان حليما ذا أناة . ثم انظر إلى أهل الحسب والدِّين والمُروءة ، فَلْيكونوا أصحابَك وجُلساءك ، ثمّ اعرف منازلَهم منك على غير استرسال ولا انقباض . أقول هذا وأستخلِف الله عليك .

بين معاوية وزياد فى السياسة

أبو بكر بن أبى شَيبة عن عبد الله بن مُجالد عن الشَّعبى ، قال : قال زياد : ما غلَبنى أميرُ المؤمنين معاويةُ فى شىء من السياسة إلا مرّة واحدة ، استعملت رجلا فكَسَر خراجَه ، فخشى أن أعاقبه ففرّ إليه واستجار به فأمَّنه . فكتبتُ إليه : إن هذا أدب سَوْءٍ مَنْ قِبَلى . فكتب إليّ : إنه لا ينبغى أن نَسُوس الناس سياسة [واحدة] ، لا نَلِين جميعاً فتمرح الناسُ فى المَعْصية ، ولا نشتدّ جميعاً ١٨/١

(١) فى ا : « أرسله » .

(٢) فى ا : « أهل عملك » .

(٣) كذا فى ا ونهاية الأرب (ج ٦ ص ٤٢) . والذى فى سائر الأصول : « فلا تؤخرهم » .

(٤) فى بعض الأصول : « مطفأ » .

فنَحْمِل الناسَ على المهالك ، ولـكن تكون أنت للشدّة والغِلْظة ، وأكون أنا للرأفة والرحمة .

ما يأخذ به السلطان من الحزم والعزم

للحكماء فى أحزم الملوك

قالت الحـكماء : أحزمُ الملوك من قَهر جِدُّه هزلَه ، وغَلب رأيُه هواه ، [وجعل له الفـكر صاحباً يُحسِّن له العواقب] ، وأعربَ عن ضميره فِعْلُه ولم يخدَعْه رضاه عن سُخْطه[١] ، ولا غَضبُه عن كَيْده .

نصيحة عبد الملك ابن مروان لابنه الوليد

وقال عبدُ الملك بنُ مَرْوانَ لابنِه الوليدِ ، وكان وليّ عهده : يا بنيّ ، أعلم أنه ليس بين السّلطان و بين أن يملِك الرعِيّةَ أو تَملِـكه [الرعيّةُ] إلا[٢] حَزْم أو توَانٍ .

كلام فى النهى عن استصغار اليسير من الخطأ

وقالوا : لا ينبغى للعاقل أن يَسْتصغر شيئاً من الخطأ أو الزَّلَل ، فإنه متى ما استصغر الصغيرَ يُوشك أن يقع فى الـكبير ؛ فقد رأينا المُلوك تُؤْتَى من العدو المُحتقَر ، ورأينا الصحّة تُؤْتَى من الدّاء اليَسير ، ورأينا الأنهار تتدفق[٣] من الجَداول الصِّغار .

ماتذم به الرعية راعيها

وقالوا : لا يكون الذمّ من الرعيّة لراعيها إلا لإحْدى ثلاث : كريم قُصِّر به عن قَدْره فاحتمل لذلك ضِغْناً ، أو لئيم بُلِّـغ به [إلى] ما [لا] يستحق فأورثه ذلك بَطَرا ، أو رجل مُنِـع حظّه من الإنصاف فشكا تفْريطا .

من كتاب الهند فى خير الملوك

ومن كتاب للهند : خَيْر الملوك من أشبَه النَّسر حولَه الجِيَف ، لا من أشبه الجِيَف حولها النُّسور .

حديث ملك مسلوب الملك

وقيل لمَلِك[٤] سُلِب مُلْـكه : ما الذى سَلبكَ مُلْـكَك ؟ فقال : دَفْع شُغل

(١) فى ا ، ب : « حظه » وهو تحريف .
(٢) كذا فى ا ونهاية الأرب (ج ٦ ص ٤٥) . والذى فى سائر الأصول : « إلا حرفان : حزم وتوان » .
(٣) فى ا : « تنشق » . وفى نهاية الأرب : « تنبثق » .
(٤) فى بعض الاصول : « لرجل » .

اليوم إلى غد ، والتماسُ عُدَّة بتضييع عُدَد ، واستكفاء كلِّ مخدوع عن عقله . والمخدوع عن عقله من بلغ قدراً لا يستحقه ، أو أُثيب ثوابا لا يستوجبه .

لعلى بن أبى طالب فى انتهاز الفرص

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : انتهزوا هذه الفُرَص فإنها تمرُّ مرَّ السحاب ، ولا تطلبوا أثراً بعد عَيْن .

لعائشة فى عمر ابن الخطاب

وكان عمر بن الخطّاب رضى الله عنه أحزمَ الخلفاء . وكانت عائشة رضى الله عنها إذا ذُكر عُمَرُ قالت : كان والله أَحْوَزِيًّا(1) نسيجَ وَحْدِه ، قد أعدَّ للأمور أقرانها(2) .

للمغيرة بن شعبة فى عمر أيضاً

وقال المُغيرة بن شُعبة : ما رأيت أحداً هو أحزم من عُمر ، كان والله له فَضْل يمنعه أن يَخدع ، وعقل يمنعه أن يُخدع .

وصف عمر لنفسه

وقال عمر : لست بخَبّ ، والخَبُّ لا يَخْدعنى .

مشاطرة عمر لعامله على البحرين ماله

ومرّ عمر [رضى الله عنه] ببنيان يُبْنَى بآجرّ وجَصّ فقال : لمن هذا ؟ قيل : لعاملك على البَحْرين . فقال : أَبَت الدراهمُ إلا أن تُخْرِج أعناقَها . فأرسلَ إليه فشاطره مالَه .

بين سعد وعمر حين شاطره عمر ماله

وكان سعدُ بنُ أبى وقّاص يقال له : المُسْتجاب ، لقول النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : اتقوا دعوةَ سعد . فلمّا شاطره عُمرُ مالَه ، قال له سعد : لقد هَممتُ . قال له عُمر : بأن تدعوَ علىّ ؟ قال : نعم . قال : إذًا لا تَجِدنى بدُعاء ربى شَقِيًّا .

دعاء سعد على شاعر هجاه

وهجا رجل من الشعراء سعدَ بنَ أبى وقّاص يومَ القادسيّة ، فقال :

ألم ترَ أنّ الله أظهرَ دينَه وسعدٌ بباب القادسيّة مُعْصِمُ(3)
فأُبْنا وقد آمتْ نساءٌ كثيرة ونِسْوة سَعْد ليس فيهنّ أيِّمُ

(1) الأحوزى : الحسن السياق للأمور .
(2) أقرانها ، أى أكفاءها .
(3) معصم : معتصم .

فقال سعد : اللهم اكفِنى يدَه ولسانَه ، فقطِعت يدُه وبَكِم لسانُه .

حديث مشاطرة عمر لأبى موسى وأبى هريرة والحارث ابن وهب أموالهم

ولما عَزل عمرُ أبا مُوسى الأشعرىَّ عن البَصرة وشاطره مالَه ، وعزل أبا هُريرة عن البَحْرين وشاطره مالَه ، وعزل الحارثَ بنَ كَعْب بن وهْب وشاطره مالَه ، دعا أبا موسى فقال له : ما جاريتان بلغنى أنهما عندك ، وإحداهما عقيلة ، والأخرى من بنات الملوك ؟ قال : أما عقيلة فإنها جارية بينى و بين الناس ، وأما التى هى من بنات الملوك فإنى أردتُ بها غَلاء الفِداء . قال : فما جَفْنتان تُعْملان عندك ؟ قال : رزقْتنَى شاةً فى كل يوم ، فيُعمَل نِصفُها غُدْوَة ونِصفُها عَشِيَّة . قال : فما مِكْيالان بلغنى أنهما عندك ؟ قال : أما أحدهما فأُوفِّى به أهلى [ودَيْنى] . وأما الآخر فيتعامل الناس به . فقال : ادفع إلينا عقيلة ، والله إنك لمؤمن لا تَغُلُّ[(١)] ، أو فاجر مُبِلٌّ[(٢)] ، ارجع إلى عَمَلك عاقِصاً بقَرْنك ، مُكْتَسِحا بذَنَبِك[(٣)] . والله إن بلغنى عنك أمر لم أُعِدْك .

١٩/١ ثم دعا أبا هَريرة فقال له : [هل] علمتَ من حِينِ أنى استعملتك على البَحْرين ، وأنت بلا نَعْلين ، ثم بلغنى أنك ابتعْتَ أفراساً بألفِ دينار وستّمائة دينار ؟ قال : كانت لنا أفراس تناتجت ، وعطايا تلاحقت . قال : قد حَسَبْتُ لك رزقَك ومؤُونتك وهذا فَضْلٌ فأدّه . قال : ليس لك ذلك . قال : بلى والله وأُوجِع ظَهرك . ثم قام إليه بالدِّرة فضربه حتى أدماه ، ثم قال : إيتِ بها . قال : احتسبتُها عند الله . قال : ذلك لو أخذتَها من حَلال وأدّيتها طائعا . أجِئْتَ من أقصى حَجَر بالبَحْرين يَجْبِي الناس لك لا لله ولا للمسلمين ! ما رجعتْ[(٤)] بك أميمة

(١) كذا فى أكثر الأصول . ولا تغل : لا تخون . والذى فى ا : « لا تعتل » .

(٢) يريد بالمبل (هنا) : الغالب بحجته ، أو المعيى خبثا ، يقال : أبل عليه ، إذا غلبه وأبل ، إذا أعيا خبثا .

(٣) عاقصاً بقرنك ، أى عاقدا إياه ولاويا به . والقرن ، من الشعر معروف . والاكتساح بالذنب فى الخيل والكلاب ، هو أن تدخل أذنابها بين أرجلها . ولعله كنى بهاتين العبارتين عن معنى الذلة والمهانة .

(٤) مارجعت بك ، أى ما ولدتك .

إلا ارعِية الحُمر. وأُميمة أمّ أبى هُريرة.

وفى حديث أبى هُريرة، قال: لما عزلنى عُمر عن البَحْرين قال لى: يا عدوّ الله وعدوّ كتابه، سرقتَ مالَ الله؟ قال: فقلت: ما أنا عدوّ الله ولا عدوّ كتابه، ولكنى عدوّ من عاداهما[1]، ما سرقتُ مالَ الله. قال: فمن أين لك عشرة آلاف؟ قلت: خيل تناتجت، وعطايا تلاحقت، وسهام تتابعت. قال: فقبضها منّى. فلما صلّيتُ الصبحَ استغفرتُ لأمير المؤمنين. فقال لى بعد ذلك: ألا تعمل؟ قلت: لا. قال: قد عَمِل مَنْ هو خير منك، يوسفُ صلوات الله عليه. قلت: [إنّ] يوسف نَبىّ [وابن نبىّ][2] وأنا ابن أُميمة[3]، أخشى أن يُشْتَم عِرْضى ويُضرب ظهرى ويُنزع مالى.

قال: ثم دعا الحارثَ بن [كعب بن] وَهْب فقال: ما قِلَاصٌ وأَعْبُد بِعْتَها بمائتى دينار؟ قال: خرجتُ بنفقة معى فتَجرْت فيها. فقال: أمَا والله ما بَعَثْنا كم لتتّجروا فى أموال المسلمين! أدّها. فقال: أما والله لا عملتُ عملاً بعدها أبدا. قال: انتظر حتى أستعملك[4].

بين عمر بن الخطاب وعمرو ابن العاص حين شاطره عمر ماله

وكتب عمرُ بن الخطّاب [رضى الله عنه] إلى عمرو بن العاص، وكان عامله على مصر: من عبد الله عمرَ بن الخطّاب إلى عَمْرو بن العاص، سلام عليك، [أما بعد]، فإنه بلغنى أنه فَشَت لك فاشية من خَيْل وإبل وغَنم و بقر وعَبيد. وعَهْدى بك قَبْل ذلك أنْ لا مالَ لك، فاكتُب إلىّ من أين أصْل[5] هذا المال ولا تكتُمه.

---

(١) كذا فى عيون الاخبار. والذى فى سائر الاصول: «عاداك».

(٢) التكلة عن عيون الاخبار (ج ١ ص ٥٤).

(٣) زيد فى عيون الأخبار بد هذه الكلمة: «أخشى ثلاثا واثنتين. قال: فهلا قلت: خمسا؟ قلت: أخشى أن أقول بغير علم، وأحكم بغير حلم، و».

(٤) يريد بهذه العبارة السخرية.

(٥) فى ا: «اتصل».

فكتب إليه : من عمرو بن العاص إلى عبد الله [عمرَ بنِ الخطّاب] أمير المؤمنين . سلام عليك . فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد . فإنه أتانى كتابُ أمير المؤمنين يذكر فيه ما فَشا لى ، وأنه يعرفنى قبلَ ذلك ولا مال لى . وإنى أُعلِم أميرَ المؤمنين أنّى ببلد السِّعر به رخيص ، وأنى أعالج من الحِرْفة والزراعة ما يعالجه أهله[1] ، وليس فى رِزْق أمير المؤمنين سَعَة . وبالله لو رأيت خِيانَتك حلالاً ما خُنتك ، فأَقْصِر أيها الرجل ، فإنّ لنا أحساباً هى خير من العمل لك ، إن رجعنا إليها عِشْنا بها . ولعَمرى إنّ عندك[2] من لا يَذُم معيشته ولا تُذَم له . [وذكرتَ أنّ عندك من المهاجرين الأوّلين من هو خير منّى[3]] ، فأنّى كان ذلك ولم نَفتح قُفْلك ، ولم نَشْركك فى عملك[4] .

فكتب إليه عمر : أما بعد ، فإنى والله ما أنا من أساطيرك التى تُسطِّر ، ونَسْقك الكلام فى[5] غير مَرْجع ! وما يغنى عنك أن تُزكِّىَ نفسَك ، وقد بعثتُ إليك محمدَ بنَ مَسْلمة فشاطِره مالَك . فإنكم أيها الرَّهط الأمراء جلستم على عيون المال [ثم] لم يُعوزكم عُذْر ، تجمعون لأبنائكم ، وتُمهِّدون لأنفسكم . أما إنكم تجمعون العار ، وتُورِّثون النار[6] ، والسلام .

فلما قدم عليه محمدُ بنُ مَسْلمة صنع له عمرو طعاماً كثيراً . فأبى محمد بن مَسْلمة أن يأكل منه شيئاً . فقال له عمرو : أتحرِّمون طعامَنا ؟ فقال : لو قدَّمت إلىّ طعامَ الضيف أكلتُه ، ولكنّك قدّمت إلىّ طعاماً هو تَقْدِمة شرّ . والله

(١) فى ا : « الناس » .

(٣) يشير عمرو بقوله « إن عندك ... الخ » إلى غنى أهله بالحجاز وثرائهم .

(٣) التكملة عن شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد (ج ١ ص ٥٨) . ولا يستقيم الكلام بدونها .

(٤) فى شرح نهج البلاغة : « فإذا كان ذاك فوالله ما دققت لك يا أمير المؤمنين بابا ، ولا فتحت لك قفلا » .

(٥) فى ا : « من » .

(٦) فى ا : « تجمعون النار ، وتورثون البوار » . والذى فى شرح نهج البلاغة : « تأكلون النار ، وتتعجلون العار » .

لا أشرب عِندك الماء ، فاكتُب لى كلّ شىء هو لك ولا تكتُمه . فشاطَره ماله بأجمعه ، حتى بقيت نَعْلاه . فأخذ إحداهما وترك الأخرى . فغضِب عمرو بن العاص فقال : يا محمد بن مَسلمة قبّح الله زماناً عمرُو بن العاص لعمرَ بنِ الخطّاب فيه عامِل[1] . والله إنّى لأعرف الخطّاب يحمل فوق رأسه حُزْمة من الحَطَب وعلى ابنه مثلُها ، وما منهما إلا فى نَمِرة[2] لا تبلُغ رُسْغَيه ، والله ما كان العاص ابن وائل يرضَى أن يلبَس الدِّيباج مُزَوّرا[3] بالذهب [والفضّة] . قال له محمدُ ٢٠/١ [ابن مَسْلمة] : اسكُت ، والله عمرُ خير منك ، وأما أبوك وأبوه ففى النار . والله لولا الزمانُ الذى سبقك[4] فيه لألفيت مُقْتَعِد[5] شاة يَسُرّك غَزْرُها ويَسوءك بَكُوءها[6] . فقال عمرو : هى عندك بأمانة الله[7] . فلم يُخْبِر بها عُمَر .

حديث أبى سفيان مع عمر فى مال وأدم

ومن حديث زَيْد بن أسلم عن أبيه قال : بَعث معاويةُ إلى عمرَ بن الخطّاب [رضى الله عنه] وهو على الشام بمال وأَدْم ، وكتب إلى أبى سُفيان أن يدفع ذلك إلى عُمر [— يعنى بالأدم القَيْد — وكتب إلى عمر يقول : إنى وجدت فى حُصون الروم جماعةً من أُسارَى المسلمين مُقَيّدين بقُيود حديد ، أنفذتُ منها هذا ليراه أميرُ المؤمنين — وكانت العرب قبل ذلك تُقيِّد بالقِيْد . قال الفرزدق : أو لِجَذْل الأدام] — فخرج الرسولُ حتى قَدِم على سُفيان بالمال والأدم قال :

(١) فى ا : « قبح الله زمانا عمل فيه عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب » .
(٢) النمر (بفتح فكسر) : بردة من صوف تلبسها الأعراب .
(٣) كذا فى ا . ومزورا ، أى مزينا . والذى فى سائر الأصول : « مزررا » .
(٤) فى الأصول : « سبقته » . وهو تحريف ، لتقدم إسلام عمر . ورواية هذه العبارة فى فتوح البلدان للبلاذرى (ص ٢١٩ طبعة أوربة) : « لولا زمان ابن حنتمة هذا الذى تكرهه لألفيت » .
(٥) كذا فى ا . والذى فى البلاذرى : « معتقلا » . والذى فى سائر الأصول : « معقل » .
(٦) بكوءها ، أى قلة لبنها .
(٧) فى ا : « عندك بأمانة يا محمد » . وقد وردت هذه القصة فى شرح نهج البلاغة وفتوح البلدان باختلاف كثير عما هاهنا فارجع إليها .
(٨) كذا فى الأصول . وليس القائل الفرزدق كما هنا بل القائل جرير يهجو الفرزدق والبيت كاملا :

فذهب أبو سفيان بالأدهم والكِتاب إلى عُمَر واحتبس المالَ لنفسه[١] . فلما قرأ عمرُ الكتابَ ، قال [له] : فأين المالُ يا أبا سفيان ؟ قال : كان علينا دَيْن ومَعُونة ، ولنا فى بيت المال حق ، فإذا أخرجت لنا شيئاً قاصَصْتَنا[٢] به . فقال عمر : اطرحوه فى الأدْهم حتى يأتىَ بالمال . قال: فأرسل أبو سفيانَ من أتاه بالمال[٣] . فأمر عمرُ بإطلاقه من الأدهم . فلما قدم الرسول على معاوية ، قال له : رأيتَ أمير المؤمنين أعجب بالأدهم ؟ قال : نعم ، وطرَح[٤] فيه أباك . قال : ولِمَ ؟ قال جاءه بالأدهم وحَبَس المال ؛ قال : إى والله ، والخطّابُ لو كان لطرحه فيه .

حديث أبى سفيان فى مال حاول إخفاءه عن عمر

زار أبو سفيانَ معاويةَ بالشام ، فلما رجع من عنده دخل على عمر . فقال : أجِزْنا أبا سفيان . قال : ما أصبْنا شيئاً فَنُجِيزَكَ منه . فأخذ عمر خاتَمه ، فبعث به إلى هِنْد ، وقال للرسول : [قل لها] : يقول لك أبو سفيان : أنظرى [إلى] الخُرْجين اللذين جئتُ بهما فأحضريهما . فما لَبِث عمرُ أن أُتِىَ بخُرجين فيهما عشرة آلاف دِرْهم . فطرحهما[٥] عمر فى بيتِ المال . فلما وَلِىَ عُثمانُ رَدّهما عليه . فقال أبو سفيان : ما كنتُ لِآخذَ مالاً عابَه علىّ عُمر .

قصة عتبة بن أبى سفيان فى مال أخذه عمر منه بعد أن عزله

ولما ولَّى عمرُ بن الخطّاب [رضى الله عنه] عتبةَ بنَ أبى سفيان الطائفَ وصَدَقاتِها ثم عزله ، تلقّاه فى بعض الطريق ، فوجد معه ثلاثين ألفاً ، فقال : أنّى لك هذا ؟ قال : والله ما هو لك ولا للمسلمين ، ولكنّه مال خرجتُ به لِضَيْعة أشتريها . فقال عمر : عامِلُنا وجَدْنا معه مالاً ، ما سبيلُه إلا بيتُ المال ، ورفَعه . فلما وَلِى عثمان قال لعُتْبة : هل لك فى هذا المال فإنّى لم أرَ لِأَخْذ ابن الخطّاب

= هو القين وابن القين لا قين مثله لبطح المساحى أو لجدل الأداهم
(انظر لسان العرب مادة دهم) .

(١) فى ا : « عنده » مكان « لنفسه » .

(٢) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « قاضيتنا » .

(٣) فى ا : « فأرسل أبو سفيان فى المال » .

(٤) فى ا : « وبطح » .

(٥) فى ا « فألقاها » .

فيه وجهاً ؟ قال : والله إنّ بنا إليه لحاجةً ، ولكنْ لا تَرُدُّ على[1] مَن قَبْلك فيَرُد عليك مَن بعدك .

بين عمر وأبي سفيان فى رجل دعا بدعاء الجاهلية

القَحْذمى قال : ضرب عمرُ رجلا بالدِّرّة فنادى : يا لقصيّ . فقال أبو سُفيان : [يابن أخى] ، لو قَبْل اليوم تُنادِي قُصيّا لا تَتبك منها الغَطاريف . فقال له عمر : اسكُت لا أبالك . قال أبو سُفيان : ها ، ووضَع سبَّابته على فِيه .

بين يزيد بن الوليد ومروان بن محمد

خَليفة بن خيّاط قال : كتب يزيد بن الوليد ، المعروف بالناقص — وإنما قِيل له الناقص لفرْط كماله — إلى مروانَ بنِ محمد — وبلغه عنه تلكّؤ فى بيْعته — : أما بعد ، فإنى أراك تُقدِّم رجلا وتُؤخِّر أخرى ، [فإذا] [أتاك[2] كتابى هذا] فاعتمد على أيهما شئت ، والسلام . فأتته بيْعته .

بين أبي غسان وأهل مرو حين منعوه الماء

ولما منَع أهلُ مَرْو أبا غسّان الماء وزَجّته[3] إلى الصحارى ، كتب إليهم أبو غسّان : إلى بَنى الأستاه[4] من أهل مرو ، ليُمَسِّيَنّى الماء[5] أو لتُصبِّحنّكم الخيل . فما أمسى حتى أتاه الماء[5] . فقال : الصِّدق يُنبىء عنك لا الوعيد .

من عبد الله بن طاهر إلى الحسن ابن عمر التغلبى أحد عماله

وكتب عبدُ الله بن طاهر الخُراسانى إلى الحسن بن عمر التَّغْلَبى[6] : أما بعد ، فقد بلغنى [ما كان] من قَطع الفسَقة الطريقَ ما بلغ ، فلا الطريقَ تحْمِى ، ولا اللصوصَ تكْفِى ، ولا الرعيّة[7] ترْضِى ، وتطمع بعد هذا فى الزيادة ! إنك لمُنفسح الأمل ! وأيْم الله لتكْفِيَنّى مَنْ قِبلك أو لأوجّهن إليك رجالا لا تعرف مُرّة من جَهْم[8] ، ولا عدىّ من رُهْم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(١) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « فعل » .
(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصول والسياق يقتضيها .
(٣) فى ا « ووجهته » .
(٤) فى بعض الأصول : « الإساءة » .
(٥) فى ا : « المال » . وهو تحريف .
(٦) كذا فى ا . الذى فى سائر الأصول : « . . . عمرو الثعلبى » . وهو تحريف . (انظر تاريخ ابن الأثير) .
(٧) فى ا : « ولا أنت لرعيتنا ترضى » .
(٨) فى ا ونهاية الأرب (ج ٦ ص ٤٧) : « جشم » .

من الحجاج إلى قتيبه بن مسلم فى أمر وكيع ابن حسان

وكتب الحجّاج بن يوسف إلى قُتيبة بن مسلم ، واليه بخراسان : أما بعد ، فإنّ وكيع بن حسّان كان بالبصرة [منه][1] [ما كان] ، ثم صار لصًّا بِسِجِسْتان ، ثم صار إلى خُراسان ، فإذا أتاك كتابى هذا فاهدِم بناءه ، واحلُل لواءه[2] . ٢١/١
وكان على شرطة قُتَيبة فعَزله ، وولّى الضّبيّ عم[3] مسعود بن الخطّاب .

من الحجاج إلى قوم كانوا يفسدون الطريق

وبلغ الحجّاجَ أن قوماً من الأعراب يُفسدون الطريق ، فكتب إليهم : أما بعد ، فإنكم قد استخفّتكم الفِتنة ، فلا عن حق تُقاتِلون ، ولا عن مُنكر تَنْهَوْن[4] ، وإنى أَهُمّ أن تَرِد عليكم منّى خَيل تَنْسِف الطارفَ والتّالد ، وتَدَع النساء أيامَى ، والأبناء يتامَى ، [والديارَ خراباً] .

فلما أتاهم[5] كتابهُ كفّوا عن الطريق .

التعرض للسلطان والرد عليه

للحكماء فى متعرض للسلطان

قالت الحكماء : من تعرّض للسلطان أرداه ، ومن تطامن له تخطّاه ، وشبّهوه فى ذلك بالريح العاصفة التى لا تضرّ بما لان لها من الشجر ومال معها من الحشيش ، وما استهدف لها من الدّواح المظام[6] قَصَفَتْه . قال الشاعر :

إنّ الرياح إذا ما أَعْصَفَتْ قصفتْ عيدانَ نَبْع ولاَ يَعْبأْنَ بالرَّتَمِ

شعر فى ذلك أيضا

وقال حبيب [بن أوس] - وهو أحسن ما قِيل فى السلطان - :

هو السَّيل إن واجهته اُنْقَدْتَ طَوْعَه وتَقتادُه من جانبَيْه فيَتْبَعُ

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصول والسياق يقتضيها .
(٢) كذا فى ا ونهاية الأرب . والذى فى سائر الأصول : « فناءه » .
(٣) فى ا : « الضبى مسعود » بدون لفظ « عم » . وهو تحريف . فالضبى هذا هو ضرار بن حصين بن زيد الفوارس بن حصين بن ضرار الضبى . (انظر الطبرى ق ٢ ص ١٢٩٠ طبعة أوربة) .
(٤) فى ا : « تنتهون » .
(٥) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « بلغهم » .
(٦) فى ا : « العظيم » . وقد مر هذا الخبر فى هذا الجزء .

وقال آخر :

هو السيفُ إن لاينتَه لانَ مَتْنُه(١) وحَــدَّاهُ إن خاشَنتَه خَشِنانِ

بين معاوية وأبي الجهم العدوى في ذلك

وقال معاوية لأبي الجهم العَدوىّ : أنا أكبر أم أنت ؟ فقال : لقد أكلت فى عُرْس أمك يا أمير المؤمنين . قال : عند أى أزواجها ؟ قال : عند حَفص ابن المُغيرة . قال : يا أبا الجهم ، إياكَ والسلطانَ ، فإنه يَغْضب غَضَبَ الصبىّ ، ويأخُذ أخذَ الأسد .

وأبو الجَهْم [هذا] هو القائل فى مُعاوية [بن أبى سفيان] :

ونُقَضِّبه(٢) لنَخْبُرَ حالتَيْه فنَخبُر منهما كَرَماً ولِينَا
نَميل على جَوانبــه كأنّا نَمِيل إذا نَمِيل(٣) على أبِينا

بين عقيبة الأسدى ومعاوية

وقَدِم عُقَيبة(٤) الأسدىّ على معاوية ، ورفع إليه رقعة فيها هذه الأبيات :

مُعاوىَ إنّنا بشَرٌ فأسْجِح فَلسنا بالجبال ولا الحديد
أكلتم أرضَنا فَجَردتُموها فهل من قائم أو من حَصيد
أتطمع بالخُـلود إذا هَلـكنا وليس لنا ولا لكَ من خُلود
فَهَبْنا أمّة هلـكت ضَياعا يَزيد أميرُها وأبو يَزيد

فدعا به [معاويةُ] ، فقال : ما جَرّأك علىّ ؟ قال : نصحتُك إذ غشّـوك ، وصَدَقْتك إذ كذبوك . فقال : ما أظنّك إلا صادقاً ، وقضى حوائجَه .

بين أبي جعفر ورجل اعترض عليه وهو يخطب

ومن حديث زياد عن مالك بن أنس قال : خَطب أبو جعفر المنصور ، فحمد الله [تعالى] وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس اتقوا الله . فقام إليه رجل من

(١) فى ا ، ب : « إن لامسته فهو لين » .

(٢) فى الأمالى (ج ١ ص ٢٣٧ طبعة دار الكتب المصرية) : « نقلبه » . وهذا الشعر لعبد المسيح فى ابن عبد كلال ، وقد تمثل به أبو الجهم .

(٣) فى ا : « إذا ملنا نميل » .

(٤) كذا فى خزانة الأدب للبغدادى (ج ٢ ص ٢٢٦ طبعة المطبعة السلفية) . والذى فى ا : « عتبة » والذى فى سائر الأصول : « عقبة » .

عُرض الناس ، فقال : أذكِّرك الله الذى ذكَّرتنا به يا أميرَ المؤمنين . فأجابه أبو جعفر بلا فِكْرة ولا روية : سمعًا [وطاعة] لمن ذكّر(١) بالله ، وأعوذ بالله أن أذكَّر به وأنساه فتأخذنى العزّة بالإثم ، فقد ضَلَلْتُ إذًا وما أنا مِن المُهْتَدِين . وأما أنت ، فوالله ما اللهَ أردتَ بها ، ولكن ليُقال : قال فعُوقب فصَبَر ، وأهْوِن بها لو كانت ، وأنا أُحذِّركم(٢) أيها الناس أختها ، فإنّ الموعظةَ علينا نزَلت ، ومنّا أخِذت . ثم رجع إلى موضعه من الخطبة .

ضرب الرشيد لرجل اعترضه فى خطبته

وقام رجل إلى هارون الرشيد ، وهو يخطب بمكة ، فقال : (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُون) . فأمر به فضُرب مائةَ سَوْط . فكان يَئِنّ الليلَ كلّه ويقول : الموت ! الموت ! فأُخبر هارون [الرشيد] أنه رجل صالح ، فأرسل إليه فاستحلّه ، فأحلّه .

بين الوليد ابن عبد الملك ورجل اعترضه فى خطبته

٢٢/١ المدائنى قال : جلس الوليدُ بن عبد الملك على المِنْبر يوم الجمعة حتى اصفرّت الشمس ، فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الوقت لا ينتظرك ، وإن الربّ لا يَعْذِرك . قال صدقت : ومن قال مثلَ مقالتك ، فلا يَنْبغى له أن يقومَ مثلَ مقامك . مَنْ ها هنا من أقرب الحَرَس يقوم إليه فيضرب عُنقه ؟

قصة رجل خاطر أن يثير غضب معاوية ثم زياد

الرياشىّ عن الأصمعى قال : خاطر رجل رجلا أن يقوم إلى مُعاوية إذا سجَد فيَضع يدَه على كَفَله ويقول : سبحان الله يا أميرَ المؤمنين ! ما أشبه عجيزَتَك بعجيزة أمّك هِنْد ! ففعل ذلك . فلما انفتل مُعاوية عن(٣) صَلاته قال : [لا] يابنَ أخى(٤) ، إنّ أبا سُفيان كان إلى ذلك منها أمْيل(٥) ، فخُذْ ما جعلوا لك ، فأخذه .

---

(١) فى ا : « ذكرنا » .
(٢) فى ا : « أنذركم » .
(٣) فى الأصول : « من » والتصويب عن كتب اللغة .
(٤) فى نهاية الأرب (ج ٦ ص ٥٢) : « يا أخى » .
(٥) فى ا ونهاية الأرب : « كان محتاجا إلى ذلك منها » .

ثم خاطر [أيضاً] أن يقوم إلى زِياد وهو فى الخُطبة فيقول له : [أيها الأمير] ، مَنْ أبوك[١] ؟ ففعل . فقال له زِياد : هذا يُخْبِرك ، وأشار إلى صاحب الشُّرطة ، فقدَّمه فضرَب عُنقه .

فلما بلغ مُعاوِيةَ ، قال : ما قتَله غيرى ، ولو أدَّبته على الأُولى ما عاد إلى الثانية[٢] .

بين عمرو بن العاص ورجل خاطر أن يسأله عن أمه

وخاطر رجل إلى أن يقوم إلى عمرو بن العاص وهو فى الخطبة فيقول : أيها الأمير مَنْ أمّك ؟ ففعل . فقال له : النابغة بنت عبد الله[٣] ، أصابتها رِماح العرب ، [فبِيعَت] بعُكاظ ، فاشتراها عبدُ الله بن جُدْعان للعاص بن وائل ، فولدت فأنجبت ، فإنْ كانوا جعلوا لك شيئاً فَخُذه .

بين معاوية وخريم الناعم

دخل خُرَيم الناعم على مُعاوية بن أبى سفيان ، فنظر مُعاوية إلى ساقَيه ، فقال : أىّ ساقَين ، لو أنهما على جارية ! فقال له خُرَيم : فى مِثل عَجيزتك يا أميرَ المؤمنين . قال : واحدة بأخرى والبادئُ أظلم .

تحلم السلطان على أهل الدين والفضل إذا اجترءوا عليه

مالك بن أنس وابن طاوس فى حضرة المنصور

زِياد عن مالك بن أنَس قال : بعث أبو جَعفر المنصور إلىّ وإلى ابنِ طاوس[٤] ، فأتيناه فدخَلْنا عليه ، فإذا هو جالس على فُرُش قد نُضِّدت ، وبين يدَيه أنطاع قد بُسطت ، وجَلاَوِزة[٥] بأيديهم السيوف يَضْرِبون الأعناق . فأومأ

(١) فى ا ونهاية الأرب : « أمك » .

(٢) فى ا : « الأول ... الثانى » .

(٣) فى ربيع الأبرار للزمخشرى : أن النابغة أم عمرو كانت أمة لرجل من عنترة . وفى الاستيعاب لابن عبد البر : أن أم عمرو سلمى بنت حرملة ، من بنى علاوة بن عنترة ، وتلقبت بالنابغة .

(٤) كذا فى جميع الأصول . ويلاحظ أنه قد ورد فى التهذيب أن ابن طاوس مات سنة ١٣٢ فى خلافة السفاح .

(٥) الجلاوزة : جمع جلواز (بكسر الجيم) ، وهو الشرطى .

إلينا : أن اُجلسا . فجلسنا . فأطرق عنّا طويلا[1] ، ثم رفع رأسه والتفت إلى ابن طاوس ، فقال [له] : حَدِّثنى عن أبيك . قال : نعم ، سمعت أبى يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أشدَّ الناس عذاباً يومَ القيامة رجل أشركه الله فى حكمه فأدْخَل عليه الجَوْرَ فى عَدله . فأمسك ساعة . قال مالكٌ : فضممت ثيابى من ثيابه مخافةَ أن يملأنى من دَمِه . ثم التفتَ إليه أبو جعفر فقال : عِظنى يابن طاوس . قال : نعم يا أميرَ المؤمنين ، إن الله تعالى يقول[2] : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ . وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ . [وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ . الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ . فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ . فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ] إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) . قال مالك : فضَممتُ ثيابى من ثيابه مخافةَ أن يملأ[3] ثيابى من دمه . فأمسك ساعةً حتى اسودَّ ما بيننا و بينه . ثم قال : يابنَ طاوس ، ناولْنى هذه الدَّواة . فأمسك عنه . [ثم قال : ناولنى هذه الدواة : فأمسك عنه . فأمسك عنه] . فقال : مايمنعك أن تُناوِلَنيها ؟ قال : أخشى أن تكتُبَ بها مَعْصيةَ [الله] فأكون شريكَك فيها . فلما سمع ذلك قال : قُوما عنّى قال ابنُ طاوس : ذلك ما كنّا نبغى [منذ اليوم] .

قال مالك : فما زِلْت أعرف لابن طاوس فضلَه .

بين أبى هريرة ومروان بن الحكم وقد أبطأ بالجمعة

أبو بكر بن أبى شَيبة قال : قام أبو هُرَيرة إلى مرْوان بن الحكم وقد أبطأ بالجمعة ، فقال [له] : أتَظل عند ابنةِ فلان تُروّحك بالمَراوح وتَسْقيك الماء البارد ، وأبناء المهاجرين والأنصار يُصْهَرون من الحرّ ! لقد هممتُ أن أفعل وأفعل ، ثم قال : اسمعوا من[4] أميركم .

---

(١) كذا فى ا ونهاية الأرب . والذى فى سائر الأصول : « قليلا » .

(٢) فى ا : « أما سمعت الله عز وجل ويقول » .

(٣) فى ا ونهاية الأرب : يملأنى من دمه » .

(٤) فى ا : « ابن » . وهو تحريف .

بين أبي جعفر وابن أبي ذئب

فَرَج بن سلاّم عن أبي حاتم عن الأصمعيّ ، قال : حدثني رجل من أهل المدينة ، كان يَنْزِل بشِقّ[١] بني زُرَيق ، قال : سمعت محمّد بن إبراهيم يحدّث قال :

سمعتُ أبا جعفر بالمدينة [وهو] ينظرُ [فيما] بين رجل من قُريش وأهلِ بيت من المهاجرين [بالمدينة] ليسوا من قريش ، فقالوا لأبي جعفر : اجعل بيننا ٢٣/١ وبينه ابنَ أبي ذِئب . فقال أبو جعفر لابن أبي ذِئب : ما تقول في بني فلان ؟ قال أشرار من أهل بيتٍ أشرار . قالوا : اسأله يا أمير المؤمنين عن الحسَن بن زيد [وكان عاملَه على المدينة] — [قال : ما تقول في الحسن بن زيد ؟] قال : يأخذ بالإحنة[٢] ، ويَقْضي بالهوَى . فقال الحسن : يا أمير المؤمنين ، والله لو سألتَه عن نفسك لرماك بداهية أو وصفك[٣] بشر . قال : ما تقول فيّ ؟ قال : اعفِني . قال : لابدّ أن تقول . قال: لا تعدِل في الرعيّة ، ولا تَقْسِم بالسويّة. قال : فتغيّر وجه أبي جعفر . فقال إبراهيم بن يحيى بن محمد بن عليّ صاحبُ الموصل[٤] : طَهِّرني بدمه يا أمير المؤمنين . قال : اقعد يا بُنيّ ، فليس في دم رجل يشهد أن لا إله إلا الله طَهُور[٥] . [قال] : ثم تدارك ابنُ أبي ذئب الكلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ، دَعْنا مما نحن فيه ، بلغني أنّ لك ابناً صالحا بالعِراق ، يعني المهديّ . قال : أما إنك قلت ذلك ، إنه الصوّام القوام البعيد ما بين الطرَفين[٦] . قال ثم قام ابنُ أبي ذئب يخرج . فقال أبو جعفر : أما والله ما هو بمُستوثَق العقل ، ولقد قال بذات نفسه .

(١) الشق : الناحية . وبنو زريق : من الأنصار .

(٢) كذا في ا . والذي في سائر الأصول : « بما لا يحققه » . والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٣) كذا في ا . والذي في سائر الأصول : « يكفك » والوكف : العيب .

(٤) كذا في ا . والذي في سائر الأصول : « إبراهيم بن محمد بن يحيى بن علي بن صاحب الموصل » .

(٥) كذا في ا والذي في سائر الأصول : « طهر » .

(٦) البعيد ما بين الطرفين : كناية عن شرف النسب وكثرة ما له من الآباء الأشراف .

قال الأصمعى : ابن أبى ذئب ، من بنى عامر بن لؤى ، من أنفُسهم .

بين المأمون والحارث ابن مسكين

قال : ودخل الحارثُ بن مِسكين على المأمون [فسأله عن مسألة] ، فقال : أقول فيها كما قال مالك بن أنس لأبيكَ هارونَ الرشيد ؟ — وذكر قوله فلم يُعجب المأمون — فقال : لقد تيَّست فيها وتَيَّس(١) مالك . قال الحارثُ بن مِسكين : فالسامع يا أمير المؤمنين ، من التَّيْسين [أتيس] . فتغيّر وجه المأمون . وقام الحارث بن مسكين فخرج ، وتندّم على ما كان من قوله . فلم يستقرّ فى منزله حتى أتاه رسول المأمون ؛ فأيقن بالشرّ ، ولبس ثيابَ أكفانه ، ثم أقبل حتى دخل عليه فقرّبه المأمون من نفسه ، ثم أقبل عليه بوجهه فقال له : يا هذا ، إن الله [تبارك وتعالى] قد أمر مَن هو خير منك بالإنة القول لمن هو شرّ منّى ، فقال لنبيّه موسى صلّى الله عليه وسلّم إذ أرسله إلى فرعون : (فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) . فقال : يا أمير المؤمنين ، أبوء بالذنب وأستغفر الرب(٢) . قال : عفا الله عنك ، انصرِفْ إذا شئت .

بين المنصور وسفيان الثورى

وأرسل أبو جعفر إلى سُفيان الثورىّ ، فلمّا دخل عليه قال : عِظنى أباعبد الله قال : وما عملتَ [يا أمير المؤمنين] فيما علمتَ فأَعِظَك فيما جهلتَ ؟ فما وجد له المنصور جوابا .

نصيحة أبى النضر سالم لبعض عمال الخلفاء

ودخل أبو النَّضر سالم(٣) مولى عمرَ بنِ عبد الله(٤) على عامل للخليفة فقال له : أبا النَّضر ، [إنا] تأتينا كُتب من عند الخليفة فيها وفيها ، ولا نَجِد بدًا من إنفاذها ، فما ترى ؟ قال له أبو النَّضر : قد أتاك كتابٌ من الله تعالى قبل

(١) فى نهاية الأرب (ج ٦ ص ٥٤) : « تتيست فيها وتتيس » . أى صار تيسا . والمسموع فى هذا المعنى : تاس واستتيس .

(٢) كذا فى ا ونهاية الأرب . والذى فى سائر الأصول : « الله تعالى » .

(٣) كذا فى تهذيب التهذيب . والذى فى ا : « أبو نصر سالم » . والذى فى سائر الأصول : « أبو سالم » وكلاهما تحريف . وهو سالم بن أبى أمية التيمى ، ويكنّى أبا النضر . مات فى خلافة مروان بن محمد ، وقيل سنة تسع وعشرين ومائة .

(٤) فى الأصول : « عبيد الله » والتصويب عن الطبرى وتهذيب التهذيب .

كتاب الخليفة ، فأيَّهما اتبعتَ كنتَ من أهلِه .

بين زياد والحكم ابن عمرو الغفارى

ونظير هذا [القول] ما رَوَاه الأعمش عن الشَّعْبى : أنّ زيادا كتب إلى الحَكم بن عمرو الغِفَارىّ ، وكان على الصَّائفة[١] : إنّ أميرَ المؤمنين [معاوية][٢] كتب إلىّ [يأمرنى][٢] أن أصْطَفِىَ له الصَّفراءَ والبَيضاء ، فلا تَقْسِم بين الناس ذهباً ولا فضّة [واقسِم ما سوى ذلك][٢] . فكتب إليه : إنى وجدتُ كتاب الله قبلَ كتاب أمير المؤمنين ، والله لو أنّ السموات والأرض كانتا رَتْقا على عبد فاتّقى الله لجعل له منهما مَخْرجا . ثم نادى فى الناس ، فقسَّم فيهم[٣] ما اجتمع [له] من الفَىْء .

بين ابن هبيرة والحسن البصرى والشعبى فى نصيحة طلبها ابن هبيرة منهما

ومثله قولُ الحسن حين أرسل إليه ابنُ هُبيرة وإلى الشَّعْبى ، فقال له : ما ترى أبا سعيد[٤] فى كُتب تأتينا من عند يزيد بن عبد الملك فيها بعضُ ما فيها ، فإن أنفذتها وافقتُ سُخْط الله ، وإنْ لم أُنْفِذها خَشِيت على دمى ؟ فقال له الحسن: هذا عندك الشَّعبى فَقِيه [أهل] الحجاز . فسأله ، فرقّق[٥] له الشَّعْبى وقال له : قارِب وسَدِّد ، فإنما أنت عبد مأمور . ثم التفت ابنُ هبيرة إلى الحسن وقال : ما تقول يا أبا سعيد؟ فقال الحسن : يابن هُبيرة ، خَفِ الله فى يَزيدَ ولا تَخَف يزيدَ فى الله . يابنَ هُبيرة ، إن الله مانِعُك من يزيدَ وإن يزيد لا يمنعك من الله . يابن هُبيرة لا طاعةَ لمخلوق فى مَعْصية الخالق ، فانظر ما كَتَب إليك فيه ٢٤ / ١ يزيدُ فاعرضْه على كتاب الله تعالى ، فما وافق كتابَ الله تعالى فأنْفِذْه ،

---

(١) كذا فى ا . والصائفة : الغزاة فى زمن الصيف . والذى فى سائر الأصول : « الطائفة » . وهو تحريف . رواية هذه العبارة فى البيان والتبيين (ج ١ ص ١٥٧): « أن زياداً بعث الحكم بن عمرو على خراسان فأصاب مغنما ، فكتب إليه : إن أمير . . . الخ » .

(٢) الزيادة من البيان والتبيين .

(٣) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « لهم » .

(٤) أبو سعيد ، كنية الحسن البصرى .

(٥) فى ا هنا وفيما سيأتى : « فرق » .

وما خالف كتابَ الله فلا تُنفِذه ، فإنّ الله أولى بك من يزيدَ ، وكتابَ الله أولى بك من كتابه . فضرب ابنُ هبيرة بيده على كَتِف الحسن وقال : هذا الشيخ صَدَقنى وربِّ الكعبة . وأمر للحسن بأربعة آلاف [دِرْهم] ، [وأمر] للشَّعْبىّ بألفين . فقال الشَّعْبى : رَقّقْنا فرقّق لنا . فأما الحسن فأرسل إلى المساكين ، فلما اجتمعوا فرّقها[1] . وأمّا الشّعْبى فإنه قَبِلها وشكَر عليها .

بين معاوية والأحنف بن قيس وقد شاوره فى استخلاف يزيد

ونظير هذا قولُ الأحنف بن قَيْس لمُعاوية حين شاوره فى استخلاف يزيد ، فسكت عنه . فقال : مالك لا تقول ؟ فقال : إن صَدَقْناك أسخطناك ، وإن كذبناك أسخطنا الله ، فسُخْط أمير المؤمنين أهونُ علينا من سخط الله . فقال [له] : صدقت .

من أبى الدرداء إلى معاوية

وكتب أبو الدَّرْداء إلى معاوية ، أما بعد : فإنه مَنْ يلتمس رضا الله بسُخْط الناس كفاه الله مؤونةَ الناس ، ومن التمس رِضا الناس بسخط الله وَكَله الله إلى الناس .

من عائشة إلى معاوية

وكتبت عائشة رضى الله عنها إلى مُعاوية : أما بعد ، فإنه من يعمل بمساخط الله يَصِرْ حامِدُه من الناس ذامًّا له ، والسلام .

أربع كلمات نصح رجل بها هشاما

أبو الحسن المَدَائنى قال : خرج الزُّهْرى يوماً من عند هِشام [فقال : ما رأيت مثل أربع كلمات تكلم بها اليوم إنسان عند هشام[2]] . قيل له : [و] ما هنّ ؟ قال : دخَل رجل على هِشام فقال : يا أمير المؤمنين ، احفظ عنّى أربعَ كلمات فيهن صلاحُ ملكك ، واستقامة رعيّتك[3] . فقال هاتِهن . فقال : لا تَعِدَنّ عِدَة لا تثِق[4] من نفسك بإنجازها . قال : هذه واحدة فهاتِ[5] الثانية . قال :

(١) فى ا : « وأما الحسن فأشار إلى المساكين فاجتمعوا فرمى إليهم بها » .
(٢) مكان هذه العبارة الموضوعة بين مربعين فى غير ا : « بأربع » .
(٣) فى ا : « استقامة ملكك وصلاح رعيتك » .
(٤) فى ا : « لا تؤمن » .
(٥) فى ا : « فما » .

لا يغرنك المُرتقى وإن كان سَهْلا إذا كان المُنحدر وَعْراً . قال : [هات] الثالثة . قال : إن للأعمال جزاء فاتّقِ العواقب . قال . هات الرابعة . قال : واعلم أن للأمور بَغتاتٍ فكُنْ على حَذَر .

إعجاب معاوية برجل لم يوافقه على البراءة من على

قدم مُعاوية بالكوفة يُبايع الناس على البراءة من علىّ بن أبى طالب [رضى الله عنه ، فقال له رجل(١) : يا أمير المؤمنين ، نُطيع أحياءكم ولا نتبرّأ من موتاكم] فالتفت إلى المُغيرة فقال له : هذا رجل فاستوْصِ به خيراً .

بين عبدالملك بن مروان والحارث ابن عبد الله فى أمر ابن الزبير

وقال عبدُ الملك بن مَرْوان للحارث بن عبد الله بن أبى رَبيعة : ما كان يقول الكذّاب فى كذا وكذا ؟ — يعنى ابن الزُّبير — فقال : ما كان كذّاباً . فقال له يحيى بنُ الحكم : مَنْ أمّك ياحارِ ؟ قال : هى التى تَعْلم . قال له عبدُ الملك : اسكت فهى أنجب من أمك .

بين الوليد بن عبد الملك والزهرى فى حديث سمعه الوليد من أهل الشام

دخل الزُّهرىّ على الوليد بن عبد الملك ، فقال له : ما حديثٌ يحدّثنا به أهلُ الشام ؟ قال : يُحدِّثوننا أن الله إذا استرعى عبداً رعيَّته كتب له الحسنات ولم يكتب له السيِّآت . قال : باطلٌ يا أمير المؤمنين ، أنبيٌّ خَليفةٌ أكرم على الله أم خَليفة غيرُ نبىّ ؟ قال : بل نبىّ خليفة . قال : فإنّ الله [تعالى] يقول لنبيِّه داودَ [عليه السلام] : (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ . إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) . فهذا وَعيد يا أمير المؤمنين لنبىّ خليفة ، فما ظنّك بخليفة غير نبىّ ؟ قال : إن الناس ليُغْووننا(٢) عن دِيننا .

الأصمعى عن إسحاقَ بن يحيى عن عطاء بن يَسار ، قال : قلت للوليد بن

---

(١) فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٥٦) : فجاء رجل من تميم فأراده على ذلك فقال : يا أمير المؤمنين . . . الخ » .

(٢) فى الأصول : « ليغروننا » بالراء . وهو تحريف .

بين ابن يسار والوليد بن عبد الملك فى شأن عمر بن الخطاب

عبد الملك : قال عمر بن الخطاب : وَدِدت أنى خرجْتُ من هذا الأمر كَفَافًا لا علىَّ ولا لى . فقال : كَذَبْتَ . فقلت : أوَ[1] كُذِّبْتُ ؟ فما أفلتُ[2] منه إلا بجُرَيعة الذَّقَن[3] .

المشـــورة

للنبى صلى الله عليه وسلم فى المشورة من كلام الله تعالى فى ذلك

قال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : ما نَدِم من استشار ، ولا خاب من استخار . وقد أمر الله [تبارك] وتعالى نبيّه عليه الصلاة والسلام بمُشَاوَرَة من هو دونه فى الرأى [والحزم] ، فقال : [وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ) .

مشورة عثمان بن أبى العاص على ثقيف بالثبات على الإسلام

ولما همّت ثقيفُ بالارتداد بعد موت النبىّ صلّى الله عليه وسلّم استشارُوا
٢٥/١ عُثمانَ بن أبى العاص ، وكان مُطاعاً فيهم ، فقال لهم : لا تكونوا آخرَ العرب إسلاماً ، وأوّلهم ارتداداً[4] . فنفعهم الله برأيه .

لبعض الحكماء فيما يؤيد الفتى وما يضره

وسُئِل بعض الحُكَماء : أىّ الأمور أشدّ تأييداً للفتى[5] وأيّها أشدّ إضراراً به ؟ فقال : أشدّها تأييداً له ثلاثة أشياء : مُشاورة العلماء ، وتَجْربة الأمور ، وحُسن التثبت . وأشدها إضراراً به ثلاثة أشياء : الاستبداد والتهاون والعجلة .

وأشار حَكِيم على حَكِيم برأى [فقبله منه] . فقال [له] : لقد قلتَ بما يقول

---

(١) كذا فى ا ولسان العرب والنهاية لابن الأثير (مادة جرع) . والذى فى سائر الأصول : « لو » وهو تحريف .

(٢) فى اللسان والنهاية « فأفلت منه بجريعة الذقن » .

(٣) يقال : أفلت بجريعة الذقن ، أى وقرب الموت منه كقرب الجريعة من الذقن ، وذلك وذلك إذا أشرف على التلف ثم نجا .

(٤) فى ا : « ردة » .

(٥) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول ونهاية الأرب (ج ٦ ص ٧٠) : « العقل » .

قول بعض الحكماء لحكيم آخر أشار عليه برأى فقبله منه

به الناصحُ الشفيق الذى يَخْلِط حُلْو كلامه بمُرِّه، وسَهْله بوَعْره، ويُحَرِّك الإشفاقُ منه ما هو ساكن من غيره[١]. وقد وعيتُ النّصحَ وقَبِلْته، إذ كان مصدره مِنْ عند مَنْ لا يُشَكّ فى مودّته وصفاءِ غَيْبه، ونُصْح جَيْبه؛ وما زلتَ بحمد الله إلى الخير طريقاً واضحاً، ومناراً بيِّناً.

لعبد الله بن وهب الراسبى فى الرأى الفطير

وكان عبد الله بن وَهْب الراسبىّ يقول: إياكم والرأىَ الفَطِير. وكان يَسْتعيذ بالله من الرأى الدَّبَرِىّ[٢].

لعلى بن أبى طالب فى مشورة الشيوخ

وكان علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه يقول: رأى الشَّيْخ خـير من مَشْهد[٣] الغلام.

وصية ابن هبيرة لولده

وأوصى ابنُ هُبيرةَ ولدَه فقال: لا تكُن أول مَشير، وإياك [والهوى][٤] والرأىَ الفَطِير؛ ولا تُشيرنّ[٤] على مُستبدّ [ولا على وَغْد ولا على مُتلوّن ولا لَجوج وخَف الله فى موافقة هوى المستشير[٥]]، فإنّ التماس[٦] موافقته لؤم، و[سُوء][٦] الاستماعِ منه خِيانة.

لعامر بن الظرب فى الأناة والتثبت

وكان عامر بن الظَّرِب[٧] حاكم[٨] العرب يقول: دعُوا الرأىَ يَغِب[٩] حتى يَخْتمِر، وإياكم والرأىَ الفَطِير. يريد الأناة فى الرأى والتثبّت فيه.

---

(١) من غيره، أى من غير الشقيق.
(٢) الرأى الدبرى: الذى يسنح أخيرا بعد فوات الحاجة.
(٣) كذا فى ا وعيون الأخبار. والذى فى سائر الأصول ونهاية الأرب (ج ٦ ص ٧٥): «أحسن من جلد».
(٤) تكملة من البيان والتبيين.
(٥) كذا فى ا. والذى فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٩٨): «ولا تشر». والذى فى سائر الأصول: «ولا تشرف». والفاء فيها زيادة من النساخ.
(٦) كذا فى أكثر الأصول والبيان والتبيين. والذى فى ا: «التزام».
(٧) فى ا: «ابن الطفيل». وهو تحريف.
(٨) فى الأصول: «حكيم». وما أثبتناه من النقائض (ص ٤٣٨) والمعارف لابن قتيبة (ص ٣٨).
(٩) يغب: يبيت.

من أمثالهم فى الرأى

ومن أمثالهم فى هذا قولهم : لا رأىَ لمن لا يطاع .

للهلب فى الرأى

وكان المهلّب يقول : إن من البليّة أن يكون الرأىُ بيدِ مَنْ يملكه دون من يبصره .

لعبسى فى حزم قومه

العُتْبى قال : قيل لرجل من عَبْس : ما أكثر صوابَكم ! قال نحن ألف رجل وفينا حازم واحد ، فنحن نُشاوره[1] ، فكأنا ألف حازم .

شعر فى المشورة

قال الشاعر :

الرأى كالليل مُسْودّ جوانبُه ... والليلُ لا ينجلى إلا بإصْباحِ

فاضمُمْ مَصابيح آراء الرجال إلى ... مِصْباح رأيك تزْدَد ضوء مِصباح

لعبد الله بن عبد الأعلى بعد سخط الخليفة عليه

العتبى قال : أخبرنى من رأى عبدَ الله بنَ عبد الأعلى[2] ، وهو أوّلُ داخل على الخليفة وآخر خارج من عنده . [قال] : ثم رأيته وإنه ليُتّقَى كما يُتقى البعير الأجرب فقال لى : يا أخا العراق ، اتّهمنا القومُ فى سَريرتنا ، ولم يقبلوا منّا علانِيَتنا ، ومن ورائهم وورائنا حَكَمٌ عَدْل .

قول سبيع لأهل اليمامة بعد إيقاع خالد بهم

ومن أحسن ما قيل فيمن أُشير عليه فلم يقبل قولُ سُبَيع[3] لأهل اليمامة بعد إيقاع خالد بهم : يا بنى حَنِيفة بُعداً لكم كما بَعِدت عاد وثمود . أما والله لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقُوعه ، كأنى أسمع جَرْسه وأُبْصِر غَيْبه ، ولكنكم أبيتم النّصيحة فاجتنيتم الندامة ، وإنى لما رأيتكم تتّهمون النّصيح ، وتُسفّهون الحليم ، استشعرت منكم اليأس وخِفت عليكم البلاء . والله ما منعكم الله التوبة ، ولا أخذكم على غِرّة ، ولقد أمهلكم حتى ملّ الواعظ ، ووَهَن[4] الموْعوظ . وكنتم

(١) فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٣٣) : «نطيعه» .

(٢) الذى فى كتب التاريخ : «عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كريز القرشى» . وله ذكر فى خلافة عبد الملك وابنه يزيد .

(٣) فى نسخة : «السبيع» . وفى نسخة أخرى : «سميع» .

(٤) كذا فى أكثر الأصول والذى فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٣٣) : «مل الواعظ الواعظ وهن الموعوظ» ، والذى فى ا : «وهرى» .

كأنما يُعنى بما أنتم فيه غيرُكم، فأصبحتم وفى أيديكم من تكذيبى التصديق. ومن نَصيحتى الندامة ، وأصبح فى يدى من هلاككم البُكاء ، ومن ذُلِّكم الجزع ، وأصبح ما فات غير مردود ، وما بَقِى غير مأمون .

شعر للقطامى فى معصية الناصح الشفيق

وقال القَطامِى فى هذا المَعنى :

ومَعْصيةُ الشَّفيق عليك ممَّا ... تَزيدك مَرَّةً منه استماعا
[وخيرُ الأمر(1) ما استقبلتَ منه ... وليس بأن تَتَبَّعه اتباعا
كذاك وما رأيتُ الناسَ إلا ... إلى ما جَرَّ غاويهم سِراعا
تراهم يَغْمِزون مَن استركُّوا ... ويَجْتَنِبون من صدق المِصَاعا(2)

قولهم فيمن يستشار من أصناف الناس

وكان يُقال : لا تَسْتَشِر مُعلِّماً ولا حائكا ولا راعىَ غَنَم ولا كثيرَ القعود مع النساء .

وأُنشِد فى المعلّمين :

وكيف يُرجَّى العقلُ والرأى عند من ... يَروح إلى أُنثى ويَغْدو إلى طِفْل

وكان يقال : لا تشاوِر صاحبَ حاجة يريد قضاءها(3) .

وكان يقال : لا رأى لحاقِن ، ولا حازق ، وهو الذى ضَغطه الخفُ(4) ولا لحاقب وهو الذى يَجد رِزّاً(5) فى بَطْنه .

شعر فى الرأى بعد فوته

ويُنْشَد فى الرأى بعد فوته :

وعاجز(6) الرأى مِضْياع لفُرْصته ... حتى إذا فات أمرٌ عاتب القَدَرا]

(١) كذا فى عيون الأخبار : والذى فى سائر الأصول : « المرء » وهو تحريف .
(٢) استركوا : استضعفوا . والمصاع : المقاتلة والمجالدة بالسيف .
(٣) زيد فى عيون الأخبار (ج١ ص٣١) بعد هذه الكلمة : « ولا جائعا ولا حاقن بول » .
(٤) كذا فى عيون الأخبار . والذى فى سائر الأصول : « الحصار » . وهو تحريف . (انظر لسان العرب مادة حزق) .
(٥) الرز (بالكسر) : الصوت .
(٦) كذا فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ١٨٦) والذى فى سائر الأصول : « وعاجل » باللام . وهو تحريف .

ومن قولنا فى هذا المعنى :

فليتنى سمعتَ نصيحتى وعصيتَها ما كنتُ أولَ ناصح لمُغَيِّض

٢٦/١ وقال حَبيب فى بنى تَغْلب عند إيقاع مالك بن طَوْق بهم :

لَمْ يأْلُكم مالكٌ صَفْحاً ومَغْفِرةً لو كان يَنْفُخ قَيْنُ الحىّ فى فَحَمِ

حفظ الأسرار

للحكماء فى الكتمان

قالت الحكماء : صَدْرك أوسع لسرّك [من صدر غيرك] .

وقالوا : سِرّك من دَمك [فانظر أين تُرِيقه] . يعنون أنه ربما كان فى إفشائه سَفك دمك .

من عبد الملك إلى الحجاج فى ذلك

وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف :

ولا تُفْشِ سِرّك إلا إليـك فإنّ لكل نَصيح نَصِيحا
فإنى رأيتُ غُـواةَ الرِّجا ل[1] لا يتركون أدِيماً[2] صَحيحا

للحكماء فى ذلك أيضاً

وقالت الحكماء : ما كُنتَ كاتمه من عدوّك فلا تُطلِع[3] عليه صديقك .

لعمرو بن العاص

/٥ وقال عمرو بن العاص : ما استودعتُ رجلا سرًّا فأفشاه فلُمْته ، لأنى كنت أضيقَ صدراً منه حين استودعته إيّاه حتى أفشاه .

[وقال الشاعر :

إذا ضاق صدرُ المرء عن سِرّ نفسه فصدر الذى يُستودع السرّ أضيقُ]

مما قيل فى كتمان السر

قيل لأعرابى : كيف كِتمانك للسرّ ؟ قال : أجحَد المُخبِر وأحلف للمُستخبِر .

---

(١) فى ا : « وشاة الكلام » . والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٢) الأديم : الجلد . يريد أن الغواة يمزقون أعراض الناس .

(٣) فى ا « تظهر » . والمعنى يستقيم عليه أيضا .

وقيل لآخر : كيف كتمانك للسر ؟ قال : ما قلبي له[1] إلا قبر .

للمأمون فيما لا تحتمله الملوك

وقال المأمون : الملوك تحتمل كل شيء إلا [ثلاثة أشياء] : القدح في الملوك ، و إفشاء السر ، والتعرض للحُرَم[2] .

بين الوليد بن عتبة وأبيه

وقال الوليد بن عُتبة لأبيه : إن أمير المؤمنين أسرّ إليّ حديثاً [ولا أراه يطوى عنك[3]] ، أفلا أحدّثك به ؟ قال : [لا] يا بُنيّ ، إنه من كتم سرّه كان الخِيارُ له ، [ومن أفشاه كان الخيار عليه[3]] ، فلا تكُن مملوكا بعد أن كنت مالكا[4] .

بين ملك من ملوك العجم ووزيرين له استشارهما

وفي [كتاب] التاج . أن بعض ملوك العجم استشار وزيريه[5] فقال أحدهما : لا ينبغي للملك أن يستشير منّا أحداً إلا خالياً [به] ، فإنه أموت للسرّ ، وأحزم للرأي ، وأجدر[6] بالسلامة ، وأعفى لبعضنا من غائلة بعض . فإن إفشاء السرّ إلى رجل واحد أوثق من إفشائه إلى اثنين ، و إفشاءه إلى ثلاثة كإفشائه إلى جماعة[7] ؛ لأن الواحد رَهْن بما أُفشِي[8] ، والثاني مُطْلَق[9] عنه ذلك الرّهن ، والثالث عِلاوة فيه . فإذا كان السرّ عند واحد كان أحرى أن لا يُظهره رغبةً ورهبةً[10] و إن كان عند اثنين دخلت على الملك الشُّبهة . واتسعت على الرجلين المعاريض ،

---

(١) في ا « ما قلبي إلا به » .

(٢) مر هذا الخبر (ص ٣٤ من هذا الجزء) مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه .

(٣) التكملة عن عيون الأخبار (ج ١ ص ٤٠) .

(٤) زيد في عيون الأخبار بعد هذه الكلمة : « قال : قلت : وإن هذا ليجرى بين الرجل وأبيه ! قال : لا ، ولكني أكره أن تذلل لسانك بأحاديث السر . فحدثت به معاوية فقال : ياوليد ، أعتقك أخي من رق الخطأ » .

(٥) الملك ، هو سابور بن هرمز ذو الأكتاف . (انظر الوزراء والكتاب ص ١١) .

(٦) في الوزراء والكتاب : « وأدعى إلى السلامة » .

(٧) في عيون الأخبار (ج ١ ص ٢٧) : « العامة » .

(٨) في الوزراء والكتاب : « أفضى » .

(٩) في عيون الأخبار : « يطلق » .

(١٠) في عيون الأخبار : « رهبة منه ورغبة إليها » . وفي الوزراء والكتاب : « رهبة للملك ورغبة إليه » .

فإن عاقبهما عاقب اثنين بذنبٍ واحد ، وإن اتَّهمهما اتهم بريئاً بجناية[1] مُجرم ، وإن عفا عنهما كان العَفْو عن أحدهما ولا ذنْبَ له ، وعن الآخر ولا حجّة معه .

لبعض الشعراء

ومن أحسن ما قالت الشعراء فى السرِّ قولُ عمرَ بنِ أبى ربيعة :

فقالت وأرْخت جانبَ السِّتْر إنما ... مَعِى فتحدَّثْ[2] غيرَ ذى رِقْبة أهلِى
فقلت لها ما بى لَهُمْ من ترَقبٍ ... ولكنَّ سرّى ليس يحمله مِثْلى

وقال أبو مُحجن الثَّقفى[3] :

لا تسألى الناسَ عن مالِى وكَثْرتهِ ... وسائلِى الناسَ عن بأسى وعن خُلُقِى
قد أطعن الطّعنة النجلاء عن عُرُض ... وأكتُمُ السرَّ فيه ضربةُ العُنق

وقال الحُطَيئة يهجو :

أغِربالاً إذا استُودِعْتِ سرّاً ... وكانُوناً على المُتحدِّثينا

الإذن

ما كان يتبعه حاجب زياد فى الإذن للناس

قال زِياد لحاجبه عَجْلانَ : كيف تأذن للناس ؟ قال : على البُيوتات ، ثم على الأسنان ، ثم على الآداب . قال فمن تُؤَخر ؟ قال : من لا يعبأ الله بهم . قال : ومن هم ؟ قال : الذين يلبسون كُسوة الشتاء فى الصيف وكُسْوة الصيف فى الشتاء .

ما كان يتبعه سعيد بن عتبة فى الاستئذان إذا حضر باب أحد السلاطين

وكان سَعيد بن عُتبة بن حُصين إذا حضر باب أحَد من السلاطين جلس جانباً ، فقيل له : إنك لتباعد من الآذِن جُهْدك . قال : لأنْ أُدعَى من بعيد خير من أن أُقْصَى من قريب ، ثم قال :

(١) كذا فى عيون الأخبار والوزراء والكتاب ونهاية الأرب . والذى فى سائر الأصول : « بخيانة » .

(٢) فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٤١) : « فتكلم » .

(٣) فى ا : « أبو عجرد » .

٢٧/١

وإنّ[1] مَسِيرى فى البلاد وَمَنزِلى هو المنزلُ[2] الأقصَى إذا لم أُقرَّبِ
ولستُ وإن أُدنيتُ[3] يوماً ببائع خَلاقى ولا دِينى ابتغاء التحبُّبِ
وقد عَــــدّه قومٌ تجارةَ رابحٍ[4] ويَمْنعنى مِن ذاك دِينى وَمنصِبى

شعر فى ذلك

وقال [آخر] :

رأيت أناساً يُسْرِعون تَبادُراً إذا فَتح البوّابُ بابكَ إصْبَعَا
ونحن جُلوس ساكنون رَزانة وحِلْما إلى أن يُفتح الباب أجمعا[5]

بين معاوية وابن الأشعث فى آداب الدخول على الملوك

وقف الأحنفُ بن قيس ومحمدُ بن الأشعث بباب مُعاوية ، فأذِن للأحنف ثم أذِن لابن الأشعث ، فأسرع فى مِشيته حتى تقدّم الأحنفَ ودخل قبله[6] . فلما رآه معاوية غمّه ذلك وأحْنقه ، فالتفت إليه ، فقال : والله إنّى ما أذِنت له قبلك وأنا أريد أن تدخل قبلَه . وإنّا كما نَلِى أمورَكم [كذلك] نلى آدابكم ، ولا يَزيد مُتزيِّدٌ[7] فى خَطوه إلا لنَقْص يَجده من نفسه .

وقال هشام الرَّقاشى[8] :

---

(١) كذا فى ا وشرح ديوان الحماسة . والذى فى سائر الأصول : « فإن » . وقد نسب هذا الشعر فى ديوان الحماسة للبعيث بن حريث .

(٢) فى شرح ديوان الحماسة : « لبالمنزل » .

(٣) فى شرح ديوان الحماسة : « قربت » .

(٤) فى شرح ديوان الحماسة : « كثير تجارة » .

(٥) نسب هذان البيتان فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ١٠١) للحصين بن المنذر ، وروايتهما فيه :

وكل خفيف الساق يسعى مشمرا إذا يفتح البواب بابك إصبعا
ونحن الجلوس الماكثون توقرا حياء إلى أن يفتح الباب أجمعا

(٦) فى ا : « دخل عليه » .

(٧) فى ا : « مزيد » .

(٨) كذا فى أكثر الأصول . وقد نسب هذا الشعر فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ١٦٩) لهام الرقاشى . كما ذكر فيه مرة أخرى (ج ٣ ص ٢٢٨) منسوبا لهاشم الرقاشى . ونسب فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٩١) لأبى القمقام الأسدى ونسبا فى تاج العروس (مادة غل) لعصام بن عبيد الزمانى . والذى فى ا : « قال هشام قال الرقاشى » .

شعر للرقاشى فى عتاب أبى مسمع

أبلغ أبا مِسْمِعٍ[١] عــنى مُغَلْغَلَةً وفى العِتَاب حياةٌ بين أقوامِ
قدّمتَ[٢] قبلِى رجالاً ما يكون لهمُ فى الحقِّ[٣] أن يَلِجوا الأبواب قُدّامى
لو عُدَّ قومٌ وقوم كنتُ أقربَهم قُرْبَى[٤] وأبعدَهم من منزل الذّام
حتى جعلت إذا ما حاجة عَرَضت ببـاب قَصْرِك أدلُوها بأقوام[٥]

للعاوية فى رد من وشى بحاجبه عنده

قيل لمُعاوية : إن آذِنك يُقدّم معارفَه فى الإذن على وُجوه الناس . قال : وما عليه ؟ إن المعرفة لتنفع فى الـكَلْب العَقور [والسَّبع الهَصور] والجَملِ الصؤول، فـكيف فى رجل حَسِيب[٦] ذى كرم ودِين ؟ .

كلمات فيما يعقب الوصول إلى المطلوب

وقالت الحكماء : لا يواظب أحد على باب السلطان فيُلقِى عن نفسه[٧] الأَنَفة ويحمل الأذى ويَكْظِم الغيظ إلا وصل إلى حاجته .

وقالوا : من أَدْمن قرعَ الباب يُوشك أن يُفتح له .

وقال [الشاعر[٨]] :

كم من فتًى[٩] قَصرت فى الرِّزق خُطوته أصبْتَــه[١٠] بسهام الرزق قد فَلَجَا
إنّ الأمورَ إذا انسدّت مَسالـكها[٦] فالصبر يفتُق منها كلَّ ما ارتتجَا

---

(١) كذا فى الأصول والبيان والتبيين وشرح القاموس . وفى عيون الأخبار ولسان العرب (مادة غل) : « أبا مالك » .
(٢) فى عيون الأخبار : « أدخلت » .
(٣) فى عيون الأخبار : « من قبل » .
(٤) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول والبيان : لوعد قبر وقبر كنت أكرمهم * قبرا » . والذى فى عيون الأخبار : « لوعد بيت وبيت كنت أكرمهم * بيتا » .
(٥) أدلوها بأقوام ، أى أقدم حاجتى مستشفعا بأقوام آخرين مقربين إليك .
(٦) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « حبيب » . وهو تحريف .
(٧) فى ا : « عنه » .
(٨) الشاعر ، هو محمد بن بشير .
(٩) كذا فى شرح ديوان الحماسة . والذى فى الأصول : « وكم فتى » .
(١٠) كذا فى شرح ديوان الحماسة . والذى فى الأصول : « ألفيته » .
(١١) كذا فى شرح ديوان الحماسة والبيان والتبيين (ج ٢ ص ١٩٣) . والذى فى الأصول : « اشتدت معالقها » . وفيها تحريف ظاهر .

لا تيأسنَّ – وإن طالت مُطالبةٌ إذا استعنت بصَبْر – أن تَرى فرجا :
أَخْلِق بذى الصَّبر أن يحظَى بحاجته ومُدْمِنِ القَرْع للأبواب أن يَلِجَا

بين رجل وروح ابن حاتم فى هذا المعنى

ونظَر رجل إلى رَوْح بن حاتم واقفاً فى الشمس [عند باب المنصور] ؛ فقال له : قد طال وقوفك فى الشمس(١) ! فقال : ليطول وقوفى فى الظل.

بين رجل الحسن بن عبد الحميد فى التهافت على أبواب الأمراء

ونظر آخر إلى الحسن بن عبد الحميد يُزاحم الناسَ على باب محمد بن سُليمان فقال له : أمثلك يَرضى بهذا ؟ فقال(٢) :

أُهين لهم نفسى لأُكْرِمَهَا بهم ولا يُكْرِم النفسَ الذى لا يُهينها

من كتاب للهند فيمن يقربهم السلطان ومن يبعدهم

وفى كتاب للهند : إن السلطان لا يقرِّب الناس لقرب آبائهم [ولا يُبعدهم لبعدهم] ، ولكن ينظر ما عند كل رجل منهم ، فيُقرِّب البعيد لنفعه ويُبعد القريب لضُرِّه. وشبّهوا ذلك بالجُرَذ الذى هو فى البيت مجاور ، فن أجل ضُرِّه نُفِى ، والبازى الذى هو وحشىّ ، فمن أجل نفعه اقتُنِى .

بين النبى ورجل استأذن عليه

استأذن رجل على النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وهو فى بيت(٣) ، فقال : أألج ؟ فقال النبىّ صلى الله عليه وسلّم لخادمه : اخرج إلى هذا فعلّمه الاستئذان ، وقل له يقول : السلام عليكم ، أأدخل

حديث للنبى فى الاستئذان

وقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : الاستئذان ثلاث ، فإن أُذِنَ لك وإلا فارجع .

وقال النبىّ عليه السلام(٤) الأولى أُذُن ، والثانيةُ مؤامرة ، والثالثة عَزْمة ، إما أن يأذنوا وإما أن يرجع .

(١) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « فقيل له فى ذلك » . وقد ورد هذا الخبر فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٢٣٥) مع اختلاف يسير فى بعض ألفاظه .

(٢) رواية هذا الخبر فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٩١) : « حجب أعرابى على باب السلطان فقال » . ثم ذكر البيت .

(٣) كذا فى أكثر الأصول ونهاية الأرب . والذى فى ا : « فى الخلاء » .

(٤) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول ونهاية الأرب : « وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه » . ويرجح ما أثبتنا ورود هذا الحديث فى البخارى مع اختلاف =

الحجـــاب

كلام زياد لحاجبه فيمن يحجبه ومن لا يحجبه

قال زياد لحاجبه : [يا عَجْلان[1]] [إنِّى] ولَّيتك حِجابتى وعزلتُك عن أربع : هذا المُنادى إلى الله فى الصلاة والفلاح لا تحجُبه[2] عنى ، فلا سُلطانَ لك عليه ؛ وطارقِ الليل لا تحجبه ، فشرٌّ ما جاء به ، ولو كان فى تلك الساعة ؛ ورسولِ الثغر ، فإنه إن أبطأ ساعة أفسد عملَ سنة ، فأَدْخِله علىّ وإن كنتُ فى لِحافى ؛ وصاحبِ الطعام ، فإنّ الطعام إذا أعيد تَسْخينهُ فَسَد[3] .

أبو سفيان وقد حجب بباب عثمان

ووقف أبو سُفيان بباب عثمان بنِ عفَّان ، وقد اشتغل ببعض مصالح المُسلمين فحَجبه . فقال له رجل ، وأراد أن يُغرِيه : يا أبا سفيان ، ما كنتُ أرى أن تَقِف بباب مُضَرىّ فيحجُبَك . فقال أبو سفيان : لا عَدِمتُ من قومى من أقِف ببابه فيحجُبنى .

أبو الدرداء وقد حجب بباب معاوية

استأذن أبو الدَّرْداء على معاويةَ فحَجَبه ، فقال : من يَغْشَ أبوابَ الملوك[4] يقُم ويَقْعد ، ومن يَجِدْ باباً مُغلقاً يَجِدْ إلى جانبه باباً مفتوحاً ، إن دعا أُجيب وإن سأل أُعطِى .

شعر للوراق فى احتجاب الملوك

وقال محمود الورّاق

[شاد الملوكُ قصورَهم فتحصّنوا مِن كلِّ طالب حاجةٍ أو راغبِ]

= فى الرواية ، ونصه : « الاستئذان ثلاث فن لم يؤذن له فيهن فليرجع ، أما الأولى فيستمع الحى ، وأما الثانية فيأخذون حذرهم ، وأما الثالثة فإن شاءوا أذنوا وإن شاءوا ردوا .

(١) الزيادة عن الكامل للمبرد .

(٢) كذا فى ا . والذ فى سائر الأصول : « لاتفرجنه » .

(٣) رواية هذا الخبر فى الكامل للمبرد تختلف عما هنا فى بعض الألفاظ .

(٤) فى محاضرات الأدباء (ج ١ ص ١٣١) : « سدة السلطان » .

غالَوْا بأبواب الحديد لعِزّها[1] وتنوّقوا[2] فى قُبْح وَجْه الحاجبِ
فإذا تلطّف للدخول عليهمُ راجٍ تلقّوه بوعْـد كاذب
فاطلُب إلى مَلِك المُلوك ولا تكُن بادى[3] الضَّراعة طالباً مِنْ طالب

بين سعيد بن مسلم وأبى هفان فى الحجاب

سَعيد بن مُسلم قال: كنت والياً بإرمينية فغبر[4] أبو هِفّان[5] أياماً ببابى [ولا أعلم به]، فلما وصل إلىّ مثَل قائماً بين السّماطَيْن وقال: والله إنى لأعرف أقواماً لو علموا أنّ سَفّ التراب يُقيم من أَوَد أصلابهم لجعلوه مُسْكة لأرْماقهم إيثاراً للتنزّه عن عَيش رقيق الحواشى. أما والله [إنّى لبعيد الوَثْبة بَطِىء العَطْفة. إنه والله[6]] ما يَثْنِينى عنك إلا ما يَصْرِفك عنّى[7]، ولأَن أكون مُقِلّاً مُقرّباً أحبّ إلىّ من أكون مُكثِراً مُبْعَداً. والله ما نسأل عملاً لا نَضْبِطه، ولا مالاً إلا ونحن أكثرُ منه. وهذا [الأمر] الذى قد صار إليك وفى يدك قد كان فى يَد غيرك [قبلك] فأمسَوْا والله حديثاً، إن خيْراً فخير وإن شراً فشر. فتحبّبْ إلى عباد الله بحُسن البِشْر ولِين الجانب وتسهيل الحجاب؛ فإنّ حُبّ عباد الله موصول بحُب الله، وبُغضهم موصول ببُغضه، لأنهم شهداء الله على خَلْقه، ورُقَباؤه على من اعوجّ عن سَبِيله.

---

(١) كذا فى ا ونهاية الأرب (ج ٦ ص ٨٨). والذى فى سائر الأصول: «أغيلها». وهو تحريف.

(٢) كذا فى ا ونهاية الأرب. وتنوقوا: بالغوا. والذى فى سائر الأصول: «وتوثقوا». وهو تحريف.

(٣) فى نهاية الأرب: «باذا». وهو تحريف.

(٤) كذا فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ١٠٥). وغبر: مكث وبقى. والذى فى الأصول: «فعبر» بالعين المهملة. وهو تصحيف.

(٥) كذا فى ا. والذى فى سائر الأصول: «أبو دهان». والذى فى البيان: «أبو زهمان العلاقى».

(٦) الزيادة من البيان والتبيين.

(٧) كذا فى الأصول. ورواية هذه العبارة فى البيان والتبيين: «ما يثنينى عليك إلا مايصرفنى منك». ومؤدى الروايتين مختلف.

بين أبي مسهر وابن عبدكان

أبو مُسْهِرٍ قال : أتيتُ أبا جعفر محمدَ بن عبد الله بن عَبْدَ كان فحُجِبت[١] ، فـكتبت إليه :

إنى أتيتُك للتَّسـليم أمسِ فلَمْ ... تأذَنْ عليك لِيَ الأستارُ والحُجبُ
وقد علمتَ بأنِّى لم أُرَدُّ و ــ لا ... والله ــ ما رُدَّ إلا العِلْمُ والأدب

فأجابنى [محمدُ بن عبد الله] بن عَبْدكان فقال :

لو كنتَ كافأتَ بالحُسنَى لقلتَ كما ... قال ابنُ أَوْسٍ[٢] وفيما قاله أدبُ :
« ليس الحجاب بمُقْصٍ عنك لى أملاً ... إن السَّماء تُرَجَّى حين تَحْتَجِب »

إلى محمد بن منصور من أحد خاصته وقد حجب عنه

وقف بباب محمد بن مَنْصــور رجلٌ من خاصَّته فحُجب عنه ، فـكتب إليه :

على أىِّ بابٍ أطلُب الإذنَ بعد ما ... حُجِبْتُ عن الباب الذى أنا حاجِبُهْ[٣]

أبو العتاهية وقد حجب بباب بعض الهاشميين

وقف أبو العتاهية إلى باب بعض الهاشميين[٤] فطلَب الإذنَ ؛ فقِيل له : تكون لك عَوْدة . فقال :

لئن عُدْتُ بعـد اليوم إنِّى لظالِمٌ ... سأَصْرِف وَجْهِى حيثُ تُبْغَى المَكارِمُ
متى يَظْفَرُ الغادِى إليــك بحاجةٍ ... ونِصْفُك مَحْجوب ونِصْفُك نائِمُ[٥]

شعر للعتابى فى الحجاب

ونظير هذا المعنى للعَتَّابى[٦] ، حيث يقول :

(١) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « فحجبنى » .

(٢) ابن أوس ، هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائى .

(٣) نسب هذا البيت فى البيان والتبيين (ج ٣ ص ١٩٣) للتوت اليمانى . وورد فى البيان بعد هذا : « ويروى : التوب ، بالباء ، والتوت هو الصواب ، وهو المعروف بتويت ، فكبره هنا » .

(٤) فى المحاسن والمساوئ للبيهقى (ص ١٧٦ طبعة أوربة) أن هذا الشعر قاله أبو العتاهية يخاطب به أحمد بن يوسف .

(٥) فى ا : « قائم » . وهو تحريف .

(٦) كذا فى أكثر الأصول . والذى فى ا : « للغنوى » . ونسب هذا الشعر فى نهاية الأرب (ج ٦ ص ٨٩) للعمانى .

قد أتيناكَ للسَّلام مِراراً   غيرَ مَنٍّ منّا بذاك المَزارِ(١)
فإذا أنتَ فى استتارِكَ بالَّليْـــل على مِثْل حالنا بالنهار

بين أبي دلف ورجل حجبه عنه

وقف رجل بباب أبى دُلف(٢) ، فأقام حيناً لا يَصِل إليه ، فتلطَّف برُقعة أوصلها إليه ، وكتب فيها : ٢٩/١

إذا كان الـكريمُ له حِجَابٌ   فما فَضْل الـكَريم على اللّئيم

فأجابه [أبو دُلَف] :

إذا كان الـكريمُ قليلَ مال   ولم يُعْذَر(٣) تعلَّل بالحِجَابِ
وأبوابُ المُـلوك محجَّباتٌ   فلا تَسْتعظِمنَّ(٤) حِجَابَ بابى

شعر لحبيب الطائي وغيره في الحجاب

وقال حَبيب [الطائى] فى الحِجاب :

سأتْرُك هذا البـاب ما دام إذْنُهُ   على ما أرى حتى يَلينَ قَليلاَ
فما خابَ مَنْ لم يأته مُتعمّداً   ولا فازَ مَنْ قدْ نال منه وُصولاَ
ولا جُعِلت أرزاقُنا بيَد امرئ   حَمَى بابَه من أن يُنال دُخولا
اذا لم نَجِد للإذن عندك موضعاً   وَجَدْنا إلى تَرْك المَجِىء سَبيلا

وأنشد أبو بكر بن العطّار :

مالكَ قد حُلْتَ عن وفائك واسْـ   ـتبْدلتَ يا عمرُو شِيمةً كَدِرَهْ
لستم تُرجَّون(٥) للحِسَاب ولا   يَوْمَ تـكون السماء مُنْفَطِره
قد كان وَجْهى لديك مَعْرِفةً   فاليَوْمَ أضْحَى باباً من النَّـكِره

(١) فى نهاية الأرب : « بنا بتلك المرار » .
(٢) فى المحاسن والمساوئ : « عبد الله بن طاهر » مكان « أبى دلف » فى الموضعين .
ورواية البيت الأول فيه :
إذا كان الجواد قليل مال   فما فضل الجواد على البخيل
وما هنا من شعر أبى دلف الذى رد به هو المناسب .
(٣) فى المحاسن والمساوئ : « ولم يقدر » .
(٤) فى ا : « تستكثرن » .
(٥) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « لسنا نرجوك » . وهو تحريف .

وقال غيره :

أتيتُك للتّسليم لا أنّنى امرُؤٌ   أردتُ بإتيانيك أسبابَ نائلكْ
فألفيتُ بوّاباً ببابك مُغْرَماً   يُهدِّم ما وطّدته(١) مِنْ فضائلك
وقد قال قومٌ حاجبُ المرء عامِلٌ   على عِرْضه فاحذَر خيانةَ عاملك

وقال [أبو نُوَاس] الحسَنُ بن هانئ :

أيّها الراكب المُغِذُّ إلى الفضْ   ل ترفَّقْ فدون فَضْلٍ حِجابُ
ونَعِم هَبْك قد وصَلت إلى الفضْ   ل فمل فى يدَيْك إلا التُّراب

وقال آخر ، وهو محمد البَغدادىّ(٢) :

حِجَابُك من مَهــابته عَسِيرُ   وخَــيْرك فى تَزَيُّدِه يَسِيرُ(٣)
خرجتُ كما دخلتُ إليك إلاّ   غُبـار طار فى خُفّى كثير(٤)

وقال آخر ، وهو العتّابى(٥) :

حِجابُك ليس يُشْبِهه حِجَابُ   خَبَرُوك دوّن مَطْلبه السّحابُ
ونَوْمُك نومُ من وَرَد المَنَايا   فليس له إلى الدُّنيــا إيَاب

وقال غيره(٦) :

أنا بالباب واقفٌ مُنْذ أصبحــتُ على السَّرْج مُمْسِكاً بِعِنَانى
وبِعَين البوّاب كلُّ الذى بى   ويَرانى كأنّه لا يَرانى

(١) كذ فى ا . والذى فى سائر الأصول : « ما وطأته » .
(٢) فى ا : « وهو المازنى » .
(٣) كذا فى ا والذى فى سائر الأصول :
* وخيرك فى اليدين غدا يسير *
(٤) كذا فى ا والذى فى سائر الأصول :
* ترابا صــار فى خفى كثير *
(٥) فى ا : « وهو محمد البغدادى » .
(٦) فى ا : « المعدانى » .

وقال غيره(١) :

إذا ما أتيناه فى حاجـــةٍ رَفعنـــا الرِّقاعَ له بالقَصَبْ
له حاجبٌ دونه حاجِبٌ وحاجبُ حاجِبِـــه مُحْتجب(٢)

من أبى بشير إلى بعض كتاب العسكر وقد حجبه

وقال أبو بَشِير(٣) : حجَبنى بعضُ كتّاب العَسْكر ، فـكتبت إليه : إن ٣٠/١
مَنْ لم يرفعه الإذن لم يَضَعْه الحجاب . وأنا أرْفعَك عن هذه المنزلة ، وأرغب بقدرك(٤) عن هذه الخليقة ، وكل من قام فى مَنْزلك عظُم قدره أو صَغُر ، وحاول حجاب الخليفة ، أمكنه . فتأملْ هذه الحالَ وانظر إليها بعين الفَهْم تَرَها فى أقبح صورة وأدنى منزلة .

عودة إلى ما قاله الشعراء فى الحجاب

وقد قلت [فى ذلك] :

إذا كنتَ تأتى المرء تُعَظِم حقه ويَجْهلُ مِنكَ الحقَّ فالهجر(٥) أوسَعُ
وفى الناس أبْدال وفى الهَجْرِ راحةٌ وفى الناس عَمّن لا يُواتيك(٦) مَقْنَع
وإنّ امرأً يرضَى الهوَان لنفسه حَرِىٌّ بجَدْعِ الأَنفِ والأنفُ أَسْنَع(٧)

وقال آخر :

يا أبا موسى وأنت فــتًى ماجدٌ حُـلوٌ ضَرائبُه(٨)

---

(١) فى ا : « وقال » على أنه للمعدانى أيضا . وقد نسب هـــذا الشعر فى نهاية الأرب للعمانى .

(٢) كذا فى ا ونهاية الأرب . والذى فى سائر الأصول : يحتجب » .

(٣) كذا فى ا . ولعله أبو بشير رزام ، مولى خالد بن عبد الله القسرى ، وكان يكتب لمحمد بن خالد القسرى . (انظر الوزراء والكتاب) . وقد جاء فى سائر الأصول مضطرباً بين « أبو اليسير » و « أبو السر » و « أبو البشر » .

(٤) فى بعض الأصول : « بك » .

(٥) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « فالبحر » . وهو تحريف .

(٦) فى ا : « عمال يواتيك » . وفى بقية الأصول : « غم لا يواتيك » . وهو تحريف فى جميعها .

(٧) الأسنع : المرتفع العالى ؛ ومنه شرف أسنع ، إذا كان كذلك . والذى فى سائر الأصول : « أشنع » بالشين المعجمة ، وهو تصحيف .

(٨) كذا فى ا ونهاية الأرب . والضرائب : جمع ضريبة ، وهى الطبيعة والسجية : =

كُنْ على مِنْهاج معْرِفة   إنَّ وجْه المرء حَاجِبُه(١)
فيه تَبْدو محاسِنُه   وبه تَبْدو معايِبه

وأنشد حُسين الجمل – وبكَر إلى باب سُليمان بن وَهْب فحَجبه الحاجب وأدخل ابن سَعْوة(٢) وحَمْدَويه – [قال] :

ولَعمرى لئن حُجِبْنا عن الشَّيخ فلا عن وَجْهٍ هناك وَجيهِ
لا ولا عن طعامه التافه النَّزْ   ر الذى حولَه لِطامٌ(٣) بَذِيه
بل حُجِبْنا به عن الخَسْف والمَسْخ وذاك التَّبْرِيق والتَّمْويه
فَجزَى الله حاجِباً لك فَظًّا   كُلَّ خَيْر عنّا إذا يَجْزِيه
فلقد سَرَّنى دخولُ أبى(٤) سَعْوة دونى(٥) وَبعده حَمْدَويه
إنَّ ذَنْجى نذالةً قد تأتّى(٦)   من صَباحى بقُبْح تلك الوُجوه

وقال أحمد بن محمد البغدادىّ فى الحسن بن وهب الكاتب :

ومُسْتَتِر عن الحَسَن بنِ وهْبٍ   وعمّا فيه من كَرَم وخيرِ
أتانى كَىْ أُخبِّرَه بعِلْمى   فقلتُ له سقطتَ على الخَبير
هو الرجل المهذّب غيرَ أنّى   أراه كثيرَ إرْخاء السُّتور

= وفى بعض الأصول : « مذاهبه » . وفى البعض الاخر : « حذائبه » ؛ ولا معنى لهذه الكلمة الأخيرة .

(١) نسب هذا البيت والذى بعده فى محاضرات الراغب (ج ١ ص ١٣١) ليحيى بن المعلى . وروايته فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٨٥) :
اعلم إن كنت تعلمه   أنّ عرض الملك حاجبه

(٢) كذا فى ا هنا وفيما سيأتى . ثم هو فى سائر الأصول مضطرب بين « شعوة » و « شعرة » و « صفرة » .

(٣) فى ا : « التطام » .

(٤) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « أخى » .

(٥) فى ا : قبلى » .

(٦) كذا فى أكثر الأصول . وفى نسخة : « إن ذبحى بزلة ... الخ » . وفى نسخة أخرى : « أى زنجى نزالة ... الخ » : ولم نقف على الصواب فى رواية هذه العبارة فيما راجعناه من الكتب التى بين أيدينا على كثرتها .

وأكثر ما يغنّيه فتاهُ حُسين حين يخلو للسرور :

(ولولا الرِّيحُ أُسمِعَ أهلُ حَجْرٍ[1] صليلَ البيض تُقرعُ بالذُّكور)

ومن قولنا فى هذا المعنى :

ما بالُ بابِك محروساً ببوّابِ يَحْمِية مِنْ طارقٍ يأتى ومُنْتابِ

لا يَحْتجبْ وجهكَ الممقوت عن أحد فالمقتُ يَحْجبُه من غير حجّاب

فاعزِلْ عن الباب مَن قد ظلّ يَحْجبُه[2] فإنّ وجهَك طِلَّسْمٌ على الباب

ووقف حَبيب [بن أوس] الطائى بباب مالك بن طوْق فحُجب عنه . فكتب إليه يقول :

قُل لابن طوْق رحَى سَعْد[3] إذا طَحَنَتْ[4] نوائبُ الدهر أعلاها وأسفلها :

أصبحتَ حاتِمَها جُوداً وأحنفَها حِلماً وكَيّسَها[5] عِلماً ودَغْفَلَها

مالى أرى القُبّة البيضاء مُقْفَلةً دونى[6] وقد طالمَا استفتحتُ مُقْفَلها

أظنّها[7] جنّةَ الفِرْدوسِ مُعرِضةً[8] وليس لى عمــلٌ زاكٍ فأدخُلَها ٣١/١

(١) فى ا : « نجد » . وهذا البيت لمهلهل بن ربيعة . وحجر (بفتح الحاء) : هى اليمامة .

(٢) فى ا : « يحرسه » .

(٣) رحى سعد ، أى سيدها الذى يدور عليه مدار أمرها . ويريد بسعد : بنى سعد ابن زهير بن جشم بن بكر ، قبيلة مالك بن طوق .

(٤) فى نسختَى الديوان المخطوطة والمطبوعة : « خبطت » .

(٥) كذا فى أكثر الأصول والديوان . قال التبريزى : « المعروف فى النسابين زيد بن الكيس ودغفل ، ويجوز أن يكون الطائى استغنى بالكيس ، وهو أبوه ، عن ذكره لأن المشهور هو زيد » . ثم قال : وقيل الكيس هو النمر بن تولب ، وكان يسمى الكيس لحكته » . والذى فى ا : « وآنسها » . وهو تحريف .

(٦) فى الديوان : « الحجرة الفيحاء مقفلة عنى » .

(٧) فى الديوان : كأنها » .

(٨) معرضة : بادية ظاهرة .

باب [من] الوفاء والغدر

بين مروان بن محمد وعبدالحميد الكاتب

قال مروان بن محمد لعبد الحميد الكاتب حين أيقن بزوال مُلكه : قد احتجت إلى أن تصير مع عدوّى وتُظْهر الغدرَ بى ؛ فإنّ إعجابهم بأدبك وحاجتَهم إلى كتابتك تدْعوهم إلى حسن الظنّ بك ، فإن استطعتَ أن تنْفعنى فى حياتى وإلا لَم تعْجز عن نفع حَرَمى بعد موتى[1] . فقال عبد الحميد : إن الذى أمرتَ به أنفع الأشياء لك وأقبحها بى ، وما عندى غيرُ الصبر معك ، حتى يفتحَ الله عليك[2] أو أُقتل معك . وأنشأ يقول :

أُسِرُّ[3] وفاءً ثم أُظْهِر غَدرةً ... فمَنْ لى بعُذْرٍ يُوسع الناسَ ظاهرُه[4]

بين عبد الملك بن مروان وبعض نصحائه بعد قتله عمرو بن سعيد

أبو الحسن المَدائنى قال : لما قَتلَ عبدُ الملك بن مروان عمرَو بنَ سعيد[5] بعد ما صالحَه[6] وكتب إليه أمانا[7] وأشهد شهوداً ، قال عبد الملك بن مروان لرجل كان يستشيره ويصدُر عن رأيه إذا ضاق به الأمر : ما رأيك فى الذى كان منّى ؟ قال : أمرٌ قد فات دَرْكه . قال : لتقولَنّ . قال : حَزْم لو قتلتَه وحَييتَ . قال : أو لستُ بحىّ ؟ فقال : [ليس بحىّ] من أوقف نفسَه موْقفا لا يُوثَق له بعهد ولا بعَقد . قال عبد الملك : كلام لو سَبق سماعُه فِعْلى لأمسكت .

بين أبى جعفر المنصور وابن هبيرة

المدائنى قال : لما كتب أبو جعفر أمانَ ابنِ هُبيرة[8] واختلف فيه الشهود

---

(١) عبارة عن عيون الأخبار (ج ١ ص ٢٦) : « عن حفظ حرمىّ بعد وفاتى » .

(٢) فى عيون الأخبار : « لك » .

(٣) فى ا : « تسر » .

(٤) فى ا . « أجمع » مكان « ظاهره » .

(٥) فى ا : « مسعرد » . وهو تحريف .

(٦) فى ا : « لما صالحه » .

(٧) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « له كتابا » .

(٨) ابن هبيرة ، هو يزيد بن عمر بن هبيرة . وكان عاملا لمروان بن محمد ، آخر ملوك بنى أمية ، على العراق . فلما ظهرت دولة بنى العباس بعث أمير المؤمنين عبد الله السفاح إلى أخيه المنصور أن يتوجه إلى ابن هبيرة ، وكان قد تحصن بواسطة ، فجرت =

أربعين يوماً ، ركب فى رجال معه حتى دخل على المنصور ، فقال [له : يا أمير المؤمنين] إنّ دولتكم [هذه] جديدة فأذيقوا الناس حلاوتها وجَنّبوهم مَرارتها ، لتُسرِع محبّتُكم إلى قلوبهم ، ويَعذُب ذِكرُكم على ألسنتهم ، وما زلتُ منتظراً لهذه الدعوة . فأمر أبو جعفر برَفع السِّتر بينه وبينه ، فنظر إلى وجهه وباسَطه بالقول حتى اطمأنّ قلبُه . فلما خرج قال أبو جعفر [لأصحابه] . عجباً لمن[1] يأمرنى بقَتْل مثل هذا ! ثم قتله بعد ذلك غَدْراً[2] .

بين أبى جعفر المنصور وسلم ابن قتيبة فى قتل أبى مسلم

وقال أبو جعفر لسَلم بن قُتيبة : ما ترى فى قتل أبى مُسلم ؟ قال سَلم : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللهُ لَفَسَدَتَا) ؛ قال حَسْبُكَ اللهُ أبا أُمية .

شعر فى غدر بنى سعد بن تميم

قال أبو عمرو بن العَلاء : كانت بنو سَعْد بن تميم أغدَرَ العرب ، وكانوا يُسمُّون الغَدْر فى الجاهلية : كَيْسان فقال فيهم الشاعر[3] :

إذا كنتَ فى سَعْد وخالُك[4] منهم ... غَرِيباً فلا يَغْرُرْك خالُك من سَعْدِ
إذا ما دَعَوْا كَيسانَ كانت كُهولُهم ... إلى الغَدْر أدنى[5] من شَبابِهم المُرْدِ

السفراء بين أبى جعفر وابن هبيرة حتى جعل له أمانا ، وكتب له كتابا مكث يشاور فيه العلماء أربعين يوما حتى رضيه بن هبيرة ، ثم أمضاه من أخيه أمير المؤمنين السفاح . ثم أغرى أبو مسلم الخراسانى السفاح بابن هبيرة ، فبعث السفاح إلى أخيه المنصور بقتله ، فنقض عهده وقتله . (انظر تاريخ الطبرى ق ٣ ص ٦٦ — ٧١ طبعة أوربة ورغبة الآمل ج ٣ ص ٧٣) .

(١) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « من كل من » .

(٢) بين رواية الخبر هنا وروايته فى الكامل للمبرد خلاف فارجع إليه .

(٣) الشاعر ، هو النمر بن تولب .

(٤) فى لسان العرب (مادة كيس) والشعر والشعراء (ص ١٧٤ طبعة أوربة) : « أمك » .

(٥) فى لسان العرب : « أسعى » .

الولاية والعزل

للنبى صلى الله عليه وسلم فى الإمارة

قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : ستحرِصون على الإمارة ، ثم تكون حسْرة وندامة ، فنِعْمت المرْضِعة ، وبِئْست الفاطمة .

للمغيرة بن شعبة فى ذلك

وقال المُغيرة بن شُعبة : أُحِبّ الإمارة لثلاث وأكرهها[1] لثلاث . أُحِبّها لِرَفْع الأولياء ، ووَضْع الأعداء ، واسترخاص الأشياء . وأكرهها لرَوْعة البريد ، وموت العَزْل ، وشَماتة الأعداء .

بين ولد ابن شبرمة وأبيه وقد مر بهما موكب لطارق ابن أبي زياد

وقال ولَدُ ابنِ شُبْرُمة القاضى : كنت جالساً مع أبى قبل أن يَلى القَضاء ، فمرّ به طارق بن أبى زياد[2] فى موكِب نَبيل ، وهو والى البصرة ، فلما رآه أبى تنفّس الصُّعداء وقال :

أراها وإن كانت تُحَبُّ كأنها[3] سَحابةُ صَيْفٍ عن قَريب تقَشّعُ

ثم قال : اللهم لى دينى ولهم دُنياهم[4] . فلما ابتُلى بالقَضاء ، قلت له يا أبتِ ، أتذكر يوم طارق ؟ قال : يا بنىّ ، إنهم يجدون خَلَفا من أبيك ، وإنّ أباك حَطّ[5] فى أهوائهم ، وأكَل من حَلْوائهم .

لعبد الله بن الحسن فيمن غيرته الولاية

قيل لعبد الله بن الحسن : إن فلاناً غَيّرته الولاية . قال : من وُلّى ولاية يراها أكبرَ منه تغيّر لها ، ومن وُلّى ولاية يرى نفسَه أكبرَ منها لم يتغيّر لها .

---

(١) فى بعض الأصول : « أهجرها » .

(٢) فى ا : « مولى زياد » . وفى سائر الأصول : « مولى ابن زياد » . وهو تحريف فى جميعها . والصواب ما أثبتنا نقلا من كتب التاريخ . وقد عمل طارق بن أبي زياد هذا على الكوفة وما يليها لخالد القسرى ، ويرجح هذا رواية هذه العبارة فى عيون الأخبار وهى : « مر طارق صاحب شرطة خالد القسرى » .

(٣) فى ا : « فإنها » . والذى فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٥٦) : « ركابها » مكان قوله « كأنها » .

(٤) فى ا : « دينهم » .

(٥) فى ا : « حطب » .

بين عمر بن الخطاب والمغيرة ابن شعبة حين عزله عمر عن كتابة أبي موسى

٣٢/١ ولما عَزل عمرُ بن الخطاب [رضى الله عنه] المُغيرةَ بنَ شُعْبَة عن كتابة أبى موسى ، قال له : أعن عَجْز أم خيانة يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا عن واحدة منهما ، ولـكنّى أكره أن أحمِل فضلَ عقلك على العامّة .

رغبة زياد إلى معاوية أن يوليه الحجاز

وكتب زِياد إلى مُعاوية : قد أخذتُ العِراقَ بيمينى وبَقِيتْ شِمالى فارغة يُعرِّض له بالحِجاز — فبلغ ذلك عبدَ الله بن عمر ، فرفع يدَه إلى السماء وقال : اللهم اكفِنا شِمال زِياد . فخرجت فى شِماله قَرْحة فقتلته .

بين عمر بن الخطاب وأبى هريره

ولقى عمرُ بن الخطّاب أبا هُريرة ، فقال له : ألا تعمل ؟ قال : لا أُريد العمل. قال : قد طلب العملَ من هو خير منك ، يوسُف عليه الصلاة والسلام . قال : اجْعَلْنِي على خَزائن الأَرض إنّى حَفيظ عَليم .

تولية خالد القسرى لبلال ابن أبى بردة

المدائنيّ قال : كان بِلاَل بن أبى بُردة مُلازماً لباب خالد بن عبد الله القَسْرىّ ، فكان لا يركب خالد إلا رآه فى مَوْكبه ، فبَرِم به ، فقال لرجل من الشُّرَط : إيت ذلك الرجلَ صاحبَ العِمامة السوداء فقل له : يقول لك الأمير : ما أَزومُك بابِى ومَوكبى ! [إنى] لا أُوَلِّيكَ ولايةً أبداً . فأتاه الرسول فأبلغه . فقال له بلال : هل أنت مُبلغ عنّي الأميرَ كما بلّغتنى عنه ؟ قال : نعم . قال : قل له : والله لئن ولَّيتنى لا عزلتنى . فأبلغه ذلك . فقال خالد : قاتله الله ! إنه ليَعِد من نفسه بكفاية . فدعاه فولاّه .

إباء عمر استعمال رجل طلب العمل

وأراد[1] عمر ابن الخطّاب أن يستعمل رجلا ، فبادر الرجل فطلب منه العمل. فقال له عمر : والله لقد كنتُ أردتُك لذلك ، ولـكن مَنْ طلب هذا الأمر لم يُعَنْ عليه .

إباء النبى تولية عمه العباس

وطلب العبّاس عمّ النبى صلى الله عليه وسلّم من النبى ولاية ، فقال له : ياعم نفس تُحْيِيها خَيْر من ولاية [لا] تُحْصِيها .

---

(١) مر هذا الخبر والأخبار الثلاثة التى تليه (ص ٢١ من هذا الجزء) .

إباؤه صلى الله عليه وسلم ذلك أيضا لرجل من أصحابه

وطَلَب رجل من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلّم عملا ، فقال له : إنّا لا نَستعين على عملنا بمن يُريده .

قول النصارى فيمن يختار للجثلقة

وتقول النصارى : لا نَختار للجَثْلقة إلا زاهداً فيها [هارباً منها] غيرَ طالب لها .

كلمة لزياد فى أغبط الناس عيشا

وقال زياد لأصحابه : من أغبطُ الناسِ عَيْشاً ؟ قالوا : الأمير وأصحابه . قال : كلاّ ، إنّ لأعواد المِنْبر لَهَيْبة ، ولِقَرْع لِجَام البريد لَفَزْعة . ولكنّ أغبط الناس عيشاً رجل له دار يَجْرِى عليه كِراؤُها ، وزوجة قد وافقته فى كَفَاف [من عيشه] ، لا يَعْرِفنا ولا نعرفه ، فإنْ عَرَفنا وعرفناه ، أفسدْنا عليه آخرتَه ودُنياه .

بين المغيرة بن شعبة ومعاوية حين كبر المغيرة وخشى أن يعزله عن عمله

وكتب المُغيرة بنُ شُعْبة إلى مُعاوية ، حين كَبِر وخاف أن يَسْتبدل به : أما بعد ، فقد كَبِرَتْ سِنِّى ، وَرَقّ عَظْمى ، واقترب أجلى ، وسفَّهنى سفهاء قُرَيْش ، فرَأْى أمير المؤمنين فى عمله مُوَفّق .

فكتب إليه مُعاوية : أما ما ذكرتَ من كِبَر سنّك ، فأنت أكلت شبابك ؛ وأمّا ما ذكرت من اقتراب أجلك ، فإنى لو أستطيع دفعَ المنيّة لدفعتها عن آل أبى سُفيان ؛ وأمّا ما ذكرت من سُفهاء قُرَيش ، فَحُلَماؤُها أحلّوك ذلك المحلّ ؛ وأما ما ذكرت من [أمر] العمل ، «ضَحِّ رُوَيداً يدرك الهيجا حَمَل[(1)]» وهذا مثل [للعرب] وقد وقع تفسيره فى كتاب الأمثال .

فلما انتهى الكتابُ إلى المُغيرة ، كتب إليه يستأذنه فى القُدوم عليه ، فأَذِن له ، [فخرج] وخرجنا معه . فلما دخل عليه قال [له : يا مُغيرة ، كَبِرت سنُّك ، ورقّ عظمك ، ولم يَبْقَ منك شىء ، ولا أرانى إلا مُستبدلاً بك . قال المحدِّث

(١) كذا فى مجمع الأمثال للميدانى . وضحِ رويدا ، أى لا تعجل . والأصل فيه النهى عن العجلة فى الذبح ثم استعمل فى النهى عن العجلة عامة . وحمل : هو حمل بن بدر . وهذا صدر بيت ، والبيت كاملا كما فى شرح القاموس مع اختلاف روايته عما هنا :

لبث قليلا يلحق الهيجا حمل   ما أحسن الموت إذا حان لأجل

وقال الشارح : وقائل البيت حمل بن بدر ، وقيل : حمل بن سعدانة الصحابى .

عنه] : فانصرف إلينا ونحن نرى الكآبة فى وجهه ، فأخبرنا بما كان من أمره . قُلْنا له : فما تُريد أن تصنع ؟ قال : ستعلمون ذلك . فأتى مُعاوية فقال له : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ الأنفُس ليُغْدَى عليها ويُراح ، ولستَ فى زمن أبى بكر و [لا] عُمر ، فلو نصبْتَ لنا عَلَماً من بَعدك نَصِير إليه ، فإنّى [قد كنت] دعوتُ أهلَ العِراق إلى بَيْعة يَزيد . فقال : يا أبا محمد ، انصرف إلى عَملك ورُمْ هـذا الأمرَ لابن أخيك . فأقبلنا[1] نركُض على النُّجب ، فالتفتَ[2] فقال : والله لقد وضعتُ رجلَه فى رِكَاب طويل ، ألْقى عليه أمَّةَ محمد صلَّى الله عليه وسلم .

٣٣ / ١

باب من أحكام القضاة

لعمر بن عبد العزيز فيما يكمل به القاضى

قال عمر بن عبد العزيز [رحمه الله] : إذا كان فى القاضى خَمْسُ خِصَال فقد كَمل : عِلم بما كان قبله ، ونزاهة عن الطَّمع ، وحِلم على الخَصْم ، واقتداء بالأئمة ، ومُشاورة أهل العلْم والرأى .

وله فى التثبت قبل الحكم

وقال عمرُ بن عبد العزيز : إذا أتاك الخَصْم وقد فُقِئتْ عينُه ، فلا تحكُم له حتى يأتىَ خصمُه ، فلعلّه قد فُقِئت عيناه جميعاً .

من كتاب لعمر ابن الخطاب إلى معاوية فى القضاء

وكتب عمر بن الخطّاب [رضى الله عنه] إلى مُعاوية [كتابا] فى القضاء يقول فيه : إذا تقدّم [إليك] الخَصْمان فعليك بالبيِّنة العادِلة ، أو اليمين القاطعة ، وإدْناء الضّعيف حتى يشتدّ قلبُه ؛ ويَنْبسِطَ لسانه . وتَعاهد الغريبَ ، فإنك إن لم تتعاهدْه ترك[3] حقّه ، ورجع إلى أهله ، وإنما ضيَّع حقَّه من لم يرفُق به . وآسِ

(١) عبارة ا : « فأقبلنا على البريد فركض » .

(٢) فى ا : « فالتفت إلى فقال : يا ربيع والله يا ربيع لقد ... الخ » .

(٣) كذا فى ا والذى فى سائر الأصول : « سقط » .

بين الناس فى لَحْظك وطَرْفك ، وعليك بالصلح بين الناس ما لم يتبيَّن لك فَصْل القضاء .

بينا بن أبي دواد وإبراهيم بن المهدى حين أغلظ ابن المهدى لبختيشوع بين يديه فى مجلس الحكم

العُتْبى قال : تنازَع إبراهيم بن المَهدىّ هو وبُخْتَيَشُوع[١] الطبيب بين يدى أحمد بن أبى دُواد القاضى فى مجلس الحُكْم فى عَقار بناحية السّواد ، فزَرَى[٢] عليه ابن المهدىّ وأغلظ له بين يدى أحمدَ بن أبى دواد . فأحفظه ذلك[٣] ، فقال : يا إبراهيم ، إذا نازعتَ أحداً فى مجلس الحُكْم فلا أعلمنّ أنك رفعتَ[٤] عليه صوتاً ، ولا أشرت[٥] إليه بيد ؛ وليكن قَصْدُك أَمَماً ، وطريقُك نهجاً[٦] ، وريحُك ساكنة . ووفِّ مجالسَ الحُكومة[٧] حقوقَها من[٨] التوقير والتعظيم والتوجه[٩] إلى الواجب ، فإن ذلك أشبه بك ، وأشكل لمَذْهبك فى مَحْتِدِك وعِظَم خَطَرك . ولا تَعْجل ، فربّ عجلة تَهَبُ[١٠] رَيْثاً ، والله يَعْصِمك من الزلل ، وخطلِ القول والعمل ، ويُتمّ نعمته عليك كما أتمّها على أبويك من قبل ، إن ربك حكيم عليم . قال إبراهيم : أصلحك الله ، أمرتَ بسَداد ، وحَضَضْتَ على رشاد ، ولستُ بعائد إلى ما يثْلِم مُرُوءتى عندك ، ويُسقطنى من

---

(١) فى زهر الآداب للحصرى (ج ١ ص ٢٣٢ طبعة الأزهرية) : «ابن بختيشوع» وظاهر أن كلمة «ابن» مقحمة ، فقد تكرر الخبر فى زهر الآداب بغير هذه الكلمة. وبختيشوع : اسم سريانى مركب من كلمتين : بخت (بالضم) ومعناها عبد ، ويشوع ، هو يسوع .

(٢) فى زهر الآداب للحصرى ، «فأربى» .

(٣) عبارة زهر الآداب ، «وأغلظ له فأحفظ ذلك ابن أبى دواد» .

(٤) كذا فى زهر الآداب . والذى فى ا : «فلا أعلمن ما رفعت» . والذى فى سائر الأصول : «فلا تعلمن ما رفعت» . والعبارتان فاسدتان .

(٥) كذا فى ا وزهر الآداب . والذى فى سائر الأصول : «تشر» .

(٦) مكان هذه العبارة فى زهر الآداب : «وكلامك معتدلا» .

(٧) فى زهر الآداب : «الخليفة» مكان قوله «الحكومة» .

(٨) فى الأصول : «مع» . وما أثبتناه من زهر الاداب .

(٩) كذا فى زهر الآداب . والذى فى الأصول : «التوجيه» . وهو تحريف .

(١٠) فى ا : «تعقب» .

عينك ، ويُخرجنى عن مقدار الواجب إلى الاعتذار ، فها أنذا[١] مُعتذر إليك من هذه البادرة اعتذارَ مُقِرّ بذنبه ، باخِعٍ[٢] بجُرْمه ؛ فإن الغضب لا يزال يَستفزّنى بمودّته فيردُّنى مثلُك بحِلْمه[٣] ، وتلك عادة الله [عندك و][٤] عندنا منك ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . وقد وهبتُ حتى من هذا المقار لبُخْتَيَشُوع ، فليتَ ذلك يقوم[٥] بأَرْش[٦] الجناية ، ولن يَتْلف مال أفاد موعظة . وبالله التوفيق .

كتاب عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى فى القضاء

وكتب عمر بن الخطاب [رضى الله عنه] إلى أبى موسى الأشعرىّ - رواها ابن عُيَينة — :

أما بعد ، فإن القضاء فَرِيضة مُحْكَمة ، وسنّة متبعة ، فافهم إذا أُدلى إليك الخصم[٧] ، فإنه لا ينفع [تكلّم] بحق لا نفاذ له . آسِ بين الناس[٨] فى مَجْلسك ووجهك[٩] ، حتى لا يطمع شريف فى حَيْفك ، ولا يخاف ضعيف من جورك[١٠] البيّنة على من ادّعى ، واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين إلا صُلْحًا أحلّ حراماً أو حرّم حلالا . ولا يمنعك قضاء قضيتَه بالأمس

(١) كذا فى ا . والذى فى زهر الآداب : « فهأنا » بدون « ذا » . والذى فى سائر الأصول « فعائذ » .

(٢) فى زهر الآداب : « معترف » .

(٣) فى ا : « بحكمة » . وهو تحريف .

(٤) هذه الكلمة من زهر الآداب .

(٥) كذا فى ا والذى فى زهر الآداب : « يكون وافيا » . والذى فى سائر الأصول : « يعول » .

(٦) الأرش : الدية .

(٧) زيد فى صبح الأعشى (ج ١٠ ص ١٩٣) بعد هذه الكلمة : « وأنفذ إذا تبين لك » .

(٨) آس بين الناس ، أى سو بينهم واجعل كل واحد منهم أسوة بخصمه .

(٩) زيد فى نهاية الأرب (ج ٦ ص٢٥٧) والكامل للمبرد بعد هذه الكلمة : « وعدلك » .

(١٠) فى نهاية الأرب وعيون الأخبار والكامل : « ولا ييأس ضعيف من عدلك » .

ثم راجعت فيه نفسك[١]، وهُديت فيه لرشدك أن ترجع عنه[٢]، فإن الحق قديم[٣]، والرجوع إليه خير من التمادى على الباطل . الفهم [الفهم][٤] فيما يتلجلج فى صدرك مما لم يبلغك به كتاب الله ولا سنة نبيّه صلّى الله عليه وسلّم[٥] واعرف الأمثال والأشباه وقِس الأمور عند ذلك[٦]، ثم اعمِد إلى أحبّها[٧] عند الله ورسوله وأشبهها بالحق ، واجعل للمدّعى أمداً ينتهى إليه[٨]، فإنّ أحضر بيّنة أخذتَ له بحقّه ، وإلا وجّهت عليه القضاء[٩]، فإنّ ذلك أجلَى للعَمى وأبلغ فى العذر[١٠]. والمسلمون عُدول بعضهم على بعض ، إلا مجلوداً فى حد ، أو مجرَّباً عليه شهادةُ زور ، أو ظنيناً فى ولاء أو قرابة أو نسب ، فإن الله [عز وجل] ولّى منكم السرائر ودرأ عنكم بالبيّنات [والأَيمان][١١] . ثم إياك والتأذّى بالناس والتنكّر للخصوم فى [مواطن] الحقوق التى يُوجب الله [عزّ وجلّ] بها الأجرَ[١٢]، ويُحسن بها الذُّخر ، فإنه من تَخْلُص نيّته فيما بَينه

(١) فى الكامل : « فلا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك » .

(٢) فى نهاية الأرب وعيون الأخبار وصبح الأعشى والكامل : « إلى الحق » مكان قوله « عنه » .

(٣) زيد فى عيون الأخبار بعد هذه الكلمة : « لايبطله شىء » .

(٤) هذه الكلمة من عيون الأخبار والبيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٤) وصبح الأعشى ونهاية الأرب والكامل .

(٥) فى نهاية الأرب والكامل : « مما ليس فى كتاب ولا سنة » . وفى عيون الأخبار : « مما ليس فيه قرآن ولا سنة » .

(٦) كذا فى ا وعيون الأخبار والبيان والتبيين والكامل . والذى فى سائر الأصول : « عندك » .

(٧) فى الكامل : « أقربها إلى الله » .

(٨) فى عيون الأخبار والكامل : « واجعل لمن ادعى حقا غائبا أمدا ينتهى إليه » .

(٩) فى عيون الأخبار ونهاية الأرب وصبح الأعشى والكامل : « وإلا استحللت القضية عليه » .

(١٠) زيد فى نهاية الأرب وصبح الأعشى والكامل بعد هذه الكلمة : « وأنفى الشك » .

(١١) هذه الكلمة من الكامل .

(١٢) فى الكامل : « وإياك والغلق والضجر والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات ، فإن الحق فى مواطن الحق يعظم الله به الأجر » .

و بين الله ولو على نفسه يكفيه الله ما بينه و بين الناس ، ومن تزين للناس بما يعلم [الله] خلافه منه هتك الله ستره .

وممّا كتب به أيضا إلى أبي موسى يوصيه

وكتب عمر بن الخطّاب رضى الله عنه إلى أبي موسى الأشعرىّ : أما بعد فإن للناس نفرة عن سلطانهم ، فاحذر[1] أن تدركني وإيّاك عمياء مجهولة ، وضغائن محمولة ، وأهواء متّبعة ، ودنيا مؤثرة . أقم الحدود [واجلس للمظالم][2] ولو ساعة من النهار[3] ، وأخِف[4] الفسّاق واجعلهم يداً يداً ، ورجلاً رجلاً[5] وإذا كانت بين القبائل نائرة فنادَوا : يالَفلان ، فإنما تلك نجوى[6] من الشيطان فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا إلى أمر الله [عزّ وجل] ، وتكونَ دعواتُهم إلى الله والإسلام . واستدم النعمة بالشكر ، والطاعة بالتألّف ، والمقدرة [بالعفو] ، والنُّصرة بالتواضع والمحبّة للناس ، و بلغنى أن ضَبّة تنادى : ياَلضبّة . [وإنى][7] والله ما أعلم أن ضَبّة ساق الله بها خيراً قطّ[8] ، ولا صرف بها شرا . فإذا جاءك كتابى هذا ، فانْهَكْهم عقوبةً حتى يَفرَقوا[9] إن لم يفقهوا ، وألصق بغيلان ابن خَرشة مَنْ بينهم . وعُدْ مرضى المسلمين ، وأشهد جنائزهم ، و باشر أمورهم [بنفسك][7] ، وافتح لهم بابك ؛ فإنما أنت رجل منهم ، غيرَ أن الله قد جملك

---

(١) فى شرح نهج البلاغة والبيان والتبيين (ج ٢ ص ١٥٥) : « فأعوذ بالله » .

(٢) هذه العبارة فى شرح نهج البلاغة .

(٣) زيد فى شرح نهج البلاغة بعد هذه الكلمة : « وإذا عرض لك أمران أحدهما لله والاخر للدنيا فابدأ بعمل الاخرة ، فإن الدنيا تفنى والاخرة تبقى . وكن من مال الله عز وجل على حذر » .

(٤) فى شرح نهج البلاغة : « واجف » .

(٥) اجعلهم يدا يدا ورجلا رجلا ، أى فرق بينهم .

(٦) كذا فى شرح نهج البلاغة والبيان والتبيين . والذى فى الأصول وعيون الأخبار : « نخوة » وهو تحريف .

(٧) هذه الكلمة من شرح نهج البلاغة .

(٨) كذا فى ا وشرح نهج البلاغة والبيان والتبيين . والذى فى سائر الأصول : « والله ما علمت ساق الله بها ... الخ » .

(٩) كذا فى شرح نهج البلاغة والبيان والتبيين . والذى فى الأصول : « حتى يتفرقوا » . وهو تحريف .

أثقلهم حِمْلا . وقد بلغ أميرَ المؤمنين أنه فَشت لك ولأهل بيتك هَيْئة فى لِباسك ومَطْعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلُها ، فإياك يا عبدَ الله أن تكون كالبَهيمة[1] همُّها فى السِّمن والسِّمن حَتْفُها . واعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيّته ، وأشقى الناس من يشقى به الناس[2]]، والسلام .

بين عمرو بن العاص وعمر بن الخطاب فى الغزو فى البحر

أراد عمر بن الخطاب [رضى الله عنه] أن يغزوَ قوماً فى البحر ، فكتب إليه عمرو بنُ العاص ، وهو عامله على مصر : يا أمير المؤمنين ، إن البحر خَلْق عظيم يركبه خَلْق صغير ، دُود على عود . فقال عمر : لا سألنى الله عن أحد أحمله فيه .

بين الشعبى وشريح فى ترك الأخذ بالظواهر

الشّعْبيّ قال : كنت جالساً عند شُريح إذ دخلت عليه امرأة تشتكى زوجها وهو غائب ، وتبكى بكاء شديداً . فقلت : أصلحك الله ، ما أراها إلا مَظْلومة . قال : وما عَلّمك ؟ قالت : لبُكائها . قال : لا تفعل ، فإنّ إخوة يوسُفَ جاءوا آباهم عِشاء يبكون وهم له ظالمون[3] .

بين الحسن ابن أبى الحسن وإياس فى رد بعض الشهود

وكان الحسن بن أبى الحسن لا يرى أن يردّ شهادة رجل مُسلم إلا أن يُجرّحه المشهودُ عليه . فأقبل إليه رجل ، فقال : يا أبا سَعيد ، إن إياساً ردّ شهادتى . فقام معه الحسن إليه فقال : يا أبا واثلة[4] ، لم رَددتَ شهادة هذا المُسلم ، وقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، من صلّى صلاتنا واستقبل قبلتنا فهو المسلم ، له ما لنا وعليه ما علينا ؟ فقال : يا أبا سعيد ، إن الله [عز وجل] يقول : (مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء) . وهذا [ممن] لا يُرضَى .

(١) فى شرح نهج البلاغة وعيون الأخبار والبيان والتبيين : كالبهيمة التى مرت بواد خصيب فلم يكن لها هم إلا السمن . . . الخ » .

(٢) رواية شرح نهج البلاغة : « وأشقى الناس من شقيت به نفسه ورعيته » .

(٣) بين رواية الخبر هنا وروايته فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٦٦) خلاف فى بعض الألفاظ ، فارجع إليه .

(٤) كذا فى ا والمعارف لابن قتيبة . والذى فى سائر الأصول : « أبو رتيلة » . وهو تحريف .

عدل شريح القاضي مع ابن الأشعث

ودخل الأشعث بن قيس على شُريح القاضي في مجلس الحكومة فقال: مرحباً وأهلا بشَيْخنا وسيّدنا، وأجلسه معه. فبينما هو جالس عنده إذ دخل رجل يتظلَّم من الأشعث، فقال له شُرَيح: قُم فاجلس مجلس الخصْم وكلِّمْ صاحبك. قال: بل أكلِّمه من مَجْلسي. فقال له: لتقومَنَّ أو لآمرنّ مَن يُقيمك. فقال له الأشعث: لشدَّ ما ارتفعتَ! قال: [فهل] رأيت ذلك ضرّك؟ قال: لا. قال: فأراك تعرف نعمة الله على غيرك وتجهلها على نفسك.

حيلة إياس على وكيع بن أبي سود في رد شهادته

وأقبل وكيع بن أبي سُود[١] صاحبُ خُراسان ليشهدَ عند إياس بشَهادة، فقال: مرحباً وأهلا بأبي مُطرِّف[٢] وأجلسه معه، ثم قال له: ما جاء بك؟ قال: لأشهدَ لفلان. فقال: مالك وللشهادة، إنما يشهد المَوالى والتجّار والسُّوقة. قال: صدقت، وانصرف من عنده. فقيل له: خدعك، إنه لا يقبل شهادتك. قال: لو علمت ذلك لعلوتُه بالقَضيب.

قضاء شريح بين عدى بن أرطاة وامرأته

٣٥/١ دخل عَدِيّ بن أرطاة على شُرَيح، فقال: أين أنت أصلحك الله؟ قال: بينك وبين الحائط. قال: إنّى رجل من أهل الشام. قال: نائى الدار سحيق المَزار[٣]. قال: قد تزوّجت عندكم. قال: بالرِّفاء والبَنين. قال: ووُلد لى غلام. قال. ليَهْنِئْكَ الفارس. قال: وأردت أن ارحِّلها. قال: الرجل أحق بأهله. قال: وشَرطتُ لها دارَها، قال الشَّرْط أملك. قال فاحكم الآن بيننا. قال: قد فعلت. قال: على من قَضيت؟ قال: على ابن أمِّك. قال: بشهادة من؟ قال: بشهادة ابن أخت خالتك. يريد إقراره على نفسه[٤].

---

(١) كذا فى ا وعيون الأخبار: والذى فى سائر الأصول: «ابن أبى الأسود». وهو تحريف.

(٢) فى ا: «بأبى الطرف». وهو تحريف. (انظر تاريخ الطبرى).

(٣) كذا فى ا. والذى فى سائر الأصول: «نائى المحل سحيق الدار».

(٤) يوجد اختلاف فى رواية هذا الخبر بين ما هنا وما فى عيون الأخبار، فارجع إليه.

قضاؤه أيضاً فى ملكية سنور

سُفيان الثورىّ قال : جاء رجلٌ يُخاصم إلى شُريح فى سِنّور ، قال : بيِّنَتك . قال : ما أجد بيّنة فى سِنّور وُلدتْ عندنا . قال شُريح : فاذهبوا بها إلى أمّها فأَرْسِلوها ، فإن استقرّت واستمرّت ودرّت فهى سِنّورك ، وإن هى اقشعرّت وازبأرّت [وهرّت] (١) فليست بسنّورك .

فتياه فى شاة تأكل الدبى

سفيان الثورىّ قال : جاء رجل إلى شُريح فقال : ما تقول فى شاة (٢) تأكل الدَّبَى (٣) ؟ قال : لَبَن طيّب وعَلَف مجّان .

إجابته عن سؤال وجه إليه فى تفضيل بعض الأطعمة على بعض

[وقيل لشُريح : أيهما أطيب : الجَوْزِينق أو اللَّوْزِينق (٤) ؟ قال : لست أحكم على غائب] .

هجاء رجل للشعبى وقد قضى لامرأته عليه

ودخل رجل على الشَّعبى فى مجلس القضاء ومعه امرأته ، وهى من أجمل النساء ، فاختصما إليه ، فأدلت المرأة بحجتها وقرّبت (٥) بيّنتها . فقال [الشعبىّ] للزوج : هل عندك من مَدْفع ؟ فأنشأ يقول :

فُتِن الشَّعبىّ لمّا رفَع الطرفَ إليها
فتنَتْه بدَلالٍ وبخَطَّىْ حاجِبَيْها
قال للجِلْواز (٦) قرِّبْها وأَحْضِر شاهدَيْها
فقضَى جَوْراً على الخَصْمِ ولم يَقْضِ عليها (٧)

---

(١) ازبأرت : تنفشت حتى ظهرت أصول شعرها . وهرت : صوتت .
(٢) فى ا : « جاء رجل إلى شريح فخاصم فى شاة » .
(٣) الدبى : الجراد ، وقيل : صغاره .
(٤) الجوزينق : من الحلواء يعمل بدهن الجوز ، تعريب كوزينة . واللوزينق : من الحلواء أيضاً ، وشبه القطائف يعمل بدهن اللوز تعريب لوزينة . (عن الألفاظ الفارسية المعربة) .
(٥) فى ا : « وقويت » .
(٦) الجلواز : الشرطى .
(٧) ذكر الثعالبى هذه القصة فى التمثيل والمحاضرة ، ونسب الإبيات للمتوكل الليثى =

قال الشعبيّ : فدخلتُ على عبد الملك بن مَرْوان ، فلما نظر إلىّ تبسّم وقال :

فُتِن الشعبيُّ لما رفع الطرفَ إليها

ثم قال : ما فعلتَ بقائل هذه الأبيات ؟ قلت : أوجعتُه ضرباً يا أمير المؤمنين بما انتهك من حُرمتى فى مجلس الحُكومة ، وبما افترى به علىّ . قال : أحسنت[1] .

= وزاد عليها :

كيف لو أبصر منها نحرها أو ساعديها

لصبا حتى تراه ساجداً بين يديها

(١) ورد فى ا بعد هذه القصة : « تم الجزء الثانى من اللؤلؤة فى السلطان ولله المنة ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الفريدة فى الحروب ، وهو الجزء الثانى من قسمة خمسة وعشرين من قسمة المؤلف . والحمد لله أولا وآخرا ؛ وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم » .

فرش كتاب الحروب

قال [أبو عمر] أحمدُ بنُ محمد بنِ عبد ربِّه [رحمه الله] قد مضى قولُنا فى السلطان وتَعْظِيمه ، وما على الرعيّة من لزوم طاعته ، و إدامة نصيحته ؛ وما على السلطان من العَدْل فى رعيّته ، والرفق بأهل مملكته .

ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى الحروب ومَدار أمرها ، وقَوْد الجيوش وتدبيرها ، وما على المُدبِّر لها من إعمال الخُدْعة ، وانتهاز الفرصة ، والتماس الغِرّة وإذكاء العيون ، و إفشاء الطلائع ، واجتناب المَضايق ، والتحفُّظ من البَيات[1] . هذا بعد معرفة أحكامها ، و إحكام معرفتها ، وطول تجربته [لها و] لمقاساة الحروب ومُعاناة الجيوش ، وعِلْمه أن لا دِرْع كالصبر ، ولا حِصْن كاليقين . ثم نذكر كرمَ الإقدام[2] ، ومحمود عاقبته ، ولُؤمَ الفرار ، ومذموم مَغَبّته . والله المُعين .

صفة الحروب

الحربُ رَحًى ثِفالها[3] الصَّبْر ، وقُطْبها المَكْر ، ومَدارها الاجتهاد ، وثِقافها الأناة ، وزِمامها الحَذر . ولكل شىء من هذه ثَمرة ، فثَمرة الصبر التأييد ، وثمرة المكر الظفَر ، وثمرة الاجتهاد التوفيق ، وثمرة الأناة اليُمْن ، وثمرة الحَذر السلامة . ولكل مَقام مقال ، ولكل زمان رجال ، والحرب بين الناس سجال ، والرأى فيها أبلغ من القتال .

قال عمر بن الخطاب [رضى الله عنه] لعمرو بن معْديكرب : صِفْ لنا

(١) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « الدسيسات » .

(٢) كذا فى ا . والذى فى الأصول : « اليقين » . ولا يستقيم بها المعنى .

(٣) الثفال (ككتاب) : جلد أو نحوه يوضع تحت الرحى يقع عليه الدقيق .

لعمرو بن معديكرب فى وصف الحرب

الحرب، قال: مُرّة المَذاق، إذا كشفت[١] عن ساق، من صَبر فيها عُرِف، ومن نكَل عنها تلِف. ثم أنشأ يقول[٢]:

الحَرْب أوّل ما تكونُ فَتيّة تسعى بزينتها لكل جَهُولِ
٣٦/١ حتى إذا حَمِيت وشَبَّ ضِرامها عادت عجوزاً غَير ذات خليل[٣]
شمطاء جزَّت رأسها وتنكّرت مكروهةً للشَّمّ والتقبيل

لعنترة الفوارس فى ذلك

وقيل لعَنْترة الفوارس: صِفْ لنا الحرب. فقال: أوّلها شَكْوَى، وأوسطها نَجْوى، وآخرها بَلْوَى.

شعر للكميت فى ذلك

[وقال الكُمَيت:

والناسُ فى الحَرْب شتّى وهى مُقْبِلة ويَستوُون إذا ما أدبَر القُبُلُ
كلّ بأمْسِيّها طَبٌّ موليــةً والعالمون بذى غُدْوِيِّها قُلُل][٤]

شعر لنصر بن سيار فى صفة الحرب ومبتدأ أمرها

وقال نَصْر بن سيّار صاحبُ خراسان يصف الحرب ومُبتدأ أمرها:

أرى خَلَل الرَّماد وميضَ جَمْرٍ[٥] فيُوشك أن يكون له ضِرامُ
فإنّ النّار بالعُودين تُذكَى وإنّ الحربَ أوّلها الكلام
[فإنْ لم يُطفها عقلاء قَوْم يكون وَقُودَها جُثَثٌ وهَام][٦]
فقلت من التعجّب ليت شعرى أأيقاظ أُمَيّةُ أم نِيَــام

حكمة لسليمان بن داود فى الشر

وفى حكمة سُليمان بن داود عليهما السلام: الشرّ حُلو أوّله، مرٌّ آخره.

(١) فى ا: «شمرت».
(٢) فى عيون الأخبار: «وهى كما قال الشاعر». وقد نسب هذا الشعر فى العقد الثمين فى دواوين الشعراء الستة الجاهليين لامرئ القيس.
(٣) كذا فى ا. والذى فى سائر الأصول: «حليل» بالحاء المهملة.
(٤) كذا فى عيون الأخبار. والذى فى الأصول:

كل بأسمائها صب مولية والعاملون بذى عذريها قلل

وفيه على هذا الوجه تحريف ظاهر.
(٥) كذا فى ا وعيون الأخبار. والذى فى سائر الأصول: «نار».
(٦) هذا البيت من عيون الأخبار.

حكمة للعرب فى الحرب

[والعرب تقول : الحرب غَشوم ، لأنها تنال غيرَ الجانى] .

وقال حَبيب :

شعر لحبيب يصف الحرب

والحرب تركب رأسها فى مَشْهد عُدِل السَّفيهُ به بألف حَلِيمِ
فى ساعة لو أن لُقمانًا بها وهو الحكيم لكان غيرَ حَكِيم

وقال أكثم بن صَيْفِىّ حكيم العرب : لا حِلْمَ لمن لا سَفيه له[1] .

كلمة لأكثم بن صيفى

للأحنف بن قيس فى السفهاء

ونحو هذا قول الأحنف بن قيس : ما قلّ سفهاءُ قومٍ قط إلا ذلّوا .
وقال : لأن يُطيعنى سُفهاء قومى ، أحبّ إلىّ من أن يُطيعنى حلماؤهم .
وقال : أكرموا سفهاءكم ، فإنهم يَكْفُونكم النارَ والعارَ[2] .

وقال النابغة الجعدىّ :

بيت للنابغة الجعدى ودعوة النبى صلى الله عليه وسلم له

ولا خَيرَ فى حِلْمٍ إذا لم تكُن له بَوادِرُ تَحْمِى صَفْوَه أن يُكدَّرَا

وأنشد هذا الشعرَ للنبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فلما انتهى إلى هذا البيت ، قال له النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : لا يَفْضُض الله فاك . فعاش ثلاثين ومائة سنة لم تسقط له ثَنِيَّة .

للنابغة الذبيانى يصف الحرب وشرح لقوله

وقال النابغة الذُّبيانى[3] يصف الحرب :

تَبدو كواكبه والشمسُ طالعةٌ لا النورُ نُور ولا الإظلام إظلامُ

يريد بقوله :

* تبدو كواكبه والشمس طالعة *

شدةَ الهول والكرب ، كما تقول العامة : أريتُه النجوم وسط النهار .

قال الفرزدق :

---

(١) فى ا : « لا شفاعة له » . وهو تحريف .
(٢) نسب هذا الكلام فى زهر الآداب (ج ١ ص ٦٣) لعمرو بن العاص .
(٣) فى بعض الأصول : « أيضاً » مكان « الذبيانى » . والبيت للنابغة الذبيانى كما فى العقد الثمين (ص ٢٦) والشعر والشعراء (ص ٢٩) .

* أريكَ نجومَ الليل والشمسُ حيّةٌ *

وقال طَرَفة بن العَبْد :

* وتُريكَ النجمَ يجرى بالظُّهُر *

وإليه ذهب جرير فى قوله :

والشمسُ طالعة ليستْ بكاسفةٍ تبكى عليكَ نجومَ الليل والقمَرا

يقول : الشمس طالعة وليست بكاسفة نجومَ الليل ، لشدّة الغم والكرب الذى فيه الناس .

شعر للمؤلف فى صفة الحرب

ومن قولنا فى صفة الحرب :

ومُغْبَرّ السماء إذا تجلّى يُغادر أرضَه كالأُرْجُوان
سَمَوْتَ له بُسموّ النقْع فيه بكلّ مُذَلّق[1] سَلِبِ السِّنان
وكل مُشَطّب المَتْنين صافٍ كلَون المِلْح مُنْصلت يمانى[2]
كأنّ نهاره ظَلْماء لَيـلٍ كواكبُه من السُّمْر اللِّدان[3]

له أيضاً فى وصف المعترك

وفى صفة المعترك :

ومُعترك تَهُزّ به المَنـايا ذكورَ الهِنْد فى أيدى ذكور
لوامع يُبصر الأعمى سَنَاها ويَعمَى دونها طَرْف البصير
٣٧/١ وخافقة[4] الذوائب قد أنافتْ على حَمْراء ذاتِ شَباً طَرير
تُحوِّم حولها عُقبان موت تخطَّفت القلوبَ من الصدور
بيومٍ راح فى سِرْبال ليل فما عُرِف الأصيل من البُكور

(١) مذلق : محدد . وسلب : طويل .
(٢) مشطب : فيه طرائق . ومنصلت : صقيل ماض .
(٣) كذا فى ا . والسمر اللدان : الرماح اللينة . والذى فى سائر الأصول : «الشمس الذواقى» : وهو تحريف .
(٤) كذا فى ا واليتيمة . والذى فى سائر الأصول : «وفائقة» .

وعين الشمس ترنو فى قتام[١] رُنُوّ البِكْر من بيْن السُّتور
فكم قصّرتَ من عُمْر طويل به وأطلْتَ[٢] من عُمرٍ قصير

العمل فى الحروب

لأكثم فى صفة العمل فى الحرب

قيل لأكثم بن صَيْفِىّ : صِفْ لنا العمل فى الحرب . قال : أقِلّوا الخِلاَف على أمرائكم ، فلا جماعة لمن اختُلِف عليه . واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل ، فتثبّتوا ، فإن أحزم الفريقين الرّكين ، ورب عَجلة تُعقب ريثاً . وادّرعوا الليل ، فإنه أخفى للوَيْل ، وتحفّظوا من البَيات[٣] .

لشبيب الحرورى

وقال شَبِيب الحَرُورِىّ : الليلُ يكفيك الجبان ونِصْفَ الشجاع .

وكان إذا أمسى يقول لأصحابه : أتاكم المَدد [يعنى الليل][٤] .

لعائشة رضى الله عنها فى الصياح فى الحرب

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها يوم الجمل ، وسمعتْ مُنازعةَ أصحابها وكثرة صِياحهم : المُنازعة فى الحَرب خَوَر ، والصياح فيها فَشل ، وما بَرأْيى خرجت مع هؤلاء .

لعتبة بن ربيعة فى ذلك أيضا

وقال عُتبة بن رَبيعة[٥] لأصحابه يوم بَدْر لما رأى عسكر رسول الله صلّى الله عليه وسلم : أما تَرونهم خُرْسا لا يتكلّمون ، يتلمّظون تلمُّظ الحيّات[٦] .

لعلى فى النظر فى العواقب

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : مَن أكثر النظر فى العواقب ، لم يَشْجُع .

(١) كذا فى ا واليتيمة . والذى فى سائر الأصول : « فى قتام » وهو تحريف .
(٢) كذا فى ا واليتيمة . والذى فى سائر الأصول : « قصرن . . . وأطلن » .
(٣) فى رواية هذا الخبر اختلاف بين ما هنا وما فى عيون الأخبار ، فارجع إليه .
(٤) التكلة عن عيون الأخبار .
(٥) كذا فى ا وعيون الأخبار (ج ١ ص ١٠٨) . والذى فى سائر الأصول : « عتبة بن أبى ربيعة » . وهو تحريف .
(٦) تلمظت الحية : أخرجت لسانها . ورواية هذه العبارة فى عيون الأخبار : « ألا ترونهم جثيا على الركب كأنهم خرس يتلمظون تلمظ الحيات » .

النعمان بن مقرن ينصح جيشه

وقال النُّعمان بن مُقَرِّن لأصحابه عند لِقاء العدوّ : إنّى هازٌّ لكم الراية ، فليُصْلح كل رجل منكم من شأنه ، وليشُدَّ على نفسه وفرسه ؛ ثم إنى هازّها لكم الثانية ، فلينظر كل رجل منكم موقع سهمه ، وموضع عدوّه ، ومكان فُرْصته ثم إنّى هازّها لكم الثالثة وحاملٌ ، فاحملوا على اسم الله .

لعمر بن الخطاب فى النعمان بن مقرن

وللنُّعمان بن مُقرِّن هذا يقول عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه — إذ[1] تكاملت [عنده الحشُود] وتطلّع الصحابةُ إلى التقدّم عليها — : لأقلدنّ أعنّتها رجلاً يكون عدّاء لأوّل أسنّة يلقاها . فقلّدها النعمانَ بن مُقرِّن .

لعلى بن أبى طالب فى انتهاز الفرصة

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : انتهزوا الفُرْصة[2] ، فإنها تمرّ مَرّ السحاب ، ولا تطلبوا أثراً بعد عَيْن .

لبعض الحكماء

وقال بعضُ الحكماء : انتهز الفرصة ، فإنها خُلْسة ؛ وثِبْ عند رأس الأمر ، ولا تَثِب[3] عند ذَنَبه . و إياك والعَجْزَ ، فإنه أذلّ[4] مركب ؛ والشفيعَ المَهِين ، فإنه [والله] أضعف وسيلة .

لقتيبة بن مسلم فى وكيع بن أبى سود

[وخرجتْ خارجة بخراسان على قُتيبة بن مُسلم فأهمّه ذلك ، فقيل له : ما يُهمك منهم ! وَجِّهْ إليهم وكيعَ بن أبى سود[5] فإنه يَكْفيكم . فقال : لا ، إن وَكيعا رجل به كِبْر ، يحتقر أعداءه ، ومن كان هكذا قلّت مُبالاته بأعدائه فلم يحترس منهم ، فيَجِدُ عدوُّه غِرّة منه .

لبعض الملوك فى وثائق الحزم فى القتال

وسُئل بعضُ الملوك عن وثائق الحَزْم فى القِتال فقال : مُخاتلة العدوّ عن[6] الرِّيف ، و إعداد العيُون على الرصَد ، و إعطاء المُبلِّغين على الصِّدق ، ومُعاقبة

(١) فى الأصول : « إذا » . وهو تحريف .
(٢) فى ا : « هذه الفرص » .
(٣) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « وتثبت » . . . ولا تثبت » .
(٤) فى ا : « أوطأ » .
(٥) فى الأصول : « صرد » . والتصويب من عيون الأخبار (ج ١ ص ١١١) والكامل للمبرد .
(٦) كذا فى عيون الأخبار . والذى فى الأصول : « وعز » . وهو تحريف .

المتوصِّلين بالـكَذِب ، وألاّ تُخْرِج[1] هاربا إلى قِتال ، ولا تُضيِّق أمانا على مُستأمِن ، ولا تَشْدَهنَّك[2] الغنيمة عن المُحاذَرَة .

لحكيم فى أشد الأمور تدريبا للجند

وفى بعض كتب العجم : أنّ حكيما سُئل عن أشدّ الأمور تدريبا للجنود وشَحذاً لها ، فقال : تعوُّد القتال وكثرته[3] ، وأنْ يكون لها موادّ من ورائها[4]].

بين عمرو بن العاص ومعاوية

وقال عمرو بن العاص لمعاوية : والله ما أَدْرِى يا أمير المؤمنين أشجاعٌ أنتَ أم جَبان ؟ فقال معاوية :

شُجاعٌ إذا ما أمْـكَنتنِى فُرْصة　　وإن لم تَـكُنْ لى فُرْصة فجَبانُ

للأحنف فى تجنب الشر

وقال الأحنف بن قَيْس : إنْ رأيتَ الشّرّ يترُكُكَ إن تركتَه فاتْرُكه .

قال هُدْبة العُذْرىّ[5] :

شعر لهدبة العذرى فى ذلك

٣٨/١ ولا أتمنّى الشرّ والشرُّ تاركى　　ولـكنْ متى أُحْمَل على الشرّ أركبِ

ولست بمِفْراح إذا الدهرُ سرّنى　　ولا جازعٍ من صَرْفه المُتقلِّبِ

الصبر والإقدام فى الحرب

جمع الله تبارك وتعالى تدبير الحرب [كلها] فى آيتين من كتابه فقال تعالى : (يَأَيُّها الَّذِينَ آمنُوا إذَا لَقِيتُم فِئةً فاثبُتوا واذْكُروا اللهَ كَثيراً لعَلَّكُم تُفلِحُونَ. وأطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ ولا تنازَعوا فتَفْشَلوا وتَذْهبَ رِيحُكم واصْبِرُوا إنّ اللهَ معَ الصّابِرِينَ) .

---

(١) فى الأصول : « وتخرج » . والتصويب عن عيون الأخبار .

(٢) كذا ا فى عيون الأخبار . ولا تشدهنك : لا تدهشنك . والذى فى الأصول : « ولا تشرهك الغنيمة على . . الخ » . وهو تحريف .

(٣) رواية عيون الأخبار : « استعادة القتال وكثرة الظفر » .

(٤) زيد فى عيون الأخبار بعد هذه الكلمة : « وغنيمة فيما أمامها . ثم الإكرام للجيش بعضد الظفر ، والإبلاغ بالمجتهدين بعد المناصبة ، والتشريف للشجاع على رءوس الناس » .

(٥) نسب هذا الشعر فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٢٧٦) للبعيث ، كما نسب مرة أخرى فى (ص ٢٨١) لتأبط شرا .

للعرب فى الشجاعة والجبن

وتقول العرب : [إن] الشجاعة وِقاية ، والجُبنَ مَقْتَلة . واعتبر(١) [من] ذلك ، [أن من] يُقتل مُدْبِراً أكثرُ ممن يُقتل مُقْبِلاً ؟

ولذلك قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه لخالد بن الوليد : احرص على الموت توهبْ لك الحياة .

[والعرب تقول : الشجاع مُوقًّى ، والجبان مُلَقًّى .

وقال أعرابىّ : الله مُخْلِف ما أتلف الناس ، والدهر مُتلِف ما جمعوا ؛ وكم من مَنيَّة عِلَّتها طلبُ الحياة ، وحياةٍ سَببها التعرضُ للموت .

لخالد بن الوليد فى الصبر

وكان خالد بن الوليد يسير فى الصفوف يُذَمِّر(٢) الناس ويقول : يأهلَ الإسلام ، إنّ الصبر عزّ ، وإنّ الفَشل عَجْز ، وإن مع الصبر النَّصْر] .

لأنوشروان فى الشجاعة والسخاء

وكتب أنوشِرْوَان إلى مَرازِبته : عليكم بأهل الشجاعة والسَّخاء ، فإنهم أهل حُسْن الظنّ بالله .

للحكماء فى الإقدام

وقالت الحُكَماء : استقبال الموت خيرٌ من استدباره .

لبعض الشعراء فى ذلك

وقال حسَّان بن ثابت :

ولَسْنا على الأعقاب تَدْمَى كلومُنا ... ولكن على أقدامنا(٣) تَقْطر الدِّما

وقال العَلوىّ(٤) [فى هذا المعنى] :

مُحرَّمةٌ أكفالُ خَيْلى على القَنا ... ودامِيةٌ لَبَّاتُها ونُحورُها

حَرامٌ على أرماحنا طعَنُ مُدْبِر ... وتَغْرَق منها فى الصُّدور صُدُورها

(١) فى ا : « واختبر »

(٢) كذا فى عيون الأخبار . ويذمر الناس : يحضهم على القتال . والذى فى الأصول : « يزم » . وهو تحريف .

(٣) فى بعض الأصول : « أعقابنا » . وهو تحريف .

(٤) فى بعض النسخ : « العلولى » .

وكانوا يتمادحُون بالموت قَعْصا[١] ، ويتهاجَوْن[٢] بالمَوْت على الفراش ، ويقولون فيـه : مات فلان حَتْفَ أنفه . وأوّل مَن قال ذلك النبىّ عليه الصلاة والسلام .

من خطبة لابن الزبير بعد قتل أخيه مصعب

وخطب عبدُ الله بن الزُّبير الناسَ لمّا بلغه قَتْلُ مُصعب أخيه فقال : إنْ يُقتل فقد قُتِل أبوه وأخواه وعمّه . إنا والله لا نموت حَتْفا ، ولـكن نموت قَعْصا[٣] بأطراف الرماح ، وموتاً تحت ظلال السيوف . [وإن يُقتلْ مصعب فإنّ فى آل الزُّبير خَلَفاً منه] .

شعر فى الشجاعة

وقال السموأل [بن عادياء] :

ما مات منا سيّدٌ حتْفَ أنفِه[٤] ولا طُلّ منا حيثُ كان قتيلُ
تَسِيل على حَدّ الظُّبات نفوسُنا وليس على غير السُّيوف[٥] تَسِيل

وقال آخر :

وإنا لَتَستَحلى المَنـايا نفوسُنا ونترك أُخرى مُرّةً ما نَذوقُها[٦]

وقال الشَّنْفَرَى :

فلا تَدْفِنونى إنّ دَفْنى[٧] مُحرّم عليكم ولـكنْ خامِرى[٨] أمّ عامِرِ

---

(١) يقال : مات قعصا ، إذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه .
(٢) فى ا : « ويتشاتمون » .
(٣) فى بعض الأصول : « ولكن قطعا » .
(٤) كذا فى أكثر الأصول وشرح ديوان الحماسة والأمالى (ج ١ ص ٢٦٩) . والذى فى ا : « فى فراشه » مكان « حتف أنفه » .
(٥) فى ا : « الحديد » . والذى فى شرح ديوان الحماسة : « الظبات » .
(٦) كذا فى ا والأغانى (ج ٢١ ص ٢٠) . والذى فى سائر الأصول : « مرها فشدوفها » . وهو تحريف .
(٧) فى شرح ديوان الحماسة للتبريزى (ج ١ ص ٢٤٢ طبعة أوربة) : « لاتقبرونى إن قبرى » . وفى الأمالى (ج ٣ ص ٣٦ طبعة دار الكتب) : « لا تقتلونى إن قتلى » .
(٨) فى شرح ديوان الحماسة والأمالى : « أبشرى » .

إذا حملت رأسى[1] وفى الرأس أكْثَرِى   وغُودِر عند المُلتقَى ثَمَّ سائِرِى
هُنالك لا أبغِى[2] حياةً تَسُرّنى   سَجِيسَ[3] اللّيالى مُبْسَلاً[4] بالجرائر

قوله: خامرى أم عامر، هى الضّبُع. [يعنى بقوله: إذا قتلتمونى فلاتَدْفِنونى ولكن ألقونى إلى التى يقال لها: خامرى أم عامر، وهى الضّبع] وهذا اللفظ بعيد من المعنى.

لعلى بن أبى طالب وقد حذروه غدر أهل الشام به

[وقال أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام — وقيل له: أتقتلُ أهلَ الشام بالغَداة وتَظْهر بالعشىّ فى إزار ورِداء؟ — فقال: أبِالموت تُخوّفونى[5]! فوالله ما أُبالى أسقطتُ على الموت أم سَقط علىّ.

ما أوصى به ابنه الحسن

وقال لابنه الحسن عليهما السلام: لا تَدْعُونّ أحداً[6] إلى المُبارزة، وإن دُعيت إليها فأجِب، فإن الداعىَ إليها[7] باغٍ، والباغى مَصْروع].

وله فى الحث على الشجاعة

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه: بقيّة السيف أنمى[8] عددا، [وأطيب[9] ولداً]. يريد أن السيف إذا أسرع فى أهل بيت كثر عددهم، ونَمى ولدهم.

---

(١) فى ا: «احتملت». وفى عيون الأخبار (ج ٣ ص ٢٠٠): «هو ضربوا». وفى البخلاء: «إذا ضربوا».
(٢) فى شرح ديوان الحماسة: «لا أرجو».
(٣) كذا فى أكثر الأصول وشرح ديوان الحماسة ولسان العرب (مادة سجس). وسجيس الليالى، أى أبدا. والذى فى ا واللسان مادتى (بسل وسمر): «سمير». وسمير الليالى، أى آخرها.
(٤) كذا فى ا ولسان العرب. ومبسلا، أى مسلما. يقول: لا أرجو فى ذلك الوقت حياة سارة طول الليالى وأنا مسلم للأعداء بجرائرى فيكون سبب شماتتهم والذى فى سائر الاصول: «مبتلى».
(٥) فى الكامل للمبرد: «أتخوف».
(٦) فى الكامل للمبرد: «لا تبدأ بدعاء»
(٧) فى الكامل للمبرد: «فإن طالبها».
(٨) فى شرح نهج البلاغة: «أنقى».
(٩) فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ١٦٨): «وأكثر». وورد فيه بعد هذه العبارة ما نصه: «ووجد الناس ذلك بالعيان للذى صار إليه ولده من نهك السيف وكثرة =

٣٩/١ ومما يستدلّ به على صدق قوله(١): ما عمِل السيفُ فى آل الزُّبير، وآل أبى طالب، وما كَثَّر(٢) من عددهم.

وقال أبو دُلَف العِجْليّ:

شعر فى ذلك

إنّى امرؤ(٣) عوّدنى   مُهْرى رُكوبَ الغَلَسِ(٤)
يحمَدنى سَيْفى كما   يحمد كرّى فرَسى
سَيْفِى بليلى قَبَسى   وفى نهارى أنَسى

وقال محمد بن عبد الله بن طاهر صاحب خراسان:

لستُ لرَيْحان ولا راحٍ   ولا على الجار بنَبّاحٍ
فإنْ أردتَ الآن لى مَوقِفاً   فبَيْن أسيافٍ وأرماح
ترى فتًى تحت ظِلال القَنا   يَقْبِض أرواحًا بأرواح

وقال أشهب بن رُمَيلة:

أُسودُ شَرًى لاقتْ أسودَ خَفِيّةٍ   تَساقَوْا على حَرْدٍ دِماء الأساودِ(٥)

للمهلب بن أبى صفرة عن أعجب ما رأى فى حرب الأزارقة

وقيل للمُهلَّبِ بنِ أبى صُفْرة: ما أعجبُ ما رأيت فى حَرْب الأزارقة؟ قال: فتى كان يخرج إلينا منهم فى كل غَداة فيَقِف فيقول:

وسائلةٍ بالغَيْب عنّى ولو دَرتْ   مُقارَعتى الأبطال طال نَحيبُها
إذا ما التَقَيْنا كنتُ أولَ فارس   يجُود بنَفْس أثقلتها ذُنوبها

= الذرء وكرم النجل ».

(١) فى ا: « قولنا ». وهو تحريف.

(٢) فى بعض الأصول: « أكثر ».

(٣) فى بعض الأصول: « فتى ».

(٤) كذا فى ب. والذى فى ا: « الغبس». والغلس والغبس: ظلام آخر الليل. والذى فى سائر الأصول: « القبس ». وهو تحريف.

(٥) كذا فى ا والأمالى (ج ١ ص ٨) والكامل للمبرد (ص ٣٣) ولسان العرب (مادة حرد). والحرد: الغضب. والذى فى سائر الأصول:

* تلاقوا على حرد بماء الأساور *

وفيه تحريف ظاهر.

ثم يَحْمِل فلا يقوم له شىء إلا أقعده . فإذا كان من الغد عاد لمثل ذلك .

بين هشام بن عبد الملك وأخيه مسلمة

وقال هشام بن عبد الملك لأخيه مَسْلَمةَ : [يا أبا سَعيد] ، هل دخلك ذُعر قطُّ لحَرْب أو عدوّ ؟ قال : ما سَلِمت فى ذلك من ذُعر يُنَبِّه علىّ حِيَلى[١] ، ولم يَغْشنى ذُعر [قطُّ] سَلبنى رأيى . قال هشام : [صدقت] ، هذه والله البَسالة .

وصف عنترة لقومه يوم الفروق

وقيل لعَنْترة : كم كنتم يوم الفَرُوق[٢] ؟ قال : كنّا مائة ، لم نكثُر فنتّكِل[٣] ، ولم نَقِلّ فنذِلّ .

شعر كان يتمثل به يزيد بن المهلب

[وكان يَزيد بن المُهلّب يتمثّل كثيراً فى الحرب بقول حُصَين بن الحُمَام :

تأخّرت أستَبقى الحياة فلم أجِد لنفسى حياةً مثلَ أن أتقدّما[٤]

للخنساء فى ذلك

وقالت الخَنْساء :

نُهين النفُوس وبذل[٥] النفو س يومَ الكريهة أبقى[٦] لها]

لعباد بن الحصين

وقيل لعبّاد بن الحُصَين — وكان من أشد أهل البصرة — : فى أى عُدّة كنت تُريد أن تلقى عدوّك ؟ قال : فى أجَل مُستأخِر :

ما كان يتمثل به معاوية يوم صفين

وكان مما يتمثّل به مُعاوية [رضى الله عنه] يومَ صِفّين[٧] .

أبَتْ[٨] لى شِيمتى[٩] وأبَى بَلائى[١٠] وأخْذِى الحَمْدَ بالثَّمن الرَّبيح

(١) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول وعيون الأخبار (ج ١ ص ١٧٢) : « حيلة » .

(٢) الفروق : موضع بديار بنى سعد ، كان فيه يوم من أيام حروب عبس وذبيان .

(٣) فنتكل ، أى يتكل بعضنا على بعض . والذى فى الأصول : « فتتكل » . وظاهر أنها محرفة عما أثبتناه . والذى فى عيون الأخبار : « فنفشل » .

(٤) ذكر هذا البيت فى عيون الأخبار (ج ١ ص ١٢٥) على أنه ليزيد بن المهلب .

(٥) فى عيون الأخبار : « وهون » مكان قوله : « بذل » .

(٦) فى عيون الأخبار : « أوق » .

(٧) صفين : موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربى . وكان يوم صفين بين على بن أبى طالب ومعاية فى سنة ٣٧ فى غرة صفر .

(٨) هذا الشعر لعمرو بن الإطنابة .

(٩) فى عيون الأخبار : « عفتى » .

(١٠) كذا فى ا وعيون الأخبار . والذى فى سائر الأصول : « تلادى » .

وإقــدامى على المكروه نَفْسى ... وضَرْبى هامةَ البطَـل المُشِيح

وقولى كلّمـا جَشَأت وجاشت[١] ... مكانَكِ تُحمَدى أو تَستريحى

[لأدفعَ عن مآثر صالحات ... وأحمِى[٢] بعدُ عن عِرْضٍ صحيح]

شعر لقطرى بن الفجاءة فى تثبيت نفسه

و نظير هذا قولُ قَطَرِىّ بن الفُجَاءة :

وقولى كلّمـا جشأت لنفسى[٣] ... من الأبطال وَيْحك لا تُراعِى

فإنكِ لو سألتِ حيــاةَ يوم ... سِوَى[٤] الأجل الذى لكِ لم تُطاعى

شعر كان يقوله على بن أبى طالب فى صفين

وكان علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه يخرج كلّ يوم بِصِفّين حتى يقف بين الصفّين ويقول :

أىّ يومىّ من الموت أفِر ... يومَ لا يُقْـدَر أو يوم قُدِرْ

٤٠/١

يوم لا يُقْـدر لا أرهبُه ... ومن المَقْدور لا يُنجِى الحَذَر

شعر لجرير فى تهجين الجبن وما كان من أمره مع الحجاج

ومثله قول جرير :

قُل للجبَـان إذا تأخر سَرْجُه ... هل أنت من شَرَك المَنيّة ناجى

وهذا البيت فى شعره الذى أوله :

* هاج الهوى لفؤادك المُهتاج[٥] *

ومدح فيه الحجّاجَ ، فلما أنشده :

* قل للجَبان [إذا تأخر سَرْجه] *

---

(١) فى عيون الأخبار ولسان العرب (مادة جشأ) : « وقولى كلما جشأت نفسى » . وجشأت ، أى تطلعت ونهضت جزعا وكراهة .

(٢) كذا فى عيون الأخبار . والذى فى الأصول : « وأحيانا » .

(٣) فى عيون الأخبار : « وجاشت » .

(٤) فى ا : « بقاء يوم على ... الخ » .

(٥) كذا فى ديوان جرير (المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية برقم ١ أدب ش) والشعر والشعراء (ص ٢٨٨ طبعة أوربة) . والذى فى الأصول :

« هـذا الفراق لقلبك المحتاج »

وهو تحريف . والشطر الثانى من :

« فانظر بتوضح باكر الأحداج »

قال : جرأتَ علىّ الناسَ يابنَ اللّخناء . قال : والله ما ألقيتُ لها بالاً أيها الأمير إلا وَقتى هذا .

بين عاصم ابن الحدثان والفرزدق

وكان عاصم بن الحَدَثان عالماً ذكيًا وكان رأسَ الخوارج بالبصرة وربما جاءه الرسول [منهم][1] من الجزيرة[2] يسأله عن الأمر يختصمون فيه ، فمرَّ به الفرزدق ، فقال لابنه : أَنشِد أبا فِرَاس ، فأنشد :

وهمُ إذا كسروا الجفونَ أكارمٌ ... صُبُرٌ وحين تُحلّل الأزرارُ[3]
يغشَوْن حَوْماتِ[4] المَنُون وإنها ... فى الله عند نفوسهم لصِغَار
يمشون بالخطّىّ لا يثنيهمُ[5] ... والقومُ إذ ركبوا الرّماحَ تِجَار

فقال له الفرزدق : [ويحك !] اكتم هذا لا يسمعه النسّاجون فيخرجوا علينا بحفوفهم[6] . فقال أبوه[7] : [يا فرزدق] ، هو شاعر المؤمنين وأنت شاعر الكافرين] .

شعر لعنترة وغيره فى الشجاعة ونحوها

ونظير هذا مما يُشجِّع الجبان قولُ عَنْتَرة [الفوارس] :

بكرتْ تُخوِّفنى الحُتوف كأننى ... أصبحتُ عن غَرض الحُتوف بمَعْزِل
[فأجبتها إنّ المنيّة مَنْهلٌ ... لا بدّ أن أُسقَى بكأس المَنهل]
فاقْنَىْ حياءك لا أبالك واعلمى ... أنّى امرؤٌ سأموت إن لم أُقتَل

ومن أحسن ما قالوه فى الصبر قول نَهْشل بن حَرِّىّ[8] بن ضَمرة النهشلى :

---

(١) هذه الكلمة عن عيون الأخبار (ج ١ ص ٢٢٤) .
(٢) كذا فى عيون الأخبار . والذى فى الأصول : « الجبلة » .
(٣) الجفون : الأغماد . وكسر الجفون وحل الأزرار : كناية عن الاستعداد والنهوض للحرب .
(٤) كذا فى عيون الأخبار . والذى فى الأصول : « جامات » . وهو تحريف .
(٥) الخطى : الرماح .
(٦) كذا فى عيون الأخبار . والحفوف : جمع (بالفتح) ، وهو المنسج . والذى فى الأصول : « بسيوفهم » .
(٧) أبوه ، يريد عاصم بن الحدثان .
(٨) فى بعض الأصول : « جزى » . وهو تحريف . (انظر النقائض ص ٨١٠ والحماسة ص ١٨٩ والاشتقاق لابن دريد وعيون الأخبار والأمالى) . أما ضبطه فعن الأمالى .

ويومٍ كأنَّ المُصطَلِين بحَرِّه   وإن لم تكن نارٌ وقوفٌ[١] على جَمْرِ
صَـبرنا له حتى يَبُوخ[٢] وإنما   تُفَرَّج أيامُ الكريهة بالصبرِ

وأحسن من هذا [عندى] قولُ حَبيب :

فأثبتَ فى مُستنقَع الموت رجلَه   وقال لها من تحت إخمصِك الحَشْرُ
تَردَّى ثياب المَوْت حُمراً فما أتى   لها الليلُ إلا وهى من سُنْدس خُضْرُ

وأحسن من هذا قولُه :

يَستَعذِبون مَنـــايام كأنَّهمُ   لا يَخرُجون من الدُّنيا إذا قُتِلوا

وقولُه فى المعنى :

قومٌ إذا لَبِسوا الحديدَ حَسِبْتَهم   لم يَحْسبوا أن المنيَّة تُخْلَقُ
انظُر فحيث ترى السُّيوف لوَامعاً   أبداً ففوق رُءوسهـــم تتألَّق

وقال الجَحَّاب بن حَـكيم :

شَهِدْن مع النبيِّ مُسوَّماتٍ   حُنَيناً وهى دامِيةُ الحوامِى[٣]
ووَقْعةَ راهط شَهِدت وحَلَّتْ[٤]   سنَابِكُهن بالبَـــلد الحرام
نُعرِّض للطِّعان إذا التقينا[٥]   خُدوداً لا تُعرَّض للَّطام

أخذه من قولهم : ضَرْبة بسيف فى عزّ ، خَيرٌ من لَطْمة فى ذُل .

٤١/١ ومن أحسن ما وُصفت به رجال الحرب قولُ الشاعر[٦] :

(١) فى ا : « قعود » . وفى عيون الأخبار : « قيام » .

(٢) يبوخ : يسكن .

(٣) كذا فى الأصول . والحوامى : ميامن الحافر ومياسره . والذى فى السيرة لابن هشام (ج ٤ ص ٧٥ طبعة الحلبى) : الكلام ، والكلام : الجروح ؛ الواحد كلم .

(٤) فى السيرة :

* وغزوة خالد شهدت وجرت *

(٥) كذا فى ا والسيرة . والذى فى سائر الأصول : « بكل ثغر » مكان « إذا التقينا » .

(٦) الشاعر ، هو وداك بن ثُميل المازنى . (انظر شرح ديوان الحماسة للتبريزى) .

رويداً بنى شيبان[1] بعضَ وَعيدكم تُلاقُوا غداً خَيْلِى على سَفَوانِ[2]
تلاقُوا جِياداً[3] لا تَحِيد عن الوغَى إذا ما غَدت فى المأزق المُتدانى[4]
إذا استنجِدوا لم[5] يسألوا مَن دعاهم لأيةِ حرب أم بأى[6] مكان

ونظير هذا قولُ الآخر :

قومٌ إذا نزل[7] الغَريبُ بدارهم تركوه ربَّ صَواهِلٍ وقِيانِ
وإذا دعوتَهمُ ليــوم كَريهةٍ سَدُّوا شُعاعَ الشمس بالفُرسان
لاَ ينكتون[8] الأرضَ عند سُؤالهم لتطلُّب[9] العِــلاَّت بالعِيدان
بل يُسفرون[10] وجوهَهم فترى لها عنــد السؤال كأحسنِ الألوان

ومن أحسن المُحدَثين تشبيهاً فى الحرب، مُسلم بن الوليد الأنصارى فى قوله ليزيد بن مَزْيد :

تلقى المنيّة فى أمثال عُــدّتها كالسَّيل يَقذِف جُلمودا بجُلمودِ

(١) كذا فى أكثر الأصول وشرح ديوان الحماسة للتبريزى طبعة أوربة . وفى ا : « بنى سفيان » . وهو تحريف .
(٢) سفوان : ماء على أميال من البصرة ، وكانت بنو شيبان توعد تميما وتزعم أن سفوان لهم ، وأرادوا إجلاء بنى مازن عنه ومن كان معهم من بنى تميم .
(٣) كذا فى ا ، وشرح ديوان الحماسة : والذى فى سائر الأصول : « رجالا » .
(٤) كذا فى شرح ديوان الحماسة . والذى فى ا :

« إذا الخيل حلت فى القنا الميدان »

والذى فى سائر الأصول :

« إذا الخيل جالت فى قنا الميدان »

وهو تحريف .
(٥) فى الأصول : « لا » . والتصويب عن شرح ديوان الحماسة .
(٦) كذا فى شرح ديوان الحماسة . والذى فى الأصول : « أرض أو لأى » .
(٧) فى ا : « نظروا » .
(٨) فى عيون الأخبار (ج ٣ ص ١٥٢) : « لا ينقرون » .
(٩) فى عيون الأخبار : « لتلمس » .
(١٠) فى عيون الأخبار : « يبسطون » .

يَجود بالنَّفس إن ضَنّ[1] الجوادُ بها ... والجُود بالنفس أقصَى غايةِ الجود

وقوله أيضا :

مُوفٍ على مُهَجٍ فى يومِ ذى رهَجٍ ... كأنَّه أجَلٌ يَسْعَى إلى أمَلِ
ينَالُ بالرِّفْقِ ما تَعْيَا الرجالُ به ... كالموت مُستعْجلاً يأتِى علَى مَهَلِ

وقال أبو العتاهية[2] :

كأنك عند الكرّ[3] فى الحرب إنما ... تَفِرّ عن السِّلم[4] الذى من وَرائكا
كأنّ المنايا ليس تَجْرِى لدى الوَغَى ... إذا التقتِ الأبطالُ إلا برائكا
فما آفة الآجال غيرُك فى الوغَى ... وما آفة الأموال غيرُ حِبائكا[5]

[وقال زَيْد الخيل :

وقد علِمَتْ سلامة أنّ سَيْفِى ... كريهٌ كلما دُعِيتْ نَزالِ
أُحادثه[6] بصَقْلٍ كلَّ يوم ... وأعجُمه[7] بهامات الرجال

وقال أبو مُحلِّمٍ السَّعْدى[8] :

تقول وصكّت وجهها[9] بيَمينها ... أبعْلِىَ هــذا بالرَّحى المُتقاعِسُ[10]

---

(١) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « إذ شح الضنين » .

(٢) هذا الشعر قاله أبو العتاهية يمدح به يزيد بن مزيد الشيبانى . (انظر ديوان أبى العتاهية طبعة بيروت) .

(٣) كذا فى الديوان والذى فى سائر الأصول : « الكرب » .

(٤) كذا فى ا والديوان . والذى فى سائر الأصول : « الكرب » .

(٥) فى بعض الأصول : « إلا حباؤكا » . والتصويب عن الديوان .

(٦) أحادثه : أجلوه . (٧) أعجمه : أبلوه وأخبره .

(٨) أبو محلم ، هو محمد بن سعد ، وقيل محمد بن هشام بن عوف السعدى . وقد نسب هذا الشعر فى شرح ديوان الحماسة لهذلول بن كعب العنبرى . كما نسب فى الكامل للمبرد لأعرابى من بنى سعد بن زيد مناة ، وكان مملكا ، فنزل به أضياف فقام إلى الرحى فطحن لهم ، فرت به زوجته فى نسوة فقالت لهن : أهذا بعلى ؟ فأعلم بذلك ، فقال هذا الشعر . وفى الكامل بعد هذا ما نصه : « قال أبو الحسن أخبرنا به عن أبى محلم له ، يعنى السعدى » .

(٩) فى شرح ديوان الحماسة : « نحرها » . والذى فى الكامل : « صدرها » .

(١٠) المتقاعس : الذى دخل ظهره وخرج صدره . يقول : إن امرأتى حين رأتنى وأنا =

فقلتُ لها لا تَعْجَلى وتَبيّنى ... بلائى[1] إذا التفَّتْ علىَّ الفوارس
ألستُ أردّ القِرْنَ يركبُ رَدْعه[2] ... وفيه سِنانٌ ذو غِرارَين نائِس[3]
إذا هاب[4] أقوامٌ تَقحّمتُ[5] غمرةً ... يَهاب حُميّاها الألدّ المُداعِس[6]
لَعَمر أبيكِ الخيْرِ إنّى لخادِم ... لِضَيْفى وإنّى إن رَكِبْتُ لَفارِس

وقال آخر يمدح المُهلّب بالصبر:

وإذا جُدِدْتَ فكلُّ شىء نافعٌ ... وإذا حُدِدْتَ فكل شىء ضائرُ
وإذا أتاك مُهلّبى فى الوغَى ... فى كفّه سَيفٌ فنِعْم النّاصر]

ومن قولنا[7] فى القائد أبى العبّاس[8] فى الحرب:

نَفسى فِداؤك والأبطالُ واقفةٌ ... والموتُ يَقْسِم فى أرْواحها النِّقَما
٤٢/١ شاركتَ صَرْفَ المَنايا فى نُفوسهمُ ... حتى تَحكّمْتَ فيها مثلَ ما احتكما
لو تَستطيع العُلا جاءتك خاضعةً ... حتى تُقبِّل منك الكفَّ والقَدَما

ومن قولنا فى وَصْف الحرب:

سُيوف يَقيلُ المَوتُ تحت ظُباتها ... لها فى الكُلى طُعْمٌ وبين الكُلى شُرْبُ
إذا اصطفّت الرايات حُمْراً مُتونُها ... ذوائبُها تَهْفو فيَهْفو لها القَلْبُ

= أطحن بالرحى للأضياف ضربت وجهها بيمينها تأسفا منها أن أتولى عمل الرحى وأنا زوجها، وأنكرت منى هذا الفعل.

(١) فى شرح ديوان الحماسة: «فعالى».

(٢) يركب ردعه، أى يخر صريعا لوجهه. قال التبريزى: «ويجوز أن يكون المراد بالردع: ما تلطخ به من الدم».

(٣) كذا فى شرح الحماسة. والغرار: حد السيف. والنائس: المضطرب. والذى فى الأصول: «ذو عراقيب يابس». وهو تحريف.

(٤) فى شرح الحماسة: «خام». وخام: جبن.

(٥) كذا فى شرح ديوان الحماسة. والذى فى الكامل: «تجشمت هول ما». والذى فى الأصول: «تجشمت كلها». وهذه الأخيرة لا معنى لها.

(٦) حياها: شدتها. والألد: اللجوج الشديد الخصومة. والمداعس: المطاعن.

(٧) فى ا: «ونظير هذا من قولنا».

(٨) هو أحمد بن أبى عبدة. (انظر تاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ١٤١ طبعة بلاق).

ولم تَنْطِق الأبطال إلا بفِعْلها … فألْسُنها عُجْم وأفعالُها عُرْب
إذا ما التقَوْا فى مأزِق وتَعانقُوا … فلُقيام طَعْن وتَقْبيلهم[١] ضَرْب

ومن قولنا فى رجال الحرب ، وأن الوغى قد أخذت من أجسامهم فهى مثل السيوف فى رِقّتها وصَلابتها :

سَيْفٌ تَقَلَّدَ مثلَه … عَطْفَ[٢] القَضِيب على القَضِيبْ
هـذا تُجَزُّ به الرِّقا … بُ وذا تُجزّ به الُخطوب

ومن قولنا[٣] أيضاً :

تراه فى الوغَى سيفاً صَقيلا … يُقلِّب صَفْحتَىْ سيفٍ صَقيلِ

[ومن قولنا أيضاً :

سَيف عليه نِجادُ سيفٍ مثلِه … فى حَدِّه للمُفْسدين صَلاحُ]

ومن قولنا أيضا فى الحرب وذِكْر القائد[٤] :

مَقِيلك تحت أظلال العَوالى … ومَبِيتُك فوق صَهْواتِ[٥] الجياد
تَبخترُ فى قَمِيص من دِلَاص … وترفُل فى رِداء من نِجاد[٦]
كأنك للحُروب رَضِيعُ ثَدْى … غَذَتْك بكلّ داهيـة نآد[٧]
فكم هـذا التمنّى للمَنايا … وكم هذا التجلّد للجِلاد
لئن عُرِف الجهاد بكلّ عام … فإنك طولَ دهرِكَ فى جِهاد

---

(١) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « وتعنيقهم » والمعنى يستقيم عليه أيضاً .
(٢) فى ا : « عصب » . والمعنى يستقيم عليه أيضا .
(٣) فى ا : « ومثله » مكان قوله : « ومن قولنا » .
(٤) كذا فى ا ، ب . وهو أبو العباس أحمد بن أبى عبدة القائد ، الذى تقدم ذكره . والذى فى سائر الأصول : « القلائد » . وهو تحريف .
(٥) فى ا : « أقراء » . والمعنى يستقيم عليه أيضا . والأقراء : الظهور ؛ جمع : قرا .
(٦) الدلاص : الدرع ، الواحد والجمع فيه سواء .
(٧) كذا فى ب . والنآد : الداهية . وقد وردت هذه الكلمة مضطربة فى سائر الأصول .

وإنك حين أُبْتَ بكل سَعْدٍ   كَمِثْل الرُّوح آبَ إلى الفؤاد
رأينا السيفَ مُرتدياً بسَيْف   وعاينّا الجَوادَ على الجَواد

وقد وَصفنا الحرب بتَشْبيه عجيب لم يتُقدَّم إليه (١) ، ومعنى بديع لا نظير له ، وذلك قولُنا :

وجَيْشٍ كظَهْر اليَمّ تنفَحه الصَّبا   يَعُبّ عُبوباً من قَنًا وقَنابِلِ
فتنزل أُولاه وليس بنازل   وتَرْحل أُخراه وليس براحل
ومُعْتَرَكٍ ضَنْكٍ تعاطَتْ (٢) كُماتُه   كُؤوسَ دِماء (٣) من كُلًى ومَفاصل
يُدِيرونها راحاً من الرُّوح (٤) بينهم   بِبيضٍ رِقاقٍ أو بسُمْرٍ ذَوابل
وتُسْمِعهم أمُّ المنيّة وسْطَها   غِناء صَلِيل البِيض تحتَ المَناصل

ومن قولنا فى هذا المعنى :

سَيْفٌ من الحَتْف تَردَّى به   يومَ الوَغَى سيفٌ من الحَزْمِ
مُواصِلاً أعداءه عن قِلًى   لا صِلَةَ القُرْبى ولا الرَّحْم
وصْلٌ يحِنّ (٥) الإلْف من بُغضه   شَوْقاً إلى الهِجران والصَّرْم
حتى إذا نادمَهم سيفُه   بكلّ كأسٍ مُرَّةِ الطَّعم ٤٣/١
تَرى حُمَيّاها بهاماتهم   تَفُور بين الجِلْد والعَظْمْ
على أهازِيجِ ظُبَا بينها   ما شِئْتَ من حَذف (٦) ومن خَرْم
طاعُوا له من بعد عِصْيانهم   وطاعةُ الأعداء عن رَغْم

(١) كذا فى ا ، ب . والذى فى سائر الاصول : « عليه » .
(٢) فى يتيمة الدهر للثعالبى (ج ٢ ص ٦٦ طبع مطبعة الصاوى) : « تساقت » .
(٣) فى يتيمة الدهر : « المنايا » .
(٤) كذا فى ا واليتيمة . يريد أن هذه الخمر من أرواح القتلى . والذى فى سائر الأصول : « من الراح » .
(٥) كذا فى ا ، ب والذى فى سائر الأصول : « يخفى » . وهو تحريف .
(٦) كذا فى ا ، ب . والحذف فى العروض : سقوط سبب خفيف فى آخر الجزء . والخرم : ذهاب الفاء من فعولن أو الميم من مفاعلتن . والكلام هنا على سبيل الاستعارة . والذى فى سائر الأصول : « طرق » . وهو تحريف .

وكم أعدّوا واستعدّوا له ... هَيهات ليس الخَضْمُ كالقَضْمِ (١)

ومن قولنا [فى شِبْهِه] :

كم ألحمَ السيفَ فى أبناء مَلْحمة ... ما منهمُ فوق مَتْنِ (٢) الأرضِ ديّارُ
وأورد النارَ من أرواح مارقةٍ (٣) ... كادت تَميَّزُ من غَيْظٍ لها النار
كأنما صَال فى ثِنْيَيْ مُفاضَتِه (٤) ... مُستأسِدٌ حَنِق الأحشاء هَدّار
لما رأى الفِتْنةَ العَمْياء قد رحُبت (٥) ... منها على النـاس آفاق وأقطار
وأطْبقت ظُلَمَ من فوقها ظُلَمٌ ... ما يُستضاء بها نُور ولا نار
قاد الجيادَ إلى الأعداء سَارِيةً ... قُبّاً (٦) طواها كطَى العَصْبِ إضْمار
مَلْمومة تَتَبارَى فى مُلَمْلَمَة (٧) ... كأنها لاعْتدال الخَلْق أفهار (٨)
تَزْوَرّ عند احتماس الطّعن أعينُها ... وهُنّ من فُرُجات النقْع نُظّار
تَفُوت بالثأر (٩) أقواماً وتُدْرِكه ... من آخرين إذا لم يُدْرَك الثار (١٠)
فانْساب (١١) ناصرُ دين الله يقدُمُهم ... وحوله من جُنود الله أنصار

(١) الخضم : الأكل بأقصى الأضراس . والقضم : الأكل بأطراف الأسنان .
(٢) فى ا واليتيمة : « ظهر » .
(٣) كذا فى أكثر الأصول . والمارقة : الخارجون عن الجماعة . والذى فى اليتيمة : « بارقة » . وهو تحريف . ورواية هذا الشطر فى ا :

* وأورد الناس من أرواح صارمة *

وهو تحريف أيضا .
(٤) المفاضة : الدرع الواسعة .
(٥) رحبت الفتنة ، أى اتسعت وعمت . وفى اليتيمة : « دخنت » . وهو تحريف .
(٦) كذا فى اليتيمة . والقب : الضوامر البطون ؛ الواحد : أقب . والذى فى الأصول : « قنا » . وهو تصحيف .
(٧) الململمة : المجتمعة ؛ يريد الكتيبة .
(٨) كذا فى أكثر الأصول . والأفهار : حجارة يدق بها الطيب ؛ الواحد : فهر . والذى فى ا : « أنهار » . والذى فى اليتيمة « أقمار » وكلا اللفظين محرف .
(٩) كذا فى ا واليتيمة . والذى فى سائر الأصول : « بالطعن » .
(١٠) يريد أن تلك الخيل تفوت من طلبها بالثأر فلا يقدر عليها لسرعتها ، كما أنها تلحق من يريد أن يفوتها فتدرك ثأرها منه .
(١١) فى ا واليتيمة : « فانصاع » .

كتائبُ تتبارى حول رايته ... وجحفل كسواد الليل جرّار

قومٌ لهم فى مَكَرّ الليل غمغمةٌ[١] ... تحت العجاج وإقبال وإدبار

يستقدمون[٢] كَرَاديساً[٣] مُكَرْدَسَة ... كما تَدَفّعَ[٤] بالتيّار تيّار

مِن كلّ أروعَ لا يَرْعَى لهاجسةٍ[٥] ... كأنه مُخْدِرٌ فى الفِيل هَصّار[٦]

فى قَسْطَل من عَجاج الحرْب[٧] مُدّ له ... بين السماء وبين الأرض أستارُ

فكم بساحتهم من شِلْو مُصَرَّحٍ ... كأنه فوق ظهر الأرض إجّار[٨]

كأنما رأسُـه أفلاق حَنْظَلَة ... وساعِداه إلى الزّنْدين جُمّار

وكَم على النهر أوصالاً مُقسّمةً[٩] ... تَقَسّمتها المَنايا فهى أشطار

قد فُلِّقَتْ بصَفيح[١٠] الهند هامُهُمُ ... فهُنّ بين حَوامِى[١١] الخَيل أعشار

ومن قولنا فى الحروب :

وحَوْمةٍ غادرتَ فُرسانَهـا ... فى مَبْرَكٍ للحرب جَعْجاعِ[١٢]

---

(١) فى ا : « معمعة » .
(٢) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « يستقبلون » . ومؤدى الروايتين مختلف .
(٣) كراديسا ، أى جماعات عظيمة من الخيل ؛ الواحدة : كردوسة (بضم الكاف) .
(٤) فى ا : « تدافع » وهما بمعنى .
(٥) فى ا : « لفاحشة » .
(٦) كذا فى ب . والمخدر (بكسر الدال وفتحها) : الأسد الملازم خدره ، أى أجمته . والهصار : من الهصر ، وهو الكسر والدق . والذى فى سائر الأصول : « كأنه مخدر فى الخيل . . . الخ » . وفيه تحريف ظاهر .
(٧) فى ا : « الخيل » والمعنى يستقيم عليه أتضاً . والقسطل : الغبار الساطع فى الحرب .
(٨) الإجار : السطح ، كالإنجار (بالنون) ، وهى لغة أهل الشام والحجاز . يريد أن ذلك الشلو قد سوى بالأرض فصار كالسطح على سطحها .
(٩) فى بعض الأصول : « مفرقة) .
(١٠) فى ا : « بسيوف » .
(١١) الحوامى : ميامن الحافر ومياسره . يريد تشبيه هامات القتلى بجزور الميسر ، أى إنها مقسمة بين جوافر الخيل .
(١٢) الجعجاع : الموضع الضيق الخشن .

مُسْتَلْحَم بالمـــوت مُسْتَشْعِرٍ[١] ... مُفرِّق للشَّمْل جَمَّـــاع

وبلدة صَحْصَحْتَ منها[٢] الرُّبا ... بفَيْــلق كالسَّـــيل دفّاع

كأنما باضت نَعامُ الفَـــــلا ... منهــم بهــامٍ فوق أدْراع

تَرامُ عنـــد احتِماس الوغى ... كأنهــم جِنــةٌ بأجْرَاع[٣]

بكلّ مَأْثور على مَتْــــنه ... مثلُ مَدَبِّ النَّمْـــل فى القَاع[٤]

يرتدّ طرفُ العَيْن من حَدِّه ... عن كــوكب للموت لمَّاع

٤٤/١ ومن قولنا فى الحرب :

ورُبَّ ملتفَّـــــــة العَوالِى ... يلتمع المـــوت فى ذُراها

إذا تَوطّت[٥] حُزُونَ أرضٍ ... طَحطحتِ[٦] الشُّمَّ من رُباها

يَقُودها منــــه ليثُ غابٍ ... إذا رأى فُرصـــة قضَاها

تَمْضى بآرائه سُـــيوف ... يَستبق المـــوتُ فى ظُباها

بِيضٌ تَحُلُّ[٧] القلوبَ سُوداً ... إذا انقضَى عَزْمُـــه انتضَاها

تَتْبعه[٨] الطيرُ فى الأعادى ... تَجْنى كَلا[٩] العُشب[١٠] من كُلاها

أقْدَمَ إذ كاع[١١] كلُّ ليثٍ ... عن حَوْمة المـــوت إذ رآها

(١) كذا فى ا . والذى فى بقية الأصول : « مستعر » . وهو تحريف .
(٢) صحصحت منها الربا ، أى جعلت مرتفعاتها صحصحا ، وهو ما استوى من الأرض ، كالصحصاح .
(٣) الأجراع : الأرض ذات الحزونة ؛ وقيل : هى الرمال السهلة المستوية .
(٤) المأثور : السيف الذى فى متنه أثر ، وهو فرنده . والقاع : الأرض السهلة .
(٥) توطت : أصله توطأت .
(٦) كذا فى أكثر الأصول . وطحطحت الشم من رباها . أى كسرتها ودققتها والذى فى ا : « صحصحت » . والمعنى يستقيم عليه أيضا .
(٧) فى الأصول : « تحلى » .
(٨) فى ا : « تتبعها » .
(٩) كلا العشب ، يريد : كلأ العشب ، فسهل .
(١٠) فى ا ، ب « العيش » . وهو تحريف .
(١١) كذا فى ا . وكاع : جبن . والذى فى سائر الأصول : «كسع » . وهو تحريف .

فأقْحَمَ الخَيْلَ(١) فى غِمَار ... تفغر بالمــــوت لَهَوَاتَها(٢)

عَنَت له أوجُـــهُ المنَايا ... فعافَهَا القـــومُ واشتهاها

فرسان العرب فى الجاهلية والإسلام

ربيعة بن مكدم وشعر حسان فيه

كان فارسُ العرب فى الجاهليّة رَبيعة بن مُكَدَّم ؛ من بنى فِراس بن غَنْم ابن مالك بن كِنَانة ، وكان يُعْقَر على قبره فى الجاهلية ، ولم يُعْقَر على قبر أحد غيره .

وقال حسّان بن ثابت(٣) وقد مَرَّ على قبره :

نَفَرتْ قَلُوصِى من حِجَارة حَرَّةٍ ... بُنِيت على طَلْق اليديْن وَهُوبِ

لا تَنفِرى يا ناقُ منــــه فإنّه ... شِرِّيبُ خَمْرٍ مِسْعَرٌ لِحُروب

لولا السِّفار وطُول قَفْرٍ مَهْمَهٍ ... لتركتُها تَحْبُو على العُرْقوب

بنو فراس بن غنم وكلمة لعلى بن أبى طالب فيهم

وكان بنو فِراس بن غَنْم بن كِنانة أنجدَ العرب ، كان الرجل منهم يُعْدل بعشرة من غيرهم . وفيهم يقول علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه لأهل الكوفة : من فاز بكم فقد فاز بالسهم الأخْيب . أبْدلكم الله بى مَن هو شرٌّ لكم ، وأبدلنى بكم مَن هو خير منكم . وَدِدْت والله أنّ لى بجميعكم — وأنتم مائة ألف — ثلثمائة من بنى فراس بن غَنْم(٤) .

---

(١) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « الموت » . وهو خطأ من الناسخ .

(٢) استعمل اللهوة (هنا) بمعنى اللهاة . وهو خطأ . إذ اللهوة (بضم اللام وفتحها) : ما يوضع فى فم الوحى . ولا يستقيم بها المعنى هنا .

(٣) نسب هذا الشعر إلى حفص بن الأخيف ؛ وقيل : الصحيح أن هذه الأبيات لعمرو بن شقيق ، أحد بنى فهر بن مالك . ومن الناس من يرويها لكرز بن حفص ابن الأخيف ، وعمرو بن شقيق أولى بها . (انظر بلوغ الأرب ج ٢ ص ١٢٥ طبعة المطبعة الرحمانية) . ولم نجد هذا الشعر فى ديوان حسان .

(٤) زيد فى بلوغ الأرب بعد هذا :

هنالك لو دعوت أتاك منهم ... فوارس مثل أرمية الحميم

[والأرمية : السحاب العظيم القطر . والحميم : مطر الصيف . وهذا البيت لأبى جندب الهذلى] .

طائفة من فرسان العرب فى الجاهلية والإسلام

ومن فُرْسان العرب فى الجاهلية : عَنترة الفوارس ، وعُتيبة بن الحارث ابن شهاب ، وأبو بَراء عامر(١) بن مالك مُلاعب الأسنة ، وزيد الخيل ، وبِسْطام بن قيس ، والأحَيمر السعدى ، وعامر بن الطُّفيل ، وعمرو بن عبد وُدّ ، وعمرو ابن مَعْدِيكرب.

وفى الإسلام : [أميرُ المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، [والزبير] ، وطلحة ، ورجال الأنصار] ، وعبدُ الله بن خازم السُّلَمى ، وعبّاد بن الحُصين ، وعُمَيْر بن الحُبَاب ، وقَطرىّ بن الفُجاءة ، والحَرِيش بن هِلال السَّعْدِىّ ، وشَبِيب الحَرورىّ .

كلام العرب فى بعض فرسانهم

وقالوا : ما استحيا شجاعٌ قطّ أن يَفِرّ من عبد الله بن حازم ، وقَطرى بن الفُجاءة صاحبِ الأزارقة .

وقالوا : ذهب حاتم بالسخاء ، والأَحنف [بن قيس] بالحِلْم ، وخُرَيم بالنِّعمة ، وعُمَيْر بن الحُبَاب بالشدة(٢) .

قصة لعبد الله بن خازم فى حضرة عبيد الله بن زياد

وبينا عبد الله بن خازم عند عُبيد الله بن زِياد إذ دُخل [عليه] بجُرَذ(٣) أبيض . فعَجِب منه عُبيد الله وقال : هل رأيت يا أبا صالح أعجبَ من هذا ؟ ونظَر إليه . فإذا عبدُ الله قد تضاءل حتى صار كأنه فَرْخ ، واصفرّ كأنه جرادة ذَكَر . فقال عُبيد الله : أبو صالح يَعصى الرحمن ، ويتهاون بالسلطان(٤) ، ويقبض على الثعبان ، ويمشى إلى الليث [الوَرْد(٥) ، و] يلقَى الرِّماح بنَحْره ، وقد اعتراه من جُرَذ ما ترَوْن ، أشهد أن الله على كل شىء قدير .

شىء عن شجاعة شبيب الحرورى

وكان شَبيب الحَرورىّ يَصِيح فى جَنَبات الجَيْش ، فلا يُلْوِى أحد على

(١) فى بعض الأصول هنا : عمرو » . وهو تحريف .

(٢) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « بالسر » . وما أثبتناه أولى بالسياق .

(٣) كذا فى عيون الأخبار والذى فى الأصول : « جراد » . وهو تحريف .

(٤) فى عيون الأخبار (ج ١ ص ١٦٨) : « بالشيطان » . وهو تحريف .

(٥) هذه الكلمة من عيون الأخبار .

أحد . وفيه يقول الشاعر :

إن صاح يوماً حسبتَ الصخرَ مُنحدراً والريحَ عاصفـــةً والموجَ يلتطمُ

٤٥/١ ولما قُتِل أمرُ الحجاجُ بشقّ صدره ، فإذا له فؤاد مثل فؤاد الجَمل . فكانوا إذا ضربوا به الأرض ينزو كما تنزو المَثانة المَنْوخة .

كلمة لابن عباس فى شجاعة الأنصار

ورجالُ الأنصار أشجع الناس . قال عبدُ الله بن عبّاس : ما استُلّت السيوف ، ولا زَحفت الزُّحوف ، ولا أُقيمت الصفوف ، حتى أسلم ابنا قَيْـلة . يعنى الأوسَ والخزرج . وهما الأنصار من بنى عمرو بن عامر ، من الأزد .

شعر لأبى براء وقد أسن

العُتبىّ قال : لما أسنّ أبو بَراء عامرُ بنُ مالك ، وضَعّفه بنو أخيه وخرّفوه ، ولم يكن له ولد يحميه ، أنشأ يقول :

دفعتُـكُمُ عنّى وما دَفْعُ راحةٍ بشىء إذا لم تَستَعِنْ بالأَنامِلِ

يُضعّفنى حِلْمى وكثرةُ جَهْلكم علىّ وأنى لا أصـول بجاهل

لعلى بن أبى طالب فى همدان بن صفين

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه[1] ، إذ رأى هَمْدان وغناءها فى الحرب يوم صِفّين :

ناديتُ هَمْدان[2] والأبوابُ مُغلقة[3] ومِثلُ هَمْدان سَنّى[4] فَتْحةَ البابِ

كالهُندوانى لم تُفْلَلْ مَضاربُه وجه جميل وقَلْب غيرُ وَجّاب

شعر لابن براقة الهمدانى

وقال ابن بَرّاقة الهَمْدانى[5] :

---

(١) فى ا : « وكان أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام يقول » والذى فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٩٢) : « وقال آخر » ولم ينسب البيتين .

(٢) فى البيان والتبيين : « هيذان » . وهو تحريف .

(٣) كذا فى ا والبيان . والذى فى الأصول : « مطبقه » .

(٤) سنى : فتح .

(٥) كذا فى أكثر الأصول والكامل . والذى فى ا : « وقال » بدون ذكر اسم الشاعر . وقد جاءت هذه الأبيات فى عيون الأخبار منسوبة لمالك بن خريم ، وزيد فيها قبل البيت الأخير :

ومن يطلب المال الممتع بالقنا يعش مثريا أو تخترمه المخارم

كَذَبتم وبيتِ الله لا تأخذونها مُراغمةً ما دام للسيف قائم
متى تجمع القلبَ الذكىّ وصارمًا وأنفًا حَمِيًّا تَجتنبْك المظالم
وكنتُ إذا قوم غَزَوْنى غزوتُهم فهل أنا فى ذا يالَهَمْدان ظالم

لتأبط شرا فى وصف شجاع

وقال تأبّط شرًّا :

قَليلُ التَّشَكّى للمُهِمّ يُصيبه كثيرُ الهَوى(١) شتَّى النَّوى والمَسالك
يَبيت بمَوْماة ويُضْحى بغيرها جَحيشا ويَعْرورى ظُهورَ المهالك(٢)
إذا حاص(٣) عينَيْه كَرَى النوم لم يَزَل له كالئ من قَلْبٍ شَيْحان(٤) فاتك
ويَجعل عينَيْه ربيئةَ قَلْبه إلى سَلّةٍ من حَدِّ أخلقَ باتك(٥)
إذا هزّه فى عَظْم قِرْنٍ تهلَّلت نَواجذُ أفواه المَنايا الضَّواحك

لأبى سعيد المخزومى

وقال [أبو سَعيد] المَخْزومى ، وكان شجاعاً :

وما يريد بنو الأغبار(٦) من رجلٍ بالجمر مُكْتحلٍ بالنَّبْل مُشْتَمِلِ
لا يشرب الماء إلا من قَليب دمٍ ولا يَبيت له جارٌ على وَجَل

لبشار فى هذا المعنى

ونظير هذا قول بشّار العُقَيلى :

فَتًى لا يَبيت على دِمْنة(٧) ولا يشرب الماءَ إلا بِدَم

بين عبد الله بن الزبير والأشتر

وقال عبد الله بن الزبير : التقيتُ بالأشتر النَّخَعى يوم الجمل فما ضربتُه ضربةً

(١) كثير الهوى ، أى متعدد المقاصد .
(٢) فى شرح ديوان الحماسة : « يظل ... ويمسى » . والموماة : المفازة لاماء فيها . وجحيشا ، أى منفردا . ويعرورى ، أى يركب ؛ وأصله من اعرورى الدابة ، إذا ركبها عارية الظهر .
(٣) كذا فى ا وشرح ديوان الحماسة . والذى فى سائر الأصول : « خاط » . وهما بمعنى .
(٤) الشيحان : الحازم .
(٥) الربيئة : الرقيب . والسلة : المرة ، من سل السل السيف ، إذا جرده . والأخلق : الأملس . والباتك : القاطع .
(٦) الأغبار ، إما جمع غبر (بالضم) وهو بقية الحيض . فإنه من صفات الذم عندهم أن تحمل المرأة بالولد فى آخر ليلة من ليالى الحيض . أو جمع غبر (بالكسر) وهو الحقد . والذى فى الأصول : « أغيار » بالمثناة التحتية . ولم نجد من معانيه ما يناسب السياق .
(٧) لايبيت على دمنة ، أى لا يبيت على حقد ، بل يعجل بأخذ ثأره شفاء لحقده .

حتى ضربنى خمساً أو ستًا ، ثم أخذ برجلى فألقانى فى الخندق وقال : والله لولا قرابتُك من رسول الله صلّى الله عليه وسلم ما اجتمع منك عضو إلى آخر

ما كان من عائشة إذ بشرت بحياة ابن الزبير يوم الجمل

وقال أبو بكر بن أبى شَيْبة : أعطتْ عائشة رضى الله عنها الذى بشَّرها بحياة ابن الزُّبير ، إذ ألتقى مع الأَشْتَر ، عشرةَ آلاف درهم .

وصف متمم بن نويرة لأخيه مالك بالجلد

وذكر مُتمِّم بن نُويرة أخاه مالـكا وجَلَده ، فقال : كان يخرج فى الليلة الصِّنَّبْر[1] ، عليه الشَّملة الفَلوت[2] ، بين المَزادتين على الجمل الثِّفال[3] . مُعْتقِلَ الرُّمْح الخطِّىِّ[4] . قالوا : وأبيك إن هذا لهو الجلْد .

من عمر بن الخطاب إلى النعمان بن مقرن يشير عليه فى بعض أمور الحرب

وكتب عمر بن الخطّاب إلى النعمان بن مُقَرِّن وهو على الصَّائفة : أن استعن فى حربك بعمرو بن معديكرب ، وطُليحة الأزدى ، ولا تُولِّهما من الأمر شيئاً ، فإنّ كلّ صانع أعلمُ بصناعته .

لعمرو بن معديكرب يصف صبره وجلده فى الحرب

٤٦/١ وقال عمرو بن مَعْدِيكرب يصف صَبره وجَلَده فى الحرب :

أعاذِل عُدّتى[5] بَزِّى[6] ورُمحى　　وكُلُّ مُقلِّص[7] سَلِس القِيـادِ
أعاذِل إنمـــا أفنَى شَبابى　　إجابتىَ الصَّريخ[8] إلى المُنـادى
مع الأبطال حتى سَـلّ جِسْمى　　وأقْرح[9] عاتقى حَمْـلُ النِّجادِ

(١) الصنبر : الشديدة البرد .

(٢) الفلوت : التى لا تكاد تثبت على لابسها لأنها صغيرة أو ضيقة لا ينضم طرفاها ، فهى تنفلت عنه كل ساعة .

(٣) الثفال : البطىء .

(٤) الخطى : منسوب إلى الخط ، وهى بلدة بالبحرين ينسب إليها أجود الرماح . وقد ورد هذا الحديث مع اختلاف يسير فى عيون الأخبار (ج ٤ ص ٣١) لمتمم يصف به نفسه لعمر بن الخطاب .

(٥) فى عيون الأخبار والأغانى : « شكتى » . ومؤدى الروايتين واحد .

(٦) فى الأغانى : « بدنى » . وهو تحريف .

(٧) المقلص : الفرس الطويل القوائم المشرف المشمر .

(٨) فى عيون الأخبار : « ركوبى فى الصريخ » . وعليه يكون معنى الصريخ : المستغاث به .

(٩) فى ا : « وأثقل » : والمعنى يستقيم عليه أيضا .

ويَبقى بعد حِلْم القوم حِلْمى — ويَفْنى قبل زاد القوم زادى
ومن عَجب عَجِبتُ له حَديثٌ — بَديع ليس من بِدْع السَّداد
تَمنَّى أن يُلاقينى أُبَىٌّ[1] — وَدِدت وأينما منِّى وِدادى
تَمنَّانى وسابِغَتى قَميصى — كأنَّ قَتيرها[2] حَدَق الجراد
وسَيْف من لَدُن كنعان عِنْدى — تُخُيِّر نَصْلُه من عهد عاد
فلو لاقيتَنى للقيتَ لَيثًا — هَصُوراً ذا ظُبًا وشَبًا حِداد
ولاستيقنتَ أنَّ الموت حَق — وصَرَّح شَحم قَلْبك عن سَواد
أُريد حياته ويُريد قَتْلى — عَذيرَك مِنْ خَليلك مِنْ مُرادِ[3]

وله فى قيس بن مكشوح المرادى وفى وصف نفسه بالشجاعة

ومن قوله فى قَيْس بن مَكْشُوح المُرادى :

تَمنَّانى على فرس — عليه جالساً أسدُه
علىَّ مُفاضةٌ كالنِّهـ — ـى أخلص ماءَه جَدَدُه[4]
فلو لاقيتَنى للقيـ — ـتَ ليثًا فوقه لِبَدَه
سَبنْتَى ضَيْغماً هَصِرًا — صِلَخْداً ناشِزاً كَتَدُه[5]
يُسامى القِرْنَ إن قِرْن — تيَمّمه فيَعْتَضِده
فيأخذه فيُرديه[6] — فيَخْفضه فيَقْتَصده[7]

(١) فى الأصول : «قبيس» وهو تحريف . والتصويب من الأغانى . وهو أبى المرادى وكان قد توعد عمرو بن معديكرب .
(٢) قتير الدرع : مساميرها التى تكون بين حلقاتها .
(٣) رواية هذه القصيدة فى الأغانى تختلف عنها هنا كثيراً فى ألفاظها وترتيب أبياتها .
(٤) المفاضة : الدرع الواسعة . والنهى : الغدير من الماء . والجدد : الأرض الصلبة . شبه الدرع بالغدير فى صفائها واطرادها .
(٥) السبنتى : الجرىء المقدام . والصلخد : الصلب القوى ، أو الشهم الماضى . والناشز : المرتفع . والكتد : ما بين الكتفين . ورواية هذا البيت فى السيرة لابن هشام (ج ٤ ص ٢٣٠ طبعة الحلبى) :

تلاقى شنبثا شثن الـ — ـبراثن ناشزاً كتده

(٦) فى السيرة : «فيرفعه» .
(٧) يقتصده ، أى يقتله . (عن شرح السيرة لأبى ذر) .

فَيَدْمغه فَيَحْطِمه فَيَخْضِمه فيزدرده[١]

المكيدة فى الحرب

النبى صلى الله عليه وسلم

قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : الحربُ خَدْعةٌ[٢] .

وقال المُهلَّب لبَنيه : عليكم بالمَكيدة فى الحرب ، فإنها أبلغ من النجدة .

المهلب

وكان المُهلّب يقول : أناة فى عواقبها فَوْت ، خير[٣] من عجلة فى عواقبها دَرك .

لمسلمة بن عبد الملك فى الأخذ بالحزم

وقال مَسْلمة بنُ عبد الملك : ما أخذت أمراً قطٌّ بحزم فلُمت نفسى فيه وإن كانت العاقبة علىّ ، ولا أخذت أمراً قطٌّ وضيّعتُ الحزم فيه إلا لُمت[٤] نفسى عليه وإن كانت العاقبة لى .

لبعض أهل التمرس بالحرب فى المكيدة

وسُئل بعض أهل التَّمَرُّس[٥] بالحرب : أى المكايد فيها أحزم ؟ قال : إذكاء العيون ، وإفشاء الغَلبة ، واستطلاع الأخبار ، وإظهار السرور ، وإماتة[٦] الفَرَق ، والاحتراس من البِطانة[٧] ، من غير إقصاء[٨] لمن يُستنصَح ،

---

(١) يدمغه : يصيب دماغه . ويحطمه : يكسره . ويخضمه : يأكله . ويزدرده : يبتلعه

(٢) فى النهاية لابن الأثير : « . . . يروى بفتح الخاء وضمها مع سكون الدال ، وبضمها مع فتح الدال : فالأول معناه أن الحرب ينقضى أمرها بخدعة واحدة من الخداع ، أى إن المقاتل إذا خدع مرة واحدة لم تكن له إقالة ، وهو أفصح الروايات وأصحها ، ومعنى الثانى هو الاسم من الخداع ، ومعنى الثالث أن الحرب تخدع الرجال وتمنيهم ولا تفى لهم ، كما يقال : فلان لعبة وضحكة (بضم ففتح) ، أى كثير اللعب والضحك » .

(٣) فى ا : « أحب » . (٤) فى ا : « فحمدت » .

(٥) كذا فى ا . والذى فى بقية الأصول : « التمرين » .

(٦) فى أكثر الأصول وعيون الأخبار : « وأمانة الفرق » والذى فى ا : « أمانة الفراق » . وهو تحريف فى جميعها .

(٧) كذا فى ا وعيون الأخبار . والذى فى سائر الأصول : « من المكايد الباطنة » .

(٨) كذا فى عيون الأخبار . والذى فى الأصول : « استقصاء » وهو تحريف . إذ لا يناسب معناه سياق العبارة .

ولا استِنصاح(١) لمن يُستغشّ(٢) ، واشتغال الناس عما هم فيه من الحرب بغيره .

من كتاب للهند

وفى كتاب للهند : الحازم يحذر عدوّه على كل حال ، يحذر المُواثبة إن قرُب ، والغارة إن بَعد ، والكمينَ إن انكشف(٣) ، والاستطراد إن وَلّى(٤) .

بين المأمون والفضل بن سهل عن رأى فات الأمين فى حربه مع أخيه

وقال المأمون للفضل بن سهل. قد كان لأخى رأى لو عَمِل به لظفِر . فقال له الفضل : ما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : لو كتب إلى أهلِ خُرسان وطَبَرِسْتان والرَّىّ ودُنباوَنَد أنه قد وَهَب لهم الخراج لِسنة لم نَخْل نحن من إحدى خَصْلتين ، إما ردَدْنا فِعْله ولم نلتفت إليه ، فعَصانا أهلُ هذه البلدان [وفسدت نِيَّاتهم فانقطعوا عن مُعاونتنا](٥) ؛ وإما قَبِلناه وأمضيناه فلا نَجد ما نُعطى منه مَن معنا [وَتفرّق جُندنا ووَهى أمرُنا . فقال الفضل : الحمد الذى ستَر هذا الرأىَ(٥)] عنه وعن أصحابه] .

بين الحجاج والمهلب فى حرب الأزارقة

وكتب الحجّاج إلى المهلّب يستعجله فى حرب الأزارقة . فكتب إليه : إنّ من البليّة أن يكون الرأى بِيدَ من يملكه دون مَن يُبصره .

لبعض أهل التمرس بالحرب فى المشاورة

وكان بعض أهل التّمرّس يقول لأصحابه : شاوِرُوا فى حَرْبكم الشُّجعانَ من أُولى العَزْم ، والجُبناء من أولى الحزم فإن الجَبان لا يَأْلو برأيه ما يَقِى مُهجَكم ، والشجاعَ لا يَعْدُو ما يَشُدّ بصيرتكم(٦) . ثم خلِّصوا من بين الرأيين نتيجة تحمل
٤٧ / ١ عنكم مَعرّة الجبان ، وتَهوّر الشجعان ، فتكونَ أنفذَ من السهم الزالج ، والحسام الوالج .

---

(١) فى بعض الأصول : « استناد » . والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٢) زيد فى عيون الأخبار بعد هذه الكلمة : « ولا تحويل شىء عن شىء إلا بسد ناحية من المراتب وحسن مجاملة الظنون » .

(٣) انكشف ، يريد انكشاف العدو عن موضعه ، أى انهزامه .

(٤) زيد فى عيون الأخبار بعد هذه الكلمة : « والمكر إن رآه وحيداً ، ويكره القتال ما وجد بدا ، لأن النفقة فيه من الأنفس ، والنفقة فى غيره من المال » .

(٥) التكملة من الوزراء والكتاب للجهشيارى .

(٦) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « بصائركم » . وهو تحريف .

بين الإسكندر ومؤدبه فى بعض الغزوات

وكان الإسكندر لا يدخل مدينةً إلا هدمها وقتل أهلها ، حتى مرّ بمدينة كان مؤدِّبه فيها . فخرج إليه ، فألطفه الإسكندر وأعظمه . فقال له : أصلح الله الملك ، إن أحقّ من زيّن لك أمرك ، وأعانك على كل ما هويت لأنا . وإنّ أهلَ هذه المدينة قد طَمِعوا فيك لمكانى منك ، فأُحِبّ أن تُشفّعنى فيهم ، وأن لا تخالفنى فى كل ما سألتك لهم . فأعطاه من العهود والمواثيق على ذلك ما لا يقدر على الرجوع عنه . فلما توثّق منه قال : فإنّ حاجتى إليك أن تهدِمها وتقتل أهلَها . قال : ليس إلى ذلك سَبيل ، ولا بدّ من مخالفتك . [فقال له : ارحل عنّا] .

حيلة سعيد بن العاص فى التحلل من بعض عهوده لحصن من حصون فارس

وقيل : صالَحَ سَعيد بن العاص حِصْناً من حُصون فارس على أن لا يقتُل منهم رجلا واحداً ، فقتَلهم كلَّهم إلا رجلا واحداً .

بين عمرو بن العاص وعلج غزة

ابنُ الكَلْبى قال : لما فتح عمرو بن العاص قَيْسارِيَّةَ سار حتى نزل غَزَّة ، فبعث إليه عِلْجُها : أن ابعث إلىّ رجلاً من أصحابك أُكلّمه . ففكّر عمرو وقال : ما لهذا أحدٌ غيرى . قال : فخرج حتى دخل على العِلْج فكلّمه ، فسمع كلاماً لم يسمع قطُّ مثله . فقال العِلْج : حدِّثنى : هل فى أصحابك أحدٌ مثلُك ؟ قال : لا تسأل عن هذا ، إنّى هيّن عليهم إذ بعثوا بى إليك[1] وعرّضونى لما عرّضونى له ، ولا يَدْرون ما تصنع بى ؟ قال : فأمر له بجائزة وكُسْوة ، وبعث إلى البوّاب : إذا مرّ بك فاضرب عُنقَه وخُذ ما معه . فخرج من عنده فمرّ برجل من نَصارَى غسّان فعرَفه فقال : يا عمرو ، قد أحسنتَ الدخول فأحْسِنِ الخروج . ففَطِن عمرو لما أراده ، فرجع . فقال له الملك : ما ردّك إلينا ؟ قال : نظرتُ فيما أعطيتَنى فلم أجد ذلك يَسع بنى عمّى ، فأردتُ أن آتيَك بعشرة منهم تُعطيهم هذه العَطيّة ، فيكون معروفك عند عشرة خيراً من أن يكون عند واحد . فقال : صدقت ، اعْجَل بهم . وبعث إلى البواب أن خلّ سبيلَه . فخرج عمرو وهو يلتفت ، حتى إذا

(١) فى ا : « لا تسأل عن هوانى عليهم إذ بعثونى إليك » .

أَمِن ، قال : لا عُدْتُ لمثلها أبداً . فلما صالحه عمرو ودخل عليه العِلْجُ ، قال له : أنت هو ! قال : نعم ، على ما كان من غَدْرك .

بين الهرمزان وعمر بن الخطاب

[وقال] : ولما أُتِىَ بالهُرْمزان أسيراً إلى عمرَ بن الخطاب [رضى الله عنه] قيل له : يا أمير المؤمنين ، هذا زعيم العَجم وصاحب رُسْتم (١) . فقال له عمر : أعرِضُ عليك الإسلام نُصْحًا لك فى عاجلك وآجلك . قال : يا أمير المؤمنين ، إنما أعتقد ما أنا عليه ولا أرغب فى الإسلام [رهبةً] . فدعا له عمرُ بالسيف . فلما همّ بقتله ، قال : يا أمير المؤمنين ، شَربةٌ من ماء أفضل من قتلى على ظمأ . فأمر له عُمر بشَربة من ماء . فلما أخذها قال له : أنا آمِنٌ حتى أشرَبها ؟ قال : نعم . فرمَى بها وقال : الوفاء يا أمير المؤمنين نُور أبلج . قال : صدقتَ ، لك التوقّفُ عنك وأنظرُ فى أمرك (٢) ، ارفعوا عنه السيفَ . فلما رُفع عنه] قال : الآن يا أمير المؤمنين أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وما جاء به حقّ من عنده . قال عمر : أسلمتَ خيرَ إسلام ، فما أخّرك ؟ قال : كَرِهتُ أن يظُنّ أنّى [إنما] أسلمتُ جَزعاً من السيف ، وإيثاراً لدينه بالرّهبة . فقال عمر : إنّ لأهل فارس عُقولاً بها استحقّوا ما كانوا فيه من المُلك ؛ ثم أمر به أن يُبرّ ويُكرم . فكان عمر يشاوره فى توجيه العساكر والجُيوش لأهل فارس .

بين معن بن زائدة وبعض أسراه

وهذا نظير فِعْل الأَسِير الذى أُتى به مَعْنُ بن زائدة فى جُملة الأَسرى فأمر بقَتْلهم ، فقال له أتقتل الأسرى عِطاشاً يامعن ؟ فأمر بهم فسُقُوا . فلما شربوا قال : أتقتل أضيافك يامعن ؟ فخلّى سبيلهم .

---

(١) كذا فى ا ونهاية الأرب . ورستم هذا هو ابن فرخزاد ، وكان من أعظم رجال فارس ، وقائد جيوش يزدجرد ملك ساسان فى وقعة القادسية التى انتصر فيها المسلمون وقتل فيها رستم . والذى فى سائر الأصول : « رئيسى » . وهو تحريف .

(٢) فى ا ونهاية الأرب : « والنظر فيك » .

سياسة ملك حازم من ملوك العجم

وذكروا أنَّ مَلِكاً من ملوك العَجَم كان معروفاً ببُعْد الغَوْر ويَقظة الفِطْنة وحُسن السياسية ، وكان إذا أراد مُحاربة ملك من الملوك وجّه إليه مَن يَبحث عن أخباره وأخبار رعيّته قبل أن يُظهر مُحاربته ، فيَكْشِف عن ثلاث خصال ٤٨/١ من حاله ، فكان يقول لعُيونه : انظروا هل تَرِد على الملك أخبارُ رَعيّته على حقائقها أم يَخْدَعه عنها المُنْهِى[1] ذلك إليه ؟ وانظروا إلى الغِنَى فى أى صِنف هو من رعيّته ، أفيمن اشتدّ أنفُه وقلّ شَرهه ؟ أم فيمن قلّ أنفُه واشتدّ شرهه ؟ وانظروا فى أى صِنفى رعيّته القوّامُ بأمره ؟ أفيمن نظر ليومه وغده ؟ أم من شغله يومُه عن غده ؟ فإن قيل له لا يُخدع عن أخبار رعيّته ، والغِنَى فيمن قلّ شرهه واشتد أنفه ، والقوّام بأمره من نظر ليومه وغده ؛ قال : اشتغلوا عنه بغيره . وإن قيل له ضدّ ذلك ؛ قال : نارٌ كامنة تنتظرُ مُوقِد ، وأضغان مُزَمَّلة[2] تنتظر مخرجاً ، اقصِدوا له فلا حَيْنَ أَحْيَنُ من سلامةٍ مع تَضْييع ، ولا عدوّ أعدى من أمْن أدّى إلى اغترار .

بين ملك الهياطلة وفيروز بن يزدجرد ملك فارس

وكانت ملوك العجم قبل ملوك الطوائف تنزل بَلْخ ، ثم نزلت بابلَ ، ثم نزل أَرْدَشير بنُ بابك فارسَ ، فصارت دارَ مملكتهم ، وصار بخراسان ملوكُ الهَياطلة ، وهم الذين قتلوا فَيروزَ بن يَزْدَجِرْدَ بنَ بَهْرام ملك فارس ، وكان غَزاهم . فكادَه مَلِكُ[3] الهَياطلة بأن عَمد إلى رجل ممن عرفه بالمُكابدة[4] وحُسن الإدارة ، فأظهر السُّخط عليه ، ووقّع به على أعين الناس توقيعاً قبيحاً ، ونكّل به تنكيلا شديداً ، ثم أرسله ، وقد واطأه على أمر أبطنه معه وظاهَرَه عليه . فخرج حتى أتى فَيروز فى طريقه ، فأظهر له النزوعَ إليه والاستنصار به من عظيم ما ناله . فلما

(١) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « المهدى » .
(٢) مزملة : مستورة .
(٣) هو أخشنوار . (انظر عيون الأخبار ج ١ ص ١١٧) .
(٤) كذا فى ا والذى فى سائر الأصول : « بالشطارة » .

رأى فَيروز ما به(١) من التوقيع والنِّـكاية فيه ، وثِقَ به واستنام إليه . فقال [له] : أنا أدلّك أيها الملك على غِرّة القوم وعَوْرتهم(٢) ، وأُعلمك(٣) مكانَ غَفلتهم . فسلك به سَبيلَ مَهْلـكة(٤) مُعْطشة . ثم خرج إليه ملك الهياطلة فأسرَه وأكثرَ أصحابه . فسألهم أن يَمُنّوا عليه وعلى من معه(٥) ، وأعطاهم مَوْثقاً لا يغزوهم أبداً ، ونَصب لهم حجراً جعله حدًّا بينه وبينهم ، وحلَف لهم أن لا يُجاوزه هو ولا جنوده ، وأشهد الله عليه وعلى مَن حضر من قرابته وأساورته(٦) . فمَنُّوا عليه وأطلقوه ومَن معه . فلما عاد إلى مملـكته أخذته(٧) الأَنفة مما أصابه ، فعاد إلى غَزوهم ناكثاً لعهده ، غادراً بِذمّته إلا أنه لَطَف فى ذلك بحيلة ظَنّها مُجزِية فى أَيمانه ، فجعل الحجر الذى نصبه لهم على فِيل فى مقدّمة عسكره ، وتأوّل فى ذلك أنه لا يُجاوزه(٨) . فلما صار إليهم ناشدوه اللهَ وذكّروه الأَيمان به ، وما جعل على نفسه من عهده وذمته . فأبى إلا لَجاجا ونَـكْثاً . فواقعوه [فظفروا به] ، فقتلوه وقتلوا حُماته ، واستباحوا عسكره .

سياسة النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوه

أُسامة بن زيد اللّيثى : قال : كان النبىّ صلّى الله عليـه وسلّم إذا غزا أخذ طريقاً وهو يريد أخرى ، ويقول : الحرب خُدعة .

خدعة مالك الخثعمى فى حروبه

زِياد عن مالك بن أنس قال : كان مالك عبد الله الخثعمىّ ، وهو على الصائفة(٩) يقوم فى الناس كلما أراد أن يرحل ، فيحمد الله تعالى ويُثنى عليه ، ثم

(١) فى ا : « أثر » مكان قوله : « ما به من » .
(٢) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « وغدرتهم » . وهو تحريف .
(٣) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « واعلم لك » .
(٤) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « سبيل مسلـكة » . وقوله « مسلـكة » تحريف .
(٥) فى ا : « وعلى أصحابه » .
(٦) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « ومن حضره من أقارب أبيه » .
(٧) فى بعض الأصول : « داخلته » .
(٨) فى ا : « لا يجوزه » .
(٩) الصائفة : الغزاة « زمن الصيف » . والذى فى نهاية الأرب (ج ٦ ص ١٧٦) : الصافة . والذى فى ا : « الطائفة » . وكلاهما تحريف .

يقول : إنّى داربٌ بالغَداة إن شاء الله تعالى دَرْبَ كذا . فتتفرّق الجواسيسُ عنه بذلك . فإذا أصبح الناس سلك بهم طريقاً أُخرى . فكانت الروم تسمّيه الثعلب .

وصايا أمراء الجيوش

من عمر بن عبد العزيز إلى الجراح يوصيه فى الحرب

كتب عُمرُ بن عبد العزيز [رحمه الله] إلى الجرّاح : إنه بلغنى أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم كان إذا بعث جيشاً أو سريّة قال : اغزُوا بسم الله ، وفى[(١)] سبيل الله ، تقاتلون مَن كفر بالله ، لا تغُلّوا ، ولا تغْدِروا ، ولا تُمثّلوا ، ولا تقتلوا امرأة ولا وليداً . فإذا بعثتَ جيشاً أو سريّة فمُرْهم بذلك .

ما كان عمر بن الخطاب يقوله عندعقد الألوية

وكان عمر بن الخطّاب [رضى الله عنه] يقول عند عَقْد الألوية : بسم الله وبالله وعلى عَوْن الله ، امضُوا بتأييد الله والنّصر ، ولُزوم[(٢)] الحق والصبر ، فقاتِلُوا فى سبيل الله مَن كفر بالله ، ولا تعتدُوا إنّ الله لا يُحب المعتدين ، ولا تجبُنوا عند اللقاء ، ولا تُمثّلوا عند القُدرة ، ولا تُسرفوا عند الظهور ، ولا تقتلوا هَرِمًا ٤٩/١
ولا امرأة ولا وليداً ، وتوقَّوْا قتلَهم إذا التقى الزّحْفان ، وعند [حَمّة النّهضات ، وفى[(٣)]] شَنّ الغارات[(٤)] .

وصية أبى بكر ليزيد بن أبى سفيان حين وجهه إلى الشام

ولما وَجّه أبو بكر رضى الله عنه يزيدَ بنَ أبى سفيان إلى الشام شيّعه راجلا . فقال له يزيد : إمّا أن تركب وإمّا أن أنزل . فقال : ما أنت بنازل وما

(١) فى نهاية الأرب (ج ٦ ص ١٦٨) وعيون الأخبار (ج ١ ص ١٠٧) : « باسم الله وفى سبيل الله » .

(٢) كذا فى ا ونهاية الأرب : والذى فى سائر الأصول : « الله وما النصر إلا من عند الله ولزوم ... الخ » .

(٣) ما بين القوسين تكملة من عيون الأخبار . وحمة النهضات ، أى شدتها ومعظمها .

(٤) زيد فى عيون الأخبار بعد هذه الكلمة : « ولا تغلوا عند الغنائم ، ونزهوا الجهاد عن عرض الدنيا ، وأبشروا بالرباح فى البيع الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » .

أنا براكب ، إنى أحتسب خُطاى هذه فى سبيل الله ، ثم قال : إنك ستجد قوما حَبَسوا أنفسهم لله ، فَذَرْهم وماحَبسوا أنفسهم له — يعنى الرُّهْبان — وستَجد قوماً فَحصوا عن أوساط رُءوسهم [الشعر] ، فاضرب ما فَحصوا عنه بالسيف . ثم قال له : إنى مُوصيك بعشر : لا تَغْدر ، ولا تُمثِّل ، ولا تقتل هَرِماً ولا امرأة ولا وليداً ، ولا تَعْقِرن شاة ولا بعيراً إلا ما أكلتم ، ولا تحْرِقن نَخلا ، ولا تُخرِبَنّ عامراً ، ولا تَغُلّ ، ولا تبْخس[1] .

وصيته لخالد بن الوليد فى قتال أهل الردة

وقال أبو بكر رضى الله عنه لخالد بن الوليد [حين وجّهه لقتال أهل الردّة][2] : سِرْ على بركة الله ، فإذا دخلتَ أرض العدوّ فكن بعيداً من الحَمْلة ، فإنى لا آمن عليك الجوْلة . واستظهر بالزاد ، وسِرْ بالأدلاّء ، ولا تقاتل بمجْروح فإن بعضه ليس منه ، واحترس من البَيات فإن فى العرب غِرَّة : وأَقلّ [من] الكلام فإنما لك ما وُعى عنك . واقْبَل من الناس عَلاَنيتهم ، وكِلْهم إلى الله فى سرائرهم . وأستودعُك الله الذى لا تَضيع ودائعه[3] .

من خالد بن الوليد إلى مرازبة فارس

كتب خالد بن الوليد إلى مَرازبة فارس مع ابن نُفيلة الغسّانى[4] : الحمد لله الذى فضّ حُزمتكم ، وفرّق جمعكم ، وأوهن بأسكم ، وسَلَب مُلْككم ، وأذَلّ

---

(١) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « تجبن » . ومؤدى الروايتين مختلف كما هو ظاهر .

(٢) تكملة من نهاية الأرب .

(٣) ذكر ابن قتيبة هذا الكلام فى عيون الأخبار (ج ١ ص ١٠٨ – ١٠٩) من أبى بكر إلى يزيد بن أبى سفيان حين وجهه إلى الشام ، وزاد عليه بعد قوله « ما وعى عنك » : « وإذا أتاك كتابى فأنفذه فإنما أعمل على حسب إنفاذه . وإذا قدمت عليك وفود العجم فأنزلهم معظم عسكرك وأسبغ عليهم النفقة وامنع الناس عن محادثتهم ليخرجوا جاهلين كما دخلوا جاهلين . ولا تلحن فى عقوبة فإن أدناها وجع ، ولا تسرعن إليها وأنت تكتفى بغيرها » . كما زاد بعد قوله « سرائرهم » : « ولاتجسس عسكرك فتفضحه ولاتهمله فتفسده » .

(٤) هو عبد المسيح بن نفيلة الغسانى كما فيما سيأتى . وقد ذكر هنا فى بعض الأصول خطأ باسم : « ابن ثعلبة الغسانى » . وفى بعض آخر باسم : « أبى ثعلبة الغسانى » . (انظر الاشتقاق لابن دريد) .

عِزّكم . فإذا أتاكم كتابى هذا فابعثوا إلى بالرُّهن ، واعتقدوا منّا الذمّة ، وأجيبوا إلى الجِزْية ، وإلا والله الذى لا إله إلا هو ، لأَسيرنّ إليكم بقوم يُحبّون الموت كما تُحبون الحياة ، ويرغبون فى الآخرة كما ترغبون فى الدنيا .

من عمر بن الخطاب إلى سعد ابن أبى وقاص

كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقّاص رضى الله عنهما ومن معه من الأجناد : أما بعد ، فإنى آمرك ومَنْ معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضلُ العُدّة على العدوّ ، وأقوى المَكيدة فى الحرب . وآمرك ومن معك أن تكونوا أشدّ احتراساً من المعاصى منكم من عدوّكم ، فإنّ ذُنوب الجيش أخوفُ عليهم من عدوّهم . وإنما يُنصر المسلمون بمَعصية عدوّهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوةٌ ؛ لأنّ عَددنا ليس كعددهم ، ولا عُدّتنا كعُدتهم ، فإن استوَيْنا فى المَعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة ، وإلاّ نُنْصَرْ عليهم بفضلنا لم نَغلبهم بقوّتنا . واعلموا أنّ عليكم فى مَسيركم حَفَظةً مِن الله يعلمون ما تفعلون ، فاستَحْيُوا منهم ، ولا تعملوا بمَعاصى الله وأنتم فى سبيل الله ، ولا تقولوا إن عدوّنا شرٌّ منّا فلن يُسلَّط علينا [وإن أسأنا][1] ، فربّ قوم قد سُلِّط عليهم شرّ منهم كما سُلِّط على بنى إسرائيل ، لمّا عملوا بمَساخِط الله ، كُفّارُ المجوس (فجاسُوا خِلاَلَ الدِّيارِ وَكانَ وَعْداً مَفْعُولا) . واسألوا الله العونَ على أنفسكم ، كما تسألونه النصرَ على عدوّكم . أسأل الله ذلك لنا ولكم . وترَفَّق بالمسلمين فى مَسِيرهم ولا تُجَشِّمهم مَسيراً يُتعبهم ، ولا تُقصِّر بهم عن منزل يرَفُق بهم ، حتى يبلغوا عدوّهم والسفرُ لم يَنْقُص قوتَهم ، فإنهم سائرون إلى عدوّ مُقيم حامى الأنفس والكُراع[2] . وأَقِم بمَن معك فى كل جمعة يوماً وليلة ، حتى تكون لهم راحة يُحْيُون[3] فيها أنفسهم ، وَيَرُمُّون[4] أسلحتهم

(١) التكملة من نهاية الأرب .
(٢) الكراع : الخيل .
(٣) فى نهاية الأرب : «يجمون» ، أى يريحون .
(٤) يرمون : يصلحون .

وأمتعتهم . ونَحّ منازلَهم عن قُرى أهل الصلح والذمّة ، فلا يدخلها] مِن أصحابك إلا من تثق بدينه ، ولا يرزأ[١] أحداً من أهلها شيئاً ، فإنّ لهم حُرمةً وذمّةً ابتُليتم بالوفاء بهما كما ابتلوا بالصبر عليها ، فما صَبَروا لكم فتولّوهم خيراً[٢] . ولا
٥٠/١ تستنصروا على أهل الحَرْب بظلم أهل الصلح . وإذا وَطِئتَ أرض[٣] العدو فأذْكِ العيون بينك وبينهم ، ولا يخفَ عليك أمرُهُم . وليكن عندك من العرب أو [من أهل الأرض] من تطمئن إلى نصحه وصِدْقه ، فإنّ الكذوب لا ينفعك خَبره وإن صدّقك فى بعضه ، والغاشّ عَيْنٌ عليك وليس عيناً لك . وليكن منك عند دنوّك من أرض العدو أن تُكثر الطلائعُ وتَبُثّ السرايا بينك وبينهم ، فتقطع السرايا أمدادَهم وموافقهم ، وتتبع الطلائع عوراتِهم . وانتق[٤] للطلائع أهلَ الرأى والبأس من أصحابك ، وتخيّر لهم سوابق الخيل . فإن لقوا عدوًّا كان أولَ ما تلقاهم القوةُ من رأيك ، واجعل أمرَ السّرايا إلى أهل الجهاد والصبرِ على الجلاد ، لا تخصَّ بها أحداً بهوًى ، فيضيعَ من رأيك وأمرك أكثرُ مما حابيتَ به أهلَ خاصّتك . ولا تبعثن طَليعة ولا سريّة فى وجه تتخوفُ عليها فيه [غلبة] أو ضيعة ونكاية . فإذا عاينتَ العدو فاضمُم إليك أقاصيَك وطلائعك وسراياك ، واجمع إليك مَكيدتك[٥] وقوتك ، ثم لا تُعاجلهم المُناجزة ، ما لم يستكرهْك قِتال ، حتى تُبصر عورةَ عدوّك ومَقاتله[٦] ، وتَعرِف الأرض كلها كمعرفة أهلها بها ، فتصنَع بعدوّك كصُنعه بك . ثم أذْكِ أحراسك على

(١) كذا فى الأصول . ويرزأ (بالياء) على أنها معطوفة على صلة الموصول قبلها ؛ ويحتمل أن تكون بالتاء مكان الياء .

(٢) فى نهاية الأرب : « فقفوا لهم » .

(٣) فى نهاية الأرب : « أدنى أرض » .

(٤) كذا فى نهاية الأرب : والذى فى الأصول : « وتنق » . وهو تحريف .

(٥) فى ا : « مكنونك » . وهو تحريف .

(٦) كذا فى نهاية الأرب . والذى فى الأصول : « مقاتلته » . وهو تحريف .

عسكرك ، وتيقظ[١] من البَيات جُهدك . ولا تؤتى[٢] بأسير ليس له عقد[٣] إلا ضربتَ عُنقه ، لترْهب بذلك[٤] عدو الله وعدوك . والله وليّ أمرك ومن معك ، ووليّ النصر لكم على عدوكم ، والله المستعان .

مما أوصى به عبد الملك أميرا سيره إلى الروم

وأوصى عبد الملك بن مروان أميراً سيّره إلى أرض الروم فقال : أنت تاجر الله لعباده ، فكُن كالمُضارب الكيِّس الذى إن وَجد رِبْحاً تجَر ، وإلا تحفّظ برأس المال . ولا تطلُب الغَنيمة حتى تُحرز[٥] السلامة ، وكُنْ من احتيالك على عدوّك أشدَّ حذراً من احتيال عدوّك عليك .

ما كان يوصى به زياد قواده

وكان زياد يقول لقوّاده : تجنّبوا اثنين لا تقاتلوا فيهما العدوّ : الشتاء وبطُون الأودية .

بين الوليد بن عبد الملك وعباد

وأغزَى الوليدُ بن عبد الملك جيشاً فى الشتاء ، فغَنِموا وسَلِموا ، فقال لعبّاد[٦] : يا أبا حرب ، أينَ رأى زياد من رأينا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، قد أخطأت ، وليس كل عَوْرة تُصاب .

بين معاوية وعبد الرحمن بن خالد وسفيان ابن عوف وقد أراد معاوية استعمال واحد منهما على الصائفة

العُتْبى قال : جاشت الروم وغزوا المسلمين برًّا وبحراً ، فاستعمل مُعاوية على الصائفة عبدَ الرحمن بنَ خالد بن الوليد ، فلما كتب له عهدَه قال : ما أنت صانع بعهدى ؟ قال : أتخذه إماماً لا أعصيه . قال : ارْدُد علىّ عهدي . ثم بعث إلى سفيان بن عوف الغامدىّ[٧] فكتب له عهدَه ، ثم قال له : ما أنت صانع بعهدى ؟ قال : أتخذه إماماً أمام الحزْم ، فإن خالفَه خالفتُه . فقال معاوية : هذا

(١) فى نهاية الأرب : « وتحفظ » .
(٢) كذا فى نهاية الأرب ، والذى فى الأصول : « تأتى » .
(٣) فى نهاية الأرب : « عهد » .
(٤) كذا فى نهاية الأرب . والذى فى الأصول : « به » .
(٥) فى نهاية الأرب : « تحوز » .
(٦) هو عباد بن زياد .
(٧) فى الأصول : « العامرى » . وهو تحريف . (انظر فتوح البلدان للبلاذرى ص ١٨٨) .

الذى لا يُـكفكف من عجلة ، ولا يُدفع فى ظهره من خَور ، ولا يُضْرَب على الأمور ضَرْبَ الجمل الثفال[١] .

بين دريد بن الصمة ومالك بن عوف النصرى يوم حنين

وقال دُريد بن الصِّمة لمالك بن عوف النَّصْرى قائدِ هَوازن يوم حُنين : يا مالك ، إنك قد أصبحتَ رئيسَ قومك ، وإن هذا يوم له ما بعده من الأيام . مالى أسمع رُغاء البعير ، ونُهاق الحمير ، وبُكاء الصغير ، [ويُعار الشاء[٢]] ؟ قال : سُقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم . قال : ولِمَ ذاك ؟ قال : أردتُ أن أجعل خلفَ كلّ رجل أهلَه ومالَه ليُقاتل عنهم . فأنقضَ[٣] به وقال : راعى ضأن والله ؟ وهل يَردّ المنهزمَ شىء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسَيفه ورُمحه ، وإن كانت عليك فُضِحْتَ فى أهلك ومالك . وَيْحك ! [إنك] لم تصنع بتقديم البَيْضة بَيْضةِ هَوازنَ[٤] إلى نُحور الخيـل شيئاً ، ارفعهم إلى مُتمنَّع بلادهم ، وعُليا قومهم ، ثم الْقَ الصُّبّاء[٥] على مُتون الخيل . فإن كانت لك لَحِق بك مَنْ وراءك ، وإن كانت عليك كنت[٦] قد أحرزت أهلك[٧] ومالك . قال : لا والله لا أفعل ذلك ، إنك قد كَبِرت وذَهل عقلك . قال دُريد : هذا يوم لم أشهده ولم يَفُتْنى ، ثم أنشأ يقول :

٥١/١ ياليتنى فيها جَـــذَعْ أخُبّ فيها وأضَعْ[٨]

---

(١) الثفال : البطىء .

(٢) تكملة من سيرة ابن هشام (ج ٤ ص ٨١) . ويعار الشاء : صوتها .

(٣) كذا فى السيرة لابن هشام . وأنقض به ، أى زجره ، من الإنقاض ، وهو أن تلصق لسانك بالحنك الأعلى ثم تصوت فى حافتيه من غير أن ترفع طرفه عن موضعه . أو هو التصويت بالوسطى والإبهام كأنك تدفع بهما شيئا ، وذلك حين تنكر على غيرك قولا أو عملا . والذى فى الأصول . « فأنغض » . وهو تحريف .

(٤) بيضة هوازن : جماعتهم .

(٥) الصباء : جمع صابىء ، يريد المسلمين ، كانوا يسمونهم بهذا الاسم لأنهم عندهم صبئوا عن دينهم ، أى خرجوا من دين الجاهلية إلى الإسلام .

(٦) فى السيرة : « ألفاك ذلك » مكان « كنت » .

(٧) فى ا : « ظهرك » .

(٧) الجذع : الشاب . والخبب والوضع : ضربان من السير .

أقـــود وَطْفاء الزَّمَعْ كأنها شاةُ صَدَعْ[١]

ما كان يشير به قتيبة بن مسلم على أصحابه فى الغزو

وكان قُتيبة بن مُسلم يقول لأصحابه : إذا غَزَوتم فأطِيلوا الأظفار وقصِّروا[٢] الشعور ، والحَظُوا الناس شَزْراً ، وكَلِّمُوهم رَمْزاً ، واطعنوهم وَخْزاً .

لأبى مسلم فى مثل ذلك

وكان أبو مسلم يقول لقواده : أشعِروا قُلوبكم الجُرْأة فإنها من أسباب الظفر ، وأكثِروا ذِكر الضغائن فإنها تبعث على الإقدام ، والزَموا الطاعة فإنها حِصْن المحارب .

وصية سعيد بن زيد لبنيه

وكان سعيد[٣] بن زيد يقول لبَنِيه : قَصِّروا الأَعِنَّة واشحذُوا الأَسنَّة ، تأكلوا القَرِيب ، ويَرْهبْكم البعيد .

بين المنصور وعيسى بن موسى

وقال عيسى بن موسى[٤] : لما وجَّهنى المنصورُ إلى المدينة لمحاربة [أبنى] عبد الله بن الحسن ، وجعل يوصِينى ويُكثر ، قلت : يا أمير المؤمنين ؛ إلى متى تُوصينى :

إنى أنا ذاك[٥] الحُسام الهِندى أكلت جَفْنى وفَرَيت غِمْدِى
فكُلّ ما تطلب عِنْدى عندى

---

(١) الوطفاء : الطويلة الشعر . والزمع : الشعر الذى فوق مربط قيد الدابة . يريد فرساً صفتها هكذا ، وهو محمود فى وصف الخيل . والشاة (هنا) : الوعل ، أى تيس الجبل . والصدع (محركة) من الأوعال والظباء والحمر : الفتى الشاب القوى .

(٢) كذا فى ا وعيون الأخبار ونهاية الأرب . والذى فى سائر الأصول : « وقصوا » .

(٣) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « سعد » .

(٤) فى الأصول : « عيسى بن على » ، وهو تحريف . والتصويب من المعارف لابن قتيبة .

(٥) فى ا : « السيف » مكان « ذاك » .

المحاماة عن العشيرة ومنع المستجير

جعيل بن علقمة يصف قومه

قال عبد الملك بن مروان لجعيل بن علقمة الثعلبي : ما مبلغ عزّكم ؟ قال : لم يُطمع فينا ولم يُؤمن [منّا] . قال : فما مَبلغ حِفْظكم[1] ؟ قال : يدفع الرجل منّا عمن استجار به من غير قومه كدِفاعه عن نفسه . قال عبد الملك : مثلك من يَصِف قومه .

وصف ابن مطاع العنزى مالك بن مسمع لعبد الملك ابن مروان

وقال عبد الملك بن مروان لابن مُطاع العنزي[2] : أخبرني عن مالك بن مِسْمع . قال [له] : لو غَضِب مالكٌ لغَضِب معه مائةُ ألف سَيْف لا يسألونه في أي شيء غَضِب . قال عبد الملك : هذا والله السؤدد .

قال : ولم يَلِ قطُّ مالكُ بن مِسْمع ولا أسماء بنُ خارجة شيئاً للسلطان .

منع العرب للجار

وكانت العرب تَمتدح بالذَّب عن الجار فيقولون : فلان مَنيع الجار ، حامى الذِّمار . نعم ، حتى كان فيهم من يَحمى الجراد[3] [إذا نزل في جِواره ، فسُمّى مُجير الجراد] .

لمروان بن أبي حفصة يمدح معن ابن زائدة وقومه

وقال مَرْوان بن أبي حَفْصة يمدح مَعْنَ بن زائدة ويصف مَفاخر بني شَيْبان ومنعَهم لمن استجار بهم :

هم القومُ إن قالوا أصابوا وإن دُعُوا ... أجابُوا وإن أعطَوا أطابوا وأجزَلُوا
همُ يمنعون الجار حتى كأنما ... لجارِهمُ بين السِّماكين منزل

آخر يمدح قوما بحفظ الجار

وقال آخر :

همُ يمنعون الجارَ حتى كأنه ... كَثيبة زَوْر[4] بين خافيتى نَسْرِ

---

(١) في ا : « حفاظكم » .
(٢) كذا في ا وعيون الأخبار . والذي في سائر الأصول . « ابن مستطاع العنبرى » . وهو تحريف .
(٣) كذا في ا والذي في سائر الأصول : « الجدار » . وهو تحريف .
(٤) كثيبة الزور : أي مجتمعه .

بين معاوية وهانئ بن عروة المرادى فى شأن كثير بن شهاب

وذُكر أن مُعاوية ولّى كَثير بن شِهاب المذْحِجىّ خُراسانَ ، فاختان مالا كثيراً ثم هربَ فاستتر عند هانئ بن عُروة المُرادىّ : فبلغ ذلك معاويةَ ، فهَدر[1] دم هانئ. فخرج هانئ إلى مُعاوية فكان فى جواره ، ثم حَضر مجلسَه وهو لا يعرفه ، فلما نهض الناس ثَبَت مكانه . فسأله معاوية عن أمره ، فقال : أنا هانئ بن عُروة . فقال : إنّ هذا اليوم ليس باليوم الذى يقول فيه أبوك[2] :

أُرجِّل جُمتى وأجرّ ذَيلى ... وتحمل شِكّتى أفق كُمَيْتُ[3]

وأمشى فى سَراة بنى غُطيف ... إذا ما ساءنى أمر[4] أَبيتُ

قال : أنا والله يا أمير المؤمنين اليوم أعزّ منّى ذلك اليوم . فقال : بمَ ذلك ؟ قال : بالإسلام . قال : أين كَثير بن شِهاب ؟ قال : عندى وعندك[5] يا أمير المؤمنين . قال : انظرُ إلى ما اختانه ، فخُذ منه بعضاً ، وسَوِّغه بعضاً ، وقد أمَّنّاه ووهبناه لك .

مقتل محمد بن أبى بكر وامتناع محمد بن جعفر على معاوية بأخواله من خثعم

٥٢/١ الشَّيبانى قال : لما نزل محمد بن أبى بكر مصر وصَيّر[6] إليه [معاويةُ] معاويةَ بن حُدَيْج[7] السَّكُندى ، تَفرّق عن محمد من كان معه ، فتغيّب . فدُلّ

(١) فى الكامل للمبرد : « فنذر » .

(٢) يروى هذا الشعر لعمر بن قنعاس (ويروى قعاس) ابن عبد يغوث ، أحد بنى غطيف . (انظر رغبة الآمل ج ٢ ص ٨٥ ولسان العرب مادة أفق) .

(٣) الجمة : ما سقط من الشعر على المنكبين . والشكة : السلاح ، من درع ومغفر وسيف ورمح . ويروى : « بزتى » . والأفق : الفرس الرائعة الكريمة . والكميت : من الكمتة ، وهى لون بين السواد والحمرة . يصف نفسه فى صدر هذا البيت بالنعمة ، وفى الشطر الثانى بشدة البأس . والذى فى أكثر الأصول : « ... أفن كميت » . والذى فى ا « ... أنثى كميت » . والتصويب من الكامل للمبرد ولسان العرب .

(٤) فى الكامل للمبرد : « ضيم » .

(٥) فى الكامل للمبرد : « عندى فى عسكرك » .

(٦) فى ا : « وسار إلى معاوية بن حديج » .

(٧) كذا فى ا : والاشتقاق لابن دريد . والذى فى الأصول : « خديج » بالخاء المعجمة وهو مصحف .

عليـه ، فأخذه وضرب عنقه وبعث برأسه إلى معاوية . وكان أولَ رأس طِيف به فى الإسلام .

وكان محمد بنُ جعفر بنِ أبى طالب معه ، فاستجار بأخواله من خَثْعَم فغيّبوه. وكان سيّد خَثْعم يومئذ رجلا فى ظهره بَزَخ(١) من كَسْر أصابه ، فكان إذا مشى ظنّ الجاهل أنه يَتبختر فى مِشْيته ، فذُكِر لمعاوية أنه عنده ، فقال له : أسْلِم إلينا هذا الرجل : فقال : ابن اختنا لجأ إلينا لنَحْقِن دمَه ، فدَعْه عنك يا أمير المؤمنين . قال : والله لا أدعه حتى تأتينى به . قال لا والله لا آتيك به . قال : كذبتَ . والله لتأتينى به ، إنك ما علمتُ لأوْرَه(٢) . قال : أجل ، إنى لأوْره حين أقاتلك على ابن عمّك لأحْقِن دمه ، وأقدّم ابن عمى دونه تسفك دمه . فسكت(٣) عنه معاوية وخلّى بينه وبينه .

بين المهدى ومعن بن زائدة

الشَّيبانى قال : [قال] سَعيد بن سَلْم(٤) : أهدر(٥) المَهدىّ دمَ رجل من أهل الكوفة كان يسعَى فى فساد دولته وجعل لمن دلّه عليه أو جاءه به مائةَ ألف دِرْهم . قال : فأقام الرجل حيناً مُتوارياً ثم إنه ظهر بمدينة السلام ، فكان ظاهراً كغائب ، خائفاً مترقباً . فبينا هو يمشى فى بعض نواحيها إذ بَصُر به رجل من أهل الكوفة فعرفه ، فأهوى إلى مَجامع ثوبه ، وقال : هذا بُغْية أمير المؤمنين ؛ فأمكن الرجل من قياده ، ونظر إلى الموت أمامه . فبينما هو على الحالة إذ سمع وقْعَ الحوافر من وراء ظهره ، فالتفت فإذا مَعن بن زائدة ، فقال : يا أبا الوليد ، أجِرْنى أجارك الله ؛ فوقف وقال للرجل الذى تَعلّق به : ما شأنك ؟

---

(٢) البزخ : أن يطمئن وسط الظهر ويخرج الصدر ، وهو ضد الحدب .
(٢) الأوره : الأحمق .
(٣) فى ا : « فأمسك » .
(٤) كذا فى بعض الأصول وعيون الأخبار . وقد جاء هذا الاسم مضطربا فى سائر الأصول بين « سالم » و « مسلم » . وهو تحريف .
(٥) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « ندر » .

قال : بُغية أمير المؤمنين ، الذى أهدر دمَه وأعطى لمن دلّ عليه مائة ألف . فقال : يا غلام ، انزل عن دابتك ، واحمل أخانا . فصاح الرجل : يا معشرَ النـاس ، يُحال بينى و بين مَن طَلَبه أمير المؤمنين ! قال له مَعْن : اذْهب فأَخْبِره أنه عندى . فانطلق إلى باب أمير المؤمنين فأخبر الحاجب ، فدَخل إلى المهدىّ فأخـبره ، فأمر بحَبْس الرجل ، ووجّه إلى مَعن من يحضُر به . فأتته رسُـل أمير المؤمنين وقد لبس ثِيابه ، وقُرّبت إليه دابته ، فدعا أهلَ بيته ومواليه فقال : لا يَخلصنّ إلى هذا الرجل وفيـكم عينٌ تَطْرِف . ثم رَكِب ودخل حتى سلّم على المهدىّ ، فلم يردّ عليه . فقال : يا معن ، أتجير علىّ ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : ونعم أيضاً ! واشتد غضبه . فقال مَعن : يا أمير المؤمنين ، قتلتُ فى طاعتـكم باليمَن فى يوم واحد خمسةَ عشر ألفاً ، ولى أيامٌ كثيرة قد تَقدّم فيها بلائى ، وحَسُنَ غَنائى ، فما رأيتمونى أهلا أنْ تهبوا[1] لى رجلا واحداً استجار بى ؟ فأطرق المَهدىّ طويلا ، ثم رفع رأسه وقد سُرِّىَ عنه ، فقال : قد أجرنا من أجرت . قال مَعن : فإن رأى أمير المؤمنين أن يَصِلَه فيكونَ قد أحياه وأغناه فعل . قال : قد أمرنا له بخمسين ألف . قال يا أمير المؤمنين ، إن صِلاَت الخُلفاء تـكون على قدر جِنَايات الرعية ، و إنّ ذنب الرجل عظيم ، فأجزل له الصّلة . قال : قد أمرنا له بمائة ألف . قال : فتعجّلها يا أمير المؤمنين فإن خـير البرّ عاجله . فأمر بتعجيلها . فدعا لأمير المؤمنين بأفضل الدعاء ، ثم انصرف ولحقه المال . فدعا الرجل ، فقال له : خُذ صِلتَك ، والحق بأهلك ، و إياك ومُخالفة خلفاء الله تعالى .

الجبن والفرار

لعمرو بن معديكرب فى الفزعات

قال عمرو بن مَعْديكرب : الفزَعات ثلاث : فمن كانت فزْعته فى رِجْليه ، فذلك الذى لا تُقِلّه رِجْلاه ؛ ومن كانت فَزْعته فى رأسه ، فذلك الذى يفِرّ عن

(١) فى ا : « يوهب لى رجل واحد » .

أبويه ، ومن كانت فزعته فى قلبه ، فذلك الذى يُقاتل .

للأحنف فى الإسراع إلى الفتنة

وقال الأحنف بن قيس : أسرعُ الناس إلى الفتنة أقلّهم حياء من الفِرار .

لعائشة فى الجبن

وقالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : إن لله خلقاً قلوبهم كقلوب الطير ، كلما خَفقت الريح خفقت معها ، فأفٍّ للجبناء ! أفٍّ للجبناء !

لبعض الشعراء فى الجبان والشجاع

وقال الشاعر :

٥٣/١ يَفِرّ الجبانُ عن أبيه وأمه[1] ... ويَحْمِى شجاعُ القوم من لا يُناسبُه

ويُرزق معروفَ الجواد عَدوُّه ... ويُحرم معروفَ البخيل أقاربه

لخالد بن الوليد فى ذم الجبن

وقال خالد بن الوليد عند موته . لقد لقيتُ كذا وكذا زَحْفاً ، وما فى جِسْمى موضعُ شِبْر إلا وفيه ضَربة أو طعنة أو رَمْية ، ثم هأنذا أموتُ حتْف أنفى[2] كما يموت العَيْر ، فلا نامت أعينُ الجُبناء .

شعر الفرار السلمى فى تحسين الفرار

ومن أشعار الفرّارين الذين حسّنوا فيها الفِرار على قُبحه حتى حَسُن ، قولُ الفرّار السُّلَمى[3] :

وكَتيبةٍ لَبّستُها بكتيبة ... حتى إذا التبستْ نفضتُ لها يدِى[4]

وتركتهم تَقِصُ الرماحُ ظهورَهم ... من بين مَقْتول وآخر مُسْنَد[5]

---

(١) كذا فى عيون الأخبار وغرر الخصائص . والذى فى ا :

* يفر جبان القوم عن أم رأسه *

وهكذا جاء فى سائر الأصول ، إلا أن فيها : «نفسه» مكان «رأسه» . وفى كلتا الروايتين تحريف ظاهر . والذى فى نهاية الأرب : «عن عرس نفسه» .

(٢) كذا فى عيون الأخبار . وفى رواية : «أموت على فراشى كما يموت العير» . والذى فى الأصول : «نفسى» مكان «أنفى» . وهو تحريف .

(٣) هو حيان بن الحكم ، شاعر مخضرم صحابى ، وكان صاحب راية بنى سليم يوم الفتح .

(٤) كذا فى عيون الأخبار وشرح ديوان الحماسة . ولبستها ، أى خلطتها . ونفضت لها يدى ، كناية عن الإعراض عنها . والذى فى الأصول :

وفوارس لبستها بفوارس ... حتى إذا التبست أملت بها يدى

(٥) تقص : تكسر . والمسند ، الذى أمسك إلى ما يسنده وبه رمق . والذى فى شرح =

هل يَنفعنى أن تقول نساؤهم[١] وقُتِلت دون رجالها : لا تَبعَدِ

شعر للحارث ابن هشام فى الاعتذار من الفرار

وقال أبو عُبيدة مَعمر بن المثنَّى : ما اعتذر أحد من الفرّارين بأحسن مما اعتذر به الحارث بن هشام حيث يقول[٢] :

الله يَعْـلم ما تركتُ قِتالَهم حتى رمَوْا[٣] مُهرى بأشقرَ مُزبدِ[٤]
[وعلمتُ أنى إن أقاتل واحداً أُقتَلْ ولا يضرر عدوّى مَشْهَدِى]
فَصدفْتُ عنهم والأحبّـة فيهمُ طمَعاً لهم بعقاب يوم مُرْصـدِ[٥]

وهذا الذى سمّاه رُتْبيل[٦] فقال : يا معشرَ العرب ، حسَّنتم كل شىء فحَسُن حتى الفِرار .

[وبعد هذا يأتى قولُ حسَّان فى ذلك[٧] .

وأسلم الحارثُ يوم فَتْح مكة وحَسُن إسلامه ، وخرج فى زمن عُمَر إلى الشام من مكة بأهله وماله [مُجاهداً][٨] ، فاتَّبعه أهلُ مكة يبكون ، فرقّ وبكى

= ديوان الحماسة ، « منعفر » مكان « مقتول » . والمنعفر : الملقى فى العفر ، وهو التراب .

(١) فى عيون الأخبار وشرح ديوان الحماسة :

« ماكان ينفعنى مقال نسائهم »

(٢) هذا الشعر يرد به الحارث بن هشام على حسان بن ثابت حين عيره بفراره عن اخيه أبى جهل فى غزوة بدر فى قوله :

إن كنت كاذبة الذى حدثتنى فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طمرة ولجام

(٣) فى شرح ديوان الحماسة : « علوا فرسى » .

(٤) يريد بالأشقر : الدم . والمزبد : الذى علاه الزبد .

(٥) كذا فى شرح ديوان الحماسة . يقول : أعرضت عنهم لطمعى فى أن يعقب الله لى يوما يرصد الشر لهم ويمكننى منهم نأنتهز الفرصة . والذى فى الأصول : « مفسد » مكان « مرصد » . وهو تحريف . والذى فى نهاية الأرب : « سرمد » .

(٦) كذا فى شرح ديوان الحماسة طبعة أوربة والنقائض والطبرى وابن الأثير والأغانى (ج ٤ ص ١٧٠ طبعة دار الكتب) ، ورتبيل ، لقب لملوك سجستان . والذى فى ا : صاحب زنبيل ، وهى رواية فيه . والذى فى سائر الأصول : « صاحب رتيل » . وهو تحريف .

(٧) لم يرد فى الأصول قول حسان هذا المشار إليه فى الاعتذار من الفرار .

(٨) هذه الكلمة من شرح ديوان الحماسة .

وقال : أما لو كنا نستبدل داراً بدارنا ، أو جاراً بجارنا ، ما رأينا بكم بدلا ، ولكنها النُّقلة إلى الله . [فلم يزل هناك مجاهداً حتى مات][1] .

لآخر فى ذم الشجاعة

وقال آخر :

قامت[2] تشجّعنى هندٌ وقد علمت[3] ... أنّ الشجاعةَ مقرونٌ بها العَطَبُ
لا والذى منَع الأبصارَ رؤيتَه[4] ... ما يشتهى الموتَ عندى مَنْ له أدب
لِلحرب قومٌ أضلَّ الله سعيَهمُ ... إذا دعتْهم إلى نيرانها[5] وثَبوا
ولستُ منهم ولا أبغى[6] فعالَهمُ ... لا القتلُ يُعجبنى منهم ولا السَّلَب

لمحمود الوراق فى مثل ذلك

وقال محمود الورّاق :

أيها الفارسُ المُشيح[7] المُغيرُ ... إنّ قلبى من السّلاح يطيرُ
ليس لى قوّة على رهَج[8] الخيـ ... ـلِ إذا ثوّر الغبارَ مُثير
واستدارت رحَى الحُروب بقومٍ ... فقتيلٌ وهاربٌ وأسير
حيثُ لا ينطق الجبانُ من الذُّعـ ... ـرِ ويعلو الصِّياحُ والتّكبير
أنا فى مثل ذا وهـذا بليد ... ولبيب فى غيره نِحْرير

لأيمن بن خريم فى هذا المعنى

وقال أيمن بن خُرَيم :

---

(١) هذه العبارة من عيون الأخبار . وقد مات الحارث شهيداً يوم اليرموك فى رجب من سنة خمس عشرة .
(٢) فى عيون الأخبار (ج ١ ص ١٦٤) : « أضحت » . وفى غرر الخصائص : «بانت» .
(٣) كذا فى ا وعيون الأخبار . والذى فى سائر الأصول : « فقلت لها إن » . والمعنى يستقيم على هذه الرواية أيضا .
(٤) فى عيون الأخبار :
« لا والذى حجت الأنصار كعبته »
(٥) فى عيون الأخبار : « حوبائها » . وهو محرف عن حومائها .
(٦) كذا فى ا وعيون الأخبار . والذى فى سائر الأصول : « أهوى » .
(٧) المشيح : الجاد الماضى فى أموره .
(٨) الرهج : الغبار الساطع .

إن للفِتْنة مَيْطًا[1] بَيِّنًا[2] فرُوَيْدَ المَيْطَ منها يَعْتدِلْ
فإذا كان عطاءٌ فَأْتِهِمِ[3] وإذا كان قِتالٌ فاعتزِل
إنّما يُوقِدُها[4] جُهالُها[5] حَطَبَ النار فدَعْها تَشْتَعِل

من كليلة ودمنه في تجنب القتال

ومما يحتجّ به الفرّارون[6] ما قاله صاحبُ كَلِيلة ودِمْنة : إنّ الحازم يكره القتالَ ما وجد بُدًّا منه ، لأن النفقة فيه من النفس ، والنفقة فى غيره من المال . ٥٤/١

لحبيب الطائى فى هذا المعنى

أخذا هذا المعنى حَبيبُ الطائى فنظمه فى شعره حيث يقول :

كم بَيْن قومٍ إنّما نَفقاتهم مالٌ وقومٍ يُنْفقون نُفوسَا

فرار عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث

ومن الفرارين : عبدُ الرحمن بن محمد بن الأشعث ، فرّ من الأزارقة وكان فى عشرة آلاف ، وكان قد بعث إليه المُهلّب : يابن أخى ، خَنْدِق على نفسك وعلى أصحابك فإنى عالم بأس الخوارج ولا تغترّ . فبعث إليه : أنا أعلم بهم منك ، وهم أهْون علىّ من ضَرطة الجمل . [فبيّته قَطَرِىّ صاحبُ الأزارقة ، فقتل من أصحابه خمسمائة وفرّ لا يَلْوِ على أحد . فقال فيه الشاعر :

تركتَ وِلْدَاننا تَدْمَى نُحُورُهُمُ وجِئْتَ مُنهزِماً يا ضَرْطةَ الجَمَلِ]

فرار أمية بن عبد الله بن خالد يوم مرداء هجر

ومن الفرّارين : أُميةُ بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد . فرّ يوم مَرْداء هَجَر[7] من أبى فُدَيك . فسار من البَحْرَين إلى البَصرَة فى ثلاثة أيام ، فجلس يوما

(١) ميطا ، أى صخبا وشدة .
(٢) كذا فى ا وعيون الأخبار . والذى فى سائر الأصول : «عاجلا» .
(٣) كذا فى عيون الأخبار . والذى فى سائر الأصول : «فانتهز» .
(٤) فى عيون الأخبار : «يسعرها» .
(٥) كذا فى عيون الأخبار . والذى فى الأصول : «فرسانها» .
(٦) فى بعض الأصول : «الفارون» .
(٧) فى الأصول : «مردهجر» . والتصويب من معجم البلدان . ومرداء هجر : موضع بهجر ؛ وقيل : رملة دونها لا تنبت شيئا . وقد ساق ياقوت هذا الخبر باختصار عند الكلام على مرداء هجر ، فقال : «مرداء مضر أيضا : قرية كان بها يوم بين أبى فديك الخارجى وأمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، ففر أمية أقبح فرار» .

بالبَصْرة فقال : مِرْتُ على فرسى المِهْرجان(١) من البَحْرين إلى البصرة فى ثلاثة أيام . فقال له بعضُ جلسائه(٢) : أصلح الله الأمير ، فلو ركبت النَّيرُوز لسِرْتَ إليها فى يوم واحد . فلما دخل عليه أهلُ البصرة لم يرَوْا كيف يُكلِّمونه ولا ما يُلقُونه من القول ، أيهنئونه أم يُعزّونه ، حتى دخل عليه عبدُ الله بن الأهتم فاستشرف الناسُ له وقالوا : ما عسى أن يُقال للمنهزم ؟ فسلّم ثم قال : مرحباً بالصّابر المخذول ، [الذى خذَله قومُه] الحمد لله الذى نظر لنا عليك ولم ينْظُر لك علينا ، فقد تعرّضت للشّهادة جُهدَك ، ولكنْ علم الله [تعالى] حاجةَ أهلِ الإسلام إليك فأبقاك لهم بخذلان من معك لك . فقال أُمية بن عبد الله : ما وجدت أحداً أخبرنى عن نفسى غيرك(٣) .

[وفيه يقول الشاعر :

إذا صَوّت العُصفور طار فُؤادُه وليثٌ حَدِيدُ النّاب عِنْد الثّرائدِ

خيل لأمية جيء بها إلى الحجاج

أُتى الحجّاجُ بدوابّ من دوابّ أُميّة قد وُسِم على أفخاذها « عُدّة » فأمر الحجّاج أن يكتب تحت ذلك : « للفِرار »] .

فرار أبي دلامة

وقال أبو دُلامة : كنتُ مع مَروان(٤) أيامَ الضحّاك(٥) الحروريّ ، فخرج فارس منهم فدعا إلى البِراز ، فخرج إليه رجل فقتله ، ثم ثانٍ [فقتله] ، ثم ثالث [فقتله] فانقبض الناس عنه وجعل يدنو ويهْدِر كالفحل المُغتلِم . فقال مروان : مَن يخرج إليه وله عشرة آلاف ؟ قال : فلما سمعتُ عشرة آلاف هانت علىّ

---

(١) المهرجان ، أى من يوم المهرجان .

(٢) فى غرر الخصائص : « فقال له بعض الماجنين » .

(٣) فى ا : « مثلك » .

(٤) هو مروان بن محمد ، كما فى غرر الخصائص .

(٥) كذا فى الأصول وغرر الخصائص . وهو الضحاك بن قيس الشيبانى الحرورى . والذى فى عيون الأخبار (ج ١ ص ١٨٣) : « شبيب الخارجى » . والذى فى الأغانى (ج ١٠ طبعة دار الكتب) : « سنان الخارجى » . والذى فى الشعر والشعراء : « شيبان الخارجى » وهو تحريف فى جميعها .

الدنيا وسَخَوْت بنفسى فى سبيل عشرة آلاف و برَزْت إليه ، فإذا عليه فَرْو قد أصابه المطر فارمَعلّ[1] ، ثم أصابته الشمس فاقفعلّ[2] ، وله عينان تتقدان كأنهما جمرتان . فلما رآنى فهِم الذى أخرجنى ، فأقبل نحوى وهو يرتجز ويقول :

وخارجٍ أخرجه حُبُّ الطَّمعْ فرَّ من الموت وفى الموت وَقَعْ

* مَن كان يَنْوى[3] أهلَه فلا رَجع *

فلما رأيته قنَّعتُ رأسى[4] ، ووليّت هارباً ، ومروان يقول : من هذا الفاضح ؟ لا يَفُتْكم ، فدخلت فى غُمار الناس[5] .

لبعض الأعراب في كراهية الغزو

وقيل لأعرابىّ : ألا تغزو العدوّ ؟ قال : وكيف يكونون لى عدوًّا وما أعرفهم ولا يعرفونى ؟

وقيل لآخر : ألا تغزو العدوّ ؟ قال : والله إنى لأُبغض الموت على فراشى ، فكيف أخُبّ[6] إليه رَكْضاً .

لحسان بن ثابت يعير الحارث بن هشام بفراره يوم بدر

ومما قيل فى الفرّارين والجبناء من الشعر قولُ حسان بن ثابت[7] [يُعيِّر الحارث بن هشام بفراره يوم بدر ، وقد تقدم ذكر ذلك] :

إن كنتِ كاذبةَ الذى حدّثتِنى فنَجوتِ مَنْجَى الحارث هشامِ ٥٥/١
ترَكَ الأحبّةَ لم يُقاتل دُونَهم ونَجا برأس طِمِرّةٍ ولِجام[8]

(١) كذا فى عيون الأخبار ، وارمعل : ابتل . والذى فى ا : « بله المطر فابتل » . والذى فى سائر الأصول : « بله المطر فانفعل » . وهو تحريف .
(٢) كذا فى عيون الأخبار . واقفعل : تقبض . والذى فى الأصول : « فارصعل » . وهو تحريف .
(٣) كذا فى أكثر الأصول وعيون الأخبار . والذى فى ا : « يهوى » .
(٤) فى ا : « فرسى » . وهو تحريف .
(٥) رواية هذا الخبر فى عيون الأخبار تختلف فى كثير من ألفاظها عما هنا .
(٦) فى عيون الأخبار : « أمضى » .
(٧) هذا الشعر يروى أيضاً لحماس بن قيس بن خالد البكرى (كما فى الكامل) .
(٨) الطمرة : الأنثى من الجياد ، وهى المستفزة للوثب والعدو ؛ وقيل : هى الطويلة القوائم .

ملأتْ به الفرْجين فارمدَّت به وثَوى أحبَّتُــه بشرّ مُقام[(١)].

لبعض العراقيين فى أ كول جبنن

وقال بعضُ العراقيِّين فى رجل أُكُول جبان :

إذا صوّت العُصفور طار فؤاده وليث حديد النَّاب عند الثرائدِ[(٢)]

وقال فيه :

ضَعِيف القَلْبِ رِعْـديدٌ عَظِيم الخَلْق والمَنْظَرْ
رأى فى النـوم عُصفوراً فوارَى نفسَــه أشْهُرْ

لآخرين فى بعض الجبناء

وقال آخر :

لو جَرت خيل نُـكوصاً[(٣)] لجَرت خَيْــلُ ذُفافه
هى لا خَيْــل رَجاء لا ولا خَيْــل مخافه

وقال آخر :

خرَجْنا نُريد مُغاراً[(٤)] لنا وفينا زيادٌ أبو صَعْصعه
فستَّة رَهْط به خَمْسة وخَمْسة رَهْط به أربعـه

للطرماح فى جبن بنى تميم

ولم يَقُل أحد فى وَصْف الجُبن والفرار مثل قول الطِّرماح فى بنى تَميم :

تَميم بطُرْق اللُّؤم أهدَى من القَطا ولو سَلـكت طرْق[(٥)] المكارم ضَلَّتِ
ولو أنّ بُرغوثًا على ظَهر قَملة رَأَته تَميم يوم زَحْف لولّت[(٦)]

---

(١) ملأت به الفرجين ، كناية عن سرعة الفرس فى نقل قوائمها حتى لا تترك سعد بينها . وارمدت : أسرعت .

(٢) المقول فيه هذا البيت هو أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد . كما سبق ذلك فى ص ١٤٣ .

(٣) فى ا : « ركوصا » . وهو تحريف .

(٤) فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٣١١) : « غزاة » .

(٥) كذا فى ا وعيون الأخبار (ج ٢ ص ١٩٥) . والذى فى سائر الأصول وكتاب التنبية (ص ١٢٨) وبلوغ الأرب (ج ١ ص ٢٤) والشعر والشعراء : « سبل » .

(٦) فى الشعر والشعراء :

* يكر على صفى تميم لولت *

ولو جَمعتْ يوماً تميمُ جُموعَها على ذَرَّة مَنقولة لاشمأزَّت[١]

لزفر بن الحارث يعتذر عن فراره يوم مرج راهط

وليس يُعاب الشجاع والبُهْمة[٢] البطل بالفَرَّة الواحدة تكون منه خاصة لا عامة، [وقليلة لا عادة]، كما قال زُفر بن الحارث، وفَرَّ يومَ مَرْج راهط[٣] عن أبيه وأخيه[٤] فقال:

أيذهب يَوْمٌ واحد إن أسأتُه بصالح أيامي وحُسنِ بلائيا

ولمْ تُرَ منّى زَلّةٌ[٥] قبلُ[٦] هذه فِرارى وترْكى صاحِبىَّ ورائيا

لعمرو بن معديكرب فى وقائع فر فيها

وفَرَّ عمرو بن مَعْديكرب من عبّاس بن مِرداس [السُّلَمى]، وأسر أخته رَيْحانة. وفيها يقول عمرو:

أمِن رَيْحانةَ الداعى السَّميعُ يُؤرِّقنى وأصحابى هُجوعُ

وفَرَّ عن بَنى عَبس، وفيهم زُهَيْرُ بنُ جَذيمة العَبْسى، وولده شأس بن زُهير، وقَيس بن زُهير، [ومالك بن زهير] فقال فيهم[٧]:

أجاعِلة أم الثُّوَيرِ[٨] خَزايةً[٩] علىَّ فِرارى إذ لَقِيتُ بنى عَبْسِ

---

(١) كذا فى ا واشمعلت: تفرقت. والذى فى سائر الأصول والشعر والشعراء: «لاستقلت».

(٢) البهمة (بالضم): الشجاع الذى لا يهتدى من أين يؤتى.

(٣) مرج راهط: بنواحى دمشق. ويشير إلى الموقعة التى كانت بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس الفهرى لمخالفة الضحاك على مروان وعدم مبايعته له. وقد انتهت بقتل الضحاك واستقامة الأمر لمروان. (انظر معجم البلدان).

(٤) فى معجم البلدان: «عن ثلاث بنين له وغلام فقتلوا».

(٥) فى معجم البلدان: «نبوة».

(٦) كذا فى ا. والذى فى سائر الأصول: «مثل».

(٧) نسب هذا الشعر فى غرر الخصائص لعبد الله بن عنقاء الجهمى، وكان لقيه بنو عبس وهو يسوق بامرأته أم الحصين ففر عنها، فعيرته، فقال هذه الأبيات. وبين روايتها هنا وروايتها هناك خلاف فارجع إليه.

(٨) أم الثوير: هى امرأة عمرو بن معد يكرب. والذى فى غرر الخصائص: «أم الحصين».

(٩) فى ا: «جناية».

لَقِيتَ أبا شَأْسٍ وشأساً ومالـكا … وقيساً فجاشت من لِقائهمُ نفسى

لَقُونا فضَمّوا جانبَيْنا بصادقٍ … من الطعنِ مثلِ النّارِ فى الحطب اليَبْس

ولما دخلنا تحت فَىْء رماحهـم … خَبَطْتُ بكفّى أطلب الأرض باللّمس

وليس يُعاب المَرء من جُـبن يَوْمه … إذا عُرِفت منه الشجاعةُ بالأمس

[وقال أيضاً :

ولقد أجمع رِجْـلَىّ بها … حَـذَر الموت وإنى لفرُورْ

ولقـد أعْطِفها كارهـةً … حين للنَّفْس من[1] المَوت هَرِير

كُلُّ ما[2] ذلك منِّى خُلُقٌ … وبكُلٍّ أنا فى الرَّوْع[3] جَدِير

وابْن صُبْحٍ[4] سادراً[5] يُوعِدنى … ما له فى الناس ما عشت مُجِير[6]

٥٦/١ وقال الحارث[7] لامرأته ، وذلك أنها نَظرت إليه وهو يَحُدّ حربةً يوم فتح مكة ، فقالت له : ما تصنع بهذه ؟ قال : أعددتها لمحمد وأصحابه . فقالت : ما أرى

للحارث يعتذر لامرأته عن فراره يوم الفتح

(١) كذا فى شرح الحماسة . والذى فى ا : «على» . والهرير : الصياح .

(٢) ما (هنا) ، زائدة .

(٣) فى ا : «فى الحرب» . وما أثبتناه من شرح الحماسة .

(٤) كذا فى شرح الحماسة . وابن صبح ، إما أن يكون المراد به أنه لغير رشدة ، أى حملت به أمه وقت الصبح ممن أغار على قبيلته ، فنسبة إلى الصبح ؛ وإما أنه يستهزئ به ، أى يغير وقت الصبح كما يفعل الشجاع ، فنسبه إليه على سبيل السخرية . والذى فى ا : «وابن عجل» .

(٥) سادرا ، أى لا يبالى ما صنع .

(٦) فى ا :

« ليس ما عاش له منى بعير »

وهو تحريف . وما أثبتناه من شرح الحماسة .

(٨) نسب هذا الخبر وما قيل فيه من شر فى السيرة لابن هشام (ج ٤ ص ٤٩ – ٥١) ومعجم البلدان (عند الكلام على الخندمة) وغرر الخصائص ، لحماس بن قيس بن خالد ، أخى بنى بكر . وعقب ابن هشام فى السيرة بعد ذكر الخبر والأبيات الميمية الآتية بأنها تروى للرعاش الهذلى . ونسبه المبرد فى كتابة الكامل (ص ٣٦٥ طبعة أوربة) لأبى عثمان الهذلى الرعاش . قال : «ويقال : إن هذا الرجز لحماس ابن قيس» .

يقوم لمحمد وأصحابه شيء ! قال : والله إنى لأرجو أن أُخدمك بعضَهم ، ثم أنشأ يقول :

إن يُقبِلوا اليومَ فما بى عِلّه ... هذا سِلاحٌ كامِل وألّه[1]
وذو غِرارين سريعُ السَّله

فلما لقيهم خالدُ بن الوليد يوم الخَنْدمة[2] انهزم الرجل ، فلامته امرأته فقال :

إنك لو شَهِدْت يوم الخَندمه ... إذ فرَّ صَفْوان وفرَّ عِكْرِمه[3]
[وأبو يزيدَ[4] قائم كالمُوتِمه[5] ... واستقبَلْتنا بالسُّيوف[6] المُسْلِمه
يَفْلقن[7] كل ساعد وجُمجمه ... ضَرْباً فلا تَسْمع إلا غمْغَمه
لهم نَهِيتٌ[8] خَلْفنا وهَمْهمه[5]] ... لم تَنْطِق فى اللَّوم أدنَى كَلِمه

بين عبد الله بن زياد وأسلم بن زرعة حين فر من الخوارج

وكان أسلم بنُ زُرْعَة[9] وجّهه عُبَيد الله بن زِياد لحرب أبى بِلَال الخارجىّ فى ألفين ، وأبو بلال فى أربعين رجلا ، فشدّوا عليه شدّة رجل واحد فانهزم هو وأصحابه ؛ فلما دخل على ابن زياد عنَّفه فى ذلك وقال : أتمضى فى ألفين وتنهزم

---

(١) الألة : الحربة لها سنان طويل .
(٢) الخندمة : جبل دخل منه النبى صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح . قال المبرد : « وقيل : الخندمة : مشى فيه إسراع فأضيف إلى اليوم لما كثر فيه » .
(٣) يريد : صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل ، وكانا هما وسهيل بن عمرو قد جمعوا ناسا بالخندمة ليقاتلوا .
(٤) أبو يزيد : هو سهيل بن عمرو خطيب قريش . وقد سهلت همزة (أبو) لضرورة الشعر . والموتمة : المرأة مات زوجها وترك لها أيتاما .
(٥) التكلة من السيرة ومعجم البلدان .
(٦) فى السيرة ومعجم البلدان : « واستقبلتهم » .
(٧) فى السيرة ومعجم البلدان : « يقطعن » .
(٨) النهيت : الزئير والزحير .
(٩) الذى فى معجم البلدان (عند الكلام على آسك) : إن الموقعة كانت بين معبد بن أسلم وأبى بلال مرادس بن أدية الخارجى . والقصة هناك تختلف عنها هنا اختلافا كثيرا ، فارجع إليها .

عن أربعين ! فخرج عنه وهو يقول لأن يَذُمّنى ابنُ زياد حيًّا ، خيرٌ من أن يمدحنى ميتا[1] . [وفى رواية أخرى : أن يَشْتمنى الأمير وأنا حىّ ، أحب إلىّ من أن يدعوَ لى وأنا ميت .

فقال شاعر الخوارج[2] :

أألفا مؤمن ؟ لَستم كذاكم ولكنّ الخوارجَ مُؤْمنونا[3]
هم الفِئة القَليلة قد عَلمتم[4] على الفِئة الكثيرة يُنصرونا]

لعبد الله من مطيع فى فراره يوم الحرة

ومثل ذلك قولُ عبد الله بن مُطيع بن الأسود[5] العَدوىّ وكان فرّ يومَ الحَرّة من جيش مُسلم بن عُقبة ، فلما كان أيام حِصار الحجّاج بمكة لعبد الله بن الزُّبير جعل يُقاتل أهل الشام ويقول :

أنا الذى فَررتُ يوم الحرّه والشيخُ لا يَفِرُّ إلا مَرّه
فاليومَ أجزى فرّة بكرّه لا بأس بالكرّة بعد الفره

فلم يزل يقاتل حتى قُتل .

لقيس بن الحطيم فى الفرار

وأحسن ما قِيل فى الفِرار كلّه ما قال قَيْس بن الخَطِيم :

إذا ما فَرَرنا كان أسوَا فِرَارنا صُدودُ الخُدودِ وازْورارُ المَناكِبِ

---

(١) فى بعض الأصول : « وأنا ميت » .
(٢) هو عيسى بن فاتك الخطى ، أحد بنى تيم الله بن ثعلبة . (كما فى معجم البلدان) .
(٣) رواية عيون الأخبار ومعجم البلدان :

أألفا مؤمن فيما زعمتم ويهزمهم بآسك أربعونا
كذبتم ليس ذلكم كذاكم ولكن الخوارج مؤمنونا

وآسك (بفتح السين المهملة) : بلد من نواحى الأهواز قرب أرجان .
(٤) فى معجم البلدان : « غير شك » .
(٥) كذا فى ا والمعارف لابن قتيبة . والذى فى سائر الأصول : « الأسوار » . وهو تحريف .

أجالدهم يومَ الحَدِيقة[١] حاسِرًا كأنّ يدى بالسَّيف مِخراق[٢] لاعب

لقتيبة بن الحارث فى فراره يوم ثبرة

وفرّ عُتيبة بن الحارث بن شِهاب[٣] يومَ ثَبْرة[٤] عن ابنه[٥] حَزْوة وقال:

يا حَسْرتا لقد لَقِيت[٦] حَسْره يالتميم غَشِيَتْنِى غَمْره[٧]

نِعْمَ الفتى غادرته بثَبْره[٨] نَجَّيْت نفسى وتركت حَزْره

هل يَترك الحرُّ الكريم بِكْرَه

لأبى خراش الهذلى فى فراره

وَفرّ أبو خِراش الهُذلىّ من فائد[٩] وأصحابه ورَصدوه بعَرفات، فقال:

رَفَوْنى وقالوا يا خُوَيلد لا تُرَع فقلتُ - وأنكرتُ الوجوه - هُمُ هُمُ

وقلت وقد جاوزتُ أصحابَ فائد[٩] أأعجزت أُولَى الخَيْل أم أنا أحْلَمَ[١٠]

فلولا أُدَراك الشد قامت حَليلتى تَخيَّر من خُطّابها وهى أَيِّمُ

ولولا أُدَراكُ الشرّ أُتلفت مُهْجَتى وكاد خِراشٌ يومَ ذلك يُيْتَم

لحبيب بن عوف فى فراره يوم مرداه هجر

وفرّ حُبيب بن عَوف يوم مَرْداء هَجر[١١] من أبى فُدَيك فقال:

بَذَلتُ لهم يا قوم حَوْلِى وقُوّتى ونُصْحى وما ضَمّت يَدَاى من التِّبْرِ ٥٧/١

---

(١) الحديقة: قرية من أعراض المدينة فى طريق مكة، كانت بها وقعة بين الأوس والخزرج قبل الإسلام، وإياها أراد قيس بن الخطيم. (انظر معجم البلدان).

(٢) المخراق: منديل أو نحوه يلوى فيضرب به، أو يلف فيفزع به.

(٣) كذا فى ا ومعجم البلدان عند الكلام على ثبرة. والذى فى سائر الأصول: «هشام». وهو تحريف.

(٤) ثبرة: اسم ماء فى وسط واد فى ديار ضبة. (عن معجم البلدان).

(٥) فى ا: «أخيه». وهو تحريف.

(٦) فى ا: «ياحسرتاه لولقيت». وهو تحريف.

(٧) كذا فى ا. والذى فى سائر الأصول: «عبرة». وهو تحريف.

(٨) فى بعض الأصول: «بعبرة». وهو تحريف.

(٩) فى ا: «قائد». وهو تصحيف.

(١٠) كذا فى ا. والذى فى سائر الأصول: «أهل الحلم» مكان «أولى الخيل». وهو تبديل من الناسخ. يقول: هل أنا أعجزت أولى الخيل عن اللحاق بى وفتهم بفرارى، أو أن ذلك حلم من الأحلام.

(١١) تقدم التعريف بمرداء هجر فى الحاشية (رقم ٧ ص ١٤٢ من هذا الجزء).

فلما تناهى الأمرُ بى من عَدُوِّكم ... إلى مُهْجتى ولَّيتُ أعداءكم ظَهْرى
وطِرْتُ ولم أحْفِل(١) مَلامةَ عاجزٍ ... يُقيم لأطراف الرُّدينيّة(٢) الشُّمْر
فلو كان لى رُوحان عَرَّضتُ واحداً ... لـكل رُدَيْنِىّ وأبيضَ ذى أثْرِ(٣)

رَجَع بنا القولُ إلى الفرّارين والجُبناء وما قيل فيهم(٤) .

للفرزدق فى فرار خالد بن عبد الله ابن خالد بن أسيد

فَرَّ خالد بن عبد الله بن [خالد بن] أسِيد عن مُصْعب بن الزُّبير [يوم الجُفْرة](٥) بالبصرة ، فقال فيه الفرزدق :

وكُلُّ بنى السَّوداء قد فَرَّ فرَّةً ... فلم يَبْق إلا [فَرَّةٌ] فى أُستِ خالدِ
فَضحتم أمـــيرَ المؤمنين وأنتمُ ... تَمُرّون سُوداناً غِلاظَ السَّواعِد

لجبان فى تهيب الإقدام

وقيل لرجل جَبان فى بعض الوقائع : تَقدَّم . فأنشأ يقول :

وقالوا تَقدَّم قُلْتُ لستُ بفاعلٍ ... أخافُ على فَخّارتى أن تَحَطَّما(٦)
فلو كان لى رأسان أتلفتُ واحداً(٧) ... ولـكنَّه رأسٌ إذا راح(٨) أعقما
[ولو كان مُبتاعاً لدى السُّوق مثلُه ... فَعلتُ ولم أحْفِل بأن أتقدَّما]
فأُوتِم أولاداً وأُرمِـــل نِسْوةً ... فـكيف على هذا تَرَوْن التقدُّما

بين هند بنت النعمان وزوجها روح بن زنباع

وقالت هِنْد بنت النعمان بن بَشير لزوجها رَوْح بن زِنْباع [الجُذامىّ] : عجباً

(١) لم أحفل : لم أبال . والذى فى ا : « لم أجهل » . والذى فى سائر الأصول : « لم أجفل » وظاهر أنهما مصحفتان عما أثبتناه .
(٢) الردينية : نسبة إلى ردينة ، امرأة كانت تثقف الرماح .
(٣) الأثر : فرند السيف وجوهره .
(٤) يلاحظ أن الكلام متصل سابقه بلاحقه فى الفرارين ، فالتعبير بقوله « رجع بنا القول ... الخ » فى غير موضعه .
(٥) هذه العبارة من غرر الخصائص . وفيه بعد كلمة البصرة : وذلك أن المروانيين اغتنموا غفلة مصعب بن الزبير عنهم بالكوفة وكانوا بالبصرة ، فثار بهم خالد يدعو إلى عبد الملك بن مروان ، فلما أبلغ مصعبا الخبر أقبل من الكوفة إلى البصرة ففر خالد إلى الشام » .
(٦) فى ا : « الفخار أن يتحطما » .
(٧) فى ا : « عشت بواحد » .
(٨) فى ا : « زال » .

منك] ! كيف سَوَّدك قومُك وأنت جبان غيور ؟ قال : أما الجُبن ، فإنّ لى نَفْساً واحدة فأنا أَحُوطها ؛ وأما الغَيْرة ، فما أحقّ بها من كانت له امرأة حمقاء مثلُك ، مخافةَ أن تأتِيَه بولَدٍ من غيره فترْمِى به فى حِجْره .

لكعب بن زهير فى ذم قوم بالبخل والجبن

وقال كَعب بن زُهير :

بُخْـلاً علينا وجُبْناً من عَدوِّكُم لَبِئْست الخَلتان : البُخلُ والجُبُنُ

فضائل الخيـــل

للنبى صلى الله عليه وسلم فى فضل الخيل

قال النبىّ صلّى الله عليه وسلم فى [صفة] الخيل : أعرافها أدفاؤها ، وأَذْنابها مَذابّها ، والخَيل مَعقود فى نواصيها الخَيْرُ إلى يوم القيامة .

وقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : [عليكم بإناث الخيل ، فإنّ][1] بُطونها كَنْز ، وظُهورَها حِرْز ، وأصحابَها مُعانون عليها .

بين النبى صلى الله عليه وسلم ورجل أراد شراء فرس

وسأل رجل النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فقال : إنى أريد أن أشترى فرساً أُعِدّه فى سبيل الله . فقال له : اشتره أدهَم ؛ أو كُميتاً أقرح أرْثم[2] ، [أو] مُحجَّلا مُطْلَق اليمين ، فإنها مَيامن الخيل .

لبعض الحكماء

وقيل لبعض الحكماء : أىّ الأموال أشْرَف ؟ قال فَرَس يَتْبَعها فرس فى بَطْنها فرس .

صفة جياد الخيل

ما كان يستحبه الرسول صلى الله عليه وسلم من الخيل

كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يَستحبُّ من الخيل الشُّقر .

وقال : لو جُمعت خيل العرب فى صَعيد واحد ما سَبَقها إلا أشقر .

---

(١) التكملة من عيون الأخبار (ج ١ ص ١٥٣) .

(٢) الأقرح ، من القرح (بالتحريك) وهو دون الغرة ، وهو كل بياض كان فى جبهة الفرس ثم انقطع قبل أن يبلغ المرسن (الأنف) . والأرثم : من الرثم (بالتحريك) . وهو كل بياض أصاب الجحفلة (الشفة) العليا ، قل أو كثر ، إلى أن يبلغ المرسن .

وسأله رجل : أى المال خير ؟ قال : سِكّة مَأبورة ، ومُهْرة مَأمورة[١] .

وكان عليه الصلاة والسلام يَكره الشِّكال[٢] فى الخيل .

وقالوا : إنما سُمِّيت خَيلاً لاختيالها .

لأعرابى فى وصف فرس

ووصف أعرابى فرساً فقال : إذا تركته نَعَس ، وإذا حرّكته طار .

بين مسلم بن عمرو وابن عم له رغب إليه فى شراء خيل

وأرسل مُسلم بن عمرو لابن عَمّ له بالشام[٣] يشترى له خيلا . فقال له : لا عِلْم لى بالخيل . فقال : ألستَ صاحب قَنَص ؟ قال : بلى . قال : انظر كل شىء تستحسنه فى الكَلْب فاطلُبه فى الفرس . فأتى بخَيل لم يكن فى العرب مِثْلُها .

لبعض الضبيين فى وصف فرس

وقال بعضُ الضَّبيين [فى وَصْف فرس][٤] :

مُتقاذِفٍ عَبْل الشَّوى شَنِجِ النَّسا ... سَبّاقِ أنْدية الجِياد عَمَيْثَلِ[٥]

وإذا تَعَلّل بالسِّياط جِيادُها ... أعطاك نائلَه ولم يَتعلّل

لمطر بن دراج وقد سأله المهدى عن أفضل الخيل

٥٨/١ سأل المهدى مَطَر بن دَرّاج عن أى الخيل أفضلُ ؟ قال : الذى إذا استقبلته قلت نافر ، وإذا استدبرته قلت زاخر[٦] ، وإذا استعرضته قلت زافر[٧] . قال :

---

(١) السكة : الطريقة المصطفة من النخل . والمأبورة : الملقحة . والمأمورة : الكثيرة النسل والنتاج يقال : أمرهم الله فأمروا ، أى كثروا . يريد : خير المال زرع أو نتاج .

(٢) الشكال : أن تكون ثلاث قوائم محجلة وواحدة مطلقة ، أو عكس ذلك .

(٣) فى عيون الأخبار : « ابن عم إلى الشام ومصر » .

(٤) الزيادة من عيون الأخبار .

(٥) كذا فى عيون الأخبار (ج ١ ص ١٥٨) . والمتقاذف : السريع الركض . وعبل الشوى : غليظ القوائم . والنسا : عرق من الورك إلى الكعب . وشنج النسا : متقبضه ، وهو مدح للفرس ، لأنه إذا شنج نساه لم تسترخ رجلاه . والعميثل : النشيط . والذى فى الأصول : « متقارب ... الخ » .

(٦) كذا فى أكثر الأصول . والذى فى ا : « باخر » . وهو تحريف . يريد أنك إذا استدبرته رأيته زاخر الكفل ، أى ممتلئة ، وذلك مما يمدح فى الخيل . وفسر هذا اللفظ فى « نخبة عقد الأجياد » بأنه المشرف العالى .

(٧) كذا فى ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى وعيون الأخبار ونخبة عقد الأجياد . ولعل المراد بالزافر : العظيم الزفرة (بالضم) ، وهى وسط الفرس ؛ فما يمدح فى =

فأىّ هذه أفضل ؟ قال : الذى طرفه إمامه ، وسوطه عنانه .

لآخر فى أفضل الخيل

وقال آخر[١] : الذى إذا مشى رَدَى[٢] ، وإذا عَدَا دَحا[٣] ، وإذا استُقْبِل أقْعى ، وإذا استُدْبِر جَبّى[٤] ، وإذا استعْرِض استوى .

لصعصعة بن صوحان وقد سأله معاوية عن أفضل الخيل

وسأل معاويةُ بن أبى سفيان صَعصعة بن صَوحان[٥] : أى الخيل أفضل ؟ قال : الطويل الثلاث ، القَصير الثلاث ، العريضُ الثلاث ، الصّافى الثلاث . قال : فسِّر لنا . قال : أما الطويل الثلاث ، فالأذن والعنق والحِزَام . وأما القصير الثلاث ، فالصُّلب والعَسِيب والقَضيب . وأما العريض الثلاث ، فالجبهة والمِنْخَرِ والوَرِك ؛ وأما الصافى الثلاث ، فالأديم والعَيْن والحافر .

بين عمر بن الخطاب وعمرو ابن معديكرب فى معرفة عراب الخيل

وقال عمر بن الخطاب لعمرو بن مَعْديكرب : كيف مَعرفتك بعِرَاب الخيل؟ قال : معرفة الإنسان بنفسه وأهله وولده . فأمر بأفراس فعُرِضَت عليه . فقال : قدِّموا إليها الماء فى التِّراس[٦] ، فما شَرِب[٧] ولم يَكْتِفْ فهو من العِراب ، وما ثنَى سُنبكه فليس منها .

رواية أخرى فى الخبر السابق

[قلت : إنما المحفوظ أنّ عمر شكّ فى العِتاق والهُجُن ، فدعا سَلْمان بن ربيعة

= الفرس أن يكون عظيم الجوف مجفر الجنبين . والذى فى ا : « زاحر » . والذى فى سائر الأصول : « زاجر » وكلاهما محرف .

(١) هو ابن أقيصر ، أحد بنى أسد بن خزيمة . (انظر الأمالى وعيون الأخبار) .

(٢) الرديان : أن يرجم الأرض رجماً بين المشى الشديد والعدو . (عن الأمالى) .

(٣) إذ . كان الفرس فى سيره يرمى بيديه لا يرفع سنبكة عن الأرض قيل : مر يدحو دحوا . (عن الأمالى) .

(٤) كذا فى عيون الأخبار . وجبى : انكب على وجهه . والذى فى الأمالى : « جنأ » وهو بمعنى « جبى » . والذى فى ا : « حبا » . والذى فى سائر الأصول : « حقا » . وكلاهما تحريف .

(٥) نسب هذا الكلام أيضاً لأيوب بن القرية ، وقد سأله الحجاج عن صفة الجواد من الخيل . (انظر نهاية الأرب ج ١٠ ص ٢٠) .

(٦) التراس : جمع ترس ، وهو صفحة مستديرة تحمل للوقاية من سيف ونحوه .

(٧) كتف الفرس : ارتفعت فروع كتفه .

الباهلى [فأخبره . فأمر سلْمان][1] بطَست من ماء فوُضع بالأرضِ ، ثم قدَّم إليه الخيل فرساً فرساً ، فما ثنى سُنْبكه وشرب هجَّنه] ، [وما شرب ولم يَثْنِ سنبكه عرَّبه][2] .

لحسان بن ثابت وغيره من الشعراء فى الخيل

وقال حسّان بن ثابت يَصِف طولَ عنق الفرس :

بكلِّ كُمَيتٍ جَوْزُه نِصفُ خَلْقه أقبَّ طُوالٍ مُشْرِف فى الحَوارِكِ[3]

وقال زُهير :

ومُلْجَمنا ما إن يَنال قَذالُه ولا قَدماه الأرض إلاّ أنامِله[4]

وقال آخر[5] :

له ساقَا ظَليمٍ خا ضبٍ فُوجِىء بالرُّعبِ[6]

حَدِيد الطَّرْف والمَنْكِبِ والعُرْقُوب والقَلب

وقال آخر[7] :

هَرِيتٌ[8] قَصِير عِذَاب اللِّجام أسيلٌ طَويل عِذارِ الرَّسَن[9]

(١) التكلة من عيون الأخبار .

(٢) وذلك لأن فى أعناق الهجن قصرا ، فهى لا تنال الماء فى تلك الحال حتى تثنى سنابكها. وأعناق العتاق طوال .

(٣) الكميت : من الكمتة ، وهى لون بين السواد والحمرة . وجوزه : وسطه . والأقب من الخيل : الدقيق الخصر الضامر البطن . والطوال : الطويل . والحوارك : أعالى الكاهل .

(٤) القذال من الفرس : معقد العذار خلف الناصية .

(٥) هو أبو دواد . انظر الأمالى (ج ٢ ص ٢٤٩) ولسان العرب (مادة خضب) .

(٦) الظليم : ذكر النعام . والخاضب : الذى اغتلم فاحمرت ساقاه . وقيل : هو الذى أكل الربيع فاحمرت ساقاه .

(٧) هو تميم بن أبى بن مقبل ، أحد شعراء الجاهلية ، مخضرم عاش مائة وعشرين سنة . (انظر شرح القاموس مادة قبل ولسان العرب مادة رسن) .

(٨) الهريت : الراسع الشدقين الطويل شق الفم .

(٩) رواية هذا البيت فى كتاب الخيل للأصمعى ،

وأحوى قصير عذار اللجا م وهو طويل عذار الرسن

والرسن : والزمام .

لم يُرد بقوله . « قصير عذار اللجام » قِصَرَ خده ، وإنما أراد طولَ شَقِّ الفم . وأراد بطول عذار الرسن : طولَ الخد .

وقال آخر :

بكُل هَرِيتٍ نَقِيِّ الأَدِيم طَوِيل الحِزام قَصِير اللَّبَب[١]

لأبي عبيد وغيره فيما يستدل به على عتق الفرس

وقال أبو عبيدة يُستدل على عِتْق الفرس بِرقّة جَحافله[٢] وأَرْنبته ، وسَعة مِنْخريه ، وعُرْى نواهقه[٣] ، ودِقَّة حَقْوَيه وما ظهر من أعالى اذنيه ، ورِقَّة سالفتيه وأديمه ، و [لين[٤]] شعره . وأبينُ من ذلك كله لين شَكِير[٥] ناصيته وعُرْفه . وكانوا يقولون . إذا [اشتدَّ] نفَسه ، ورَحُب مُتَنفَّسه ، وطال عُنقه ، واشتد[٦] حَقْوه ، وانهرت[٧] شِدْقه ، وعَظُمت [فخذاه ، وانشبخت أنْساؤه[٨] ، وعظمت] فُصوصه[٩] ، وصَلُبت حوافرهُ ووَقُحت ، أُلحِق بجياد الخيل .

لرجل من بني أسد في الكريم والمقرف من الخيل

[قيل لرجل من بنى أسد : أتعرف الفرسَ الكريم من المُقرف ؟ قال : نعم ؛ أما الكريم ، فالجواد الجيِّد الذى نَهز نَهْزَ العَيْر[١٠] ، وأنَّف

(١) لبب الفرس : منحره .

(٢) الجحافل : جمع جحفلة ، وهى الشفقة .

(٣) يريد بالنواهق : الناهقين ، وهما العظمان الشاخصان فى مجرى الدمع .

(٤) هذه الكلمة من نهاية الأرب .

(٥) كذا فى كتاب حلية الفرسان وشعار الشجعان لابن هذيل الأندلسى (ص ١٧) . والشكير : ما أطاف بالناصية من قصير الشعر ، وهو مما يستدل به على العتق . والذى فى ا : « شكيم » : والذى فى سائر الأصول : « شكيل » . وكلا اللفظين محرف .

(٦) كذا وردت هذه الكلمة فى الأصول وعيون الأخبار . وقد سبق فى كلام أبى عبيدة ما يفيد أن من علامات عراب الخيل دقة الحقو لا استدارته . فلعل قوله « واشتد » محرف عن لفظ يفيد معنى الدقة والضمور .

(٧) انهرت : اتسع .

(٨) الشبخ : تقلص الجلد والأصابع وغيرهما ؛ يقال : فرس شبخ النسا ، منقبضه ، وهو مدح له . والنسا (بالفتح) : عرق من الورك إلى الكعب .

(٩) الفصوص : جمع فص ، وهو ملتقى كل عظمين .

(١٠) يقال : نهزت الدابة ، إذا نهضت بصدرها للسير . والعير : الحمار الوحشى . والذى فى عيون الأخبار : « لهز لهز » بيناء الفعل المجهول . والملهوز : المضبر =

تأنيف[١] السَّيْر ، الذى إذا عدا أسلهبّ ، وإذا أقبل أجعلبّ ، وإذا انتصب اتلأبّ[٢]] .

وأما المُقرِف : فإنه الذَّلول الحَجبة[٣] ، الضخم الأرنبة ، الغليظ الرقبة ، الكثير الجلبة ، الذى إذا أرسلته قال : أمْسِكنى ، وإذا أمسكته قال : أرْسِلْنى .

خبر سليمان صلوات الله عليه مع جياده وخبر الفرسين المعروفين : زاد الراكب وأعواج

وكان محمد بن السائب الكلبي يُحدِّث : أن الصافنات الجياد المَعروضة على سليمان بن داود عليهما السلام [كانت ألف فرس] ورثها عن أبيه ، فلما عُرِضت ٥٩/١ ألهَتْه عن صلاة العصر حتى توارت الشمسُ بالحجاب ، فعَرْقبها إلا أفراساً لم تُعرض عليه . فوفَد [عليه[٤]] أقوامٌ من الأَزْد وكانوا أصهارَه ، فلما فرغوا من حوائجهم[٥] قالوا : يانبيّ الله ، إن أرضنا شاسعة فزَوِّدنا زاداً يبلِّغنا . فاعطاهم فرساً من تلك الخيل وقال : إذا نزلتم منزلاً فاحملوا عليه غلاماً واحتطبوا ، فإنكم لا تورُون ناركم حتى يأتيكم بطعامكم ، فساروا بالفرس ، فكانوا لا ينزلون منزلاً إلا رَكِبه أحدُهم للقَنَص . فلا يُفلِته شيء وقعت عينُه عليه من ظَبْى أو بقر أو حمار ، إلى أن قدموا إلى بلادهم ، فقالوا . ما لفرسنا [هذا اسم][٤] إلا « زاد الراكب » . فسمَّوْه زادَ[٦] الراكب . فأصلُ فحول العرب من نِتاجه .

الخلق . والضبير : اكتناز اللحم ، فكأنه يريد أن يمدحه بأنه مكتنز الخلق كالعير الوحشى . وهذه الرواية أنسب بوصف الفرس من رواية الأصول .

(١) المؤنف : المحدد من كل شىء ؛ ومنه سير مؤنف ، أى مقدود على قدر واستواء . يريد أن الفرس قد سوى خلقه على قدر كما يسوى السير المقدود من الجلد .

(٢) اسلهب : مضى . والذى فى الأصول : « اجلهب .. الخ » . والتصويب من عيون الأخبار . واجلعب : امتد على الأرض . واتلأب : رفع صدره ورأسه .

(٣) حجبة الفرس : ما أشرف على صفاق البطن من وركيه . والذى فى عيون الأخبار « مدلوك الحجبة) . وهو الذى ليس لحجبته إشراف فهى ملساء مستوية . وهذا هو المراد أيضا بكلمة « ذلول » .

(٤) هذه الكلمة من نهاية الأرب .

(٥) فى ا : « صلاتهم » .

(٦) فى كتاب تسمية الخيل لابن الأعرابى : « زاد الركب » ويؤيد هذه الرواية شعر الفندجانى وهو :

ويقال إن أعوج كان منها ، وكان فحلا لهلال بن عامر أنتجته أمّه ببعض بيوت الحىّ ، فنظروا إلى طِرْف يضع جَحفلته على كاذَتها (على الفخذ مما يلى الحَياء) فقالوا : أدركوا ذلك الفرس لا يَنزو على فرسكم[١] ، لِعظَم « أعوج » وطول قوائمه . فقاموا [إليه][٢] فوجدوا المُهْر ، فسمَّوه أعوج .

وأخبرنا فرج بن سلّام عن أبى حاتم عن الأصمعى قال : أُغير على أهل النِّسار[٣] ، وأعوجُ مُوثَق بثُامَة[٤] ، فجال صاحبُه فى مَتْنه ، ثم زجره فاقتلع الثمامة ، فخرجت تَخُفّ [فى مَتْنه] كالخُذروف وراءه . فغدا بياضَ يومه وأمسى يتعشَّى من جَميم قُباء[٥] .

للشعراء فى وصف الخيل

وقال الشاعر فى وصف فرس :

وأحمرَ كالدّيباج أمّا سماؤُه ... فريّا وأما أرضُه فمُحُولُ

قوله سماؤه : أعلاه ؛ وأرضه : أسفله . يريد قوائمه .

وللطائى نظير هذا حيث يقول :

مُبْتَـــلّ مَتْنٍ وصَهْوتين إلى ... حَوافرِ صُلْبَـــةٍ له مُلُسِ[٦]

= ولما رأوا ما قد رأته شهوده ... تنادوا ألا هـذا المبر المؤمل
أبوه ابنزادالركب وهو ابن أخته ... معم لعمرى فى الجياد ومخول

(١) ساق ابن الكلبى هذا الخبر فى كتابه أنساب الخيل وذكر بعد هذه الكلمة ما يأتى : « فخرجوا يسعون فإذا هى قد نتجت ، ووافق ذلك اليوم نجعة ، فساروا من يومهم أو ليلتهم ، وأصبح أعوج مع أمه لم تفته . فلما كان فى الليلة الثالثة حملوه بين جوالقين وشدوه بحبل فارتكض ، فأصبح فى صلبه بعض العوج ، فسمى لذلك أعوج » .

(٢) هذه الكلمة من نهاية الأرب .

(٣) كذا فى أكثر الأصول . والنسار : ماء لبنى عامر : له يوم . والذى فى ا : « السواد » . وهو تحريف .

(٤) بثامة ، أى بشجيرة من شجيرات الثمام المعروف .

(٥) الجميم . النبات الكثير ؛ أو هو الناهض المنتشر . وقباء : بئر سميت باسمها قرية على ميلين من المدينة ، وهى مساكن بنى عمرو بن عوف من الأنصار .

(٦) يصف الفرس بأنه ريان الأعلى ظمآن الأسفل .

فهو لَدَى الرَّوع والحَلائب(١) ذُو … أعْلى مُنَــدًّى وأسْفل يَبَس
[أو(٢) أدْهم فيه كُمْتَةٌ أُمٌ](٣) … كأنه قِطعة من الغَلَس
صَهْصَلق فى الصَّهيــل تَحْسَبه … [أُشْرِجَ حُلقُومه على جَرَس](٤)

وقال حَبيب أيضاً يصف فرساً أهداه إليه الحَسن بن وَهْب الكاتب :

ما مُقْرِبٌ(٥) يَختال فى أشْطانه … ملآنُ من صَلَف به وتَلهْوُق(٦)
بحَــوافر حُفْرٍ وصُلْب صُلَّب … وأشاعِرٍ شُـعْرٍ وخَلْق أحلق(٧)
وبشُعلة تَبدو كأن حُلولها … فى صَهْوتيــه بُدُوُّ شَيب المَفْرق(٨)
ذو أوْلق تحت العَجاج وإنما … من صِحَّةٍ إفراطُ ذاك الأوْلَق(٩)
تُغرَى العيونُ به ويُفلِق شاعرٌ … فى نعته عَفواً وليس بمُفلِق(١٠)
بمُصَعَّد من حُسنه ومُصوَّب … ومُجَمَّع فى خَلقــه ومُفَرَّق(١١)

---

(١) الحلائب : جمع حلبة ، وهى الخيل تجتمع للسباق . والذى فى الأصول وشرح الديوان للتبريزى : « الجلائب » بالجيم ، وهو تصحيف .

(٢) التكملة من ا وشرح ديوان أبى تمام .

(٣) الأم : الشىء بين الشيئين . (عن التبريزى) .

(٤) التكملة من ا ، وشرح ديوان أبى تمام . وصهصلق : شديد الصهيل . وأشرج : خيط .

(٥) كذا فى شرح ديوان أبى تمام للصولى . والمقرب من الخيل : الذى يدنى ويقرب ويكرم . والذى فى الأصول : « ما مقرف » . وهو تحريف لا يستقيم به المعنى . ولم ترد الأبيات الثلاثة الأول من هذه القطعة فى شرح ديوان أبى تمام للتبريزى .

(٦) الأشطان : الحبال ؛ الواحد : شطن . والتلهوق : المبالغة فى العجب والاختيال .

(٧) حفر ، أى قوية تحفر الأرض من صلابتها . والصلب (بالضم) : الظهر . وصلب : قوى . والأشاعر : ما استدار بالحافر من منتهى الجلد . وشعر : شديدة . وأحلق : واسع .

(٨) الشعلة : البياض .

(٩) الأولق : الجنون . يريد وصفه بشدة النشاط .

(١٠) مفلق : يجيىء بما يعجب . يقول : إن هذا الفرس يجيد فى وصفه من ليس بمجيد من الشعراء ، لأنه ينظر منه إلى ما يروق ويعجب .

(١١) كذا فى شرح التبريزى على ديوان أبى تمام . وقال التبريزى فيه : « مصعده : أعلاه ومصوبه : أسفله . ومجمعه : وسطه . ومفرقه ، كقوائمه وأذنيه ونحوها . يقول : إن فى الفرس أشياء يحمد اجتماعها فقد جمعت وأشياء يحمد افتراقها =

قد سالت الأوضاحُ[١] سيلَ قَرارة ... فيه فَمُفترق عليه ومُلْتَقى
صافى الأديم كأنما ألبسته ... من سُندس ثوبًا[٢] ومن إستبرق
مُسْوَدَّ شطر مثل ما اسودَّ الدُّجى ... مُبْيضَّ شطر كابيضاض المُهرق[٣]
فكأن فارسَه يُصرّف إذ بدا[٤] ... فى مَتْنه ابنًا للصباح[٥] الأبلق
إمليسه إمليده لو عُلِّقت ... فى صَهْوتيه العَيْن لم تتعلّق[٦]
يُرْقَى وما هو بالسَّليم ويَغْتَدِى ... دون السِّلاح سِلاحَ أرْوَعَ مُمْلِقِ[٧]

وقال أبو سُويد : شهد أبو دُلَف وقعة البَذّ[٨] وتحته فرس أدهم ، وعليه

فقد فرقت » . والذى فى الأصول : « فى نعته » مكان قوله « من حسنه » و « فى حسنه » مكان قوله « فى خلقه » . وما أثبتناه أولى بالسياق .

(١) كذا فى شرح ديوان أبي تمام للصولى . والأوضاح : جمع وضح (بالتحريك) : البياض . والذى فى الأصول : « الأوضاع » . وهو تحريف .

(٢) فى الديوان : « بردا » .

(٣) المهرق : ثوب حرير أبيض يسقى الصمغ ويصقل ثم يكتب فيه . يقول : إنه مقسوم على شعرة سوداء وشعرة بيضاء . قال التبريزى : « وظاهر لفظه يوهم أن نصفه بكليته أسود سواداً متصلا ، وليس كذلك » .

(٤) فى الأصول : « غدا » . وما أثبتناه من الديوان .

(٥) كذا فى ديوان أبي تمام . قال التبريزى : « فى بعض النسخ : ابنا للصباح ، وهو أشبه بمذهب الطائى . وفى بعضها : « ماء الصباح » وله معنى ، ولكن الأول أجود . يصف الفرس ببنوته للصباح فى بياضه » . والذى فى الأصول : « لين » . وهو تحريف .

(٦) إمليسه إمليده : أملسه أملده ، أى لين ناعم . والعين : يريد بها التى تصيب الإنسان وغيره من الحيوان ، ويدل على ذلك قوله « يرق ... الخ » فى البيت الآتى . يصفه بالملاسة والنعومة لأنها تدل على السلامة من العيوب .

(٧) يرق ، من الرقية . والسليم : الذى قد لدغ . قال التبريزى : « هذا الفرس يرق لكرامته عند أهله » . والأروع : الشجاع . والمملق ، أى الذى لا سلاح له . يقول : إذا طلب الأعداء هذا الفارس كان الفرس سلاحا له ، كما أنه إذا طلب هو عدوه أدركه .

(٨) فى الأصول : « وقعة بدر » . وهو تحريف . والبذ : كورة بين أذربيجان وأران ، بها كان مخرج بابك الخرمى فى أيام المعتصم . وقد ذهب إليه أبو دلف فى جملة من كان مع الأفشين حيدر بن كاوس لمحاربته . وفى هذا يقول أبو تمام يمدح أبا دلف :
وغيضة الموت أعنى البذ قدت لها ... عرمرما لحزون الأرض معتسفا

نضح الدم . فاستوقفه رجل من الشعراء[١] ، وأنشد :

٦٠/١ كم ذا تُجَرِّعه المَنون ويَسْلَمُ ... لو يستطيع شكا إليك الأدهَمُ
فى كل مَنْبِت شَعرةٍ من جِلده ... نَمَق[٢] يُنمّقه[٣] الحُسام المِخذم[٤]
وكأنما عَقَـــد النجومَ بطَرفه ... وكأنه بعُرَى المَجرة مُلجَم[٥]
وكأنه بين البَوارق[٦] لَقْوة[٧] ... شَقراء كاسرة طَوت ما تَطْعم
ما تُدرك الأرواح أدنَى سَيْره[٨] ... لا بل يَفوت الريحَ فهو مُقدَّمُ
رَجَمته أطرافُ الأسـنّة أشقراً ... واللونُ أدهمُ حين ضرّجه الدَّم

قال : فأمر له بعشرة آلاف درهم .

ومن قولنا فى وصف الفرس :

ومُقْرَبة يَشْقَرّ فى النَّقْع كُمْتُها[٩] ... ويَخضرّ حيناً كلما بلّها الرَّشْحُ
تَطير بلا رِيش إلى كل صَيْحة ... وتَسْبح فى البَرّ الذى ما به سَبْح

وقال عدىّ بن الرِّقاع :

يَخْرجن من فُرُجات النَّقع دامية ... كأن آذانَها أطرافُ أقلامِ

= (انظر الأغانى فى ترجمة أبى دلف ومعجم البلدان عند الكلام على البذ وديوان أبى تمام) .

(١) هو إسحاق بن خلف البهرانى . (انظر زهر الآداب للحصرى ج ١ ص ٣٠٩) . غير أنه ذكر خطأ فيه باسم التهروانى .

(٢) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « يمن » . وهو تحريف .

(٣) فى ا : « يتبعه » . وهو تحريف .

(٤) المخذم : القاطع .

(٥) يشير بهذا البيت إلى أنه مرتفع الرأس لايخفضه .

(٦) البوارق : السيوف .

(٧) كذا فى أكثر الأصول . واللقوة : أنثى العقبان . والذى فى ا : « لبوة » . وهو تحريف .

(٨) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « شدة » . والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٩) المقربة من الأفراس : التى تدنى وتقرب وتكرم ، ويفعل ذلك بالإناث لئلا يقرعها فحل لئيم . وكمتها : من الكمتة ، وهى الحمرة يخالطها سواد .

وطلب البُحترىّ الشاعر من محمد بن حُميد [بن عبد الحميد](١) الكاتب فرساً ، ووصف له أنواعا من الخيل فى شعره فقال :

لأُكلِّفنّ العِيسَ أبعدَ هِمّةٍ ... يجرى إليها خائفٌ أو مُرْتَجِى
وإلى سَراة بنى حُميد إنهم ... أمسَوا كواكبَ أشرقت فى مَذْحِج
والبيتُ لولا أن فيه فَضيلةً ... تَعلو البُيوتَ بفَضْلها لم يُحْجَج
فأعِنْ على غزْوِ العدوّ بمُنْطَوٍ ... أحْشاؤه طَىّ الرِّداء(٢) المُدْرَج
إمّا بأشقرَ ساطعٍ أغشَى الوَغى ... منه بمِثْل الكوكب المُتأجِّج
مُتَسربلٍ شِيةً طَلَتْ أعطافَه ... بدَمٍ فما تَلْقاه غيرَ مُضَرَّج
أو أدهمٍ صافِى الأديم(٣) كأنّه ... تحتَ الكَمِىّ مُظَهَّرٌ بيَرَنْدج(٤)
ضَرِمٍ يَهِيجُ السوطُ من شُؤْبوبه ... هَيْجَ الجَنائب من حَرِيق العَرْفج(٥)
خَفّت مواقعُ وَطْئه فلو أنّه ... يجرى برَمْلة عالجٍ لم يُرْهِج(٦)
أو أشهبٍ يَقَقٍ يُضِىء وراءه ... مَتْنٌ كمَتْن(٧) اللُّجّة المُتَرجْرِج
تَخْفَى الحُجولُ ولو بَلَغْنَ لَبانَه ... فى أبيضٍ مُتألِّقٍ كالدُّمْلج(٨)

---

(١) فى الأصول : « سعيد بن حميد الكاتب » . والتصويب والزيادة عن ديوان البحترى . ومن بين القصائد التى مدح بها البحترى محمدا هذا وصرح فيها باسمه قصيدة دالية أحد أبياتها :

محمد بن حميد أى مكرمة ... لم تحوها بيد بيضاء بعد يد

(٢) فى الديوان : « طى الكتاب » .

(٣) فى الديوان : « السواد » .

(٤) كذا فى الديوان . واليرندج : السواد يسود به الخف ، أو هو الزاج يسود به . والذى فى الأصول : « بالنيرج » . وهو تحريف .

(٥) الشؤبوب : شدة العدو . والجنائب : جمع جنوب ، وهى من الرياح : التى تقابل الشمال . والعرفج : ضرب من النبات سهلى طيب الريح ، ولهبه شديد الحمرة ، ويبالغ بحمرته ، فيقال : كأن لحيته ضرام عرفجة .

(٦) عالج : رمال بين فيد والقريات ينزلها بنو بحتر من طيىء ، وهى متصلة بالثعلبية على طريق مكة ، ولم يرهج : أى لم يثر الغبار من خفة وطئه .

(٧) فى الديوان : « كمثل » .

(٨) اللبان : الصدر . والدملج : حلى يلبس فى المعصم .

أوفى[١] بعُرفٍ أسودٍ مُتَفَرِّدٍ[٢]   فيما يَليـــه وحافر فَيْروزَجى
أو أبلقٍ مَلأ العُيونَ إذا بدَا   من كلِّ لوْنٍ مُعْجِبٍ بنَمُوذَجِ
جَذْلانَ تحْسُده الجِيادُ إذا مَشى   عَنَقاً[٣] بأحْسنِ حُلَّةٍ لم تُنْسجِ
وعَريضِ أعلى المَتْنِ لو عَلَّيتَه   بالزِّئْبقِ المُنهالِ لم يَترَجرَجِ[٤]
خاضت قوائمُه الوثيق[٥] بناؤها   أمواجَ تحْنيبٍ[٦] بهنَّ مُدَرَّجِ
ولأنتَ أبعدُ فى السَّماحة[٧] هِمَّةً   مِنْ أن تَضِنَ بمُوكفٍ[٨] أو مُسْرَجِ

وأول من شبه الخيلَ بالظبى [و] السِّرحان والنعامة وتَبِعه الشعراء وحَذَوا حذْوَهُ وعلى مثاله ، امرؤُ القيس بن حُجْر ، [فقال فى الفَرس] :

له أيْطَــلاَ ظَبْيٍ وسَاقَا نَعامةٍ   وإرْخاء سِرْحانٍ وتَقْريبُ تَتْفُلِ[٩]
كأنَّ على المَتْنين منه إذا انتَحَى   مَداكَ عَروسٍ أو صَلايةَ حَنْظَلِ[١٠] ٦١/١

---

(١) كذا فى ا والديوان . والذى فى سائر الأصول : « أوما » ، أى أو مأ بالهمز .
(٢) كذا فى نهاية الأرب . والذى فى أكثر الأصول : « متعرف » (بتشديد الراء المشددة) . والذى فى ا وديوان البحترى : « متعربب » والمعنى يستقيم على هذه الروايات جميعا .
(٣) العنق : ضرب من السير فسيح سريع .
(٤) كذا فى ديوان البحترى . والذى فى الأصول : « يتدحرج » .
(٥) فى الأصول : « القويم » . وما أثبتناه من الديوان .
(٦) التحنيب : احديداب فى وظيفى يدى الفرس ، ويوصف صاحبه بالشدة ؛ وقيل : هو بعد ما بين الرجلين من غير فحج ، وهو مدح .
(٧) فى الديوان : « فى المكارم » .
(٨) كذا فى الديوان . والموكف : الذى وضع عليه الوكاف ، وهو البرذعة . والذى فى الأصول : « ملجم » . وهو لايناسب قوله بعد « أو مسرج » إذ ما يلجم هو ما يسرج ، فلا معنى للعطف بأو فيهما .
(٩) الأيطل : الخاصرة . والإرخاء : شدة العدو . والتقريب : أن يرفع الفرس يديه معا ويضعهما معا فى عدوه . وقيل : إذا رجم الأرض رجما فهو التقريب . والسرحان : الذئب . والتتفل : ولد الثعلب .
(١٠) المتنان : ما اكتنفا فقار الظهر . وانتحى : اعتمد وقصد . والمداك : الحجر الذى يسحق عليه الطيب . والصلاية : الحجر الأملس الذى يسحق عليه حب الحنظل ونحوه . ويروى : « صراية » . وهى الحنظلة الخضراء البراقة ، أو الحنظلة الصفراء .

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا ... كجُلمودِ صَخْرٍ حطّه السيلُ من عَلِ
دَرِيرٍ كخُذروفِ الوليدِ أَمَرَّه[1] ... تتابُعُ[2] كفّيه بخيطٍ مُوَصَّلِ
كُميتٍ يَزِلُّ اللِّبْدُ عن حالِ مَتْنِه ... كما زَلَّت الصَّفْواءُ بالمتنزَّلِ[3]

فأخذت الشعراء هذا التشبيه من امرئ القيس فحذوا عليه ، فقال طُفَيلُ الخَيْل :

إنّي وإنْ قلّ مالى لا يُفارقنى ... مثلُ النّعامة فى أوصالها طُولُ
تَقْرِيبها المَرَطَى والجَوْزُ مُعْتدِلٌ ... كأنه سُبَدٌ بالماء مَغسولُ[4]
أو ساهِمُ الوَجْه لم تُقْطع أباجلُه ... يُصان وهو ليوم الرَّوْع مَبْذولُ[5]

بين عبد الملك ابن مروان وأصحاب له

وقال عبدُ الملك بن مَروان لأصحابه : أيّ المَناديل أفضل ؟ فقال بعضُهم : مَناديل مصر التى كأنها غِرْقئ[6] البَيْض . وقال بعضُهم : مَناديل اليمن التى كأنها أنوارُ الربيع . فقال : ماصنعتم شيئاً ، أفضل المناديل مناديل عَبْدة[7] ابن الطَّبيب حيث يقول :

---

(١) الدرير : الفرس السريع العدو . والخذروف : عود أو قصبة مشقوقة يفرض فى وسطه ثم يشد بخيط ، فإذا أمر دار وسمت له حفيفا ، يلعب به الصبيان . ويشبه به الفرس فى سرعته . وأمره : قلبه ثم أداره بين كفيه .

(٢) يروى : « تقلب » .

(٣) الكميت : ماخالط حمرته سواد . والحال : وسط الظهر . يريد وصف ظهره بالملامسة فإذا ألقى عليه اللبد زل فلم يثبت عليه . والصفواء : الصخرة الملساء التى لايثبت فيها شيء . والمتنزل : الذى ينزل عليها فيزلق عنها .

(٤) التقريب : أن يرفع الفرس يديه معا ويضعهما معا فى عدوه . وقيل : إذا رجم الأرض رجما فهو التقريب . والمرطى : فوق التقريب . والجوز : الوسط . والسبد : ثوب يسد به الحوض المركو لئلا يتكدر الماء ، يفرش فيه وتسق الإبل عليه .

(٥) ساهم الوجه : عابسه ، وهى صفة ممدوحة فى الخيل . والأباجل : جمع أبجل ، وهو عرق غليظ فى الرجل ، وهو فى الفرس بمنزلة الأكحل من الانسان .

(٦) غرقىء البيضة : القشرة الملتزقة ببياضها .

(٧) كذا فى ا . واسمه يزيد بن عمرو بن وعلة . والذى فى سائر الأصول : « عبادة » وهو تحريف .

لَمّا نَزَلنا ضَرَبنا ظِلَّ أخبيةٍ[١] وفارَ باللَّحْمِ[٢] للقوم المَراجيلُ
وَرْداً وأشْقَرَ[٣] لم يُنْهِئْه[٤] طابِخُه ماقارَبَ النُّضْجَ منها[٥] فهول مأكول
وقد وَثَبْنا على عُوجٍ مُسوَّمةٍ[٦] أعرافُهن لأيدينا منـــاديل

سوابق الخيل

الأصمعى فيما يسبق وما لا يسبق من الخيل

وقال الأصمعى : ما سَبَق فى الرهان فرس أهضم[٧]، قطّ . وأنشد لأبى النَّجم[٨] :

* مُنتفجُ الجوْفِ عَرِيضٌ كَلْكَلُه *

شعر لأبى النجم فى فرس سابقة لهشام بن عبد الملك

قال : وكان هشام بن عبد الملك رجلا مُسَبَّقاً لا يكاد يَسْبِق ، فسَبَقت له فرس أنثى وَصلَّت أختُها[١٠] ، ففرح لذلك فرحاً شديداً وقال : علىَّ بالشعراء .

---

(١) فى المفضليات : * لما وردنا رفعنا ظل أردية *
يريد أنهم بنوا أرديتهم فوق رماحهم كما تبنى الأخبية يستظل بها .
(٢) كذا فى الأغانى والمفضليات والكامل للمبرد . والذى فى الأصول : « بالغلى » .
(٣) يريد بالورد : ما أخذ فيه النضج من اللحم ؛ وبالأشقر : ما لم ينضج .
(٤) كذا فى المفضليات . ولم ينهئه ، أى لم ينضجه . والذى فى الأغانى والكامل للمبرد : « لايؤنيه » . أى لايؤخره . والذى فى الأصول : « لايوانيه » . وهو تحريف .
(٥) فى الأغانى والمفضليات : « ما غير الغلى منها » . والعرب لاتنضج اللحم ، إما لاستعجالها للضيف ، وإما لأن ذلك مستحب عندها .
(٦) فى الأغانى والمفضليات :
* ثمت قمنا إلى جرد مسومة *
والجرد : الخيل القصار الشعر ، وذلك مدح لها . والمسومة : المعلمة .
(٧) الهضم (فى الخيل) : استقامة الضلوع وانضمام أعالى البطن واستقامتها ودخول أعاليها ، وهو عيب .
(٨) هو الفضل بن قدامة ، الراجز المعروف .
(٩) كذا فى الاقتضاب . والذى فى الأصول : « منتفخ » . والانتفاج (بالجيم) : نحو من الانتفاخ ، إلا أن الانتفاخ (بالخاء) عن علة وداء ، والانتفاج (بالجيم) : من خلقة وسمن .
(١٠) صلت : جاءت تالية للسابق . وعبارة الشعر والشعراء (ص ٣٨٢) : فسبق على فرس له أنثى وصلى على ابنها » . وهذه الرواية تتفق مع الشعر بعدها .

قال أبو النّجم : فدُعينا فقيل لنا : قُولوا فى هذه الفرس وأختها . فسأل أصحابُ النشيد النَّظِرة حتى يقولوا . فقلت له : هل لك فى رجل يَنْقُدُك إذا استنسئوك ؟ قال : هات . فقلتُ من ساعتى :

أشاعَ للغَرّاء فينـــا ذِكْرَها قوائمٌ عُوجٌ أطعْنَ أمْرَها
وما نَسِينا بالطَّريق مُهْرَها حين[1] نَقِيسُ قدرَه وقدرَها
وصَـبْرَه إذا عدا[2] وصَـبْرَها والماء يعــلو نحره ونَحرَها
مَلْمومة[3] شَدَّ المَلِيكُ أَسْرَها[4] أســفَلَها وبطنَها وظَهرَها
قد كاد هاديها[5] يكون شَطْرَها[6]

قال أبو النَّجم : فأمر لى بجائزة وانصرفت .

بين الأصمعى وهارون الرشيد فى فرس كان للرشيد جاء سابقا فى الحلبة

أبو القاسم جعفر بن أحمد بن محمد وأبو الحسن على بن جعفر البَصرىّ قالا : حدّثنا أبو سعيد عبد الملك بن قرَيب الأصمعى : أن هارون الرشيد رَكِب فى سنة خمس وثمانين ومائة إلى المَيْدان لشهود الحَلْبة . قال الأصمعى : فدخلتُ الميدانَ لشُهودها فيمن شَهِد من خواص أمير المؤمنين ، والحَلبة يومئذ أفراس للرّشيد ولوَلَديه الأمين والمأمون ولسُليمان بن أبى جعفر المنصور ولعيسى بن جعفر .

---

(١) كذا فى الشعر والشعراء . والذى فى الأصول : « حتى » . وهو تحريف .
(٢) فى الشعر والشعراء : « إذ أوعثا » . وأوعث : وقع فى الوعث ، وهو المكان السهل الدهس تغيب فيه الأقدام .
(٣) ملمومة ، أى مجتمعة الخلق . والذى فى الشعر والشعراء : « ملبونة » . والفرس الملبونة : التى غذيت باللبن .
(٤) كذا فى الشعر والشعراء ونخبة عقد الأجياد . والأسر : شدة الخلق . والذى فى الأصول : « أزرها » .
(٥) الهادى : العنق . يريد وصفه بالطول .
(٦) زيد فى الشعر والشعراء بعد هذا :

لا تأخذ الحلبة إلا سؤرها

وسؤرها : فضل قوتها .

فجاء فرسٌ أدهمُ ، يقال له الرَّبِد[١] لهارون الرشيد ، سابقاً . فابتهج لذلك ابتهاجاً
عُلِم ذلك فى وجهه وقال : علىّ بالأصمعى . فنوديتُ له من كل جانب . فأقبلتُ
سريعاً حتى مَثَلْت بين يديه . فقال : يا أصمعى ، خُذ بناحية الرَّبِد ثم صِفْه من
قَوْنَسه إلى سُنبكه[٢] ، فإنه يقال : إن فيه عشرين اسماً من أسماء الطَّير . ٦٢/١
قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، وأُنشدك شعراً جامعاً لها[٣] من قول أبى حَزْرة[٤] .
قال : فأنشِدْنا لله أبوك . قال : فأنشدته :

وأقبّ كالسِّرحان تَمّ له ... ما بينَ هامتِه إلى النَّسْرِ

الأقبّ : اللاحق لُمخطَف البَطْن[٥] ، وذلك يكون من خِلْقة ، وربما حدث من هُزال أو بُعْد قَوَد[٦] ، والأنثى قَبّاء ، والجمع : قُبّ ، والمصدر : القَبَب . والسِّرحان : الذِّئب ، شبّهه فى ضُموره وعَدوه به ، وجمعه سَراحين ، وقد قالوا : سِراح[٧] . والهامة : أعلى الرأس ، وهى أم الدّماغ ؛ وهى من أسماء الطير . والنسر : هو ما ارتفع من بطن الحافر من أعلاه ، كأنه النَّوى والحَصى ، وهو من أسماء الطير ، وجمعه نسور .

رَحُبت نَعامتهُ ووُفِّر فَرْخُهُ ... وتمكّن الصُّرَدانِ فى النَّحْرِ

رحُبت : اتسعت . ونَعامته : جلدة رأسه التى تُغطّى الدماغ ، وهى من أسماء الطير . وقوله : « ووُفِّر فرخه » . الفرخ : هو الدماغ ، وهو من أسماء الطيور .

---

(١) كذا فى ا ونهاية الأرب وحلية الفرسان لابن هذيل . والذى فى سائر الأصول وبلوغ الأرب : « الربذ » : ولعل كلا اللفظين محرف عن الربذ (بفتح الراء وكسر الباء وذال معجمة) . والربذ من الخيل : السريع . أو محرف عن : الزبد (بفتح الزاى وكسر الباء) . وهو فرس كان للحوفزان ، فلعله سمى باسمه لشهرته .

(٢) أى من أعلى رأسه إلى طرف حافره .

(٣) كذا فى ا ونهاية الأرب . والذى فى سائر الأصول : « فيه » .

(٤) هى كنية جرير بن عطية الخطفى ، الشاعر المشهور .

(٥) مخطف البطن : منطويه .

(٦) القود : طول الظهر والعنق .

(٧) سراح ، بفتح السين وكسرها .

ووُفِّر : أى تُمّ ؛ يقال : وَفَرت الشىء ووَفَرته (بالتخفيف) فهو مَوْفور . والصُّرَدان : عِرْقان فى أصل اللسان ، ويقال : إنهما عرقان أخضران مُكتنفان باطن اللسان ، [يجرى] منهما الريق ونَفَس الرئة ، وهما من أسماء الطير . وفى الظهر صُرَد (أيضا) ، وهو بياض يكون فى موضع السَّرْج من أثر الدَّبَر[1] ؛ يقال : فرس صَرِد ، إذا كان ذلك به . والنحر : موضع القلادة من الصدر ، وهو البَرْك .

وأناف بالعُصفور من سَعَفٍ هامٍ أشمّ موثّق الجِذْر

أناف : أشرف . والعُصفور : [أصل] منبت الناصية والعُصفور (أيضا) : عظم ناتئ فى كل جَبين والعُصفور : من الغُرَر (أيضا) ، وهى التى سالت ودقت ولم تتجاوز إلى العينين ولم تستدر كالقُرحة ، وهو من أسماء الطير . والسَّعَف ، يقال : فرس بَيّن السعف ، وهو الذى سالت ناصيته . وهامٍ ، أى سائل منتشر . وأشمّ : مرتفع . والشّم فى الأنف : ارتفاع قَصبته . ويروى : « هادٍ أشم » يريد عُنقا مرتفعا ، وجمعه : هوادٍ . وقوله : موثّق ، أى شديد قوىّ . والجِذْر : الأصل من كل شىء . قال الأصمعى وغيره : هو بالفتح ؛ وقال أبو عمرو بن العلاء : هو بالكسر .

وازدان بالدِّيكين صَلْصَلُه ونَبَتْ دَجاجتُه عن الصَّدرِ

ازدان : افتعل ، من قولك زان يزين ، وكان الأصل ازتان ، فقلبت التاء دالا ، لقرب مخرجها من مخرج الزاى ، وكذلك ازداد ، من زاد يزيد . والديكان واحدهما ديك ، وهو العظم الناتئ خلف الأذن ، وهو الذى يقال له الخُشَشاء والخُشّاء . والصَّلصل : بياض [فى طرف] الناصية ، ويقال : هو أصل الناصية . والدَّجاجة : اللحم الذى على زَوْره بين يديه . والدِّيك والصَّلْصل والدَّجاجة ، من أسماء الطير .

(١) الدبر : جمع دبرة (بالتحريك) ، وهى قرحة الدابة .

والنَّاهِضَان أُمِرَّ جَازُهما فكأنما عُثِما على كَسْر

الناهضان : واحدهما ناهض ، وهو لحم المنكبين ؛ ويقال : هو اللحم الذى يلى العَضُدين من أعلاهما ، والجمع : نواهض ، ويقال فى الجمع : أَنْهضُ ، على غير قياس . والناهض : فرخ القطا ، وهو من أسماء الطير . وقوله : أُمِرَّ جَازُهما ، أى فُتِلَ وأُحْكِم ؛ يقال : أمررتُ الحبلَ فهو مُمَرّ ، أى فتلته . والجَازْ : الشد . وقوله :

* فكأنما عُثِما على كَسْر *

٦٣/١ أى كأنهما كُسرا ثم جُبرا . يقال : عُثِمت يدُه . والعَثْم : الجبر على عُقْدة وعوَج ؛ وعُثْمان ، فُعلان منه .

مُسْحَنفِرُ الجَنْبَيْن مُلْتئِم ما بين شِيمته إلى الغُرِّ

مسحنفر الجنبين : أى منتفخها . مُلتئم ، أى معتدل . وشِيمته : نَحْره[1] . والشِّيمة ، أيضا : من قولك : فرس [أشيم] ، بيِّن الشِّيمة ، وهى بياض فيه ؛ ويقال : أن تكون شامة أو شام فى جسده . والغُر فى الطير : الذى يسمى الرخمة ، وهى عضلة الساق[2] .

وَصَفَتْ سُمانَاه وحافِزُه وأَدِيمُه ومَنابتُ الشَّعْرِ

السُّمانَى : طائر ، وهو موضع من الفرس لا أحفظه ، إلا أن يكون أراد السَّمامة ، وهى دائرة تكون فى سالفة الفَرس ، وهى عُنقه ، والسَّمامة ، من الطير أيضا . والأديم : الجلد .

---

(١) كذا فى ا . والذى فى الأصول : « منخره » . ولم نجد للشيمة كلا المعنيين فى كتب اللغة . والذى فى نهاية الأرب : « والشيمة : من قولك : فرس أشيم : بين الشامة » .

(٢) كذا فى ا : والذى فى نهاية الأرب : « والغر فى الطير : الأغلب ، الذى يسمى الرخمة ، وهى من الفرس ، عضلة الساق » . والذى فى سائر الأصول : « والغر فى الأغلب على الذى يسمى الرخمة من الفرس ، وهى عضلة الساق » .

وسَمَا الغُراب لِمَوْقعَيْه معاً فأُبين بينهما على قَدْر

سما الغراب ، أى ارتفع . والغراب : رأس الورك . ويقال للصَّلَوين : الغرابان ، وهما مُكْتَنِفَا عَجْب الذنب(١) . ويقال : هما مُلْتقى أعالى الوركين . والموقعان ، منه فى أعالى الخاصرتين . فأُبين ، أى فُرِّق بينهما . على قدر ، أى على استواء واعتدال .

واكتنّ دون قَبيحه خُطَّافه ونأت سَمَامته عن(٢) الصَّقْر

اكتن : أى استتر . والقبيح : ملتقى الساقين ، ويقال(٣) إنه مُركَّب الذراعين فى العضدين . والخُطَّاف : من أسماء الطير ، وهو حيث أدركت عَقِبُ الفارس إذا حرّك رجليه . ويقال لهذين الموضعين من الفرس : المَرْكلان . ونأت ، أى بعدت . والسَّمامة : دائرة تكون فى عُنق الفرس ، وقد ذكرناها ، وهى من أسماء الطير . والصقر : أحسبها دائرة فى الرأس ، وما وقفت عليها ، وهى من أسماء الطير(٤) .

وتقدَّمت عنه القَطاةُ له فنأتْ بمَوْقعها عن الحُرِ(٥)

القطاة : مَقْعَد الرِّدْف ، وهى من أسماء الطير . والحُر : من الطير ، يقال إنه ذكر الحمام ، وهو من الفرس ، سواد يكون فى ظاهر أُذنيه .

وسَما على نَقَوَيْه دون حِدَاته خَرَبان بينهما مَدَى الشِّبْرِ

النَّقَوان : واحدها نَقْو ، والجمع . أنقاء ، وهو عظم ذو مُخ ، وإنما عَنَى هاهنا

---

(١) عجب الذنب : أصله ، وهو العصعص .

(٢) فى ا : « على » .

(٣) كذا فى ا ونهاية الأرب . والذى فى سائر الأصول وبلوغ الأرب : « ولا يقال » . وقوله « لا » زيادة من الناسخ .

(٤) زيد فى ا بعد هذا : « والصقران : موضع السوط من الخاصرتين » . والذى فى اللسان : « الصقران دائرتان من الشعر عند مؤخر اللبد من ظهر الفرس » .

(٥) هذا البيت وإن كانت مفرداته ظاهرة المعنى إلا أن مراد الشاعر به غير ظاهر .

عِظام الوَرِكين ، لأن الخَرَب هو الذى تراه مثل المُدْهُن فى وَرِك الفرس . وهو من الطير : ذَكَرُ الحُبارى . والحِدَأة : من الطير ، وأصله الهمز ، ولكنه خُفِّف ، وهى سالفة الفرس ، وجمعها حِداء ، على وزن فِعال[1] ، كما تقول : عَظاءة وعَظاء[2] ، ويقال : عَظاية[3] . وإذا فتحت الفاء قلت : حَدأة ، وهى الفأس ذات الرأسين ، وجمعها : حَدأ ، مثل نَواة ونَوى ، وقَطاة وقَطا .

يَدع الرَّضيم إذا جَرى فِلَقاً   بتَوائِمٍ[4] كمَواسِمٍ سُمْر

الرَّضيم : الحجارة . والفِلَق : المكسورة فِلَقا . بتوائم : جمع توأم ، وقد قالوا : تُؤَام ، على وزن فُعال[5] ، جمع تَوْأم ، وهى على غير قياس . يقول : هى مَثْنى مَثْنى[6] ، يعنى حوافره .

والمواسم : جمع مِيسم الحديد ، [من وسمت] ، أى [إنها كمواسم الحديد] فى صلابتها . وقوله : سمر ، أى لون الحافر[7] ، وهو أصلب الحوافر[8] .

رُكِّبْن فى مَحْص الشَّوى سَبِطٍ   كَفْتِ الوُثوب مُشَدَّد الأَسْر

(١) جمع حدأة على حداه نادر ، والأشهر فيه حدأ ، مكسور الأول مهموز ، مثل عنبة وعنب .

(٢) يلاحظ أن هذا التمثيل لا يراد به التنظير فى الوزن لاختلافه فيهما ، وإنما يراد به أن كلا منهما يفرق بينه وبين واحده بالتاء .

(٣) الأعرف : عظاية ، والعظاءة لغة فيها . ولكن سياق التعبير هنا يشعر خلاف ذلك .

(٤) فى ا : « بتوائم جمع تؤام . قال الشاعر :

قالت لنا ودمعها تؤام   كالدر إذ أسلمه النظام

« على الذين ارتحلوا السلام » »

ويلاحظ أن فيما تفيده هذه العبارة من أن توائم جمع تؤام خطأ ظاهر . فالذى ورد فى كتب اللغة : أن توائم وتؤام : جمعان لتوأم ، وهذا الشعر لجدير ، عبد بنى قميئة ، من بنى قيس بن ثعلبة .

(٥) فى الأصول : « تؤم ، على وزن فعل » . وما أثبتناه من كتب اللغة .

(٦) كذا فى ا ونهاية الأرب . والذى فى الأصول : « ويقال هو مثنى » . وهو تحريف .

(٧) فى الأصول : « واحد » مكان قوله « الحافر » وهو تحريف . والتصويب من نهاية الأرب .

(٨) عبارة نهاية الأرب : « والحافر الأسمر هو الصلب » . وهى أوضح .

الشوى ، هاهنا : القوائم ، والواحدة : شَواة . ويقال : فرس مَحْض الشوى ، إذا كانت قوائمه مَعصوبة . سَبِط : سهل . كَفْت الوثوب ، أى مجتمع ، من قولك : كَفَتُّ الشيء ، إذا جمعته وتمّمته[١] . مشدّد الأسر ، أى الخلق . ٦٤/١

قال الأصمعى : فأمر لى بعشرة آلاف[٢] درهم .

لأبي العتاهية في المشمر فرس الرشيد

[وسَبق يوماً فرسٌ للرشيد يُسَمَّى المُشمِّر ، وكان أجراه مع أفراس للفضل وجعفر بنى يحيى بن خالد البَرْمكىّ ، فقال أبو العتاهية :

جاء المُشمِّر والأفراس يَقْدُمها ... هَوْناً على سُرعة منها وما انْبهرا[٣]
وخَلَّف الرِّيح حَسْرَى وهى تَتْبعه ... ومَرّ يَختطف الأبْصار والنَّظَرا]

لأبي النجم في وصف الحلبة

وقال أبو النَّجْم [فى شعر يصف الفرسَ ، وهو أجود شِعْر] يصف الحَلْبة :

ثُمّ سَمِعنا بِرِهانٍ نَأمُله ... قِيدَ له من كُل أُفْقٍ جَحْفَلُه[٤]
فقلتُ للسائس[٥] قُدْهُ أُعْجِلُه[٦] ... واْغْدُ لَعنّا فى الرِّهان نُرْسِلُه
فظَلّ مَجْنوباً وظَلّ جَمَلُه ... بين شَعِيبَيْن وزادٍ يَزْمُلُه[٨]
نَعلو به الحَزْنَ ولا نُسَهِّلُه[٩] ... إذا علا الأَخْشَبَ صاح جَنْدلُه[١٠]

---

(١) يلاحظ أن هذا المعنى الذى ذكره ، وإن كان واردا فى كتب اللغة ، فإنه لا يناسب السياق . والأولى أن يفسر « الكفت » هنا بالسريع الخفيف . كما فى كتب اللغة .

(٢) كذا فى ا ونهاية الأرب . والذى فى سائر الأصول : « بألف درهم » .

(٣) فى نخبة عقد الأجياد : « وما انبهرا » .

(٤) الجحفل : الجيش الكثير ، ولا يكون ذلك حتى يكون فيه خيل .

(٥) فى ا : « للساقين » . وهو تحريف .

(٦) أراد « أعجله » بإسكان اللام ؛ فلما وقف على الهاء فسكنها ألقى حركتها على اللام ليستقيم الروى .

(٧) لعنا ، لغة فى لعلنا : ويروى ، لعلنا ، بإسكان اللام .

(٨) مجنوبا : لا يركب . وجمله يزمله : أى يحمل الزاد والعلف . وشعيبين ، أى مزادتين .

(٩) لا نسهله ، أى لا نصير به إلى السهل . وإنما أراد لانسهل به ، فحذف الحرف وأوصل . وهو على حد قول غيلان الربعى يصف حلبة .

« وأسهلوهن دقاق البطحا »

أراد : وأسهلوا بهن .

(١٠) كذا فى أكثر الأصول ونخبة عقد الأجياد . والذى فى ا : « الأخشن » مكان =

تَرَنُّم النَّوْح تَبْكى مُثْكِلُه(١) ... كأَنَّ(٢) فى الصوت الذى يُفصِّله
زُمَّارَ دُفٍّ يَتغنَّى جُلْجُلُه ... حتى وَرَدْنا المِصْر يُطْوَى قَنْبلُه(٣)
طَىَّ التِّجار العَصْبَ إذ تَنَخَّلُه(٤) ... وقد رَأينا فِعْلَهم فَنَفْعَلُه
نَطْوِيه والطَّىّ الرَّقيق يَجْدِله(٥) ... نُضَمِّرُ الشحمَ ولَسْنا نَهْزِله
حتى إذا الليلُ تولَّى أثجلُه(٦) ... وأَتْبع الأَيدىَ منه أرجلُه(٧)
قُمْنا على هَوْل شَديدٍ وَجلُه ... نَمُدّ حَبْلاً فوق خطّ نَعْدِله(٨)
نقوم قُدَّم ذا وهذا أَدخلِه(٩) ... وقام مَشْقوق القَمِيص يُعْجِله(١٠)
فوق الخُماسىّ(١١) قليلاً يَفضُله ... أَدْرَك عقلاً والرِّهانُ عَمَله
حتى إذا أدرك خيلاً مُرسِله ... ثار عَجاجٌ مُسْتَطِير قَسْطَلُه(١٢)
تَنْفُش منه الخيلُ مالا تَغْزِله(١٣) ... مَرًّا يُغطِّيها ومَرًّ تُنْعِله(١٤)

= « الأخشب » . ومؤدى اللفظين واحد . والجندل : الحجارة . يشير إلى صوت حوافره عليها .

(١) النوح : الجماعة من النساء تنوح . والمثكل : التى ثكلت ولدها .

(٢) فى ا : « كأنما » مكان قوله « كأن فى » .

(٣) الجلجل : الجرس . والقنبل : الطائفة من الخيل . والضمير فيها يعود على « المصر » . يريد أننا وردنا المصر وفيه جماعات الخيل تضمر استعدادا للرهان .

(٤) العصب : ضرب من البرود . وتنخله : تختاره .

(٥) يجدله ، أى يحكم فتل عضلاته ويحسن طيها . والذى فى الأصول : « يخزله » . وهو تحريف .

(٦) الأثجل : القطعة الضخمة من الليل .

(٧) أتبع : تبع . يريد أن أرجله قد تبعت أيديه . يصف مرور الليل وتوليه ، مشبها له فى مضيه بالفرس فى عدوه .

(٨) يريد الحبل الذى ينصب قبل إرسال الخيل ويجعل فى صدورها لتكون متساوية عند الإرسال . ويسمى : المقوس أو المقبض .

(٩) انظر الحاشية رقم (٦ ص ١٧٢) من هذا الجزء ، فما جرى هنا جرى هناك .

(١٠) فى الأصول : « يعقله » .

(١١) يقال : غلام خماسى ، وذلك إذا كان طوله خمسة أشبار .

(١٢) فى نخبة عقد الأجياد : « مستطيل قسطله » . والقسطل : الغبار الساطع .

(١٣) كذا فى نخبة عقد الأجياد . والذى فى الأصول : « تعزله » . بالعين المهملة ، وهو تصحيف .

(١٤) تنعله ، أى تجعل الغبار تحت أرجلها كالنعل . أو لعله : تجفله ، أى تجعله يجفل ؛ أي يبعد عنها . والذى فى الأصول : « تجعله » . وهو تحريف ظاهر .

مَرَّ القَطا انصبَّ (١) عليه أجْدَلُه   وهو رَخيّ البال ساجٍ (٢) وَهَلُه
قدَّمه مثلاً لمن يُمَثّله (٣)   تُطيره الجنّ وحيناً تُرْجِله
تَسْبح أخراه ويَطفو أوّله   ترى الغلام ساجياً ما يَرْكُلُه
يُعطيه ما شاء وليس يَسأله   كأنه من زبد يُسَرْبله (٤)
فى كُرْسُف النَّدّاف لولا بَلَله   تَخالُ مِسكاً عَلَّه مُعَلِّلُه (٥)
ثم تناولنا الغُلامَ (٦) نُنْزله   عن مُفْرع الكِتْفين (٧) حُلْو عَطَلَه (٨)
مُنْتفج (٩) الجوْف عَريض كَلْكَله   فوافت الخيلُ ونحن نَشْكُلُه

* والجنّ عُكّاف به تُقبِّله (١٠) *

لآخر فى وصف فرس أبى الأعور السلمى

وقال آخر فى فرس أبى الأعور السُّلَمى (١١) :

مَرَّ كلمع البرق سامٍ (١٢) ناظِرُه   تَسْبح أولاه ويَطفو آخِرُه

---

(١) فى نخبة عقد الأجياد : « صب » .

(٢) الساجى : الساكن . والذى فى الأصول : « سام » مكان قوله « ساج » : ومعناه لا يناسب ما هنا . والوهل : الفزع . والذى فى ا نخبة عقد الأجياد : « ذهله » . وهو بمعنى الوهل .

(٣) فى الأصول : « ميلا لمن يمثله » . وهو تحريف . ويريد بالمثل (بالكسر) المثل (بالتحريك) . جعله فى سبقه مثالا لما يقتفى به من فرسان الحلبة ، ويسار على نهجه .

(٤) يسربله : يلبسه . يشبه الزبد ، وقد عم جسمه ، باللباس يغطى الجسد .

(٥) الكرسف : القطن . والنداف : الذى يندف القطن بالمندف ، أى يطرقه .

(٦) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « الكلام » . وهو تحريف .

(٧) مفرع الكتفين : عاليهما . والذى فى ا : « الكفين » . وهو تحريف .

(٨) العطل : العنق . وقيل : عطله : ضمره . ويروى : « حر عطله » .

(٩) انظر الحاشية (رقم ٩ ص ١٦٥) من هذا الجزء .

(١٠) جاء من هذه القصيدة أبيات فى ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى ، والاقتضاب وسمط اللآلىء . وهى تختلف اختلافا كثيراً عنها هنا فى ألفاظها وترتيبها .

(١١) أبو الأعور ، هو عمر بن سفيان . والذى فى ا . « وقال آخر فى وصف فرس وهو الأعور السلمى » . وهو تحريف . (انظر نخبة عقد الأجياد ص ٢٦٠) . وقد نسب هذا الشعر فى نهاية الأرب (ج ١٠ ص ٥٦) لعباس بن مرداس .

(١٢) فى ديوان المعانى : « جاش ماطره » . وجاش : اضطرب ، أو تدفق بالماء .

* فما يَمَسَّ الأرضَ منه حافرُه *

وقول هذا أشبه من قول أبى النَّجْم ، لأنه يقول :

* تَسْبح أخراه ويَطْفُو أوّله *

ما أخذه الأصمعى على أبى النجم ورؤبة فى وصفهما للخيل

[وقال الأصمعى] : إذا كان الفرس كما قال أبو النّجم فحِمار الكَسَّاح[1] أسرع منه ، لأن اضطراب مُؤخَّره قَبيح[2] .

و [قال الأصمعى] كان أبو النجم وَصّافاً للخيل إلا أنه غَلط فى هذا البيت . وقد غَلط رُؤْبة أيضاً فى الفرس ، فقال يصف قوائمه :

* يَهْوِين شَتَّى وَيقَعْن وَفْقا[3] *

ولما أنشده مُسلِمَ[4] بنَ قتيبة . قال له : أخطأت فى هذا يا أبا الجَحّاف ، جعلته مُقَيَّداً . فقال : قَرِّبنى من ذَنَبِ البعير[5] .

عن الأصمعى فى وصف فرس

وأنشد الأصمعى :

قد أطرُق الحىَّ على سابحٍ أسطعَ[6] مثلَ الصَّدَع[7] الأجْردِ

٦٥/١ لما أتيتُ الحىَّ فى مَتْنه[8] كأنّ عُرْجونا[9] بمَثْنَى يَدِى

(١) الكساح : الكناس .
(٢) فى الشعر والشعراء : « مآخيره » .
(٣) كذا فى الشعر والشعراء فى ترجمة رؤبة ، ولسان العرب (مادة وفق) . والوفق : كل شىء يكون متفقا على نمط واحد . والذى فى الأصول : « وقعا » . وهو تحريف .
(٤) فى ا : « سالم » . وهو تحريف . (وانظر عيون الأخبار) .
(٥) يشير بهذه العبارة إلى أنه يحسن وصف الإبل دون الخيل .
(٦) السابح . الفرس ، لسبحه بيديه . والأسطع : الطويل العنق .
(٦) كذا فى أكثر الأصول . والصدع من الأوعال والإبل والحمر : الفتى الشاب القوى . والذى فى ا : « الأصدع » .
(٨) كذا فى ا والذى فى نخبة عقد الأجياد : « فى ودقه » أى فى عرقه الذى يشبه الودق ، وهو المطر والذى فى سائر الأصول : « فى دفه » .
(٩) فى ا : « كان كعرجون » . شبه بالعرجون فى الضمور .

أقبَــل يَختال على[1] شأوه ... يَضْرِب فى الأَقْرب والأَبْعد
كأنه سَــكرانُ أو عابِسٌ ... أو ابنُ ربَّ حَدَثُ[2] المَوْلِد

لآخر فى ذلك

وقال غيره[3] :

أما إذا استَقْبلتَه فكأنه ... جِذْعٌ سما فوق النَّخيل[4] مُشذَّبُ
وإذا اعترَضتَ[5] له استوَتْ أقطارُه[6] ... وكأنه — مُسْتَدبَراً — مُتَصَوِّبُ

لابن المعتز فى وصف فرس

[وقال ابن المُعتز :

وقد يَحضُر الهيجاءَ بى شَنِجُ النَّسا[7] ... تَكامَل فى أسنانه فهو قارِح[8]،
له عُنُق يَغتال طولَ عِنــانه ... وصَدرٌ إذا أعطيتَه الجرىَ سابِح
إذا مال عن أعْطافه قُلْتَ شارب ... عَناه بتَصْريف المُدامة طافِح

وقال أيضاً :

ولقد وَطِئْتُ الغيثَ[9] يَحْمِلنى ... طِرْفٌ كلَون الصُّبح حين وَقَدْ
يَمْشى فيعرِض فى العِنان كما ... صَدَف المُعشَّق ذو الدَّلال[10] وصَدّ
طارت به رِجْــلٌ مُرَصَّعة ... رَجّامةٌ لِحَصى الطريق ويَد

(١) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « فى » . وهو تحريف ، إذ لا يستقيم به الوزن .
(٢) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « حرث » بالراء . وهو تحريف .
(٣) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « عنترة » . ولم نجد هذا الشعر فى ديوانه ولا فى غيره منسوبا إليه .
(٤) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « الدليل » . وهو تحريف .
(٥) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « عرضت » .
(٦) كذا فى ا . والأقطار : النواحى ، الواحد : قطر (بالضم) . والذى فى سائر الأصول : « أقتاده » . وهو تحريف .
(٧) شنج النسا ، أى متقبضة . والنسا : عرق من الورك إلى الكعب .
(٨) القارح : الفرس فى الخامسة من عمره ، وهو بمنزلة البازل من الإبل .
(٩) يريد النبات حيث يكثر الصيد .
(١٠) كذا فى زهر الآداب ونخبة عقد الأجياد . والذى فى الأصول : « بالدلال » .

فكأنه مَوْج يَسيل(١) إذا أطْلَقتَه وإذا حَبَسْت جَمَد]

الحلبة والرهان

معنى الحلبة والرهان وحكم الشارع فى الرهان

والحَلْبة : [مَجْمع الخيل . ويقال] : مُجتمع الخيل . ويقال : مُجتمع الناس للرِّهان . وهو من قولك : حلب بنو فلان على بنى فلان وأَحْلبوا ، إذا اجتمعوا . ويقال منه : حَلَب(٢) الحالب اللبنَ فى القدَح ، أى جَمعه فيه . والمِقْوَس(٣) : الحبل الذى يُمدّ فى صدور الخيل عند الإرسال للسباق(٤) . والمُنَصَّبة : الخيل حين تُنَصَّب(٥) للإرسال .

وأصل الرِّهان من الرَّهن ؛ لأن الرجل يُراهن صاحبَه فى المُسابقة ، يَضع هذا رَهْناً وهذا رَهْناً ، فأيهما سبَق فرسُه أخذ رهنــه ورهن صاحبه . والرِّهان : مصدر راهنتُه مُراهنة ورِهاناً ، كما تقول : قاتلتُه مقاتلة وقتالا . وهذا كان من أمر الجاهليّة ، وهو القِمار المَنْهِىّ عنه ، فإن كان الرهن من أحدهما بشىء مُسمّى ، على أنه إن سبق لم يكن له شىء ، وإن سبقه صاحبُه أخذ الرهن ، فهذا حلال ، لأنّ الرهن إنما هو من أحدهما دون الآخر . وكذلك إن جعل كل واحد منهما رهناً وأدخلا بينهما مُحَلِّلا ، وهو فرس ثالث يكون مع الاوّلين ، ويسمّى أيضاً الدَّخيل ، ولا يُجعل لصاحبِ الثالث شىء ، ثم يُرسلون الأفراس الثلاثة ، فإن سبَق أحد الأوّلين أخذ رهنَه ورهنَ صاحبه ، فكان له

(١) فى زهر الآداب : « يذوب » .

(٢) فى الأصول : « أخذ حلب . . . الخ » . وقوله « أخذ » زياد من الناسخ لا معنى لها .

(٣) فى الأصول : « والحلب » . مكان قوله « والمقوس » . وهو خطأ من الناسخ . والتصويب من كتب اللغة . قال فى اللسان : وينصبون قبل إرسال الخيل حبلا يسمونه المقوس ، يجعل فى صدورها لتكون متساوية عند الإرسال ، وهو المقبض أيضا .

(٤) فى الأصول : « للقنص » . وهو تبديل من الناسخ . والتصويب من كتب اللغة .

(٥) تنصب : تقام وتعد بعضها إلى جانب بعض . (كما فى النخبة) .

طيّباً ، وإن سبق الدّخيل أخذ الرّهنين جميعاً ، وإن سُبِق هو لم يكن عليه شىء . ولا يكون الدخيل إلا رائعاً جواداً ، لا يأمنان أن يَسبقهما ، وإلا فهذا قِمار لأنهما كأنهما لم يُدخلا بينهما محلّلا .

أسماء الخيل السابقة

قال الأصمعىّ : السابق من الخيل : الأول ، والمُصلّى : الثانى الذى يتلوه . قال : وإنما قيل له مُصلٍّ ، لأنه يكون عند صَلَوَىِ السابق ، وهما جانبا ذَنبه عن يمينه وشماله[١] . ثم الثالث والرابع لا اسم لواحد منهما إلى العاشر ، فإنه يسمى سُكَيْتاً . قال أبو عُبيدة : لم نَسمع فى سوابق الخيل ممن يُوثق بعلمه اسماً لشىء منها إلا الثانى والعاشر ، فإن الثانى اسمه المُصَلِّى ، والعاشر السُّكَيت ، وما سوى ذينك يقال : الثالث والرابع ، وكذلك إلى التاسع ، ثم السُّكيت . ويقال السُّكيت (بالتشديد والتخفيف) . فما جاء بعد ذلك لم يُعتد به . والفِسْكل ، ٦٦/١ بالكسر : الذى يجىء آخر الخيل ، والعامة تسميه الفُسْكل ، بالضم . وقال أبو عُبيدة : القاشور : الذى يجىء فى الحَلْبة آخر الخيل ، وهو الفِسْكل ، وإنما قيل للسُّكَيت سُكَيت ، لأنه آخر العدد الذى يقف العادّ عليه . والسَّكت : الوقوف . هكذا كانوا يقولون ، فأما اليوم فقد غيّروا .

مسحهم على وجه السابق وشعر فى ذلك

وكان من شأنهم أن يمسحوا على وجه السابق قال جرير :

إذا شِئْتُم أن تَمسحوا وجهَ سابقٍ جَوادٍ فمُدُّوا فى الرِّهانِ عِنَانِيَا

ومن قولنا فى هذا المعنى :

وإذا جِيادُ الخَيل ماطلها المَدَى وتَقطَّعتْ فى شأْوِها المَبْهورِ
خَلّوا عِنانى فى الرِّهان ومَسّحوا مِنّى بغرة أبلق مَشْهورِ[٢]

---

(١) ويطلق الصلا (أيضا) : على وسط الظهر وما انحدر من الوركين والفرجة بين الجاعرة والذنب .

(٢) رواية هذا البيت فى النخبة :

فالوا عنانى فى الحلائب وامسحوا منى بغرة أشقر مشهور

وصف السلاح

درع على رضى الله عنه

كانت دِرْع علىّ صَدْرًا لا ظهر لها . فقيل له فى ذلك . فقال : إذا استمكن عدوّى من ظهرى فلا يُبْقِى .

للجراح بن عبد الله فى المظاهرة بين درعين

ورُئِى الجَرّاح بن عبد الله قد ظاهر بين دِرْعين . فقيل له فى ذلك . فقال : لست أَقِى بدَنى وإنما أَقِى صَبْرى[1] .

لزيد بن حاتم فى أدراع اشتراها

واشترى زيدُ بن حاتم أدراعاً وقال : إنى لستُ أشترى أدراعاً وإنما أشترى أعماراً .

لحبيب بن المهلب يوصى بنيه

وقال حَبيب بن المُهلَّب لبَنِيه لا يَقْعدنّ أحدكُم فى السُّوق ، فإن كنتم لا بدّ فاعلين فإلى زَرّاد ، أو سَرّاج ، أو وَرّاق .

بين عمر بن الخطاب وعمرو ابن معديكرب فى الصمصامة ، سيف عمرو

العُتْبى قال : بعث عمر بن الخطّاب إلى عمرو بن مَعديكرب أن يبعث إليه بسَيفه المعروف بالصَّمصامة . فبعث به إليه . فلما ضرب به وجَده دون ما كان يبلغه عنه ، فكتب إليه فى ذلك . فردّ عليه : إنما بعثتُ إلى أمير المؤمنين بالسيف ، ولم أبعث [إليه] بالساعد الذى يَضرب به .

وبينهما أيضا فى أنواع من السلاح

وسأله عمرُ بن الخطّاب [رضى الله عنه] يوماً عن السلاح : فقال : يسأل أميرُ المؤمنين عما بدا له قال : ما تقول فى الترس ؟ قال : هو المِجَنّ [الدائر[2]]. وعليه تدور الدوائر . قال : فما تقول فى الرُّمح ؟ قال : أخوك ور بما خانك فانقصف . قال : فالنَّبْل ؟ قال : مَنايا تُخطىء وتُصيب . قال : فما تقول فى الدِّرع ؟ قال : مُثقِلة[3] للراجل ، مُتْعِبة[4] للفارس ، وإنها لحِصْن حَصِين . قال فما تقول فى السيف ؟

---

(١) كذا فى عيون الأخبار (ج ١ ص ١٢٩) . والذى فى الأصول : « صدرى » . وهو تحريف .

(٢) هذه الكلمة عن حلية الفرسان لابن هذيل .

(٣) فى ا وحلية الفرسان : « مقشلة » . وهو تصحيف .

(٤) كذا فى عيون الأخبار . والذى فى الأصول : « مشغلة » .

قال: هناك لا أُمَّ لك يا أمير المؤمنين . فضرب به عُمر بالدِّرة ، وقال: بل لا أُمَّ لك[١] . قال : الحُمَّى أضرعتنى[٢] [لك] .

صفة ابن يامين للصمصامة سيف عمرو فى حضرة موسى الهادى

الهيثم بن عدى قال : وُصف[٣] سيفُ عمرو بن معديكرب ، الذى يقال له الصَّمصامة ، لموسى الهادى[٤] . فدعا به ، فوُضع بين يديه مُجَرَّداً ثم قال لحاجبه : إيذن للشعراء . فلما دخلوا ، أمرهم أن يقولوا فيه . فبَدرهم ابنُ يامين[٥] فقال :

حازَ صَمْصامة الزُّبَيْـدِىِّ عَمْرٍو من جميع[٦] الأنام موسى الأمينُ
سيفَ عمرو وكان فيما سَمِعْنا خيرَ ما أُغمدت عليه الجُفون
أخضرَ المَتْن بين حَدَّيه نُورٌ من فرِنْدٍ تمتدُّ فيه العيونُ[٤]
أوقدتْ فوقه[٨] الصواعقُ ناراً ثم شابت به الذُّعافَ القُيون[٩]

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . والذى فى ا : « قال : هنالك قارعتك أمك بالثكل لا أم لك . . . . الخ » . والذى فى عيون الأخبار وحلية الفرسان : « ثم قارعتك أمك عن الثكل . قال عمر : بل أمك » . ويريد بقوله : « هنالك قارعتك . . . الخ » أنه إذا تقارعت السيوف ، قارعته أمه ودافعته عن الثكل والهلاك إشفاقا عليه .

(٢) الحمى أضرعتنى إليك ، أراد أن الإسلام قيده ولو كان فى الجاهلية ما استطاع عمر أن يكلمه بهذا الكلام . وهو مثل تضربه العرب إذا اضطرت للخضوع .

(٣) فى ا : « لما صار سيف . . . دعا به » .

(٤) وكان عمرو قد وهبه لسعيد بن العاص الأموى ، فتوارثه ولده إلى أن اشتراه موسى الهادى منهم بمال جليل .

(٥) كذا فى نهاية الأرب وابن خلكان (ج ٢ ص ٣٠٤) ومروج الذهب (ج ٤ ص ٢٨٦) وديوان المعانى لأبى هلال العسكرى (ج ٢ ص ٥٢) . والذى فى فتوح البلدان للبلاذرى (ص ١٢٠) : « أبو الهول » . وقد جاء هذا الاسم مضطربا فى الأصول بين « ابن أنس » و « ابن أنيس » و « أبى نواس » . ولم نجد الشعر فى ديوان أبى نواس .

(٦) كذا فى الأصول ومروج الذهب . والذى فى نهاية الأرب : « الزبيدى من دو ٭ ن جميع الأنام » والذى فى ديوان المعانى : الزبيدى من بي ٭ ن جميع الأنام » . وهما روايتان صحيحتان أيضا .

(٧) مكان هذا البيت فى ديوان المعانى قوله .

يستطير الأبصار كالقبس المشـ ـعل ما تستقر فيه العيون

(٨) فى بعض الاصول ومروج الذهب : « فيه » . ولا يستقيم بها الوزن .

(٩) كذا فى نهاية الأرب وديوان المعانى . والقيون : جمع قين ، وهو الحداد . والذى فى ا : =

فإذا ما سَلَلته[1] بَهَر الشّمسَ ضياء فلم تكدْ تَستَبين
فكأنّ الفِرِنْدَ والرَّونق[2] الجا رِىَ فى صَفْحتيه ماء مَعين
وكأنّ المَنونَ نِيطت إليه فهْو من كل جانبَيْه مَنون
[نِعْمَ مِخْراق ذى الحفيظة فى الهَيْـ ـجاء يَسْطو[3] به ونِعمَ القَرين]
ما يُبالى مَن انتضاه[4] لضَرْب أشمالٌ سَطَت به أم يَمين

فأمر له ببَدْرة وخرجوا[5] .

للزبير بن العوام وقد قتل عثمان ابن عبد الله يوم الخندق

وضرب الزُّبير [بن العوّام[6]] يوم الخندق عثمان بن عبد الله بن المُغيرة

٦٧/١ فقطّه إلى القَربوس[7] . فقالوا[8] : ما أجودَ سيفَك ! فغضب . [يريد أن العمل ليده لا لسيفه] . وقال :

متى تلقنى يَعدُو ببزّى مُقلِّصٌ كُميتٌ بهيم أو أغرُّ مُحجَّلُ[9]

= * ثم شاطت به الذعاف المنون *
والذى فى سائر الأصول :
* ثم ساطت به الذعاف المنون *
وشاط وساط : خلط . والذى فى ابن خلكان : « الذباح » مكان « الذعاف » والذباح : نبت قاتل .

(١) فى ديوان المعانى : « هززته » .
(٢) فى وفيات الأعيان : « والجوهر » .
(٣) كذا فى حلية الفرسان . والذى فى الأصول : « يسطو بسطواته » مكان قوله : « فى الهيجاء يسطو به » . ولا يستقيم به الوزن .
(٤) فى ديوان المعانى وابن خلكان ومروج الذهب : « إذا انتضاه » .
(٥) فى ابن خلكان : « فقال الهادى : أصبت والله ما فى نفسى . واستخفه السرور فأمر له بالمكتل والسيف فلما خرج من عنده قال للشعراء : إنما حرمتم من أجلى ، فشأنكم والمكتل ، ، فى السيف غناء . فاشترى السيف بمال جزيل » .
(٦) التكلة من عيون الأخبار .
(٧) القربوس (كحلزون ولا يسكن إلا فى ضرورة الشعر) : حنو السرج ، وهما قربوسان .
(٨) فى الأصول : « فقال » والتصويب من عيون الأخبار .
(٩) كذا فى عيون الأخبار . والبز : السلاح . والمقلص من الأفراس : المشمر المشرف الطويل القوائم . وكميت ، من الكمتة ، وهى لون بين السواد والحمرة . والبهيم =

تُلاقِ أُسراً إنْ تَلْقَه فبِسَيْفِه تُعلِّمك الأيامُ ما كنتَ تجهل[١]

لأبي الشيص في رثاء بعض الشجعان

وقال أبو الشَّيص :

خَتلته المَنون بعـدَ اختيالِ بين صَفَّين من قناً ونِصَالِ
في رِداء من الصَّفيح صَقيلٍ وقَميص من الحديد مُذَالِ[٢]

وصية أبي الأغر لابنه فيما يقاتل به من أنواع السلاح

وبلغ أبا الأغرّ [التميميّ][٣] أن أصحابه بالبادية قد وقع بينهم شرّ ، فوجّه إليهم ابنَه الأغرّ ، وقال : يا بُني ، كُن يدًا لأصحابك على مَن قاتلهم ؛ وإياك والسيفَ ، فإنه ظِلّ الموت ؛ واتّق الرمحَ ، فإنه رِشاء المنِيّة ؛ ولا تقرَب السِّهام ، فإنها رُسُل لا تُؤامِر مُرْسِلَها . قال : فبماذا أقاتل ؛ قال : بما قال الشاعر :

جَلاميدُ يمْلأنَ الأكفَّ كأنّها رُءوس رجال حُلِّقت في المواسِمِ

لأعرابي في وصف قوم يتحاربون

وذَكر أعرابيّ قوماً تَحاربوا فقال :

أقبلت الفُحول تمشي مَشْي الوُعول ، فلما تصافحوا بالسيوف ، فَغرت المنايا أفواهَها .

لآخر في وصف أسرى

وقال آخرُ يذكر قوماً أُسِروا : استنزلوهم عن الجياد بلَيِّنة الخُرْصان[٤] ، ونَزعوهم نَزْع الدِّلاء بالاشْطان[٥] .

= من الخيل : ما لا شية فيه ، للذكر والأنثى . والأغر : الذي في جبهته بياض . والمحجل : الذي في قوائمه بياض . والذي في الأصرل :

متّى تلقني تعدو بير مهيم ولص كيث أو أغر محجل

وفيه تحريف ظاهر .

(١) ورد هذان البيتان في عيون الأخبار غير منسوبين ، وذكرا فيه منفصلين عن قصة الزبير هذه .

(٢) القميص : الدرع . والمذال : الذي له ذيل ، وهو من الإزار والثوب : ما جُرّ . يصف الدرع بأنه فضفاض يغطيه .

(٣) هذه الكلمة من عيون الأخبار .

(٤) الخرصان : القنا ؛ الواحدة : خرص (بضم الخاء وتكسر) .

(٥) الأشطان : الحبال .

لأعرابى فى وصف قوم ابتغوا آخرين أغاروا عليهم

وقال أعرابىّ فى آخرين ابتغَوْا قوماً أغاروا عليهم : أَحتَثُّوا كلّ جُماليّة عَيْرانة(١) ، كيما يَخْصفون أخفافَ المَطِىّ بحوافر الخَيْل(٢) . حتى أدركوهم بعد ثالثة ، فجعلوا المُرّانَ أَرْشِية المَنايا(٣) ، فاستقَوْا بها أرواحَهم .

لحبيب فى وصف السيف ثم الرمح

ومن أحسن ما قيل فى السيف قولُ حَبيب :

وَنَبَّهْن مثلَ السيف لو لم تَسُلَّه … يدانِ لسلّته ظُباه من الغِمْدِ(٤)

وقال فى صفة الرماح :

مُثقَّفات سَلَبْنَ الرومَ زُرْقتَها … والعُرْبَ سُمْرتها(٥) والعاشِقَ(٦) القَضَفَا(٧)

للنابغة فى وصف السيف

ومن الإفراط القبيح قولُ النابغة فى وصف السيف :

يَقُدُّ السَّلوقىَّ المُضاعَفَ نَسْجُه … ويُوقِد فى الصُّفَّاح نارَ الْحُباحِبِ(٨)

فذكر أنه يَقُدُّ الدِّرع المضاعَف نَسْجُها ، والفارسَ والفرسَ ، ويقع بها فى

---

(١) الجمالية : الناقة الوثيقة كالجمل . والعيرانة من الإبل : الناجية فى نشاط .

(٢) يريد أنهم يجعلون أثر أخفاف الإبل فوق أثر حوافر الخيل فى الأرض ، فشبه كلا الأثرين ، أحدهما فوق الآخر ، بالنعل المخصوفة ، أى المطارق ما بينها ، وذلك بأن تخصف بقطعة أخرى على حذوها . ويشير بهذه الجملة أيضا إلى سرعة اللحاق . يريد أنهم أدركوهم قبل أن تعفو آثار حوافر الخيل فى الأرض .

(٣) المران : الرماح الصلبة اللدنة ؛ الواحدة : مرانة . والأرشية : الحبال ؛ الواحد : رشاء . يريد التى يستقى بها .

(٤) كذا فى ديوان أبى تمام وشرحه للتبريزى . والظبا : جمع ظبة ، وهى من السيف : حده . وهذا البيت من قصيدة لأبى تمام يمدح بها أبا العباس نصر بن منصور بن بسام ، وقبله :

إذا مخضته الحادثات بنكبة … مخضن سقاء منه ليس بذى زبد

والذى فى الأصول : « ويهتز . . . الخ » . وفيه تحريف ظاهر .

(٥) كذا فى ديوان أبى تمام وعيون الأخبار . والذى فى الأصول : « ألوانها » . والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٦) فى الأصول : « والباهر » . وهو تحريف . وما أثبتناه من ديوان أبى تمام وعيون الأخبار .

(٧) القضف : النحافة .

(٨) السلوقى ، نسبة إلى سلوق : بلدة باليمن كانت تنسب إليها الدروع . والصفاح : =

الأرض[١] فيقدح النار من الحجارة .

لآخر فى ذاك

وأقبح منه فى الإفراط قولُ الآخر[٢] :

تَظَلّ تَحفِرُ عنه إنْ ضربتَ به بَعْدَ الذّراعين[٣] والساقين والهادِى

للعلوى فى وصف الخيل والسلاح

وقد جمع العَلوىّ وصفَ الخيل والسلاح كلّه ، فأحسن وجَوّد حيث يقول :

بِحَسْبِىَ من مالى من الخَيْل أَعْيطُ سَلِيم الشَّظى عارِى النَّواهق أمْعطُ[٤]
وأبيضُ من ماء الحَديد مُهَنّد وأسمرُ عُسَّالُ الكُعوب عنَطْنط[٥]
[و بَيْضاء كالضَّحضاح زَعْفٌ مُفاضة يُكَفِّتها عنى نِجادٌ مُخَطَّطُ][٦]
وَمَعْطوفة الأطراف كَبْداء سَمْحة[٧] مُنَفَّجة الأعضاد[٨] صَفراء شَوْحطُ[٩]
فياليتَ مالى غيرَ ما قد جَمعتُه على لُجّة تَيّارُها يَتَغَطْغط[١٠]

حجارة رقاق عراض : ونار الحباحب : هى ما اقتدح من شرر النار فى الهواء من اصطكاك الحجارة بعضها ببعض .

(١) عبارة نهاية الأرب : « ويصل إلى الأرض » .

(٢) هو النمر بن تولب . (انظر نهاية الأرب والشعر والشعراء) .

(٣) كذا فى ا ونهاية الأرب والشعر والشعراء . والهادى : العنق . يقول : إنه قطع ذلك كله ثم رسب فى الأرض حتى احتاج إلى أن يحفر عنه . والذى فى سائر الأصول : « بين الذراعين والقيدين والسادى » . وفيه تحريف ظاهر .

(٤) الأعيط : الطويل العنق . والشظى : عظيم لازق بالركبة أو بالذراع أو بالوظيف ، أو عصب صغار فيه . ويريد بالنواهق : الناهقين ، وهما عظمان شاخصان من ذى الحافر فى مجرى الدمع . ويريد بعرى ناهقيه : أنه لالحم عليهما ، وهذا مما تمتدح به الخيل . والأمعط : الذى لا شعر على جسده .

(٥) العسال : الرمح الشديد الاهتزاز . وعنطنط : طويل .

(٦) وبيضاء : يريد الدرع . والضحضاح : الماء اليسير . والزغف : الدرع الواسعة الطويلة ، أو المحكمة . ويكفتها عنى ، يريد أن زوائد هذه الدرع وما فضل منها يلتصق بنجاد سيفه فلا يعوق حركته .

(٧) الكبداء : القوس يملأ الكف مقبضها . والسمحة : المواتية .

(٨) فى ا : « الأطراف » . ومؤدى الروايتين واحد . والذى فى حلية الفرسان : « الأعطاف » .

(٩) الشوحط : شجر تتخذ منه القسى . يريد أن تلك القوس منه .

(١٠) كذا فى أكثر الأصول وحلية الفرسان . ويتغطغط ، أى ترتفع أمواجه وتعلو . والذى فى ا : متغطمط . والتغطمط : اضطراب موج البحر . يريد أنه لا يبالى بعد أن تبقى أداة حربه أن يذهب البحر ببقية ماله .

ويا ليتنى أُمسِى على الدَّهر ليلةً ... وليس على نفسى أميرٌ مُسَلَّط

للمؤلف فى وصف الرمح والسيف

ومن قولنا فى وَصف الرمح والسيف :

بكلِّ رُدَيْنِيٍّ كأنَّ سِنانَه ... شِهابٌ بدا فى ظُلمة الليل ساطعُ

تقاصرت الآجالُ فى طوُلِ مَتْنه ... وعادَت به الآمال[1] وهْى فَجائع

٦٨/١ وساءت ظُنونُ الحرْب فى حُسْنِ ظنّه ... فهنّ ظُبَاتُ للقلوب[2] قَوارِع

وذى شُطَب[3] تقضى المَنايا بحُكْمه ... وليس لِمَا تَقْضى المَنيّة دافعُ

فرِنْدٌ إذا ما اعتنّ[4] للعَيْن راكِد ... وبَرْقٌ إذا ما اهتزَّ بالكفّ لامع

يُسَلِّل أرواحَ الكُماة انسلالُهُ ... ويرتاع مِنه الموتُ والموتُ رائع

إذا ما التقت أمثالُه فى وقيعة ... هنالك ظَنُّ النفس بالنفس واقع[5]

ومن قولنا فى [وصف] السيف :

بكلِّ مأثور على مَتْنه ... مِثْلُ مَدَبّ النَّمْل بالقاع[6]

يرتدّ طَرْفُ العَيْن من حَدّه ... عن كَوْكبٍ للموت لَمّاع

لإسحاق ابن خلف فى صفة السيف

وقال إسحاق بن خَلَف البَهْرانىّ[7] فى صفة السَّيف :

ألقى بجانب خَصْره[8] ... أمضَى منَ الأجل المُتاحْ

---

(١) فى ا : « الأيام » .
(٢) كذا فى اليتيمة . والذى فى الأصول : « فهن لحبات القلوب » .
(٣) الشطب : الطرائق فى السيف .
(٤) فرند السيف : جوهره ووشيه . واعتنّ : ظهر .
(٥) يريد أن النفس إذا ظنت الموت فى هذه الوقعة فهو واقع بها لا محالة .
(٦) كذا فى أكثر الأصول . والمأثور : ذو الأثر ، وهو فرند السيف ، أى ماؤه ورونقه . والقاع : الأرض السهلة المطمئنة . والذى فى ا : « مدب الذر بالقاع » .
(٧) كذا فى عيون الأخبار والكامل للمبرد . وهو من بنى حنيفة بن عجل . والذى فى سائر الأصول « النهرانى » . والذى فى زهر الآداب للحصرى : « النهروانى » . وكلاهما تحريف .
(٨) كذا فى نهاية الأرب . والذى فى الأصول : « بجانب حضره » . وهو تصحيف .

وكأنما ذَرَّ الهَــبا ءُ عليه أنفاسُ الرِّياح

للغنوى فى هذا المعنى

[ومن جيِّد صفات السيف قولُ الغَنَوىّ(٢) :

حُسام غداةَ الرَّوْع ماضٍ كأنه مِن الله فى قَبْض النفوس رَسولُ
كأنّ على إفرِنْده مَوْجَ لُجَّةٍ تقاصَرُ فى ضَحْضَاحه(٣) وتَطول
كأنّ جُيوشَ(٤) الذَّرِّ كَسَّرْن فوقه(٥) قُرونَ(٦) جَرادٍ بينهنّ ذُحول(٧)

النزع بالقوس

قصة أعرابى من حذاق الرماة

إبراهيم الشَّيبانى قال : كان رجل من أهل الكوفة قد بلغه عن رجل من أهل السُّلطان أنه يَعْرِض ضَيْعَةً له بواسِطَ فى مَغْرَمٍ لِزمه للخليفة ، فحَمل وكيلا له على بَغْل وأَتْرع له خُرجاً بدنانير ، وقال له : اذْهبْ إلى واسطَ فاشتر هذه الضيعةَ المَعروضة ، فإنْ كفاكَ ما فى هذا الخرج وإلاّ فاكتُب إلىّ أُمِدَّكَ بالمال . فخرج ، فلما أصحر(٨) عن البيوت ، لحق به أعرابىّ راكبٌ على حمار معه قوس وكِنانة ، فقال له : إلى أين تتوجَّه ؟ فقال : إلى واسطَ . قال : فهل لكَ فى الصُّحبة ؟ قال : نعم . فسارا حتى فوّزا(٩) . فعَنّتْ لهما ظباء ، فقال له الأعرابى : أى هذه الظباء أحبّ إليك ، المتقدِّم منها أم المتأخر فأزكّيه(١٠) لك ؟ قال له : المتقدّم . فرماه

---

(١) كذا فى نهاية الأرب والكامل للمبرد . والهباء : الشىء المنبث الذى تراه فى الكوى من ضوء الشمس شبيها بالغبار . شبه به ما يرى مثل دبيب النمل فى جوهر السيف . والذى فى الأصول : « رد » . وهو تحريف .

(٢) نسب هذا الشعر فى نهاية الأرب لأبى الهول .

(٣) الضحضاح : مارق من الماء على وجه الأرض . يشبه ماء السيف به . والذى فى الأصول ونهاية الأرب : « صحصاحه » . وظاهر أنه مصحف عما أثبتناه .

(٤) فى نهاية الأرب : « جنود » .

(٥) كذا فى نهاية الأرب . والذى فى الأصول : « حوله » .

(٦) كذا فى نهاية الأرب . والذى فى الأصول : « عيون » .

(٧) الذحول : جمع ذحل ، وهو الثأر .

(٨) أصحر عن بيوت ، أى تركها وصار فى الخلاء .

(٩) فوزا ، أى دخلا المفازة .

(١٠) أزكيه ، أى أرميه بالسهم فاجعله مزكى يحل أكله .

فَخَرَمه بالسهم [فاقتنصه] فاشتوَيا وأكلا . فاغتبط الرجل بصُحْبة الأعرابىّ . ثم عنّت لهما زُفّةٌ[١] قطَا ، فقال : أيّها تريد فأصرَعها لك؟ فأشار إلى واحدة منها . فرماها فأقصَدها ، ثم اشتويا وأكلا . فلما انقضى طعامُهما فوّق له الأعرابىُّ سهماً ثم قال له : أين تريد أن أُصيبك ؟ فقال له : اتق الله [عز وجل] واحفظ زِمام الصُّحبة . قال : لا بدّ منه . قال : اتق الله ربَّك واستَبْقِنى ، ودونك البغلَ والُخرج فإنه مُتْرع مالاً . قال : فاخلع ثيابك . فانسلخ من ثيابه ثوباً ثوباً حتى بَقِى مجرَّداً . قال له : اخلع أمواقَك[٢] ، وكان لابساً خُفَّين مُطابقين[٣] . فقال له : اتق الله فىّ ودَع لى الخفّين أتبلّغ بهما من الحر ، فإن الرّمضاء تَحرِق قدمى . قال : لا بدّ منه . قال : فدونك الخفّ ، فأخلعْه . فلما تناول الخفّ ، ذكر الرجلُ خِنجَراً كان معه فى الخف ، فاستخرجه ثم ضرب به صدرَه فشقّه إلى عانته ، وقال له : الاستقصاء فرقة : فذهبت مثلا . وكان هذا الأعرابىّ من رُماة الحَدَق[٤] .

بين أعرابيين أحدهما من اللصوص والآخر من الرماة

وحدّث العُتبىّ عن بعض أشياخه[٥] قال : كنت عند المُهاجر بن عبد الله والى اليمامة . فأُتى بأعرابىّ كان معروفاً بالسَّرَق[٦] فقال له : أخبرنى عن بعض عجائبك . قال : عجائبى كثيرة ، ومن أعجبها ، أنه كان لى بعير لا يُسْبَق ، وكانت لى خَيل لا تُلْحَق ، فكنت أخرج فلا أرجع خائباً ، فخرجت [يوما]

---

(١) الزفة : الزمرة

(٢) الأمواق : جمع موق (بالضم) ، وهو خف غليظ يلبس فوق الخف .

(٣) كذا فى ا . ومطابقين ، أى لبس أحدهما فوق الآخر . والذى فى سائر الأصول : « طائفتين » . وهو تحريف .

(٤) رماة الحدق : أى المهرة فى النضال . ويقال : الرامى إذا حذق ، لم يخطىء الحدق . وقيل : رماة الحدق : قوم من طيىء . وقيل : هم النوبة ، عرفوا بالرماية . (انظر أساس البلاغة مادة حدق والمعارف لابن قتيبة) .

(٥) فى عيون الأخبار : « قال سهل : وحدثنى العتبى قال : حدثنى رجل من بنى تميم عن بعض أشياخه من قومه قال : »

(٦) السرق : السرقة . والذى فى بعض الأصول : « السرف » .

فاحترشتُ(١) ضَبًا ، فعلّقته على قَتَبي ، ثم مررت بخِباء ليس فيه إلا عجوز [ليس معها غيرها] ، فقلت : يجب أن يكون لهذه رائحة من غنم وإبل . فلما أمسيتُ إذا بإبل وإذا شيخ عظيم البطن شَثْن الكَفين(٢) ومعه عبد أسود [وَغْد](٣) . ٦٩/١
فلما رآنى رَحّب بى ، ثم قام إلى ناقة فاحتلَبها ، وناولنى العُلْبة(٤) ، فشربتُ ما يشرب الرجل ، فتناولَ الباقى فضَرب بها جَبْهته ، ثم احتلب تِسْع أينُق ، فشَرب ألبانهن ، ثم نَحر حُواراً فطبخه ، فأكلت شيئاً ، وأكل الجميع حتى ألقى(٥) عِظَامه بيضاً . وجَثا على(٥) كُومة [من البطحاء] وتَوسَّدها ، ثم غطّ غَطِيط البَكْر . فقلت : هذه والله الغنيمة ، ثم قُمت إلى فَحل إبله فخطمتهُ ، ثم قَرنْتُه ببَعيرى وصِحْت به ، فأتبعنى [الفحلُ](٦) و[أتبعته](٦) الإبلُ إرْباباً(٧) به فى قِطَار ، فصارت خَلْفى كأنها حَبْل ممدود . فمضيتُ أبادر ثَنيّةً بينى وبينها مسيرةُ ليلة للمُسرع ، ولم أزل أضرب بعيرى مرّة بيدى ومرة برجلى حتى طلع الفجر ، فأبصرت الثنيّة وإذا عليها سَواد ، فلما دنوت منه ، إذا الشيخ قاعد وقوسُه فى حِجْره . فقال : أضيفَنا ؟ قلت : نعم . قال : أتسخو نفسُك عن هذه الإبل ؟ قلت : لا . فأخرج سَهما كأنه لِسان كَلْب ، ثم قال : انظره بين أُذنى الضبّ المُعلّق فى القَتَب ، ثم رماه ، فصَدع عَظْمه عن دِماغه ، فقال لى : ما تقول؟ قلت : أنا على رأيى الأول . قال : انظرُ هذا السهمَ الثانى فى فِقْرة ظهره الوُسْطى،

---

(١) احترش الضب : صاده ، وذلك بأن يحرك يده على باب جحره ليظنه الضب حية فيخرج ذنبه ليضربها فيأخذه .

(٢) كذا فى الأصول . أى خشنهما غليظهما ، والذى فى عيون الأخبار : « مثدن فللحم » أى كثيره .

(٣) هذه الكلمة من عيون الأخبار .

(٤) العلبة : القدح الضخم .

(٥) فى عيون الأخبار : « وحثا كومة » .

(٦) هذه الكلمة من عيون الأخبار .

(٧) كذا فى عيون الأخبار ، أى تابعة إياه ولازمة له . يقال : أربت الناقة بولدها ، أى لزمته وأحبته . والذى فى الأصول : « إربا إربا » . وهو تحريف .

ثم رمَى به فكأنما قدَّره بيده [ثم وضعه بإصبعه](١) . ثم قال : رأيك ؟ فقلت : إنى أحبّ أن أستثبت . قال : انظر هذا السهمَ الثالث فى عُكْوة(٢) ذنبه ، والرابعَ والله فى بَطنك . ثم رماه فلم يخطئ العُكْوة . قلت : أنزلُ آمناً ؟ قال : نعم . فدفعت إليه خِطام فَحْله وقلت : هذه إبلك لم يذهب منها وَبَرة ، وأنا أنظر متى يَرميني بسَهْم يُقصَد(٣) به قلبي . فلما تباعدت ، قال : أَقْبِل ؛ فأقبلت والله فَرَقاً من شرّه لا طمعاً فى خيره . فقال : ما أحسبك تجشّمت الليلةَ ما تجشّمت إلا من حاجة . قلت نعم . قال فاقرِن من هذه الأبل بَعيرين وامضِ لِطِيّتك . قال : قلتُ : أما والله لا أمضى حتى أُخبرَك عن نفسك ، فلا والله ما رأيت أعرابياً [قط] أشدَّ ضِرْساً ، ولا أعدَى رِجْلا ، ولا أرمَى يداً ، ولا أكرم عفواً ، ولا أسخى(٤) نفساً منك . فصَرف وجهه عنّى حَياء ، وقال : خذ الإبل برُمّتها مباركاً لك فيها .

للنبى صلى الله عليه وسلم فى الرمى وغيره

وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : اركبوا وارمُوا . وأن ترموا أحبّ إلى من أن تركبوا .

وقال : كل لَهْو المؤمن باطل إلا فى ثلاث : تأديبه فرَسه ، ورَمْيه عن كَبِد قَوْسه ، ومُلاعبته امرأتَه ، فإنه حق . إن الله ليُدخل الجنّة بالسَّهم الواحد : عاملَه المحتسب ، والقوىّ به سبيل الله ، أى والرامى به فى سبيل الله(٥) .

ورُوى عن عُقْبة بن عامر قال : سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم يقول وهو قائم على المِنبر : وأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوة ، ألاَ إنّ القوة الرَّمى ، ألا إن القوة الرمى .

(١) هذه العبارة من عيون الأخبار .
(٢) عكوة الذنب (بالضم والفتح) : أصله .
(٣) فى عيون الأخبار : « ينتظم » .
(٤) فى ا : « أسمح » .
(٥) الذى فى سنن ابن ماجة : « فإنهن حق . إن الله ليدخل الجنة بالسهم الواحد الثلاثة : صانعه يحتسب فى صنعته الخير ، والرامى به ، والممد به » .

سعد بن أبي وقاص ودعاء الرسول صلى الله عليه وسلم له

وكان أرمى أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سعدُ بن أبي وقاص ، لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم دعا له ، فقال : « اللهم سَدِّد رَمْيته ، وأَجِب دعوتَه » فكان لا يُرَد له دعاء ، ولا يَخيب له سَهم .

بين الرسول صلى الله عليه وسلم والرماة من أسلم

وذكر أُسامة بن زيد أن شيوخاً من أسلَم حدّثوه : أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جاءهم وهم يرمون ببُطْحان[١] . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : ارمُوا يا بنى إسماعيل[٢] ، فقد كان أبوكم رامياً ، وأنا مع ابنِ الأدرع[٣] . فتعدّى القومُ فقالوا : يا رسول الله ، من كنتَ معه فقد نَضَل[٤] . قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ارمُوا وأنا معكم كلّكم . فانتضلوا ذلك اليومَ ، ثم رجعوا بالسّواء ليس لأحد على أحد منهم فَضْل .

من نصائح عمر فى الرمى وغيره

وقال عمر : ائتزروا وارتدُوا ، وانتعِلوا واحتفُوا[٥] ، وارمُوا الأغراضَ ، وألْقوا الرُّكُب[٦] ، وانزُوا على الخَيْل نَزْوا ، وَعليكم بالمَعَدِّية — أو قال بالعربيّة — ودعوا التنعّم وزِيّ العجم[٧] .

وقال أيضا : لن تَخور قوا كم ما نزَوتم ونزَعتم . [يعنى نزوتم على ظهور الخيل ، ونزعتم بالقِسىّ][٨] .

---

(١) بطحان (بالضم أو بالفتح وكسر الطاء) : موضع بالمدينة . والذى فى القسطلانى : « مر النبى صلى الله عليه وسلم على نفر من أسلم ينتضلون » .

(٢) هو إسماعيل النبى عليه السلام .

(٣) ابن الأدرع : اسمه محجن . وقيل : سلمه . والأدرع ، لقب .

(٤) نضل : غلب فى المناضلة ، وهى المراماة . والذى فى القسطلانى مكان قوله « تتعدى » إلى قوله « نضل » : « فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما لكم لا يرمون ؟ قالوا : كيف نرمى وأنت معهم » .

(٥) فى عيون الأخبار : « وانتقلوا وألقوا الخفاف » .

(٦) الركب (ككتب) : جمع ركاب ، وهو معروف .

(٧) زيد فى عيون الأخبار بعد هذه الكلمة : « ولا تلبسوا الحرير ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه إلا هكذا . ورفع إصبعيه » .

(٨) رواية هذا الكلام فى عيون الأخبار تخالف ما هنا ، فانظرها .

٧٠ / ١

لرجل من أهل البادية يحرض قومه فى حرب كانت بينهم وبين محاربة ابن زياد

وجنى قوم من أهل اليمامة[١] جنايةً ، فأرسل السلطان إليهم جُنداً من محارِبة ابن زياد[٢] . فقام رجل من أهل البادية يُذَمِّر[٣] أصحابه ؛ فقال : يا معشر العرب ، ويابَنى المُحصَنات . قاتِلوا عن أحسابكم وأنسابكم ، فوالله إنْ ظهر هؤلاء عليكم لا يدَعون بها لَبِنة حمراء ، ولا نخْلة خضراء إلا وضعوها بالأرض ، ولا عتراكم من نُشَّاب معهم فى جِعَاب كأنها أُيورِ الفِيَلة ، ينزِعون[٤] [فى قِسى][٥] كأنها الغُبُط ، تئِطّ[٦] إحداهن أطيط الزُّرْنوق[٧] ، يَمْعَط[٨] أحدهم فيها حتى يتفرَّق شَعر إبطيه ، ثم يُرسل نُشَّابةً كأنها رِشاء مُنقطع . فما بين أحدكم وبين أن تَنفَضِخ عينُه أو يَنْصدع قلبه منزلة . نخلع قلوبَهم ، فطاروا رُعباً .

مشاور المهدى لأهل بيته فى حرب خراسان

هذا ما تراجَع فيه المهدىُّ[٩] ووزراؤه ، وما دار بينهم من تدبير الرأى فى حرْب خُراسان ، أيامَ تحاملت عليهم العُمَّال وأعْنَفَتْ ، فحملتهم الدالَّةُ وما تقدَّم لهم من المكانة ، على أن نكثوا بيْعتهم ونقضوا موْثِقهم ، وطردوا العُمَّال ، والتوَاوْا بما عليهم من الخراج ؛ وحَمَل المهدىَّ ما يُحِبّ من مصلحتهم ، ويكره

---

(١) كذا فى عيون الأخبار . والذى فى الأصول : «المدينة» .

(٢) ابن زياد : هو عبيد الله بن زياد ابن أبيه . ويريد بمحاربته : ألفى عبد أتى بهم من بخارى حين استولى عليها من ملكتها خاتون ، وكانوا جيدى الرمى بالنشاب ، وأسكنهم سكة بالبصرة سميت بعد : بخارية زياد ، نسبة إليهم . (انظر معجم البلدان عند الكلام على بخارى وبخارية)

(٣) يذمر : يحض ويشجع .

(٤) فى الأصول : «يفرعون» : وهو تحريف . والتصويب من عيون الأخبار .

(٥) هذه الكلمة من عيون الأخبار .

(٦) الغبط (بضمتين) جمع غبيط ، وهو الرحل الذى قتبه وأحناؤه واحدة : يشبه القسى بالغبط فى اتساعها . وتئط : تصوت .

(٧) الزرنوق : واحد الزرنوقين ، وهما منارتان تبنيان على رأس البئر من جانبيها فتوضع عليها خشبة تعرض عليهما ثم تعلق فيها البكرة فيستقى بها .

(٨) معط الرامى فى قوسه : أغرق فى مدها .

(٩) فى ا : «أهل بيت المهدى» .

من عَنتهم ، على أن أَقال عَثْرتهم ، واغتفر زلّتهم ، واحتمل دالّتهم ؛ تطوُّلاً بالفضل ، واتساعا بالعفو ، وأخذاً بالحُجّة ، ورفقاً بالسياسة . ولذلك لم يزَل ، منذ حمّله الله أعباء الخلافة ، وقلّده أمور الرعيّة ، رَفيقاً بمَدار سُلطانه ، بَصيراً بأهل زمانه؛ باسطاً للمَعْدَلة فى رعيّته ، تَسكُن إلى كَنفه ، وتأنس بعفوه ، وتثق بحِلمه . فإذا وقعت الأَقْضية اللازمة ، والحقوقُ الواجبة ، فليس عنده هَوادة ولا إغضاء ولا مُداهنة ، أَثَرَةً للحق ، وقِياماً بالعدل ، وأخذاً بالْحَزم . فدَعا أهلَ خراسان الاغترارُ بحلمه ، والثِّقةُ بعفوه ، أن كَسَروا الخراج ، وطردوا العُمّال ، وسألوا ما ليس لهم من الحق . ثم خَلطوا احتجاجاً باعتذار ، وخُصومه بإقرار ، وتنصُّلا باعتلال . فلما انتهى ذلك إلى المهديّ خرج إلى مجلس خَلائه ، وبعث إلى نفَر من لُحْمته(١) ووُزرائه ، فأعلمهم الحالَ ، واستنصحهم للرعيّة ، ثم أمر الموالى بالابتداء ، وقال للعبّاس بن محمد(٢) : أىْ عم ؛ تعقّب قولَنا ، وكُن حكَماً بيننا . وأَرْسَل إلى ولدَيْه موسى وهارون فأحضرهما الأمرَ ، وشاركهما فى الرأى ، وأمر محمدَ بنَ الليث بحِفْظ مُراجعتهم ، وإثبات مَقالتهم فى كتاب .

فقال سلاّم صاحبُ [دار] المَظالم : أيها المهدىّ ، إنّ فى كل أمر غايةً ولكل قوم صناعة ، استفرغتْ رأيَهم ، واستغرقتْ أشغالهم ، واستنفدت أعمارَهم ، وذهبوا بها وذهبت بهم ، وعُرفوا بها وعُرفت بهم . ولهذه الأمور التى جعَلْتَنا فيها غاية وطلبت مَعونتنا عليها ، أقوامٌ من أبناء الحرب ، وساسةِ الأمور ، وقادةِ الجُنود ، وفُرسان الهَزاهز(٣) ، وإخوان التجارب ، وأبطال الوقائع ، الذين رشحتهم سِجَالُها ، وفيّأتهم ظلالُها ، وعضّتهم شدائدُها ، وقرّمتهم نواجذُها . فلو عجَمْتَ ما قِبَلهم ، وكشفت ما عندهم ، لوجدت نظائرَ تؤيّدُ أمرَك ، وتجاربَ توافق نظرك ، وأحاديثَ تقوّى قلبك . فأما نحن ، معاشرَ عُمّالك ،

---

(١) اللحمة : القرابة .

(٢) هو العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، أخو المنصور .

(٣) الهزاهز : الفتن والحروب .

وأصحابَ دواوينك ، فَحَسَنٌ بنا وكثيرٌ منّا أن نقوم بِثِقْل ما حَمّلتنا من عملك ، واستودعتنا من أمانتك ، وشَغلتنا به من إمضاء عَدْلك ، وإنفاذ حُكمك ، وإظهار حقّك .

فأجابه المهدى : إن فى كل قوم حِكْمةً ، ولكل زمان سياسة ، وفى كل [حال] تدبيراً ، يُبطل الآخرُ الأولَ ، ونحن أعلم بزماننا وتدبير سُلطاننا .

قال : نعم ، أيها المهدى ، أنت مُتسع[1] الرأى ، وَثيق العُقدة ، قوىّ المُنّة ، بليغ الفِطْنة ، مَعْصوم النيّة ، محضور الروّية ، مُؤيَّد البَديهة مُوفّق العزيمة ، ٧١/١ مُعانٌ بالظَّفَر ، مَهدىّ إلى الخير . إن هَمَمْتَ فبى عَزْمك مواقعُ الظنّ ، وإن أجمعت صَدَع فِعْلُك مُلتبسَ الشك . فاعزم يهدِ الله إلى الصواب قَلْبك ، وقُلْ يُنْطِق الله بالحق لسانَك ؛ فإن جُنودك جَمّة ، وخزائنك عامرة ، ونفسَك سَخية ، وأمرَك نافذ .

فأجابه المهدى : إنّ المشاورة والمُناظرة بابا رحمة ، ومِفْتاحا بركة ، لا يَهْلِك عليهما رأى ، ولا يتفيّل[2] معهما حَزْم ، فأَشِيروا برأيكم ، وقولوا بما يحضركم ، فإنى من ورائكم ، وتوفيق الله من وراء ذلك .

قال الرّبيع[3] : أيها المهدىّ ، إنّ تصاريف وجوه الرأى كثيرة وإن الإشارة ببعض مَعاريض[4] القول يسيرة . ولكنّ خراسان أرض بعيدة المسافة ، مُتراخية الشُّقّة ، مُتفاوتة السُّبُل . فإذا ارتأبت من مُحكم التدبير ، ومُبْرَم التقدير ، ولُباب الصواب] ، رأياً قد أحكمه نظرُك ، وقلّبه تدبيرك[5] ، فليس وراءه مَذْهبٌ

(١) فى ا : « مسدد » .
(٢) لا يتفيل : لا يضعف .
(٣) هو الربيع بن يونس .
(٤) معاريض القول : ما عرض به ولم يصرح ، وهى التورية عن الشىء بالشىء .
(٥) فى ا : « فكرك » .

[لُحجّة] طاعن ، ولا دُونه مَغْلَق لخصومة عائب ؛ ثم خبّت البُرُد[١] به ، وانطوت الرسل عليه ، كان بالحَرَى أن لا يصل إليهم مُحكمه ، إلا وقد حدث منهم ما يَنْقُضه . فما أيسرَ أن ترجع إليك الرُّسل ، وتَرِدَ عليك الكتب ، بحقائق أخبارهم ، وشوارد آثارهم ، ومصادر أمورهم ، فتُحدث رأياً غيره ، وتبتدع تدبيراً سواه ، وقد انفرجت[٢] الحَلَق ، وتحلّت العُقد ، واسترْخى الحقاب[٣] ، وامتدّ الزمان . ثم لعلّما موقع الآخرة كمَصْدر الأولى . ولكن الرأى لك أيها المهدى — وفّقك الله — أن تَصْرف إجالة النظر[٤] وتقليب الفكر ، فيما جمعتنا له ، واستشرتنا فيه ، من التدبير لحرْبهم ، والحِيَل فى أسرهم ، إلى الطلب لرجُل ذى دين فاضل ، وعقل كامل ، وورَع واسع ، ليس مَوْصوفاً بهوًى فى سواك ، ولا متّهماً فى أثَرة عليك[٥] ، ولا ظَنيناً[٦] على دِخلة مكروهة ، ولا مَنْسوبا إلى بِدْعة محظورة[٧] ، فيَقدحَ فى ملكك ، ويُرَبِّض[٨] الأمورَ لغيرك ، ثم تُسند إليه أمورَهم ، وتُفوِّض إليه حَربهم ، وتأمره فى عهدك ووصيّتك إياه ، بلزوم أمرك ما لزِمه الحزم ؛ وخلافِ نَهْيك إذا خالفه الرأى ، عند استحالة الأمور ، واستدارة[٩] الأحوال ، التى يُنْقَض أمر الغائب عنها ، ويَثْبُت رأى الشاهد

---

(١) كذا فى ا . وخبت : أسرعت . والبرد : جمع بريد ، وهو الرسول . والذى فى سائر الأصول : « أجبت » . وهو تحريف .

(٢) فى ا : « تفرجت » .

(٣) كذا فى بعض الأصول . والحقاب : شىء تعلق به المرأة الحلى وتشده فى وسطها . والذى فى ا ، ب : « الخناق » . والخناق (بالكسر) : الحبل يخنق به ، والذى فى سائر الأصول : « الحقان » . وهو تحريف .

(٤) فى ا : « الرأى » .

(٥) فى ا : « ولا متهما فى أمره عولا عليك » . وعولا ، أى جورا وظلما .

(٦) الظنين : المتهم . والدخلة (مثلثة الدال) : المذهب .

(٧) فى الأصول : « محذورة » . وهو تحريف .

(٨) كذا فى ا ، ب . ويربض يثبت . والذى فى سائر الأصول : « ويريض » . بالمثناة التحتية . وهو تصحيف .

(٩) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « واشتداد » .

لها ، فإنه إذا فعل ذلك فواتَب أمرَهم من قريب ، وسقط عنه ما يأتى من بعيد ، تَمَّت الحيلة ، وقَوِيَت المكيدة ، ونَفَذ العمل ، وأُحِدّ النظر . إن شاء الله .

قال الفضل بن العبّاس : أيها المهدىّ ، إنّ ولىّ الأمور وسائس الحروب ، ربما جَنَّد[1] جنوده ، وفرّق أمواله فى غير ما ضِيقِ أمرٍ حَزَبه[2] ، ولا ضَغْطة حالٍ اضطرته ، فيَقْعُد عند الحاجة إليها ، و بعد التفرقة لها ، عَديماً منها ، فاقداً لها ، لا يَثِق بقُوَّة ، ولا يصول بعُدّة ، ولا يَفزع إلى ثِقة . فالرأى لك أيها المهدى — وفقك الله — أن تُعفى خَزائنك من الإنفاق للأموال ، وجُنودك من مُكابدة الأسفار ، ومُقارعة الأخطار ، وتغرير القتال ، ولا تُسرع للقوم فى الإجابة إلى ما يطلبون ، والإعطاء لما يسألون ، فيَفسُدَ عليك أدبُهم ، وتُجرّئَ من رعيّتك غيرَهم . ولكن اغزُهم بالحيلة ، وقاتِلْهم بالمكيدة ، وصارِعْهم باللِّين ، وخاتِلهم بالرفق ، وأَبرِق لهم ، وأَرْعِد نحوهم بالفعل ، وابعث البُعوث ، وجَنِّد الجنود ، وكَتِّب الكتائب ، واْعقِد الألوية ، وانصُب الرايات ، وأظهر أنك مُوجِّه إليهم الجيوش ، مع أحنق قُوادك عليهم ، وأسوئهم أثراً فيهم . ثم ادسُس[3] الرسل وابثُث الكتب ، وضَع بعضهم على طَمع من وعدك ، و بعضاً على خوف من وعيدك . وأوقد بذلك وأشباهِه نيرانَ التحاسد فيهم ، وأَغرِض أشجار التنافس بينهم ، حتى
٧٢/١ تُملأَ القلوب من الوَحشة ، وتَنطوىَ الصدورُ على البِغْضَة ، ويدخلَ كلاًّ من كلٍّ الحذرُ والهيبة ، فإن مَرَام الظفر بالغِيلة ، والقتالَ بالحِيلة ، والمُناصبة بالكُتُب والمُكايدة بالرسل ، والمقارعةَ بالكلام اللطيف المَدْخل فى القلوب ، القوىِّ المَوْقع من النفوس ، المعقود بالحُجج ، الموصول بالحِيل ، المبنىّ على اللين ، الذى يستلب العقول ، و يسترقُ القلوب ؛ و[يسبى] الآراء ، و يستميل

(١) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « نجى » .
(٢) حزبه : اشتد عليه .
(٣) فى ا : « أرسل » .

الأهواء ، ويستدعى المُواتاة[١] ، أنفذُ من القتال بظُبات السيوف وأسنّة الرماح . كما أن الوالى الذى يستنزل طاعة رعيّته بالحِيَل ، ويُفرّق كلمة عدوه بالمُكايدة ، أحكمُ عملاً ، وألطف نظراً[٢] . وأحسن سياسةً من الذى لا ينال ذلك إلا بالقتال ، وإتلاف الأموال ، والتغرير والخطار . وليعلم المهدىّ — [وفقه الله] — أنه إن وجّه لقتالهم رجلا ، لم يَسِرْ لقتالهم إلا بجنود كثيفة تخرج عن حال شديدة ، وتُقدم على أسفار صَعْبة[٣] ، وأموال متفرّقة ، وقُوّاد غششة ، إن ائتمنهم استنفدوا ماله ، وإن استنصحهم كانوا عليه لا له .

قال المهدى : هذا رأى قد أسفر نورُه ، وبرق ضوؤه ، وتَمَثّل صوابه للعيون ، وتجسّد[٤] حقه فى القلوب . ولكن فوق كل ذى علم عليم . ثم نظر إلى ابنه علىّ ، فقال : ما تقول ؟

قال علىّ : أيها المهدى ، إن أهل خراسان لم يخلعوا من طاعتك يدا ، ولم ينصِبوا من دونك أحداً يَكْدح فى تغيير مُلْكك ، ويُرَبّض الأمور لفساد دولتك ، ولو فعلوا لكان الخَطْب أيسر ، والشأن أصغر ، والحال أذلّ ؛ لأن الله مع حقه[٥] الذى لا يخذله ، وعند مَوعده الذى لا يُخلفه . ولكنهم قومٌ من رعيّتك ، وطائفة من شِيعتك ، الذين جعلك الله عليهم والياً ، وجعل العدل بينك وبينهم حاكماً . طلبوا حقاً ، وسألوا إنصافا ، فإن أجَبْت إلى دعوتهم ، ونفّست عنهم قبل أن تتلاحم منهم حال ، أو يحدث من عندهم فتق ، أطعتَ أمر الربّ ، وأطفأت نائرة[٦] الحرب ، ووفّرتَ خزائنَ المال ، وطرحت تغرير القتال ، وحمل الناسُ محمل ذلك

(١) المواتاة : الموافقة .
(٢) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « منظرا » . وهو تحريف .
(٣) فى الأصول : « ضيقة » . وهو تحريف .
(٤) فى بعض الأصول : « ومجد » .
(٥) فى ا : « حربه » .
(٦) نائرة الحرب : ما اشتعل منها واتقد . وفى بعض الأصول : « ثائرة » .

على طبيعة جُودك ، وسَجيّة حِلْمك ، و إسجاح[١] خَليقتك ، ومَعْدِلَة نظرك . فأمِنْت أن تُنْسب إلى ضَعْف ، وأن يكون ذلك [لهم] فيما بقى دُرْبة . وإن منعتهم ما طلبوا ، ولم تُجِبهم إلى ما سألوا ، اعتدلَتْ بك وبهم الحال ، وساوَيْتهم فى مَيْدان الخِطاب . فما أربُ المهدىّ أن يَعْمِد إلى طائفة من رعيّته ، مُقِرّين بمَمْلكته ، مُذْعنين لطاعته ، لا يُخرجون أنفسهم عن قُدرته ، ولا يُبرّئونها من عُبوديّته ، فيُملِّكهم أنفسَهم ، ويَخلَع نفسَه عنهم ، ويَقِف على الجَدَل معهم ، ثم يُجازِيهم السوءَ فى جِدّ المُقارعة ، ومِضْمار المخاطرة ؟ أيريد المهديُّ — وَفقه الله — الأموالَ ؟ فلعَمرى لا ينالها ولا يظفر بها إلا بإنفاق أكثرَ[٢] مما يطلب منهم ، وأضعاف ما يدّعى قِبَلهم . ولو نالها فحُملت إليه ، ووُضعت بخرائطها[٣] بين يدَيه ، ثم تجافَى لهم عنها ، وطال[٤] عليهم بها ، لكان ذلك مما إليه يُنسب ، وبه يُعرف ، من الجود الذى طَبعه الله عليه ؛ وجَعل قُرّة عينه ونهمة[٥] نفسه فيه فإن قال المهدىّ : هذا رأى مستقيم سَديد فى أهل الخراج الذين شكَوْا ظُلْمَ عُمّالنا ، وتحامُلَ وُلاتنا ؛ فأما الجنود الذين نَقَضُوا مواثيقَ العهود ، وأنطقوا لسانَ الإرجاف[٦] وفتَحوا باب المَعْصية ، وكسروا قَيْدَ الفِتْنة ، فقد ينبغى لهم أن أجعلهم نَكالا لغيرهم وعِظَةً لسواهم . فيعلمُ المهدىّ أنه لو أُتِى بهم مَغْلُولِينَ فى الحديد ، مُقَرَّنين فى الأصفاد ، ثم اتسع لحَقْن دمائهم عَفْوُه ، ولإقالة عثرتهم صَفْحُه ، واستَبْقاهم لما هم فيه من حَرْبه[٧] ، أو لمن بإزائهم من عدوّه لَمَا كان بِدْعاً من رأيه ، ولا

(١) الإسجاح : حسن العفو .

(٢) فى الأصول : « أكثر منها مما يطلب » . وقوله « منها » زيادة من الناسخ كما هو ظاهر .

(٣) الخرائط : جمع خريطة ، وهو وعاء من أدم وغيره يشرج على ما فيه .

(٤) فى ا : « وتطول » .

(٥) نهمة النفس : حاجتها وشهوتها .

(٦) الإرجاف : الخوض فى أخبار الفتن لإيقاع الاضطراب فى الناس من غير أن يصح عندهم شىء .

(٧) فى بعض الأصول : « حزبه » . وهو تصحيف .

مُستنكراً من نَظَره . لقد علمتْ العربُ أنه أعظم الخلفاء والملوك عَفْواً ، وأشدُّها وقعاً ، وأصدقها صَوْلة ، وأنه لا يتعاظمه عَفو ، ولا يتكاءده[١] صَفح ، وإن عَظُم ٧٣/٧ الذنب ، وجَلّ الخطب . فالرأى للمهدى – وفقه الله تعالى – أن يَحُل عُقْدة الغيظِ بالرجاء لُحسن ثواب الله فى العفو عنهم ، وأن يذكر أُولَى حالاتهم ، وضَيْعة عِيالاتهم ، برًّا بهم وتوسعا لهم ؛ فإنهم إخوان دولته ، وأركان دعوته ، وأساس حقه الذين بعزّتهم يصُول ، وبحُجّتهم يقول . وإنما مثلهم فيما دخلوا فيه من مَساخطه ، وتعرّضوا له من مَعاصيه ، وانطوَوْا فيه عن إجابته ، ومثلُه فى قِلّة ماغيّر ذلك من رأيه فيهم ، أو نَقَل من حاله لهم ، أو تغيّر من نعمته عليهم ، كمثل رجلين أخوين متناصرين مُتوازرين ، أصاب أحدَهما خَبلٌ عارض ، ولَمَمٌ[٢] حادث ، فنهضَ إلى أخيه بالأذى ، وتحامل عليه بالمكرُوه ، فلم يزدْ ذلك أخاه إلا رقّةً له ، ولطفاً به ، واحتيالا لمُداواة مَرضه ، ومُراجعة حاله ، عَطفاً عليه ، وبرًّا به ، ومَرْحمة له

فقال المهدى : أما علىٌّ فقد نوى سَمْت اللِّيان[٣] ، وفَضّ القلوب عن أهل خراسان[٤] ، ولكلّ نبإ مستقر [وسوف تعلمون] . ثم قال : ما ترى يا أبا محمد ؟ يعنى موسى ابنه .

فقال موسى : أيها المهدى ، لا تَسْكن إلى حلاوة[٥] ما يجرى من القول على ألسنتهم ، وأنت ترى الدماء تسيل من خَلل فِعلهم . الحالُ من القوم تُنادى بمُضمرة شرّ ، وخَفِيَّة[٦] حِقْد ، قد جعلوا المَعاذير عليه ستراً ، واتخذوا العِلَل

(١) يتكاءده : يشق عليه .

(٢) اللمم : طرف من الجنون يلم بالإنسان . والذى فى ا : « ولهم » . والذى فى سائر الأصول : « ولهو » . وظاهر إن كلا اللفظين محرف عما أثبتناه .

(٣) كذا فى بعض الأصول . والسمت : الطريق . والليان (بالكسر) : الملاينة . والذى فى سائر الأصول : « كوى سمت اللبان » . وهو تحريف .

(٤) فى ا : « وقصد لقلوب أهل خراسان » .

(٥) فى ا : « طلاوة » .

(٦) فى ا « وحسيفة » : والحسيفة : الغيظ والعداوة .

من دونها حِجابا، رَجاء أن يُدافعوا الأيامَ بالتأخير، والأمورَ بالتطويل، فيكسِروا حِيَل المهدىّ فيهم، ويَثْنوا[1] جنودَه عنهم، حتى يتلاحم أمرُهم، وتتلاحق مادّتهم، وتَستفحلَ حَرْبهم، وتستمرَّ الأمورُ بهم. والمهدىّ من قولهم فى حال غِرّة ولِباس أَمَنة قد فَتر لها، وأَنِس بها، وسَكَن إليها. ولولا ما اجتمعت به قلوبهم، وبَرَدَت عليه جُلودُهم، من المُناصبة بالقِتال، والإضمار للقِراع، عن داعية ضَلال، أو شيطان فساد، لرَهِبوا عواقبَ[2] أحوال[3] الوُلاة، وغِبَّ سكون الأمور. فليشدُد المهدىّ — وفقه الله — أزرَه لهم، ويُكتِّب كتائبه نحوهم، وليَضع الأمرَ على أشدّ ما يَحضُره فيهم، وليُوقِن أنه لا يُعطيهم خُطّة يُريد بها صلاحَهم، إلا كانت دُرْبةً لفسادهم، وقوةً على مَعْصيتهم، وداعيةً إلى عودتهم، وسَبباً لفساد من بحضْرته من الجنود، ومن ببابه من الوفود، الذين إن أقرّهم على تلك العادة، وأجراهم على ذلك الأدب[4]، لم يَبْرح فى فَتْق حادث، وخلاف حاضر، لا يصلُح عليه دِين، ولا تستقيم به دنيا. وإن طلب تغييره بعد استحكام العادة، واستمرار الدُّربة، لم يصل إلى ذلك إلا بالعقوبة المُفرطة، والمَئونة الشديدة. والرأى للمهدى — وفقه الله — أن لا يُقيل عَثرتهم، ولا يَقبلَ مَعْذرتهم، حتى تَطأهم الجيوش، وتأخذَهم السيوف، ويَستحرّ بهم القتل، ويُحدق بهم الموت، ويُحيط بهم البلاء، ويُطْبق عليهم الذل. فإن فعل المهدىّ بهم ذلك، كان مَقطعةً لكل عادة[5] سوء فيهم، وهزيمةً لكل بادرة شرّ منهم. واحتمال المهدى مؤونة غزوتهم هذه يَضع عنه [مؤونة] غزواتٍ كثيرة، ونفقات عظيمة.

قال المهدى: قد قال القوم، فاحكمْ يا أبا الفضل.

---

(١) فى الأصول: «ويفنوا» وهو تحريف.
(٢) فى بعض النسخ: «غواب».
(٣) فى بعض النسخ: «أخبار».
(٤) كذا فى ا، ب. والذى فى سائر الأصول: «الأرب». وهو تحريف.
(٥) فى ا «غاية». وهو تحريف.

فقال العبّاس بن محمد : أيها المهدى ، أما الموالى فأخذُوا بفُروع الرأى ، وسَلـكوا جَنَباتِ الصواب ، وتعـدَّوا أموراً قصَّر نظرهم عنها ، لأنه لم تأت تجاربهُم عليها .

وأما الفضل فأشار بالأموال أن لا تُنفق ، والجُنودِ أن لا تُفرّق ، وبأن لا يُعطى القوم ما طلبوا ، ولا يُبذل لهم ما سألوا ، وجاء بأمرٍ بين ذلك ، استصغاراً لأمرهم ، واستهانة بحَرْبهم ، وإنما يَهيج جَسيمات الأمور صِغارُها .

وأما علىّ فأشار باللين وإفراط[1] الرفق . وإذا جرّد الوالى لمن غَمط أمرَه ، وسَفِه حقّه ، اللينَ بحتا ، والخيْرَ مَحْضا ، لم يَخلطهما بشدةٍ تَعطِف القلوبَ على لينه ولا بشرٍّ يَحيشُهم[2] إلى خيره ؛ فقد ملّـكهم الخَلْع لعُذُرهم[3] ، ووسّع لهم الفُرجة لثَنْى أعناقهم . فإن أجابوا دعوتَه ، وقبِلوا لِينه من غير [ما] خوف اضطرهم ، ولا شدة [حال أخرجتهم ، لم يزل ذلك يهِيج عِزّةً فى نفوسهم] ، ونَزْوة فى رءوسهم ، يَستدعون بها البلاء إلى أنفسهم ، ويَصرفون[4] بها رأىَ المهدىّ فيهم . وإن لم يقبلوا دعوتَه ، ويُسرعوا لإجابته ، باللين المَحض ، والخير الصُّراح ، فذلك ما عليه الظن بهم ، والرأى فيهم ، وما قد يُشبه أن يكون من مثلهم ؛ لأن الله تعالى خلق الجنّة وجعل فيها من النعيم المُقيم ، والمُلْك الـكبير ، ما لا يخطُر على قَلب بشر ، ولا تُدرِكه الفِكَر[5] ولا تَعلمه نَفْس ، ثم دعا الناسَ إليها ، ورَغّبهم فيها . فلولا أنه خلق ناراً جعلها لهم رحمةً يسوقهم بها إلى الجنة ، لَمَا أجابوا ولا قَبِلوا .

(١) فى ا : « وأورد » . وهو تحريف .

(٢) كذا فى ا . ويحيشهم ، أى يجعلهم يفزعون ؛ يقال : يحيشه ، إذا أفزعه . والذى فى سائر الأصول : « يحبسهم » .

(٣) العذر (بضمتين) : جمع عذار ؛ وهو من اللجام ما سال على خد الفرس .

(٤) فى بعض الأصول : « يستصرخون » . وهو تحريف .

(٥) فى ا : « ما لا يدور على قلب ، ولا يلحقه فكر » .

وأما موسى فأشار بأن يُعْصَبوا[1] بشدّة لا لِين فيها ، وأن يُرْمَوْا[2] بشرّ لا خير معه . وإذا أضمر الوالى لمن فارق طاعتَه ، وخالَفَ جماعته ، الخوفَ مُفرداً ، والشرّ مجرّداً ؛ ليس معهما طَمَع [يكسرهم] ، ولا لين يَثْنيهم ، أُمتدت[3] الأمورُ بهم ، وانقطعت الحالُ منهم إلى أحد أمرين : إما أن تَدْخلَهم الحَمِيّة من الشدة ، والأنفة من الذِّلّة ، والامتعاضُ من القَهْر ، فيدعوهم ذلك إلى التمادى فى الخِلاف ، والاستبسالِ فى القِتال ، والاستسلام للموت ؛ وإما أن ينقادوا بالكُرْه ، ويُذْعِنوا بالقَهْر ، على بغْضة لازمة ، وعداوة باقية ، تُورث النّفاق ، وتُعْقِب الشقاق ، فإذا أمكنتهم فُرصة ، أو ثابت لهم قُدرة ، أو قَوِيت لهم حال ، عاد أمرُهم إلى أصعبَ وأغلظَ وأشدّ مما كان .

وقال : [فى قول الفضل][4] أيها المهدىّ ، أكْفَى دليل ، وأوْضحُ برهان ، وأبين خَبَرَ بان ؛ قد اجتمع[5] رأيُه ، وحزمُ نَظرُه على الإرشاد بِبِعْثة الجُيوش إليهم ، وتَوْجيه البعوث نحوهم ، مع إعطائهم ما سألوا من الحق ، وإجابتهم إلى ما سألوه من العدل .

قال المهدى : ذلك رأى .

قال هارون : خلطتَ الشدّة أيها المهدى باللّين ، فصارت الشدة أمرٌ فِطامٍ لما تكره ، وعاد اللِّينُ أهدَى قائد إلى ما تُحِب ، ولكنى أرى غيرَ ذلك .

قال المهدى : لقد قلتَ قولا بديعا ، خالفت به أهلَ بيتك جميعاً ، والمرء مُتّهم[6] بما قال ، وظَنِين بما ادّعى ، حتى يأتىَ ببَيِّنة عادلة ، وحُجّة ظاهرة ؛ فاخرُج عما قلت .

(١) عصب الشىء : لواه وشده .
(٢) فى ا : « وأن يلقوا » .
(٣) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « اشتدت » .
(٤) فى بعض الأصول : « أبى الفضل » . وهو تحريف .
(٥) فى بعض الأصول : « أجمع » .
(٦) فى الأصول : « مؤتمن » . وهو تحريف .

قال هارون : أيها المهدى ، إن الحرب خُدعة ، والأعاجمَ قومٌ مَكَرة ، وربما اعتدلت الحالُ بهم ، واتفقت الأهواء منهم ، فكان باطنُ ما يُسِرّون على ظاهر ما يُعلنون ؛ وربما افترقت الحالان ، وخالف القلب اللسان ، فانطوى القلب على مَحجوبة تُبْطَن ، واستسرّ بمَدْخولة لا تُعلَن . والطّبيب الرّفيق بِطِبّه ، البَصير بأمره ، العالم بمُقدَّم[1] يدهِ ، وموْضع مِيسمه[2] ، لا يتعجّل بالدواء ، حتى يقع على معْرفة الداء . فالرأى للمهدى — وفقه الله — أن يَفِرَّ[3] باطنَ أمرهم فرّ المُسِنَّة ، ويَمْخَض ظاهر حالهم مَخْض السِّقاء ، بمُتابعة الكتب ، ومُظاهرة الرسل ، ومُوالاة العيون ، حتى تُهتَك حُجبُ غُيوبهم[4] ، وتُكشَفَ أغطية أُمورهم ، فإن انكشفت[5] الحال له ، وأفضت الأمور به ، إلى تغيير حال ، أو داعية ضلال ، اشتملت الأهواء عليه ، وانقاد الرجال إليه ، وامتدّت الأعناق نحوه ، بدين يَعتقدونه ، وإثم يستحلّونه ، عَصَبَهم بشدّة لا لين فيها ، ورَماهم بعُقوبة لا عَفْوَ معها . وإن انفرجت الغيوب[6] ، واهتُصِرت السُّتور ، ورُفِعت الحُجُب ، والحال فيهم مَرِيعة[7] ، والأمورُ بهم مُعتدلة ، عن أرزاق[8] يَطْلبونها ، وأعمال يُنكرونها ، وظُلامات يدّعونها ، وحُقوق يسألونها ، بماتّة سابقتهم ، ودالّةِ مُناصحتهم ، فالرأى للمهدى — وفقه الله — أن يَتّسع لهم بما ٧٥/١ طلبوا ، ويَتجافَى لهم عمّا كَرِهوا ، ويَشْعَبَ من أمرهم ما صَدَعوا ، ويَرْتُق من فتقهم ما فتقوا ، ويُولّى عليهم من أحبّوا ، ويُداوى بذلك مَرَضَ قلوبهم ، وفسادَ

---

(١) مقدم يده ، أى الموضع الذى يقدم الطبيب فيه يده من المريض .

(٢) الميسم : المكواة .

(٣) يفر : يختبر ؛ يقال : فر الدابة ، إذا كشف عن أسنانها ليعرف سنها .

(٤) فى الأصول : « عيونهم » . وهو تصحيف .

(٥) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « انفرجت » .

(٦) فى الأصول : « العيون » . وهو تحريف .

(٧) مريعة ، أى موفورة الرزق مخصبة ؛ يقال : مرع الوادى (من باب كرم) ، أى أخصب بكثرة الكلأ ، فهو مريع .

(٨) عن أرزاق : متعلق بقوله « انفرجت » .

أمورهم ، فإنما المهدىّ وأُمّته وسواد أهل مملكته ، بمنزلة الطبيب الرفيق ، والوالد الشفيق ، والراعى الحدب[1] ، الذى يحتال لمرابض غَنمه ، وضوالّ رعيته . حتى يُبرئ المريضة من داء علّتها ، ويرُدّ الضالّة[2] إلى أُنس جماعتها . ثم إن خراسان بخاصةٍ لهم دالّة محمولة ، ومانّة مَقبولة ، ووسيلة معروفة ، وحقوق واجبة ، لأنهم أيدى دَولته ، وسيوف دعوته ، وأنصار حقّه ، وأعوان عَدْله ؛ فليس من شأن المهدى الاضطغانُ عليهم ، ولا المُؤاخذة لهم ، ولا التوعُّر[3] بهم ، ولا المُكافأة بإساءتهم ، لأن مُبادرة حَسْم الأمور ضعيفةً قبل أن تَقْوى ، ومُحاولة قطع الأصول ضئيلةً قبل أن تَغْلُظ ، أحزمُ فى الرأى . وأصحّ فى التدبير ، من التأخير لها ، والتهاونِ بها ، حتى يَلتئم قليلُها بكثيرها ، وتجتمعَ أطرافُها إلى جُمهورها .

قال المهدى : ما زال هارون يَقع وَقْعَ الحيا ، حتى خرج خروج القِدْح مما قال[4] ، وانسلّ انسلال السيف فيما ادّعى . فدعُوا ما قد سبق موسى فيه أنه هو الرأى ، وَثَنّى بعده هارون . ولكنْ من لأعنّة الخيل ، وسِياسة الحرب ، وقادة الناس ، إن أمعن بهم اللّجاج ، وأفرطت بهم الدالّة ؟

قال صالح : لسنا نبلُغ أيها المهدىّ بدوام البحث ، وطول الفِكْر ، أدنى فراسة رأيك ، وبعض لحظات نظرك ، وليس ينفضّ عنك من بُيوتات العرب ورجالات العجم ذو دين فاضِل ، ورأى كامل ، وتدبير قوىّ ، تُقلّده حَرْبك ، وتستودعه جندك ، ممن يحتمل الأمانة العظيمة ، ويَضطلع بالأعباء الثقيلة . وأنت بحمد الله مَيْمون النقيبة ، مُبارك العزيمة ، مَخْبور التجارب ، محمود العواقب ، معْصوم العَزْم ،

(١) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « المجرب » .
(٢) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « الصحيحة » . وهو تحريف .
(٣) كذا فى ا . والتوعر : التشدد . والذى فى سائر الأصول : « التوغير » . وهو تحريف .
(٤) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « من الماء » . وهو تحريف .

فليس يقع اختيارُك ، ولا يقف نظرك ، على أحد تُولِّيه أمرَك ، وتُسند إليه ثغرك ، إلا أراك الله منه ما تُحبّ ، وجمع لك منه ما تريد .

قال المهدىّ : إنى لأرجو ذلك لقديم عادة الله فيه ، وحُسن معونته عليه . ولكن أُحب الموافقة على الرأى ، والاعتبار بالمشاورة فى الأمر المُهم .

قال محمد بن الليث : أهلُ خراسان ، أيها المهدىّ ، قومٌ ذوو عزّة ومَنَعة ، وشياطينُ خَدَعة زروع الحَمِيّة فيهم نابتة ، وملابس الأَنفة عليهم ظاهرة . فالرويَّة عنهم عازِبة[1] ، والعَجَلة فيهم حاضرة ، تسبق سيولُهم مَطَرهم ، وسيوفُهم عَذَلهم ، لأنهم بين سِفْلة لا يعدو مبلغُ عقولهم منظرَ عيونهم ، وبين رؤساء لا يُلْجَمون إلا بالشدّة ، ولا يُفطَمون إلا بالقهر[2] . وإن ولى المهدى عليهم وَضيعاً لم تنقَد له العُظماء ، وإن ولّى أمرَهم شريفاً تحامل على الضُّعفاء . وإن أَخّر المهدىُّ أمرَهم ، ودافع حَرْبهم ، حتى يُصيب لنفسه من حَشَمه ومواليه ، أو بَنِى عمّه أو بنى أبيه ، ناصِحاً يتّفق عليه أمرُهم ، وثقةً تجتمع له أملاؤهم[3] ، بلا أنفة تلزمهم ، ولا حَمِيةٍ تَدْخلهم ، ولا عَصَبيَّة[4] تُنفِّرهم ، تنفّست الأيامُ بهم ، وتراخت الحالُ بأمرهم ، فدخل بذلك من الفساد الكبير ، والضّياع العظيم ، ما لا يتلافاه صاحب هذه الصّفة وإن جدّ ، ولا يَستصلحه ، وإن جَهد ، إلا بعد دهر طويل ، وشرّ كبير . وليس المهدى — وفّقه الله — فاطماً عاداتِهم ، ولا قارعاً صَفَاتَهم ، بمثل أحد رجلين لا ثالثَ لهما ، ولا عِدْلَ فى ذلك بهما : أحدهما لسان ناطق ، موصول بسَمْعك ، ويَدٌ ممثَّلة لعينك ، وصَخْرة لا تُزعزع ، وبُهْمة لا يُثْنى ، وبازل[5] لا يُفزعه صوت الجُلجل ؛ نقىّ العِرْض ، نَزِيه النفس ، جليل الخطر ، قد اتضعت

(١) عازبة : غائبة .

(٢) فى بعض الأصول : « بالمر » .

(٣) أملاؤهم : جماعاتهم ؛ الواحد : ملأ .

(٤) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « مصيبة » . وهو تحريف .

(٥) البازل : الجمل فى السنة التاسعة . ويطلق على الرجل الكامل فى تجربته .

الدنيا عن قَدْره ، وسما نحو الآخرة بهمّته ؛ فجعل الغرض الأقصى لعينه نُصْبا ، [٧٦/١] والغرض الأدنى لقَدَمه مَوْطئًا ، فليس يُغْفِل عملا ، ولا يتعدى أملا ، وهو رأس مواليك ، وأنصح بنى أبيك ، رجل قد غُذِّى بلطيف كرامتك ، ونَبَت فى ظل دولتك ، ونشأ على قويم أدبك . فإن قلّدته أمرَهم ، وحمّلته ثِقلهم ، وأسندت إليه ثَغرهم ، كان قُفلا فَتَحه أمرُك ، وباباً أغلقه نهيُك ، فجعل العدلَ عليه وعليهم أميراً ، والإنصافَ بينه وبينهم حاكما . وإذا حكّم النَّصفة ، وسَلك المَعْدلة ، فأعطاهم مالَهم ، وأخذ منهم ما عليهم ، غرس لك فى الذى بين صدورهم ، وأسكن لك فى السُّويداء داخل قلوبهم ، طاعةً راسخةَ العُروق ، باسقةَ الفُروع ، مُتَمثِّلة فى حواشى عوامّهم ، متمكّنة من قلوب خواصّهم ، فلا يبقى فيهم ريبٌ إلا نفَوه ، ولا يلزمهم حقّ إلا أدّوه ، وهذا أحدهما . والآخر عُود من غَيْضتك ، ونَبْعة من أُرومتك ، فتىّ السن ، كَهْل الحِلْم ، راجح العقل ، محمود الصَّرامة ، مأمون الخِلاف ، يُجرِّد فيهم سيفَه ، ويَبْسُط عليهم خَيره ، بقدر ما يستحقّون ، وعلى حسب ما يَستوجبون ، وهو فلان أيها المهدى . فسلِّطه — أعزَّك الله — عليهم ، ووجّهه بالجيوش إليهم ، ولا تَمْنعك ضَراعةُ سنّه[١] ، وحَداثة مَولده ؛ فإنّ الحلم والثقة مع الحداثة ، خيرٌ من الشك والجهل مع الكُهولة وإنما أحداثكم أهلَ البيت فيما طَبعكم الله عليه ، واختصّكم به ، من مكارم الأخلاق ، ومحامد الفعال ، ومحاسن الأمور ، وصواب التدبير ، وصَرامة الأنفس ، كفِراخ عِتاق الطير[٢] المُحكمة لأخذ الصيد بلا تَدريب ، والعارفة لوجوه النّفع بلا تأديب ، فالحِلم والعِلْم والعزم والحزم والجُود والتُّؤدة والرفق ثابت فى صدوركم ، مَزْروع فى قلوبكم ، مُسْتَحْكم لكم ، متكامل عندكم ، بطبائع لازمة ، وغرائز ثابتة .

قال معاوية بنُ عبد الله : أفتاء[٣] أهل بيتك أيها المهدىُّ فى الحِلْم على

(١) ضراعة سنه . شبابه » .

(٢) عتاق الطير : كرامها .

(٣) الأفتاء : جمع فتى .

ما ذُكر ، وأهل خراسان فى حالِ عزّ على ما وُصف ، ولكن إن ولّى المهدىّ عليهم رجلاً ليس بقديم الذِّكر فى الجُنود ، ولا بِنَبِيه الصوت فى الحروب ، ولا بطويل التجربة للأمور ، ولا بمعروف السياسة للجيوش والهَيبة فى الأعداء ، دخل ذلك أمران عظيمان ، وخَطران مَهولان ، أحدهما : أنّ الأعداء يَغتمزونها منه ، ويحْتقرونها فيه ، ويجترئون بها عليه ، فى النهوض به والمُقارعة له ، والخِلاف عليه ، قبل الاختبار[١] لأمره ، والتكشّف لحاله ، والعِلْم بطباعه . والأمر الآخر : أنّ الجنود التى يقود ، والجيوش التى يسوس ، إذا لم يختبروا منه البأسَ والنجدة ، ولم يعرفوه بالصّوت[٢] والهَيبة ، انكسرت شجاعتهم ، وماتت نَجدتهم ، واستأخرت طاعتُهم إلى حين اختبارهم ، ووقوع مَعرفتهم ، وربما وقع البَوار قبل الاختبار . وبباب المهدى – وفقه الله – رجلٌ مَهيب[٣] ، نَبيه حَنِيك[٤] صيِّت ، له نَسب زاكٍ ، وصوت عال ، قد قاد الجيوش ، وساس الحروب ، وتألّف أهلَ خراسان ، واجتمعوا عليه بالمِقَة[٥] ، ووَثِقوا به كلّ الثقة ، فلو ولّاه المهدىّ أمرَهم ، لكفاه الله شرّهم .

قال المهدى : جانبتَ قَصْد الرميّة ، وأبيت إلا عَصبيّة ، إذ[٦] رأىُ الحَدَث من أهل بَيْتنا ، كرأى عشرة حُلَماء من غيرنا . ولكن أين تركتم ولىَّ العهد ؟ قالوا : لم يمنعنا من ذكره إلا كونُه شَبيهَ جَدّه ، ونسيجَ وَحْده ، ومن الدِّين وأهلِه بحيث يقصُر القولُ عن أدنى فضلِه . ولكن وجدنا الله عزّ وجلّ [قد] حَجَب عن خلقه ، وستر من[٧] دون عباده ، عِلْمَ ما تختلف به الأيام ، ومَعرفة

(١) فى بعض الأصول : « قبل ما حين الاختبار ... الخ » .
(٢) فى بعض الأصول : « بالصيت » . والصوت والصيت واحد . والذى فى ا : « بالصواب » .
(٣) فى ا : « مهذب » .
(٤) فى بعض الأصول : « محنك » . وهما بمعنى .
(٥) المقة : الحب .
(٦) فى ا : « إن » .
(٧) فى ا : « عن » .

ما تجرى به[١] المقادير ، من حوادث الأمور ، ورَيْب المَنون ، المُخْتَرِمة[٢] لخوالى القرون ، ومواضى الملوك ، فـكَر هنا شُسوعه[٣] عن مَحَلّة المُلك ، ودار السلطان ، ومَقرّ الإمامة والولاية ، وموضع المدائن والخزائن ، ومُستقر الجنود ، وموضع الوُجوه[٤] ، ومَجْمع الأموال ، التى جعلها الله [عز وجل] قُطباً لمدار[٥] الملك ، ومِصْيدة لقلوب الناس ، ومَثابة لإخوان الطمع ، وثُوّار الفِتَن ، ودواعى البِدَع ، وفُرسان الضلال ، وأبناء المُروق[٦] . وقلنا إن وجّه المهدى ولىَّ عهده ، فحَدث فى جيوشه [وجنوده] ما قد حدث بجنود الرُّسل من قبله ، لم يَسْتطع المهدىّ أن يُعقّبه بغيره ، إلا أن يَنهض[٧] إليهم بنفسه ، وهذا خطر عظيم ، وهَول شديد ، إن تنفّست الأيام بمَقامه ، واستدامت[٨] الحال بأيامه[٩] ، حتى يقع عرَض[١٠] لا يُستغنى [فيه] ، أو يحدُث أمرٌ لا بد [فيه] منه ، صار ما بعده ، مما هو أعظم هوْلا وأجل خطراً ، له تبعا وبه متصلا .

قال المهدىّ : الخطب أيسر مما تذهبون إليه ، وعلى غير ما تَصفون الأمرَ عليه . نحن — أهلَ البيت — نجرى من أسباب القضايا ، ومواقع الأمور ، على سابق من العِلْم ، ومَحتوم من الأمر ، قد أنبأت به الـكُتب ، وتتابعت[١١] عليه الرسل ، وقد تناهَى ذلك بأجمعه إلينا ، وتـكامل بحَذافيره عِندنا ، فيه[١٢] نُدبِّر ،

---

(١) فى بعض الأصول : « عليه » .
(٢) المخترمة : المهلكة .
(٣) شسوعه : بعده .
(٤) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « ومعدن الجود » .
(٥) فى بعض الأصول : « لدار » . وهو تحريف .
(٦) فى الأصول : « الموت » . وهو تحريف .
(٧) فى ا « ينهد » وهما بمعنى .
(٨) فى الأصول : « استدارت » . وهو تحريف .
(٩) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « بامامه » . وهو تحريف .
(١٠) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « عوض » . وهو تحريف .
(١١) فى بعض الأصول . « وتنبأت » وفى بعض آخر : « نبأت » . وهو تحريف .
(١٢) فى بعض الأصول : « فيه » .

وعلى الله نتوكل . إنه لا بُد لولىِّ عهدى، وولىِّ عهدى عقبى من بعدى، أن يقود إلى خُراسان البُعوثَ[١] ، ويتوجّه نحوها بالجنود .

أما الأول فإنه يُقدِّم إليهم رُسله ، ويُعْمِل فيهم حِيَله ، ثم يخرج نَشِطاً إليهم حَنِقاً عليهم يُريد أن لا يدَع أحداً من إخوان الفِتَن ، ودواعى البِدَع ، وفُرسان الضلال ، إلا توطّأه بحرّ القتل ، وألبسه قِناع القَهر ، وطَوّقه[٢] طَوْق الذُّل ؛ ولا أحداً من الذين عملوا فى قَصِّ جَناح الفِتْنة ، وإخماد نار البِدْعة ، ونُصرة وُلاة الحق ، إلا أجرى عليهم دِيَم فَضْله ، وجَداول بَذْله . فإذا خرج مُزْمِعاً له مُجْمِعاً عليه ، لم يَسِرْ إلا قليلا حتى يأتيَه أن قد عملتْ حِيَله ، وكَدَحت كُتبه ، ونفذَتْ مكايده ؛ فهدأت نافِرةُ القلوب ، ووَقَعت طائرة الأهواء[٣] ، واجتمع عليه المُخْتلفون بالرِّضا ، فيَميل نظراً لهم ، وبِرًّا بهم ، وتعطّفاً عليهم ، إلى عدوّ قد أخاف سبيلَهم ، وقَطَع طريقهم ، ومنع حُجّاجهم بيتَ الله الحرام ، وسَلَب تُجّارهم رزق الله الحلال .

وأما الآخر فإنه يوجِّه إليهم من يعتقد[٤] له الحجّة عليهم بإعطاء ما يطلبون ، وبَذْل ما يسألون ، فإذا سَمِت الفِرَق بِقرَانها[٥] له ، وجنَح أهل النواحى بأعناقهم نحوه ، فأَصغَتْ إليه الأفئدة ، واجتمعت له الكلمة ، وقَدِمت عليه الوفود ، قَصَد لأول ناحية بخَعَت[٦] بطاعتها ، وألقت بأزِمّتها ، فألبسها جَناح نِعْمته ، وأنزلها ظلَّ كرامته وخَصَّها بعظيم حِبائه ، ثم عَمَّ الجماعة بالمعدَلة ، وتعطَّف عليهم بالرحمة . فلا تبقى فيهم ناحية دانية ، ولا فِرْقة قاصية ، إلا دخلت

(١) فى ا : « الجيوش » .
(٢) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « وقلده » .
(٣) وقعت طائرة الأهواء : خمد غضبها وسكنت ثائرتها .
(٤) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « ثم تعتقد ... الخ » .
(٥) القران : الحبل يقلد ويقاد به . والذى فى ا ، ب : « بقرابتها » . والذى فى سائر الأصول : « بقراباتها » . وظاهر أن كلا اللفظين محرف عما أثبتناه .
(٥) كذا فى ا . وبخعت بطاعتها : أقرت بها . والذى فى سائر الأصول : « نجعت » .

عليها بركتُه ، ووصلت إليها مَنْفعته ، فأغنى فقيرَها ، وجَبر كَسِيرها ، ورفَع وَضِيعها ، وزاد رَفيعَها ، ما خلا ناحيتين : ناحيةً يغلب عليهم الشقاء ، وتستميلهم الأهواء ، فتستخفّ بدعوته ، وتُبطئ عن إجابته ، وتتَثاقل عن حقّه ، فتكون آخر من يَبْعث ، وأبطأ من يُوَجَّه ، فيَضطمر [1] عليها مَوْجدة ، ويَبْتغى لها علّة ، لا يلبث أن يجدها [2] بحق يَلزمهم ، وأمر يجب عليهم ، فتَستلحمهم الجيوش ، وتأكلهم السيوف ، ويستحرّ فيهم القتل ، ويُحيط بهم الأَسر ، ويُفْنيهم التتبّع ، حتى يُخرّب البلاد ، ويُوتِم الأولاد وناحيةً لا يبسط لهم أمانًا ، ولا يقبل لهم عهدًا ، ولا يجعل لهم ذمة ، لأنهم أول من فتح باب الفُرقة ، وتدرّع جلْباب الفِتْنة ،

٨٧/١ وربَض فى شقّ العَصا . ولكنه يَقتُل أعلامهم ، ويأسِر قُوّادهم ، ويطلب هُرّابهم ، فى لُجج البحار ، وقُلل الجبال ، وخَمَر [3] الأردية ، وبطون الأرض ، تَقْتيلا وتَغْليلا وتَنْكيلا ، حتى يدعَ الدِّيار خرابا ، والنساء أيامَى . وهذا أمر لا نعرْف له فى كُتبنا وقتًا ، ولا نصحّح منه غيرَ ما قُلنا تفسيرًا .

وأما موسى ولىّ عهدى ، فهذا أوان توجّهه إلى خُراسان ، وحُلوله بجُرجان ، وما قضى الله له من الشخوص إليها ، والمُقام فيها ، خيرٌ للمسلمين مَغَبّة ، وله بإذن الله عاقبة من المقام بحيث يُغْمر فى لجج بُحُورنا ، ومَدافع سيولنا ومجامع أمواجنا ، فيَتصاغر عظيمُ فضله ، ويَتَذأب [4] مَشْرق نُوره ، ويُتقلّل كثيرُ ما هو كائن منه . فمن يَصحبه من الوزراء ، و [من] يُختار له من الناس ؟

قال محمد بن الليث : أيها المهدى ، إن ولىّ عهدك أصبح لأُمتك وأهل

---

(١) كذا فى ا . ويضطمر ، أى يضمر فى نفسه ويخفى . والذى فى سائر الأصول : « فيصطل » .

(٢) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « يجد » . وهو تحريف .

(٣) كذا فى ا . والخمر (بفتحتين) : ما واراك من شجر ؛ تقول : توارى الصيد منى فى خمر الوادى . والذى فى سائر الأصول : « خل » . وهو تحريف .

(٤) كذا فى ا . ويتذأب : يضطرب . والذى فى سائر الأصول : « يتذاءب » وهو بمعناه .

ملتك عَلَمًا قد تثنّت نحوه أعناقُها، ومُدّت سَمْتَه أبصارُها. وقد كان لقرب داره منك، ومحلّ جواره لك: عُطِّلَ الحال، غُفْل(١) الأمر، واسعَ العُذر. فأما إذا انفرد بنفسه، وخلا بنظره، وصار إلى تدبيره، فإن من شأن العامة، [وأمراء الأمة]، أن تتفقد مخارج رأيه، وتَستنصِت لمواقع آثاره، وتسألَ عن حوادث أحواله، فى برّه ومَرْحمته، وإقساطه ومَعْدَلته، وتدبيره، وسياسته، ووزرائه وأصحابه، ثم يكون ما سَبَق إليهم، أغلبَ الأشياء عليهم، وأملكَ الأمورِ بهم، وألزمَها لقلوبهم، وأشدَّها استمالة لرأيهم، وعَطْفًا لأهوائهم، فلا يفتأ(٢) المهدى — وفقه الله — ناظرًا له فيما يقوّى عَمَد مملكته ويُسدّد أركان ولايته، ويَستجمع رضا أمّته، بأمرٍ هو أزين لحاله، وأظهرُ لجماله، وأفضلُ مَغبَّة لأمره، وأجلُّ موقعًا فى قلوب رعيّته، وأحمدُ حالاً فى نفوس أهل مِلّته. ولا أوقعَ(٣) مع ذلك باستجماع الأهواء له، وأبلغَ فى استعطاف القلوب عليه، من مَرْحمة تظهر من فعله، ومَعْدلة تَنتشر من أثره، ومحبَّة للخير وأهله. وأن يختار المهدىُّ — وفقه الله — من خيار أهل كل بلدة، وفُقهاء أهل كل مصر، أقوامًا تسكن العامة إليهم إذا ذُكروا، وتأنس الرعية بهم إذا وُصفوا، ثم تُسهل لهم عِمارة سُبل الإحسان، وفَتْح باب المعروف، كما قد كان فُتح له وسُهِّل عليه.

قال المهدىّ: صدقتَ ونصحتَ. ثم بعث فى ابنه موسى(٤)، فقال: أىْ بُنىَّ، إنك قد أصبحتَ لسَمْت عُيون(٥) العامة نُصْبًا، ولمَثْنى أعطاف الرعيَّة غاية، فحسنَتُك شاملة، وإساءَتُك نامية(٦)، وأمرك ظاهر. فعليك بتقوى الله [عزّ

---

(١) كذا فى ا. والذى فى سائر الأصول: «غفر» وهو تحريف.

(٢) فى بعض الأصول: «فلا يعلم». وهو تحريف.

(٣) كذا فى ا. والذى فى سائر الأصول: «دافع». وهو تحريف.

(٤) بعث فى ابنه، أى فى طلب ابنه. وقد وردت هذه العبارة هكذا فى أكثر الأصول. والذى فى ا: «ثم بعث إليه».

(٥) كذا فى ا. والذى فى سائر الأصول: «وجوه».

(٦) كذا فى ا. والذى فى سائر الأصول: «ثانية». وهو تحريف.

وجل] وطاعته ، فاحتمِل سُخْط الناس فيهما ، ولا تطلُب رِضاهم بخلافهما ، فإن الله عزَّ وجل كافيك مَنْ أَسْخطه عليك إيثارُكَ رِضاه ، وليس بكافيك من يُسخطه عليك إيثارُكَ رِضا مَنْ سواه . ثم اعلم أن لله تعالى فى كل زمان عِتْرَةً[1] من رُسله ، و بقايا من صَفوة خَلْقه ، وخبايا لنُصرة حقِّه ؛ يُجدِّد حَبْلَ الإسلام بدعواهم ، ويُشيِّد أركان الدين بنُصرتهم ، ويَتخذهم لأولياء دينه أنصاراً ، وعلى إقامة عَدله أعوانا ، يَسُدّون الخَلل ، ويُقيمون المَيَل ، ويَدفعون عن الأرض الفساد . و إن أهل خراسان أصبحوا أيدى دَوْلتنا ، وسيوفَ دعوتنا ، الذين نَستدفع المكاره بطاعتهم ، ونصرف نُزول العظائم بمُناصحتِهم[2] ، ونُدافع ريبَ الزمان بعزائمهم ، ونُزاحم رُكْن الدهر ببصائرهم . فهم عِماد الأرض إذا أَرْجفت كَنَفها ، وحُتوف[3] الأعداء إذا برزت صَفْحتُها ، وحُصون الرعيّة إذا تضايقت الحال بها . قد مضت لهم وقائع صادقات ، ومواطن صالحات ، أخْمدت نيرانَ الفِتَن ، وقصمت ٧٩ / ١ دواعى البِدَع ، وأذلّت رِقاب الجبّارين ، ولم ينفكّوا كذلك ما جَرَوْا مع ريح دَوْلتنا ، وأقاموا فى ظلّ دعوتنا ، واعتصموا بحَبْل طاعتنا ، التى أعزّ الله بها ذِلَّتهم ، ورفَع بها ضَعَتهم ، وجعلهم بها أربابا فى أقطار الأرضين ، ومُلوكا على رِقاب العالمين ، بعد لِباس الذُّل ، وقِناع الخوف ، و إطباق البلاء ، ومُحالفة الأسى ، وجَهْد البأس والضُرّ . فظاهِرْ عليهم لباسَ كرامتك ، وأَنزلهم فى حدائق نعمتك ثم اعرف لهم حق طاعتهم ، ووسيلة دالّتهم ، وماتّة سابقتهم ، وحُرمة مُناصحتهم بالإحسان إليهم ، والتّوْسعة عليهم ، والإثابة لمُحسنهم ، و الإقالة لمُسيئهم[4] .

أى بُنى : ثم عليك العامة ، فاستدعِ رِضاها بالعدل عليها ، واستجلب مودتها بالإنصاف لها ، وتَحسَّن بذلك لربّك ، وتَزَيّن[5] به فى عين رعيّتك ،

(١) فى جميع الأصول : « فترة » . وهو تحريف .

(٢) فى ا : « بمصاحبتهم » .

(٣) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « خوف » .

(٤) فى ا : « لمذنبهم » .

(٥) فى الأصول : « توثق » . وهو تحريف .

واجعل عُمّال القَدْر(١)، ووُلاةَ الحُجج مُقدّمة بين يدى عَملك ، ونَصَفة منك لرعيتك ؛ وذلك أن تأمر قاضى كل بلد ، وخيار أهل كل مصر ، أن يختاروا لأنفسهم رجلاً تولّيــه أمرهم ، وتجعل العدلَ حا كما بينه و بينهم ، فإن أحسن حُمِدَت ، وإن أساء عُذِرت ، هؤلاء عمال القَدْر وولاة الحُجج . فلا يَضيعنّ عليك ما فى ذلك — إذا انتشر فى الآفاق ، وسبق إلى الأسماع — من انعقاد ألسنة المُرجفين ، وكَبْت قلوب الحاســدين ، وإطفاء نيران الحروب ، وسلامة عواقب الأمور . ولا ينفكّنّ فى ظل كرامتك نازلا ، وبعُرا حَبْلك متمسِّكا ، رجلان : أحدهما كريمة(٢) من كرائم رجالات العرب ، وأعلام بيوتات الشرف ، له أدب فاضــل ، وحلم راجح ، ودين صحيح . والآخر له دين غير مَغْموز ، وموضع غير مدخول ، بصــير بتَقْلب الكلام ، وتصريف الرأى ، وأنحاء الأدب(٣) ، ووضع الـكتب ، عالم بحالات الحروب ، وتصاريف الخُطوب ، يضع آداباً نافعة ، وآثاراً باقية ؛ من [تجميل] محاسنك ، وتحسين أمرك ، وتحلية(٤) ذكرك ، فتَسْتشيره فى حربك ، وتُدخــله فى أمرك ؛ فرجل أصبتَه كذلك فهو يأوى إلى مَحلّتى ، ويرعى فى خُضرة جِنانى : ولا تدعْ أن تختار لك من فُقهاء البلدان ، وخِيار الأمصار ، أقواماً يكونون جيرانك وسُمّارك ، وأهلَ مُشاورتك فيما تُورد ، وأصحابَ مناظرتك فيما تُصــدر . فسِر على بركة الله ، أصحبك الله من عونه وتوفيقه دليلاً يهدى إلى الصواب قلبَك ؛ وهادياً يُنطق بالحق(٥) لسانك .

وكتب فى شهر ربيع الآخر سنة سبعين ومائة(٦) ببغداد .

---

(١) انظر الحاشية رقم ٢ ص ١٩ من هذا الجزء فى تفسير عمال القدر .

(٢) للكريمة : الكريم :

(٣) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « العرب » . وهو تحريف .

(٤) فى ا : « وتخليد » .

(٥) كذا فى ا والذى فى سائر الأصول : « بالخير » .

(٦) المعروف أن المهدى توفى سنة ١٦٩ وخلفه الهادى الذى توفى سنة ١٧٠ . =

باب فى مداراة العدو

من كتاب الهند فى مداراة العدو

فى كتاب للهند : إنّ العدو الشديد الذى لا تقوى له [لا] تردّ بأسَه عنك بمثل الخُشوع والخضوع له ، كما أنّ الحشيش إنما يَسلم من الريح العاصفة بِلينه وانثنائه معها .

وقالوا[١] : أَزفِنْ[٢] للقِرْد فى دولته[٣] .

لشاعر فى هذا المعنى

[أخذه الشاعر فقال :

لا تعبُدَنْ صَنماً فى فاقةٍ نزلت وازفِن بلا حَرَجٍ للقِرْد فى زَمنه]

لأحمد بن يوسف فى ذلك

وقال أحمد بن يوسف الكاتب : إذا لم تَقْدِر أن تَعضّ يدَ عدوك فقبّلها .

لسابق البلورى فى المداهنة

وقال سابق البَلَوىّ :

وداهِن إذا ما خِفْت يوماً مُسلَّطاً عليك ولن يَحتال مَنْ لا يُداهنُ

للحكماء فى انتهاز الفرصة

وقالت الحكماء : رأس العَقل مُغَافصة[٤] الفرصة عند إمكانها ، والانصرافُ عمّا لا سبيلَ إليه .

لشاعر فى العداوة

وقال الشاعر[٥] :

بلاء ليس يُشْـــبهه بَلاء عَداوةُ غَيْرِ ذى حَسَب ودِينِ
يُبيحك منــه عِرْضاً لم يَصُنْه ويَرْتع منك فى عِرْض مَصُون

= فلعل هذا تاريخ نشر الكتاب على الناس لا تاريخ كتابته . هذا إذا صحت نسبته .

(١) فى ا : «ومن قولهم» .
(٢) ازفن : ارقص .
(٣) فى ا : «فى زمانه» .
(٤) كذا فى ا . والمغافصة : المفاجأة والأخذ على غرة . والذى فى ب : «مفاوضة» . والذى فى سائر الأصول : «مناهضة» . وكلاهما تحريف .
(٥) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : «كما قيل» .

التحفظ من العدو إن أبدى لك المودة

كلام للحكماء فى التحذير من الموتورين والأعداء

٨٠/١ قالت الحكماء : احذَر الموْتور ولا تطمئنّ إليه ، وكُنْ أشدّ ما تكونُ(١) حَذَراً منه ألطفَ ما يكون مُداخلة لك . فإنما السلامة من العدوّ بتَباعُدِك منه ، وانقباضِك عنه ؛ وعند الأُنس إليه والثقة [به] تمكّنه من مَقاتلك .

وقالوا : لا تطمئنّ إلى العدوّ إن أبدى لك المُقاربة ، وإن بسط لك وجهَه ، وخَفض لك جناحه ، فإنه يتربّص بك الدوائر ، ويُضمر لك الغوائل ، ولا يرتجى صلاحاً إلا فى فسادك ، ولا رِفْعة إلا بسُقوط جاهك .

للأخطل فى تحذير بنى أمية من بعض أعدائهم

كما قال الأخطل :

بَنِى أُميّة إنى ناصحٌ لكمُ فلا يَبِيتنّ فيكم آمناً زُفَرُ(٢)

وأتّخِذوه عدُوًّا إنّ شاهدَه وما تَغَيَّب من أخلاقه دَعَرُ(٣)

إنّ الضَّغِينةَ تلْقاها وإن قَدُمت كالعُرّ(٤) يَكْمُن حِيناً ثم يَنْتَشِر

من كتاب للهند فى التحذير من العدو

وفى كتاب الهند : الحازم يحذر عدوه على كُلّ حال ، يَحْذر المُواثبة إن قَرُب ، والمُعاودة إن بَعُد ، والكَمين إن انكشف ، والاستطراد إن ولّى ، والكَرّة إن فرّ(٥) .

لبعض الحكماء فى ذلك

[وأوصى بعض الحكماء ملكا فقال : لا يكوننّ العدوّ الذى كشف لك عن عداوته بأخوفَ عندك من الظَّنين الذى يَسْتتر لك بمُخاتلته ، فإنه ربما تخوّف الرجل السّمّ الذى هو أقتل الأشياء ، وقتَله الماء الذى هو مُحْيِى

---

(١) فى ا : « وكن أشد الناس » .

(٢) هو زفر بن الحارث بن كلاب الكلابى ، أخو بنى نفيل بن عمرو بن كلاب .

(٣) الدعر : الفساد .

(٤) كذا فى بعض الأصول وديوان الأخطل وعيون الأخبار (ج ٣ ص ١١١) . والعر : الجرب . والذى فى سائر الأصول : « كالعرق » .

(٥) مر هذا الخبر (فى ص ١٢٣ من هذا الجزء) باختلاف يسير فى بعض ألفاظه .

الأشياء ؛ وربما تخوّف أن تقتـــله الملوك التى تَمَاــكه ، ثم تَقْتله العبيدُ التى يملـكها] .

للأخطل فى العداوة الكامنة

ولم يقل أحد فى العدوّ المُندمل [على] العداوة ؛ مثلَ قول الأخطل :

إن الضّغينة تَلْقاها و إن قَدُمت   كالعِرْقِ يَكْمُن حيناً ثم يَنْتَشِرُ

للحسن بن هانىء فى هذا المعنى

وقد أشار الحسنُ بن هانىءٍ إلى هذا المعنى فأجاده حيث يقول :

وابنِ عَمٍّ لا يُكاشِفنا   قد لَبِسْناه على غَمَرِه[١]

كَمَنَ الشَّنْآن فيه لنا   كَكُمُون النّار فى حَجَرِه[٢]

لابن أخت تأبط شرا

وشبّهوا العدوّ إذا كان هذا فعلَه بالحية المُطرقة . قال ابن أخت تأبط شرّا :

مُطْرِقٌ يَرْشح مَوتاً[٣] كما   أطرق أفعى يَنفُثُ السّمّ صَلّ

كلمة لابن الزبير قالها لمعاوية

وقال عبد الله بن الزبير لمعاوية — ويقال : بل معاوية قالها لعبد الله بن الزبير — : مالى أراك تُطْرِق إطراق الأُفعوان فى أصول السَّخبر ؟

من كتاب للهند فى العدو تلجئه الحاجة إلى مصادقتك

وفى كتاب الهند : إذا أحدث لك العدوّ صَداقة لِعلّة ألجأته إليك فمع ذَهاب العِلّة رجوعُ العداوة ، كالماء تُسخّنه فإذا أمسكت عنه عاد إلى أصله بارداً : والشجرةُ المُرّة لو طَلَيتها بالعسل لم تُثْمِر إلا مُرّا .

لدريد بن الصمة فى دلالة العيون على ما فى القلوب

وقال دُريد بن الصمة :

وما تَخفَى الضَّغينة حيث كانتْ   ولا النظرُ المَريض من الصَّحيحِ

ولزهير فى ذلك

وقال زُهير :

---

(١) الغمر : الحقد .

(٢) يريد حجر القادح .

(٣) فى شرح ديوان الحماسة : «سما» . والرشح : العرق . والنفث : كالقذف . والصل : من صفة الأفعى ؛ وكل خبيث يقال له : صل أصلا . ونسب هذا البيت لتأبط شرا ، كما نسب لخلف الأحمر ، ورجح التبريزى فى شرح ديوان الحماسة نسبته إلى خلف .

وما يَكُ فى صديقٍ أو عدُوٍّ تُخبِّرك العيونُ عن القلوبِ

لزياد فى السرور بما يصيب العدو

وقيل لزِياد : ما السرور ؟ قال : مَن طال [فى العافية والكفاية] عمره ، حتى يرى فى عدوه ما يَسرُّه .

باب من أخبار الأزارقة

أخبار حوثرة الأقطع مع معاوية ومقتله

كان أول من خرج من الخوارج بعد [قتل][1] علىّ رضى الله عنه : حَوْثرة الأقطع ، فإنه كان خرج إلى النُّخَيلة واجتمع إليه جماعة من الخوارج ؛ ومعاوية بالكوفة ، وقد بايعه الحسن والحُسين [وقيس بن سعد بن عُبادة][2] . ثم خرج الحسن يريد المدينة ، فوجّه إليه معاوية وقد تجاوز[3] فى طريقه يسأله أن يكون المتولّى لمحاربتهم . فقال الحسن عليه السلام : والله لقد كففتُ عنك لحَقْن دماء

٨١/١ المسلمين ، وما أحسب ذلك يَسعنى ، فكيف أن أقاتل قوماً أنت أولَى بالقتال منهم ؟ فلما رجع الجواب [إليه] ، وجه إليهم جيشاً أكثرُه [من] أهل الكوفة ، ثم قال لأبى حَوْثرة : تقدّم فاكفنى أمر ابنك . فسار إليه أبوه ، فدعاه إلى الرجوع ، فأبَى ، [فداوره][4] فصمم . فقال له : أى بنى ، أجيئك[5] بابنك لعلك تراه فتحِنّ إليه ؟ فقال له : يا أبتِ ، أنا والله إلى طَعنة نافذة أتقلّب فيها على كعوب الرمح أشوقُ منى إلى ابنى . فرجع إلى معاوية فأخبره . فقال : يا أبا حَوْثرة ، عَتَا هذا [جدًّا][1] . فلما نظر [حوثرة][6] إلى أهل الكوفة ، قال : يا أعداء الله ، أنتم بالأمس تقاتلون معاوية لتهدّوا سُلطانه ، واليوم تقاتلون

---

(١) هذه الكلمة من الكامل للمبرد .

(٢) فى الأصول : « ضبابة » والتصويب من الكامل .

(٣) فى ا : « توجه » .

(٤) فى الكامل للمبرد : « فأداره » .

(٥) فى ا : « آتيك » .

معه لتشدوا سلطانه . ثم جعل يشد عليهم ويقول[١] :

احمِلْ على هذِى الْجُموع حَوْثَرَه فَمَنْ قريب ستَنال[٢] الْمَغفِره

فحمل عليه رجل من طيّئ فقتله ، فرأى أثرَ السجود قد لوّح جَبهته ، فندِم على قتله .

خبر مرداس أبي بلال وأصحابه ومقتلهم

وكان مِرداس أبو بلال قد شَهِدَ صِفّين مع علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وأنكر التحكيم ، وشهد النَّهْروان[٣] ونجا فيمن نجا ؛ فلما خرج من حَبْس ابن زياد[٤] ، ورأى شدة الطلب للشُّراة عزَم على الخروج ، فقال لأصحابه : إنه والله ما يسَعُنا المُقامُ مع هؤلاء الظالمين ، تجرى علينا أحكامُهم ، مُجانِبين للعَدْل ، مُفارِقين للفصْل[٥] . والله إنّ الصبر على هذا لَعظيم ، وإنّ تجريدَ السيفِ وإخافةَ السبيل لشديد ، ولكنّا ننتَبِذ عنهم[٦] ولا نُجرّد سيفاً ولا نُقاتل إلا مَنْ قاتَلنا . فاجتمع إليه أصحابه زُهاء ثلاثين رجلا ؛ منهم : حُرَيث بن حَجَل[٧] ، وكَهْمَس ابن طَلْق [الصَّرِيمىّ] فأرادوا أن يُولّوا أمرهم حُرَيْثاً فأبَى . فولّوا أمرهم مِرْداسا . فلما مضى بأصحابه لقيهم عبدُ الله بن رَبَاحٍ الأنصارىّ ، وكان له صديقاً ، فقال له : يابن أخى ، أين تريد ؟ فقال : أريد أن أهرُب بدينى ودين أصحابى من أحكام هؤلاء الجَوَرة . قال [له] : أعَلِم أحدٌ بكم ؟ قال : لا . قال : فارجع .

---

(١) فى الكامل : « ثم حمل على القوم وهو يقول » .

(٢) فى الكامل : « فعن قليل ما تنال » .

(٣) النهروان : كورة واسعة بين بغداد وواسط ، وكان بها وقعة لأمير المؤمنين على ابن أبى طالب مع الخوارج مشهورة .

(٤) كان عبد الله بن زياد قد تعقب الخوارج بالحبس ، فحبس مرداسا فيمن حبس . ثم إن صاحب السجن رأى اجتهاد مرداس فأعجب به وخلى عنه . (انظر الكامل للمبرد) .

(٥) يريد : قول الحق . والفصل (أيضا) : القضاء بين الحق والباطل .

(٦) كذا فى الكامل للمبرد . والذى فى الأصول : « نشد عليهم » . وهو تحريف مغير للمراد .

(٧) كذا فى الكامل للمبرد . والذى فى الأصول : « حجر » . وهو تحريف .

قال : أوَ تخاف علىّ مكروهاً ؟ [قال : نعم ، وأن يؤتَى بك . قال : فلا تخف][(١)] فإنى لا أجرّد سيفاً ولا أُخيف أحدا ، ولا أقاتل إلا من قاتلنى . ثم مضى حتى نزل آسك[(٢)] . فمرّ به مال يُحمل إلى ابن زياد ، وقد بلغ[(٣)] أصحابُه الأربعين . فَحَطّ ذلك المالَ فأخذ منه عطاءه وأُعطياتِ أصحابه وترك ما بقى ، وقال[(٤)] : قولوا لصاحبكم : إنما أخذنا أعطياتِنا . فقال له[(٥)] أصحابه : لماذا تترك الباقى ؟ قال : إنهم يَقْسمون[(٦)] هذا الفىء كما يُقيمون الصلاة ، فلا تقاتلوهم ما داموا على الصلاة .

فوجّه إليهم ابنُ زياد أَسْلَمَ بن زُرْعة الكِلاَبىّ فى أَلْفَيْن . فلما وصل إليهم ، قال له مِرْداس : اتق الله يا أسلم ، فإنّا لا نريد قتالا ولا نروّع أحداً ، وإنما هَربنا من الظلم ، ولا نأخذ من الفىء إلا أعطياتِنا ، ولا نقاتل إلا من قاتلنا . قال : لابد من ردّكم إلى ابن زياد . قال : وإن أراد قَتلنا . قال : وإن أراد قتلكم ! قال : فتَشْرَكُه فى دمائنا . قال : نعم . فشدّوا عليه شدّةَ رجل واحد فهزموه وقتلوا أصحابه .

ثم وجّه إليهم ابنُ زياد عبّاداً[(٧)] . فقاتلهم يوم الجمعة حتى كان وقت الصلاة ، فناداهم أبو بلال : يا قوم ، هذا وقت الصلاة فوادِعُونا حتى نُصلِّى . فوادعوهم ، فلما دخلوا فى الصلاة شدّوا عليهم فقتلوهم ، وهم بين راكع وساجد وقائم فى الصلاة وقاعد . فقال عِمْران بن حِطّان يرثى أبا بلال :

---

(١) التكملة من الكامل للمبرد .

(٢) آسك : بلدة بالأهواز .

(٣) فى الكامل للمبرد : « وقد قارب » .

(٤) فى الكامل للمبرد : « وردّ الباقى على الرسل وقال » .

(٥) فى الكامل للمبرد : « بعض » مكان قوله : « له » .

(٦) كذا فى الكامل للمبرد . والذى فى الأصول : « يقيمون » . وهو تحريف .

(٧) هو عباد بن أخضر ، وليس أخضر أباه ، بل أبوه علقمة المازنى ، وكان أخضر زوج أمه ، فغلب عليه .

يا عينُ بكّى لمِرْداس ومَصْرعه … يا ربِّ لِمرْداسٍ اجعلنى كمرداس
أبقيتَنى[١] هائماً أبكى لمَرْزئتى … فى مَنْزل مُوحش من بعد إيناس
أنكرتُ بعدك ما قد كنتُ أعْرفه … ما الناسُ بعدَك يامِرْداسُ بالناس
٨٢/١ إما شربتَ بكأسٍ دارَ أوّلُها … على القُرون فذاقوا جُرعة الكاس
[فكلُّ من لم يَذُقها شاربٌ عَجِلاً … منها بأنفاسِ وِرْدٍ بعد أنفاس]

في صبر الخوارج وشدتهم

وليس فى الفِرَق كلها [وأهل البدع] أشدَّ بصائر من الخوارج ولا أكثر اجتهاداً ، ولا أوطن أنفسا على الموت ، فمنهم الذى طُعن فأنفذه الرمح فجعل يسعى إلى قاتله ويقول : عَجِلْت إليك ربِّ لترضى .

الخوارج وعتاب ابن ورقاء

ولما مالت الخوارج إلى أصبَهان حاصرت بها عتّاب بن ورقاء سبعةَ أشهر يقاتلهم [فى كل يوم ، وكان مع عتّاب بن ورقاء رجل يقال له شُرَيح ويُكنى[٢]] أبا هُريرة ، فكان يخرج إليهم فى كل يوم فيُناديهم :

يابنَ أبى الماحوز[٣] والأشرارِ … كيف تَرَوْن يا كِلابَ النار
شَدَّ أبى هُريرة الهَرّارِ … يَعْرُوكم[٤] بالليـــل والنهار
وهو من الرحمن فى جوَار[٥]

فتعاظَمهم[٦] ذلك . فكَمَن له عَبِيدة بن هلال فضربه ، واحتمله أصحابُه ،

(١) فى ا والكامل : « تركتنى » .
(٢) هذه العبارة من الكامل للمبرد .
(٣) يريد الزبير بن على بن الماحوز ، وكان على الخوارج . (انظر الكامل للمبرد وابن الأثير والطبرى) .
(٤) كذا فى ا . والذى فى الكامل : « يهركم » . والذى فى سائر الأصول : « يمدكم » . وهو تحريف .
(٥) فى الكامل للمبرد :
ألم تروا جيا على المضمار … تمسى من الرحمن فى جوار
وجى : اسم مكان ، ونون للشعر .
(٦) فى الكامل : « فغاظهم » .

فظنّت الخوارج أنه قد قُتل، فكانوا إذا تواقفُوا ينادونهم: ما فعل الهرّار؟ فيقولون: ما به من بأس. حتى أبلّ من عِلّته، فخرج إليهم، فقال: يا أعداء الله. أترون بى بأساً؟ فصاحوا به: قد كُنّا نرى أنك لَحِقت بأُمّك الهاوية فى النار الحامية.

فلما طال الحصار على عتّاب، قال لأصحابه: ما تنتظرون: إنكم والله ما تُؤْتَوْن من قِلّة، وإنكم فُرسان عشائركم، ولقد حاربتموها مِراراً فانتصفتم منهم، وما بَقِى من هذا الحصار إلا أنْ تفنى ذخائرُكم، فيموتَ أحدُكم فيدْفِنه صاحبُه، ثم يموت هو فلا يجد من يدْفنه، فقاتلوا القوم وبكم قوّة من قبل أن يضعُف أحدكم عن أن يمشىَ إلى قِرْنِه. فلما أصبحَ صلى بهم الصبحَ، ثم خرج إلى الخوارج وهم غارُّون، وقد نَصب لواء لجارية يقال لها ياسمين، فقال: من أراد البقاء فليلحق بلواء ياسمين، ومن أراد الجهاد فليلحق بلوائى. قال: فخرج فى ألفين وسبعمائة فارس، فلم تشعُر بهم الخوارج حتى غَشُوهم، فقاتلوهم بجدّ لم ترَ الخوارج مثلَه، فقتلوا أميرهم الزُّبير بن علىّ وانهزمت الخوارج فلم يَتبعهم عتّاب بن ورقاء.

خبر قريب بن مرة وزحاف الطائى

وخرج قُرَيب بن مُرّة [الأَزْدىّ] وزَحّاف الطائى. وكانا مجتهدَين بالبصرة فى أيام زياد، فاعترضا[1] الناسَ، فَلقِيا شيخاً[2] [ناسكا[3]] من بنى ضبيعة [بن ربيعة بن نِزار[3]] فقتلاه، وتنادى الناسُ، فخرج رجل من بنى قُطَيْعَة[4] [من الأزد[3]] بالسيف. فناداه الناسُ من بعض[5] البيوت: الحرورية، انجُ بنفسك. فنادَوْه: لسنا حَرورِيّةً، [نحن الشُّرَط] فوقف[6] فقتلوه.

(١) كذا فى الكامل للمبرد. والذى فى الأصول: «فاستعفى». وهو تحريف.
(٢) اسم هذا الشيخ: رؤبة الضبعى. (انظر الكامل للمبرد).
(٣) التكلة من الكامل للمبرد.
(٤) كذا فى الكامل للمبرد، والذى فى الأصول: «قطيفة». وهو تحريف.
(٥) فى الكامل للمبرد: «ظهور» مكان قوله: «بعض».
(٦) كذا فى ا والكامل للمبرد. والذى فى سائر الأصول: «فوثبوا».

وبلغ أبا بلال خبرُهما ، وكان على دِين الخوارج ، إلا أنه كان لا يرى اعتراض الناس ، فقال قُرَيبٌ ، لا قرَّبه الله من الخير[١] ؛ وزَحّافٌ ، لا عفا الله عنه ، فلقد ركباها عَشْوَاء مُظْلمة[٢] .

ثم جعلا لا يمُرّان بقَبِيلة إلا قتلا مَن وجدا فيها ، حتى مَرّا ببنى علىّ ابن سُودٍ[٣] ، من الأزد . وكانوا رُماةً ، وكان فيهم مائة يجيدون الرّمى . فرَموهم رمياً شديداً ، فصاحوا : يا بنى علىّ[٤] ، البُقْيا ، لا رِماء[٥] بيننا . فقال رجل منهم[٦] :

لا شىء للقومِ سوى السِّهامِ مَشْحوذةً فى [غَلَس] الظلامِ

فهربت عنهم الخوارج . فاشتقّوا[٧] مَقْبُرة بنى يَشْكر حتى خرجوا إلى مُزَينة[٨] ، واستقبلهم الناس فقُتِلوا عن آخرهم .

زياد والخوارج

ثم عاد الناس إلى زياد ، فقال : ألا ينهى كلُّ قوم سفهاءهم . فكانت القبائل إذا أحسّت بخارجىّ فيهم أوثقوه وأتوا به زياداً ، فمنهم من يحبسه ومنهم من يقتله .

ولزياد أخرى فى الخوارج أنه أُتى بامرأة منهم فقتلها ، ثم عرّاها ، فلم

---

(١) كذا فى الكامل للمبرد . والذى فى الأصول : « لا قرب الله خيره » .

(٢) يريد : اعتراضهما الناس .

(٣) كذا فى الكامل . وهو سود بن الحُجْر بن عمران بن عدى بن حارثة بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن ، من الأزد . والذى فى الأصول : « على بن سور » بالراء ، وهو تحريف .

(٤) كذا فى الكامل للمبرد . والذى فى الأصول : « يا بنى سود » .

(٥) كذا فى الكامل للمبرد . والرماء : المرماة . والذى فى الأصول : « لادماء » . وهو تحريف .

(٦) فى الكامل للمبرد : « من بنى على » .

(٧) كذا فى الكامل للمبرد ، والذى فى الأصول : « فاستقروا فى » .

(٨) كذا فى الكامل للمبرد . والذى فى الأصول : « المدينة » . وهو تحريف .

تَخرج النساء إلا بعـد زياد ، وكُنَّ إذا أُرْغِمْن على الخروج قُلْن : لولا التَّعرِية لسارَعْنا .

مشاهير فرسان الخوارج

ومن مشاهير فرسان الخوارج : عمرو القنا ، من بنى سَعد بن زَيد مَناة ، وعَبيدة بن هلال ، من بَنى يَشكُر بن بكْر بن وائل ، وهو الذى طَعَن صاحب المهلَّب فى فَخذه ؛ فشكَّها[١] مع السَّرْج . وهما اللذان يقول فيهما [ابن][٢] ٨٣/١ المُنْجِبِ السَّدُوسى من فرسان المهلَّب، وكان قال له مولاه خِلَاج[٣] : وَدِدْتُ أنَّا فَضَضنا عسكرَهم ، فأَستابَ منه جاريتين إحداهما لك وأخرى لى — :

أخِلاجُ إنك لن تُعانق طَفْلةً شَرِقا بها الجادىُّ كالتِّمثالِ[٤]
حتى تُعانقَ[٥] فى الـكَتِيبة مُعلماً عمرو القَنا وعَبيدةَ بن هِلَال
وترى المُقعْطَر فى الـكَتِيبة مُقدِما فى عُصْبة قَسَطوا مع الضُّلَّال[٦]

والمُقعطَر : من مشاهير فرسانهم . وقَطرىّ : أَنْجَدهم قاطبة . وصالح بن مِخْراق : من بُهَمهم ، وكذلك سَعْد الطَّلائع .

كلمة للمهلب فى بعض رؤس الخوارج

ولـما اختلَف أمر الخوارج وانحاز قَطرىٌّ فيمن معه وبقِىَ عبدُ ربه ، قال المهلّب لأصحابه . إن الله تعالى قد أراحكم من أقْرانٍ أربعة : قَطرى بن الفُجَاءة ، وصالح بن مِخْراق . وعَبيدة بن هلال ، وسعد الطَّلائع ، وإنما بين أيديكم

(١) فى الأصول : « فشكها » . وما أثبتناه من الكامل . ونص هذه العبارة فيه : « والذى طعن صاحب المهلب فى فخذه فشكها مع السرج ، من بنى تميم . قال : ولا أدرى أعمرو هو أم غيره » .
(٢) هذه الكلمة من الكامل للمبرد .
(٣) فى الأصول : « الجلاح » . والتصويب من الكامل للمبرد .
(٤) كذا فى الكامل . والطفلة : الناعمة . والجادى : الزعفران ؛ نسبة إلى جادية (بتخفيف الياء) : قرية من عمل البلقاء من أرض الشام . والذى فى الأصول : « أجلاح » و « الحالى » مكان قوله « أخلاج » و « الجادى . وفى كلتا الكلمتين تحريف ظاهر .
(٥) فى الكامل للمبرد : « حتى تلاقى » . والمعلم : الذى قد شهر نفسه بعلامة .
(٦) المقعطر : من عبد القيس . وقسطوا : جاروا . وقد زيد فى الكامل بعد هذه الأبيات :
أو أن يعلمك المهلب غزوة وترى جبالا قد دنت لجبال

عبد ربّه فى خُشار[1] من خُشارِ الشيطان .

قتال الخوارج على أخس الأشياء يؤخذ منهم

وكانت الخوارج تقاتل على القَدَح يُؤخذ منها والسَّوْط والعِلْق[2] الخسيس أشدَّ قتال . وسَقَط فى بعض أيامهم رُمح لرجُل من مُرَاد من الخوارج فقاتلوا عليه حتى كثُر الجِراح والقتل ، وذلك مع المَغْرب ، والمُرادىّ يَرْتجز :

اللّيلُ لَيلٌ فيه وَيْلٌ وَيْلُ ... وَسالَ بالقوم الشُّراة[3] السَّيْلُ

إنْ جازَ للأعداء فينا قَوْلُ

تفرق مقالة الخوارج

وتفرّقت مَقالةُ الخوارج على أَرْبعة أَضْرب . فقال نافع بن الأَزْرَق باستِعْراض[4] الناس ، والبَرَاءة من عُثْمان وعلىّ وطلحة والزُّبير ، واستِحْلال الأمانة ، وقَتْل الأطفال . وقال أبو بَيْهَس هَيْصم[5] بن جابر الضُّبَعىّ : إن أعداءنا كأعداء الرسول [صلّى الله عليه وسلّم] يحلّ لنا المُقام فيهم كما أقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأقام المُسْلمون بين المشركين ، وأقولُ : إنّ مناكحتهم ومواريثهم تجوز ، لأنهم مُنافقون يُظهرون الإسلامَ ، وأنّ حكْمهم عند الله حكم المشركين[6] . وقال عبد الله بن إباض : لا نقولُ فيمن خالفَنا ، إنه مُشرك ، لأنّ معهم التوْحيد والإقرار بالكتاب والرسول ، وإنما هُم كُفّار للنِّعم ، وَمَواريثهم ومَناكِحهم

(١) كذا فى الكامل . يريد : سفلة الناس ورذالهم . والذى فى الأصول : « حثار » . وهو تصحيف .
(٢) العلق (بالكسر) : الجراب أو الترس أو السيف .
(٣) كذا فى الكامل للمبرد . والذى فى الأصول : « السراة » بالسين المهملة وهو تصحيف .
(٤) يريد اعتراضه الناس بقتلهم لا يبالى أمسلماً قتل أم كافراً .
(٥) فى الأصول : « هضيم » . والتصويب عن الكامل .
(٦) جاءت هذه العبارة مزيدة فى ا بعد قوله « تجمعهم » وقبل قوله « وقالت الصفرية » على أنها من كلام عبد الله بن إباض ، مع أنها تتمه لكلام أبى بيهس ، وقد وصلناها به . (انظر الكامل للمبرد).

والإقامة مَعهم حِلّ ، ودَعْوة الإسلام تجمعهم .

وقالت الصُّفْرية بقول عبد الله بن إباض ، ورأت القُعُود ، حتى صارت عامَّتهم قَعَدًا[١] . وإنما سُمُّوا صُفْرية لاصْفِرار وُجُوهِهم ، وقيل لأنهم أصحاب ابن الصَّفار[٢] .

(١) القعد ، أى المقيمين من الخوارج بين أظهر أعدائهم من المسلمين . وكان نافع يرى إكفارهم (انظر الكامل للمبرد) .

(٢) زيد فى ا بعد هذا : تم الجزء الرابع من كتاب الفريدة فى الحروب ، يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الخامس من الكتاب ، وهو كتاب الزبرجدة فى الأجواد والأصفاد من قسمة خمسة وعشرين من تجزئة الأصل » .

فرش[١] كتاب الزبرجدة فى الأجواد والأصفاد

قال الفقيه أبو عمرو أحمدُ بنُ محمد بنِ عَبْد ربّه، تغمّده الله برحمته: قد مضى قولُنا فى الحروب وما يَدْخلها من النّقص والكمال، وتقدّم الرجال على منازلهم من الصبر والجَلَد، والعُدَّة والعدَد. ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى الأَجواد والأصفاد[٢]، إذ كان أشرفُ ملابس الدنيا، وأزينُ حُلَلها، [وأجلبها] لِحَمد، وأدفعها لذمّ، وأسترها لعَيْب، كرمَ طبيعة يتحلّى بها السَّمحُ[٣] السَّرىُّ، والجواد السخىّ. ولو لم يكن فى الكرم إلا أنه صفة من صفات الله تعالى تَسمَّى بها، فهو الكريم عزَّ وجلّ. ومن كان كريما من خَلقه، فقد تسمّى باسمه، واحتذَى على صِفته.

للنبى صلى الله عليه وسلم فى الحث على الكرم

وقال النّبىّ صلى الله عليه وسلَّم: إذا أتاكم كريمُ قوم فأَكْرِموه.

وفى الحديث المأثور: الخلق عِيال الله، فأحبُّ الخلق إلى الله أنفعُهم لعياله.

بين الحسن والحسين، وعبدالله بن جعفر فى الإسراف فى البذل

وقال الحسن والحُسين [عليهما السلام[٤]] لعبد الله بن جعفر: إنك قد أسرفتَ فى بَذْل المال. قال: بأبى وأُمّى أنتما، إن الله قد عوّدنى[٥] أن يتفضّل علىّ، وعوّدته أن أتفضّل على عباده، فأخاف أن أقطَعَ العادةَ فيقطعَ عنّى.

بين المأمون ومحمد بن عباد المهلبى فى ذلك

وقال المأمون لمحمد بن عَبّاد[٦] المهلّبى: أنت مِتْلاف. قال: مَنْعُ الجود سوءُ ظنٍّ بالمعبود. ٨٤/١ يقول الله عز وجل: ﴿ وما أنفقتم مِنْ شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفه وهُوَ خَيْرُ الرازِقينَ ﴾.

---

(١) زيد فى ا قبل هذا العنوان: «بسم الله الرحمن الرحيم، رب يسر وأعن».

(٢) الأصفاد: جمع صفد (بالتحريك)، وهو العطاء.

(٣) كذا فى ا. والذى فى الأصول: «السمع». وهو تحريف.

(٤) فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٢٠٥): «وقيل لعبد الله بن جعفر».

(٥) فى نهاية الأرب: «إن الله عز وجل قد عودنى بعادة».

(٦) كذا فى ا والكامل للمبرد. والذى فى سائر الأصول: «عبادة». وهو تحريف

للنبى صلى الله عليه وسلم يحث بلالا على الإنفاق

وقال النبي صلّى الله عليه وسلّم : أنفق بِلَالُ[١] ولا تَخْش من ذى العَرْش إقلالا .

مدح الكرم وذم البخل

للنبى صلى الله عليه وسلم فى مدح الجود وذم البخل

قال النبي صلّى الله عليه وسلّم : اصطناع المعروف يَقِى مَصارع السوء .

وقال عليه الصلاة والسلام : إنّ الله يُحب الجُود ومكارم الأخلاق ، ويُبْغض سَفْسافها .

وقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لقوم من العرب : من سيّدكم ؟ قالوا : الجَدّ[٢] ابن قيْس على بُخل فيه . فقال صلّى الله عليه وسلم : وأى داء أدْوى[٣] من البخل ؟

يقول الله تعالى : (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأُولئك هُمُ المُفْلِحُونَ) .

الأكثم بن صيفى فى شىء من المكارم

وقال أكثم بن صَيْفيّ حكيم[٤] العَرب : ذلِّلوا أخلاقكم للمَطالب ، وقُودُوها إلى المحامد ، وعلّموها المكارم ، ولا تُقِيموا[٥] على خُلق تَذُمّونه من غيركم ، وصِلُوا من رَغِب إليكم ، وتحلّوا بالجود يَكْسِبكم المَحبّة ، ولا تَقْتَعِدُوا[٦] البُخل فتتعجّلوا الفقر .

لأحد الشعراء فيمن تخوف الفقر فبخل

أخذه الشاعر فقال :

---

(١) فى بعض الأصول : « بلالا » . وهو تحريف .

(٢) فى بعض الأصول : « الحر » . وهو تحريف .

(٣) كذا فى اللسان والنهاية لابن الأثير . وقيل فى التعقيب عليه : « والصواب : أدوأ ، بالهمز ، ولكن هكذا – أى بالقصر – يروى ، إلا أن يجعل من دوى يدوى دوى فهو دو ، إذا هلك بمرض باطن » .

(٤) كذا فى الأصول والمعارف لابن قتيبة . والذى فى لسان العرب (مادة كثم) : « .. من حكام » .

(٥) فى نهاية الأرب : « ولا تقيموها » .

(٦) ولا تقتعدوا البخل ، أى لا تتخذوه مطية . والذى فى الأصول ونهاية الأرب : « ولا تعتقدوا » .

أمِن خَوْف فقر تعجّلته   وأخّرتَ إنفاقَ ما تجْمعُ
فصِرْتَ الفقيرَ وأنت الغَنىّ   وما كنتَ تعدُو الذى تصنع

بين بخيل وسخى

وكتب رجل من البخلاء إلى رجل من الأسخياء يأمره بالإبقاء على نفسه ويخوّفه بالفقر. فردّ عليه: ﴿الشَّيطان يَعِدكم الفقرَ ويأمركم بالفَحْشاء والله يَعِدُكُمْ مَغْفِرةً منه وَفضْلا﴾ وإنى أكره أن أترك أمراً قد وقع لأمرٍ لعلّه لا يقع.

خالد القسرى فى الحض على المعروف

وكان خالد بن عبد الله القَسْرى يقول على المِنبر: أيها الناس، عليكم بالمعروف، فإنّ الله لا يُعدم فاعله جَوازيَه. وما ضَعُفت الناس عن أدائه، قَوِى الله على جزائه.

وأخذه من قول الحُطيئة:

من يَفْعل الخيرَ لا يَعْدَم جَوازيَه[1]   لا يَذهَب العُرفُ بين الله والناسِ

وأخذه الحطيئة من بعض الكتب القديمة. يقول الله تعالى فيما أنزله على داود عليه السلام: مَن يفعل الخير يجده عندى، لا يذهب العُرْف بينى وبين عبدى.

سعيد بن العاص فى الحث على الإنفاق

وكان سعيد بن العاص يقول على المِنْبر: مَن رَزَقه الله رِزْقاً حسناً فليُنفِق منه سرًّا وجهراً، حتى يكون أسعدَ الناس به، فإنما يترك مايترك لأحد رجلين: إمّا لمُصْلح فلا يَقِلُّ عليه شىء، وإما لمفسد فلا يبقَى له شىء.

أخذه الشاعر فقال:

أسْعِد بمالِكَ فى الحياة فإنما   يَبقى خلافَكَ مُصْلِحٌ أو مُفْسِدُ
فإذا جمعتَ لمُفسِد لم يُغْنِهِ   وأخو الصّلاح قليلُه يتزيَّد

(١) قال ابن جنى: «ظاهر هذا أن تكون جوازيه جمع جاز، أى لا يعدم جزاء عليه. وجاز أن يجمع جزاء على جواز لمشابهة اسم الفاعل للمصدر، فكما جمع سيل على سوائل، كذلك يجوز أن يكون جوازيه جمع جزاء». (انظر لسان العرب مادة جزى).

لأبي ذر في مثله

وقال أبو ذر [رضى الله عنه] : إنّ لك فى مالك شريكين : الحَدَثانَ والوارث ، فإن استطعت ألاّ تكون أبخسَ الشركاء حظّا فافعل .

لبزرجمهر أيضاً

وقال بُزُرْجِمْهر الفارسىّ : إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق مِنها [فإنها لا تفنى ، وإذا أدبرت عنك فأنفق منها][1] فإنها لا تبقى :

لشاعر فى هذا المعنى

أخذ الشاعر هذا المعنى فقال :

لا تَبخلنَّ بدُنيَا وهى مُقْبِلةٌ فليس يَنْقُصها التبذِيرُ والسَّرَفُ
وإن تولَّتِ فأحرَى أن تجودَ بها فالحمدُ منها إذا ما أَدْبرتْ خَلَفُ

لكسرى فى الشجعان والأسخياء وحسن ظنهم بالله

وكان كِسْرى يقول : عليكم بأهل السخاء والشجاعة ، فإنهم أهلُ حُسن الظن بالله [تعالى] ، ولو أن أهل البخل لم يدخل عليهم من ضَرر[2] بُخلهم ، ومَذَمّة الناس لهم ، وإطباق القلوب على بُغضهم ، إلا سوء ظنّهم بربّهم فى الخَلَف لكان عظيما .

لمحمود الوراق فى هذا المعنى

وأخذ هذا المعنى محمود الورّاقُ فقال :

٨٥/١

مَن ظَنَّ بالله خيراً جاد مبتدئاً والبخلُ مِن سُوء ظَنِّ المَرء بالله

بين محمد بن يزيد وموسى الهادى

محمد بن يزيد بن عمر بن عبد العزيز قال : خرجت مع موسى الهادى أمير المؤمنين من جُرجان ، فقال لى : إمّا أن تحملنى وإمّا أن أحملك . ففهمت ما أراد ، فأنشدته أبياتَ ابن صِرْمة[3] الأنصارىّ :

---

(١) التكلة من عيون الأخبار ونهاية الأرب .
(٢) فى نهاية الأرب : « ضر » .
(٣) كذا فى ا والسيرة لابن هشام . وهو أبو قيس صرمة بن أبي أنس بن صرمة ، من بنى النجار . وكان قد ترهب فى الجاهلية وفارق الأوثان ، حتى قدم على الرسول صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن إسلامه . وكان معظما لله عز وجل فى جاهليته ، يقول فى ذلك أشعارا أحيانا ، منها هذه الأبيات . والذى فى سائر الأصول : « صرحة » . وهو تحريف .

فأُوصيكم بالله أوّل وَهـلة[١] ... وأحسابِكُم ، والبِرُّ بالله أوّلُ
وإنْ قومُكم سادُوا فلا تَحْسُدُوهمُ ... وإن كنتمُ أهلَ السيادة فاعدِلوا
وإن أنتمُ أعوزتمُ[٢] فتعفّفُوا ... وإن كانَ فضلُ المالِ فيكم فأفضِلوا

فأمر لى بعشرين ألفاً .

لعبد الله بن عباس فى فضل السخاء والتقوى

وقال عبد الله بن عبّاس : ساداتُ الناس فى الدنيا الأسخياء ، وفى الآخرة الأتقياء[٣] .

لأبى مسلم الخولانى فى الترغيب فى المعروف

وقال أبو مُسلم الخَوْلانى[٤] : ما شىء أحسن من المَعروف إلا ثوابه . وما كل مَن قدر على المعروف كانت له نِيّة . فإذا اجتمعت القدرة والنيّة تَمّت السعادة ، وأنشد :

إنّ المَكارِمَ كُلَّها حَسَنٌ ... والبَذْلُ أحسنُ ذلك الحَسَنِ
كم عارفٍ بى لستُ أعرفه ... ومُخـبِّرٍ عنّى ولم يَرَنِى
يأتيهمُ خَبرى وإن بَعُدَتْ ... دارى وبُوعِد عنهمُ وَطنى
إنّى لِحُرِّ المال مُمْتَهِن ... ولحُرِّ عِرْضى غَيْرُ مُمتهن

مثل من إفراط خالد القصرى فى السخاء

وقال خالد بن عبد الله القَسْرىّ : مَن أصابه غُبار[٥] مَرْكبى فقد وجب علىّ شُكْرُه .

لعمرو بن العاص فى قضاء حق السائل عليه

وقال عمرو بن العاص : والله لرجُلٌ ذَكَرنى ، ينام على شقّة مرّة وعلى

(١) فى السيرة لابن هشام : « بالبر والتقى » مكان قوله : « أول وهلة » .
(٢) فى السيرة : « أمعرتم » . وأمعر : افتقر . ويروى : « أمعزتم » بالزاى . وأمعزتم : أى أصابتكم شدة .
(٣) جاء هذا الكلام فى المحاضرات للراغب منسوبا إلى النبى صلى الله عليه وسلم .
(٤) هو عبد الله بن ثوب (بضم المثلثة وفتح الواو بعدها موحدة ، وقيل بإشباع . ويقال ابن أثوب ، وزن أحمر) . عابد رحل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فلم يدركه ، وعاش إلى زمن يزيد بن معاوية . (انظر تقريب التهذيب) .
(٥) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « عراب » . وهو تحريف .

شِقة أخرى ، يرانى موضعاً لحاجته ، لأوجبُ علىّ حقًّا إذا سألنيها منّى إذا قَضيتها له .

لعبد العزيز بن مروان فى مثل هذا وأبيات لابن عباس

وقال عبد العزيز بن مروان : إذا أمكننى الرجل من نفسه حتى أضع مَعْروفى عنده ، فيَدُهُ عندى أعظم من يدى عنده . وأنشد لابن عبّاس رضى الله تعالى عنهما :

إذا طارقاتُ الهمِّ ضاجعتِ الفتى ... وأعملَ فِكْرَ الليلِ[1] والليلُ عاكِرُ
وباكَرنى فى حاجةٍ لم يَكُن لها ... سِوایَ ولا مِن نَكْبَةِ الدّهر ناصر
فَرَجْتُ بمالى همَّه عن خِناقه ... وَزايله الهمُّ الطَّروق المُساور
وكانَ له فَضْلٌ علىّ بظنّه ... بىَ الخيرَ إنّى للّذى ظَنَّ شاكر

لأبى عقيل العراق فى جود مروان ابن الحكم

وقيل لأبى عُقيل البليغ العِراقىّ : كيف رأيتَ مَروان بن الحكم عند طلب الحاجة إليه ؟ قال : رأيتُ رَغْبته فى الإنعام فوق رَغْبته فى الشكر ، وحاجته إلى قضاء الحاجة أشدّ من حاجة صاحب الحاجة .

لبشار يمدح

[أخذه بشار فنظمه فقال :

مالِكىٌّ ينشقّ عن وَجهه الجَدْ ... بُ كما انشقّت الدُّجى عن ضياء
ليس يُعطيك للرجاء ولا الخَوْ ... ف ولكن يلذّ طَعْمَ العطاء[2]]

(١) كذا وردت هذه الكلمة فى جميع الأصول . ولعل المراد بقول « فكر الليل » : الفكر الذى يكون فى الليل ، كما يقال : سير الليل وسير النهار .

(٢) مالكى : نسبة إلى مالك ، من أجداد عقبة بن سلم الذى مدحه بشار بهذه الأبيات ، وكان واليا على البصرة من قبل أبى جعفر المنصور . وهو عقبة بن سلم بن نافع الهنائى . وهنائى (بضم الهاء) : نسبة إلى هناءة بن مالك بن فهم . (انظر الأغانى ج ٣ ص ١٨٩ والأنساب للسمعانى والمعارف لابن قتيبة والاشتقاق لابن دريد) . ومكان البيت الأول فى الأغانى :

إنما لذة الجواد ابن سلم ... فى عطاء ومركب ولقاء

وقد انفردت ا هنا بذكر هذين البيتين ، وسيذكران بين أبيات أخرى فى جميع الأصول عند الكلام على العطية قبل السؤال .

لزياد فى ذم البخل ومدح الجود

وقال زياد : كفى بالبُخل[1] عاراً أنّ اسمه لم يقع فى حَمْد قطّ ، وكفى بالجود فخراً[2] أن اسمه لم يقع فى ذَم قط .

لشاعر فى فضل الجود

وقال آخر[3] :

لقد عَلِمْتِ[4] وقد قَطَّعتنى عَذلا ماذا من الفَضْل[5] بين البُخل والجُودِ
إلّا يَكُن وَرَقٌ يوماً أراح[6] به للخَابطين[7] فإنى لَيِّنُ العُـودِ
لا يعدَم السائلون الخيرَ أفعلُه إمّا نوالاً وإما حُسْنَ مَرْدودِ

قوله : « إلا يكن وَرَق » يريد المال ، وضَرَبه مثلا . ويقال : أتى فلان [فلانا] يختبط ما عنده . والاختباط : ضَرْب الشجر ليسقط الورق لتأكله السائمة ، فجعل طالب الرزق مثل الخابط .

لأسماء بن خارجة فى إجابة السائل

وقال أسماء بن خارجة[8] : ما أُحبّ أن أَرُد أحداً عن حاجة طلبها . لأنه
٨٦/١ لا يخلو أن يكون كريماً فأصونَ له عِرْضَه ، أو لئيما فأصونَ عرضى منه .

لأرسطوطاليس فى هذا المعنى

وقال أرِسْطُوطاليس : مَن انتجعك من بلاده فقد ابتدأك بحُسن الظنّ بك والثقة بما عندك .

---

(١) فى نهاية الأرب : « بالبخيل » .
(٢) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « مجدا » .
(٣) نسب هذا الشعر لرجل من بنى ضبة . (انظر الأمالى ج ٣ ص ٦٢) .
(٤) كذا فى الأمالى . والذى فى الكامل للمبرد : « ألا تَرَين » . والذى فى الأصول : « ألا ترانى » .
(٥) فى الأمالى : « ماذا تفاوت » .
(٦) يقال : راح للمعروف يراح ، أى أخذته له خفة وأريحية .
(٧) فى الأمالى : « تعنى العفاة به » للمعتفين « مكان قوله » يوما أراح به « للخابطين » .
(٨) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « أسماء بنت خارجة » . وهو تحريف . (انظر عيون الأخبار ونهاية الأرب) .

الترغيب فى حسن الثناء واصطناع المعروف

النبى صلى الله عليه وسلم فى الحرص على حسن الثناء

قال النبيّ صلَّى الله عليه وسلم : إذا أردتم أن تعلموا ما للعبد عند ربّه ، فانظروا ما يَتبعه من حُسن الثناء .

من عمر بن الخطاب لأبى موسى الأشعرى

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرىّ : اعتبر مَنزلتك من الله بمنزلتك من الناس ، واعلم أنّ مالك عند الله مثلُ ما للناس عندك .

لبعض الحكماء فى حسن الأحدوثة

وقيل لبعض الحكماء : ما أفادك الدهرُ ؟ قال العِلْم به . قيل : فما أحمد الأشياء ؟ قال : أن تَبقى للإنسان أُحدوثة حَسنة .

لبعض أهل التفسير فى ذلك

وقال بعضُ أهل التفسير فى قول الله تعالى : ﴿ واجْعَل لِي لِسَانَ صِدْقٍ فى الآخرين ﴾ . إنه أراد حُسْن الثناء من بعده .

لأكثم بن صيفى

وقال أكثم بن صَيْفِىّ : إنما أنتم أخبار ، فطَيِّبوا أخباركم .

لحبيب الطائى

أخذ هذا المعنى حَبيب الطائىُّ فقال :

وما ابنُ آدم إلا ذِكْرُ صالحةٍ ... أو ذِكْرُ سَيّئة يَسْرِى بها الكَلِمُ
أمَا سَمِعتَ بدهرٍ بادَ أُمّتُه ... جاءت بأخبارها مِن بعدها أُمَم

لابن دريد

وقال أبو بكر محمد بن دُرَيد :

وإنما المرء حديثٌ بعدَه ... فكُنْ حديثاً حَسناً لمن وَعَى

كلمة لبعضهم

وقالوا : الأيام مَزارع فما زرعتَ فيها حصدتَه .

للمؤلف فى هذا المعنى وغيره من مكارم الأخلاق

ومن قولنا فى هذا المعنى وغيره من مكارم الأخلاق :

يا مَن تَجَلَّد للزَّما ... ن أما زمانُك منك أجْلَدْ
سَلِّط نُهاك على هَوا ... ك وعُدّ يومَك ليس من غَدْ
إنّ الحياةَ مَزارع ... فازرَع بها ما شئت تَحْصُد

والنـاس لا يَبقى سوى　　آثارهم والعَيْن تفقـــد
أو ما سمعتَ بمن مَضى　　هذا يُذَم وذاك يُحْمَد
والمـالُ إنْ أصلحتَه　　يَصْلُح وإن أفسدتَ يَفْسُد
[والعِـلْم ما وَعت الصُّدو　　ر وليس ما فى الكُتْب يَخْلد]

للأحنف بن قيس فى اصطناع المعروف

وقال الأحنف بن قَيس : ما أُدخرت الآباء للأبناء ، ولا أبقت الموتى للأحياء ، شيئاً أفضلَ من اصطناع المعروف عند ذوى الأحساب [ولآداب] .

كلمات لبعضهم فى المعروف

وقالوا : تَربيب[1] المعروف أولى من اصطناعه ، لأنّ اصطناعه نافلة ، وتربيبه فريضة .

وقالوا : أحْيِ مَعْروفك بإماتة ذكره ، وعَظِّمه بالتصغير له .

وقالت الحكماء : مِن تمام كَرم المُنْعِم التغافُل عن حُجَّته ، والإقرارُ بالفضيلة لشاكر نِعمته .

وقالوا : للمعْروف خِصال ثلاث : تَعْجيله وسَتْره وتَيْسيره ، فمَنْ أخلّ بواحدة منها فقد بخس المعروف حقّه ، وسقط عنه الشكر .

لمعاوية فى الأيادى الصالحة

وقيل لمُعاوية : أىُّ الناس أحبُّ إليك ؟ قال : مَن كانت له عندى يد صالحة . قيل : فإن لم تكن له ؟ قال : فمن كانت لى عنده يد صالحة .

للنبى صلى الله عليه وسلم فى حفظ النعمة بإسداء المعروف

وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : من عَظُمت نعمة الله عنده عَظُمت مؤونة الناس عليه ، فإن لم يَقُم بتلك المؤونة عَرَّض النعمة للزوال .

لعروة بن أدية يوصى بصالبية خيرا

[أبو اليَقظان قال :

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وتربيب المعروف : تعهده وإنماؤه . والذى فى ا : « تربيته » . وهى بمعناها . ورواية هذا الخبر فى عيون الأخبار : « وقال سلم ابن قتيبة : رب المعروف أشد من ابتدائه » . ثم قيل : « ويقال : الابتداء بالمعروف نافلة وربه فريضة » .

أخذ عُبيد الله بن زياد عُروة بنَ أُدَيَّة(١)، أخا أبى بلال، وقَطع يدَه ورجلَه وصلبه على باب داره. فقال لأهله وهو مصلوب: انظروا إلى هؤلاء [المُوكَّلين بى(٢) فأحسنوا إليهم فإنهم أضيافُكم].

الحسن فى قضاء حاجة المحتاج

ابن المبارك عن حُميد(٣) عن الحسن قال: لأن أقضىَ حاجةً لأخ لى أحبُّ إلىّ من عبادة سنة.

بين إبراهيم بن السندى ورجل من أهل الكوفة عرف بالمروءة

وقال إبراهيم بن السِّنْدِى(٤): قلت لرجل من أهل الكوفة، مِن وجوه أهلها، كان لا يَجِف لِبْدُه(٥)، ولا يستريح قلبُه، ولا تسكن حَركته فى طلب حوائج الرجال، وإدخال المرافق على الضعفاء، [وكان رجلاً مُفَوَّهًا(٦)]، فقلت له: أخبرنى عن الحالة التى خَفَّفت عنك النَّصب، وهَوَّنت عليك التعب فى القيام بحوائج الناس، ما هى؟ قال: قد والله سمعتُ تَغريدَ الطير بالأسحار؛ فى فُروع الأشجار؛ وسمعت خَفْقَ أوتار العِيدان، وترجيع أصوات القِيان، فما طَربت من صوت قطُّ طَرَبى من ثناء حَسن بلسان حَسن على رجل قد أحسن؛ ومن

٨٧/١

شُكر حُرّ لمُنعم حُر، ومن شفاعة مُحْتَسب لطالبٍ شاكر. قال إبراهيم: فقلت له: لله أبوك! لقد حُشِيت كرمًا(٧).

---

(١) كذا فى الكامل للمبرد وتاريخ الطبرى. وعروة بن أدية هذا هو الذى قتله عبيد الله بن زياد بن أبى سفيان فيمن قتله من الخوارج سنة ٥٨ هجرية. والذى فى الأصول: «أذينة». وهو تحريف.

(٢) التكملة من عيون الأخبار.

(٣) هو حميد الطويل بن طرخان، مولى طلحة الطلحات الخزاعى، ويكنى أبا عبيدة، مات سنة اثنتين وأربعين ومائة. (انظر المعارف لابن قتيبة).

(٤) كذا فى الأصول وعيون الأخبار. والذى فى نهاية الأرب: «إبراهيم بن المهدى».

(٥) لبده، أى لبد فرسه. وفى نهاية الأرب: «لا يجف بيده قلم».

(٦) هذه العبارة من عيون الأخبار.

(٧) زيد فى عيون الأخبار (ج ٣ ص ١٢١) بعد هذه الكلمة: «فزادك الله كرما، فبأى شىء سهلت عليك المعاودة والطلب؟ قال: لأنى لا أبلغ المجهود ولا أسأل ما لا يجوز، وليس صدق العذر أكره إلى من إنجاز الوعد، ولست لإكداء السائل أكره منى للإجحاف بالمسئول، ولا أرى الراغب أوجب على حقا للذى قدم من حسن ظنه من المرغوب إليه الذى احتمل من كله. قال إبراهيم: ما سمعت =

لجعفر بن محمد فى أهل الرحمة

إسماعيل بن مَسْرُور عن جعفر بن محمد [عليه السلام] قال : إنّ الله خَلق خلقاً من رحمته برَحمته لرحمته ، وهم الذين يقضون الحوائج للناس ، فمن استطاع منكم أن يكون منهم فليكن .

الجود مع الإقلال

شيء من الكتاب والسنة

قال الله تبارك وتعالى فيما حكاه عن الأنصار : ﴿ ويُؤْثِرُونَ على أنفُسِهم ولو كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأُولَئك هُمُ المُفْلِحُون ﴾ .

وقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أفضل العَطيَّة ما كان من مُعْسِرٍ إلى مُعسر .

وقال عليه الصلاة والسلام : أفضل العطيّة[1] جُهد المُقِلّ .

للحكماء فى ذلك

وقالت الحكماء : القليل من القليل أحمد[2] من الكثير من الكثير .

شعر لحبيب الطائى بعث به إلى الحسن بن وهب مع قلم أهداه إليه

أخذ هذا المعنى حَبيب فنظَمه فى أبيات كتب بها إلى الحسن بن وَهْب الكاتب وأهدى إليه قلماً :

قد بَعثنا إليك أكرمك اللـــه بشَيء فـكُن له ذا قَبولِ
لا تَقِسْه إلى نَدَى[3] كفك الغَمْــر ولا نَيلك الكثير الجزيل
واستجِز[4] قِلة الهديّة منّى إنّ جُهد المُقِل غيرُ قليــل

فى الجود مع الإقلال

وقالوا : جُهد المُقِل أفضل من غِنى المُكثر .

لصريع الغوانى فى ذلك

وقال صَريع الغوانى :

ليس السَّماح لمُكثرٍ فى قومه لـكنْ لمُقْتِرِ قَوْمه المُتجمِّدِ

مثل من وجود جعفر بن أبى طالب

وقال أبو هريرة : ما وَدِدْتُ أنّ أحداً ولدتنى أمّه إلا أُمّ جعفر بن أبى طالب

= كلاما قط أشد موافقة لموضعه ولا أليق بمكانه من هذا الكلام »

(١) فى ا : « الصدقة » .

(٢) فى ا : « أفضل » .

(٣) كذا فى ا وعيون الأخبار . والذى فى سائر الأصول : « جدا » . والجدا : العطية .

(٤) فى عيون الأخبار : « واغتفر » .

[عليه السلام] ، تَبِعْتُه ذاتَ يوم وأنا جائع ، فلما بلغ البابَ التفت فرآنى فقال لى : أُدخل ، فدخلت . ففكّر حيناً فما وجد فى بيته شيئاً إلا نِحْيا[1] كان فيه سَمْن مُرّ ، فأنزله من رفٍّ لهم ، فشقّه بين أيدينا ، فجعلنا نلعق ما كان فيه من السمن والرُّبّ[2] ، وهو يقول :

ما كلّف الله نفساً فوق طاقتها ... ولا تَجودُ يدٌ إلا بما تَجِدُ

للحكماء فى الجود مع العلة

وقيل لبعض الحكماء : من أجود الناس ؟ قال : مَن جاد من قِلّة ، وصان وجه السائل عن المَذلّة .

لبعض الشعراء فى ذلك

وقال حمّاد عجرد[3] :

أَوْرِق بخير تُؤمِّل للجَزيل[4] فما ... تُرْجَى الثِّمارُ إذا لم يُورق العُودُ
[إنّ الكريم ليُخْفِى عنك عُسْرَته ... حتى تراه غنيًّا وهو مَجْهود]
وللبخيل على أمواله عِلَلٌ ... زُرْق العيون عليها أَوْجُه سُود
بُثَّ النوالَ ولا تَمْنعك قِلّته ... فكُلّ ما سدَّ فقراً فهو مَحْمود

وقال حاتم :

أُضاحِك ضَيفى قبل إنزال رَحْلِه ... ويُخْصِب عندى والمَحَلُّ جَدِيبُ[5]
وما الخِصْب للأضياف أن يَكْثُر القِرَى ... ولكنّما وَجْه الكريم خَصِيب

وقال عبد الملك بن مروان : ما كنت أُحب أنّ أحداً وَلَدَنى من العرب

(١) النحى (بالكسر) : الزق ، أو ما كان للسمن خاصة .
(٢) رب السمن : ثفله الأسود .
(٣) نسب هذا الشعر لبشار بن برد من قصيدة له يهجو بها العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، وكان قد استمنحه فلم يمنحه . (انظر الأغانى ج ٣ ص ١٩٥ طبعة دار الكتب المصرية) .
(٤) فى الأغانى : « ترجى للنوال » مكان قوله « تؤمل للجزيل » .
(٥) نسب هذا الشعر فى عيون الأخبار (ج ٧ ص ٢٣٩) للخريمى . ويروى : « ويخصب وجهى ... لخ »

إلا عُروة بن الوَرْد لقوله :

أتهزأ منّى أن سَمِنتَ وأن ترى ... بجسمى مَسَّ الجُوعِ والجُوعُ جاهدُ[1]
لأنى أمرؤٌ عافِى إنائىَ شِرْكةٌ ... وأنت امرؤٌ عافى إنائِك واحد
أُقَسِّم جِسْمى فى جُسومٍ كثيرةٍ ... وأحسُوا قَراح الماء والماءُ بارد

ومن أحسن ما قيل فى الجُود مع الإقلال ، قولُ أبى تمام حبيب[2] :

٨٨/١ فلو لم يَكُن فى كَفِّه غيرُ رُوحه ... لجادَ بها فلْيتّقِ اللهَ سائلُه

ومن أفرط ما قيل فى الجُود ، قولُ بَكْر بن النطّاح :

أقولُ لمُرْتاد النَّدى عند مالكٍ ... تمسَّك بجَدْوَى مالكٍ وصِلاته[3]
فتًى جَمَّل الدُّنيا وقاءٍ لعِرْضه ... فأسدَى بها المعروف قَبل عِداته[4]
فلو خذلت أمواله جُودَ كفِّه ... لقاسَم مَنْ يرجوه شَطْر حياته
وإن لم يَجُزْ فى العُمر قَسْمٌ لمالك[5] ... وجازَ له أعطاه من حسَناته
وجاد بها من غير كُفْرٍ بربّه ... وأشركه فى صَوْمه وصَلاته

وقال آخر فى هذا المعنى وأحسن :

ملأتُ يدى من الدُّنيا مِراراً ... وما طَمِع العَوَاذلُ فى اقتصادى
ولا وَجَبت عَلَىَّ زكاةُ مالٍ ... وهل تَجب الزكاةُ على الجَواد

---

(١) فى عيون الأخبار : « بجسمى مس الحق والحق جاهد »
وفى أشعار الحماسة : « بوجهى شحوب الحق ... الخ :
(٢) كذا فى ا . وهذا البيت لأبى تمام من قصيدته التى مطلعها :
أجل أيها الربع الذى خف آهله ... لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله
والذى فى سائر الأصول : « صريع » . وهو تبديل من الناسخ .
(٣) رواية هذا البيت فى الأغانى (ج ١٧ ص ١٥٧ طبعة بلاق) والأمالى (ت : ٧٨) :
أقول لمرتاد الندى غير مالك ... كفى بذل هذا الخلق بعض عداته
(٤) مكان هذا الشطر الأخير فى الأغانى والأمالى : « وأنهبها فى عوده وبدائه »
(٥) فى الأمالى : « ولو لم يجد فى العمر قسما لزائر »

العطية قبل السـؤال

لسعيد بن العاصى

قال سعيد[١] بن العاصى : قَبَّح الله المَعروف إن لم يكن ابتُدئَ من غير مَسألة ، فالمعروف عِوَض عن مسألة الرجل إذا بَذَل وجهه ، فقلبُه خائف ، وفرائصه تَرتعد[٢] ، وجَبينه يَرْشح ؛ لا يدرى أيرجع بنُجح الطلب ، أم بسُوء المُنقلب ، قد انتُقع[٣] لونه ، وذهب دمُ وجهه . اللهم فإن كانت الدنيا لها عندى حظّا فلا تجعل لى حظًّا فى الآخرة .

لأكثم بن صيفى

وقال أكثم بن صَيْفِىّ : كل سؤال وإن قلّ أكثرُ من كل نوال وإن جَلّ .

لعلى بن أبى طالب

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه لأصحابه : من كانت له إلىّ منكمُ حاجة فلْيَرْفعها فى كتاب لأصون وُجوهَكُم عن المسألة[٤] .

لحبيب الطائى

حبيب قال :

عطاؤك لا يَفْنَى ويستغرق المُنَى[٥] وتَبقَى وُجوه الراغبين بمائِها

وقال حبيب أيضا :

ذُلّ السؤال شَجاً فى الحلْق مُعْتَرِضُ من دُونه شَرَق من خَلْفه[٦] جَرَضُ[٧]
ما ماء كفِّك إن جادت وإن بَخِلت من ماء وَجْهى إذا أفنيتهُ عِوَض
إنّى بأيسر ما أدنيتَ مُنْبِسط كما بأكثر[٨] ما أقْصَيْتَ مُنْقَبِض

(١) كذا فى ا وعيون الأخبار . والذى فى سائر الأصول : « سعد » وهو تحريف .
(٢) فى ا : « ترعد » (للمجهول) ، وهى بمعناها .
(٣) فى ا : « امتقع » . وهى بمعناها .
(٤) نسب هذا الكلام مع اختلاف يسير فى بعض ألفاظه فى عيون الأخبار (ج ٣ ص ١٨٧) لمطرف بن عبد الله يقوله لابن أخيه .
(٥) كذا فى ا ونهاية الأرب . والذى فى سائر الأصول : « الثنا » .
(٦) فى ديوان أبى تمام « تحته » .
(٧) الجرض : الغصص ، أو الابتلاع بجهد . وهذا الشعر فى مدح عياش بن لهيعة .
(٨) فى الديوان فى الموضعين : « بأيسر » .

كلمات فى السخا غير منسوبة

وقالوا : مَنْ بَذل إليك وجهه فقد وفّاك حَقّ(١) نِعْمتك .

وقالوا : أكمل الخِصال ثلاث : وقارٌ بلا مَهابة ، وسَماح بلا طلب مُكافأة ، وحِلْم بغير ذُلّ .

وقالوا : السخىّ من كان مَسروراً ببَذْله ، متبرّعا بعطائه ، لا يلتمس عَرض دنيا فيَحْبط عَمله ، ولا طَلَب مكافأة فيسقطَ شُكره ، ولا يكونُ(٢) مَثَلُه فيما أعطى مَثَلَ الصائد الذى يُلقى الحَبّ للطائر ، لا يريد نَفْعها ولكن نَفْعَ نفسه .

بين المنذر بن أبى سبرة وأبى الأسود الدؤلى

نظر المُنذر بن أبى سَبْرة إلى أبى الأسود الدُّؤلى وعليه قميص مَرقوع ، فقال له : ما أصْبرك على هذا القميص ؟ فقال له : رُبَّ مَمْلوك لا يُستطاع فِراقه . فبعث إليه بتَخْت من ثياب . فقال أبو الأسود :

كَسانى ولم أستَكْسِه فَحَمِدْتُه ... أخٌ لك يُعْطيك الجزيلَ وناصرُ
وإنّ أحقَّ الناس إن كنتَ شاكراً ... بشُكْرِك(٣) من أعطاك والعِرْض وافر

لصعصعة بن صوحان فى معنى فى الجود

وسأل معاويةُ صَعصعةَ بنَ صُوحان : ما الجُود ؟ فقال : التبرّع بالمال ، والعطيّة قبل السؤال .

شعر للمؤلف الجود ابتداء

ومن قولنا فى هذا المعنى :

كريمٌ عَلَى العِلاّت جَزْلٌ عطاؤه ... يُنيل وإن لم يُعتمد لنَوالِ
وما الجودُ مَنْ يُعطى إذا ما سألته ... ولكنّ مَنْ يُعطى بغير سُؤال

لبعض الشعراء

٨٩/١ وقال بَشّار العُقيلى :

مالِكىٌّ يَنْشَقّ عن وَجْهه الجَدْ ... بُ كما انشقّت الدُّجى عن ضِياء(٤)

---

(١) فى بعض الأصول : « عن » .

(٢) فى الأصول : « ويكون » . وهو تحريف .

(٣) فى عيون الأخبار : « مادحا » « بمدحك » مكان قوله « شاكراً » « بشكرك » .

(٤) انظر الحاشية (رقم ٢ ص ٢٣٠) من هذا الجزء .

فَثُجُوج[١] السماء فَيْض يديه … لِقَرِيب ونازحِ الدارِ نائى
ليس يُعطيك للرَّجاء ولا الخوْ … ف ولكن يَلذ طَعم العطاء
لا ولا أن يُقال شِيمته الجُو … د ولكنْ طَبائع الآباء

وقال آخر :

إنّ بين السُّؤال والإعتذار … خُطّةً صَعْبةً على الأحرارِ

وقال حبيب [بن أوس] :

لئن جَحدتُك ما أوليتَ من نِعَمٍ … إنّى لفى اللُّؤم أمضى[٢] منك فى الكَرمِ
أنسى[٣] ابتسامُك والألوانُ كاسِفة … تَبسُّمَ الصُّبح فى داجٍ من الظلم
رَددتَ رَوْنق وجهى فى صحيفته … ردَّ الصِّقال بهاء الصارم الخَذِمِ[٤]
وما أبالى وخيرُ القوْل أصدَقُه … حَقنتَ لى ماء وجْهى أو حقنتَ دَمى

استنجاح الحوائج

عادتهم فى استنجاح الحوائج

كانوا يَستفتحون حوائجهم بِركعتين يقولون فيهما : اللّهم بك أستَنْجح[٥] وباسمك أستَفْتح ، وبمحمد نبيّك إليك أتوجّه . اللّهم ذلّل لى صُعوبته ، وسهّل لى حُزُونته ، وارزُقنى من الخير أكثر مما أرجو ، واصرف عنّى من الشر أكثر مما أخاف .

النبى صلى الله عليه وسلم فى كتمان الحوائج

وقال النبىّ صلّى الله عليه وسلم : استعينوا على حوائجكم بالكِتْمان لها ، فإنّ كلّ ذى نِعْمة محسُود .

---

(١) فى بعض الأصول : « فتجاح » .
(٣) فى ديوان أبى تمام : « من حسن » إنى لفى اللؤم أحظى » .
(٣) فى ديوان أبى تمام : « أمسى » .
(٤) الخذم : القاطع .
(٥) كذا فى ا وعيون الأخبار . والذى فى سائر الأصول : « ... أستنجح من الخير » وظاهر أن قوله « من الخبر » زيادة من الناسخ .

لخالد بن صفوان فى طلب الحاجة ومفتاح نجحها

وقال خالد بن صَفوان : لا تَطْلبوا الحوائج فى غير حينها ، ولا تطلُبوها من غير أهلها ؛ فإنّ الحوائج تُطْلَب بالرّجاء ، وتُدْرك بالقضاء(١) .

وقال : مِفْتاح نُجح الحاجة الصبر على طول المُدّة ، ومِغْلاقها اعتراض الكَسَل دونها .

لشاعر فى الصبر على الطلب

قال الشاعر :

إنى رأيتُ وفى الأيام تَجربةٌ ... للصَّبر عاقبةً محمودة الأثَر
وقل من جدَّ فى أمرٍ يُحاوله ... فاستصحب الصَّبر إلا فاز بالظَّفَر

مثل للعرب فى ذلك

ومن أمثال العرب فى هذا : مَنْ أدْمَن قَرْع الباب يُوشك أن يُفتح له .

لشاعر فى هذا المعنى

أخذَ الشاعر(٢) هذا المعنى فقال :

[إنّ الأمورَ إذا انسدّت مَسالكها ... فالصبر يَفْتُق منها كلَّ ما ارتَتَجا]
لا تيأسَنَّ وإنْ طالتْ مُطالبة ... إذا تضايق أمرٌ أن ترى فَرجا
أخْلِق بذى الصَّبر أن يحظَى بحاجته ... ومُدْمِنِ القَرْع للأبواب أن يَلجا

لخالد بن صفوان أيضا

وقال خالد بن صفوان : فَوْتُ الحاجة خيرٌ من طَلَبها إلى غير أهلها ، وأشدُّ من المُصيبة سُوء الخَلَفِ منها .

لبعضهم

وقالوا : صاحب الحاجة مَبْهوت ، وطَلَب الحوائج كلّها تَعْزير(٣) .

للحكماء فيمن تطلب إليه الحاجة

وقالت الحكماء : لا تطلب(٤) حاجتك من كذّاب ، فإنه يُقرّبُها بالقول ، ويُبعدها بالفعل ؛ ولا من أحمق ، فإنّه يُريد نفعك فيضرّك ، ولا من

---

(١) فى عيون الأخبار : « ولا تطلبوا ما لستم له بأهل فتكونوا للمنع خلقاء » مكان قوله « فإن الحوائج ... الخ » .

(٢) الشاعر هو محمد بن بشير (ويقال ابن يسير) . وقد مرت هذه الأبيات بين أبيات له أخرى (ص ٦٩ من هذا الجزء) .

(٣) تعزير ، أى تشديد . وفى الأصول : « تغرير » . وهو تصحيف .

(٤) نسب هذا الكلام فى عيون الأخبار (ج ٣ ص ٢٣٤) لمسلم بن قتيبة مع اختلاف يسير فى بعض ألفاظه .

رجل له أُكلة من جهة رجل، فإنه لا يؤثر حاجتك على أُكلته[١].

لدعبل الخزاعى فى امرئ طلب إليه حاجة له

وقال دِعْبل بن علىّ الخُزاعى[٢]:

جِئْتُكَ مُسترفداً بلا سَبَبٍ ... إليك إلا بحُرْمة الأدبِ
فاقضِ ذِمامى فإنّنى رجلٌ ... غير مُلِحٍّ عليك فى الطَّلب

لشبيب بن شيبة فى نجح السؤال مع العقل

وقال شَبيب بن شَيْبة[٣]: إنى لأعرف أمراً لا يتلاقى به اثنان[٤] إلا وَجب النُّجْح بينهما. قيل له: وما ذاك؟ قال: العقل، فإن العاقل لا يَسأل مالا يمكن ولا يَرُدّ عما يُمكن[٥]. ٩٠/١

لبعض الشعراء

وقال الشاعر[٦]:

أتيتُك لا أُدْلى بقُرْبَى ولا يدٍ ... إليك سِوَى أنّى بجُودك واثقُ
فإن تُولنى عُرفاً أكُن لك شاكراً ... وإن قلتَ لى عُذْرا أقُل أنت صادق

وقال الحَسَنُ بن هانئ:

فإن تُولنى منك الجميلَ فأهلُه ... وإلا فإنّى عاذِرٌ وشَكُورُ

وقال آخر:

لعَمْرك ما أخلقْتُ وجهاً بَذَلْتُه ... إليـــكَ ولا عرّضْتُهُ للمَعاير[٧]
فتًى وفرت أيْدِى المكارم عِرضه ... عليه وخلّتْ مالَه غيرَ وافر

بين محمد بن واسع وبعض الأمراء

ودخل محمد بن واسع على بعض الأُمراء[٨]، فقال: أتيتُك فى حاجة فإن

---

(١) فى عيون الأخبار: «ولا إلى رجل له عند من تسأله الحاجة مأكلة، فإنه لا يؤثرك على نفسه».
(٢) فى عيون الأخبار: «كتب دعبل إلى بعض الأمراء».
(٣) فى بعض الأصول: «شبة». هو تحريف. (انظر المعارف لابن قتيبة وعيون الأخبار).
(٤) كذا فى ا وعيون الأخبار (ج ٣ ص ١١٩). والذى فى سائر الأصول: «إنسانان».
(٥) ورد هذا الخبر فى عيون الأخبار مختلفا عما هنا مع زيادة فيه.
(٦) فى عيون الأخبار: وقال بعض المحدثين».
(٧) فى الأصول: «للمعابر» بالباء الموحدة. والتصويب من عيون الأخبار (ج ٣ ص ١٣٦)
(٨) هو قتيبة بن مسلم. (انظر عيون الأخبار ج ٣ ص ١٢٧).

شِئتَ قضيتَها وكُنَّا كريمين ، وإن شئت لم تَقْضها وكنَّا لئيمين .

أراد إن قضيتها كنتَ أنت كريماً بقضائها ، وكنتُ أنا كريماً بسؤالك إياها ، لأنى وضعت الطَّلِبة فى مَوْضعها . فإن لم تقضها كنت أنت لئيما بمنعك ، وكنتُ أنا لئيما بسوء اختيارى لك .

لحبيب الطائى

وسرق حبيب هذا المعنى فقال :

عَيَّاش إنك للَّئيم وإنَّنى إذ[1] صِرْتَ مَوضع مَطلَبى للئيمُ

بين سوار القاضى وعبد الله ابن طاهر

ودخل سَوَّار القاضى على عبد الله بن طاهر صاحب خُراسان ، فقال : أصلح الله الأمير :

لنا حاجة والعُذْر فيها مُقدَّم خَفيفٌ مُعنَّاها مُضاعفة[2] الأجرِ

فإن تَقضِها فالحمدُ لله وحدَه وإن عاق مَقدورٌ ففى أوسع العُذْر

قال له : ما حاجتك أبا عبد الله ؟ قال : كِتابٌ لى إن رأى الأمير — أكرمه الله — أن يُنفذه فى خاصته ، كتبه إلى موسى بن عبد الملك فى تَعْجيل أرزاق . قال : أوَ غير ذلك أبا عبد الله نُعجلها لك من مالنا ؟ وإذا وَددتَ [كنت] مُخيَّراً بين أن تأخذ أو تردّ . فأنشد سَوَّار يقول :

فبابُك أيمنُ[4] أبوابهم ودارُكَ مأهولةٌ عامِرَهْ

وكفُّك حين تَرى المُجْتدِ ن أندَى من اللَّيلة الماطره

وكلبُك آنسُ بالمُعْتفِين من الأمّ بابنتِها الزّائره

بين أبى حازم الأعرج وبعض أهل السلطان

ودخل أبو حازم الأعرج على بعض أهل السلطان ، فقال : أتيتُك فى حاجة

---

(١) فى بعض الأصول : « مذ » .

(٢) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « حقيق بمعناها مضعفة » . وفيه تحريف ظاهر .

(٣) فى ا : « فأنشأ » . وهذا الشعر لنصيب . (انظر الشعر والشعراء ص ٢٤٤ طبعة أوربة) .

(٤) فى الشعر والشعراء : « ألين » .

رفعتها إلى الله قبلك ، فإن يأذن الله [لك] فى قضائها قضيتها وحمدناك ، وإن لم يأذن فى قضائها لم تقضها وعذرناك .

من تطلب عنده الحوائج

وفى بعض الحديث : اطلبوا الحوائج عند حِسان الوُجوه .

لحبيب الطائى فى طلب الحاجة إلى صباح الوجوه

أخذه الطائىّ فنظمه فى شعره فقال :

قد تأوّلتُ فيك قولَ رسول الْـ ـلّه إذ قال مُفْصِحًا إفصاحَا
إنْ طلبتم حوائجًا عنــد قَوْمٍ فتنقَّوْا لهـا الوُجوه الصِّباحا
فلَعَمْرى لقــد تَنَقيتُ وجْها ما به خابَ من أراد النَّجاحا

بين المنصور ورجل عرض له بحاجة

قال المنصور لرجل دخل عليه : سَلْ حاجتك ؛ قال : يُبقيك الله يا أمير المؤمنين . [قال : سَلْ حاجتك] فإنك لستَ تَقْدِر على [مثل] هذا المَقام فى كل حين . [قال : والله يا أمير المؤمنين] ، ما أستَقْصِرُ عُمرك ، ولا أخاف بخلَكَ ، [ولا أغتنم مالَك] ، وإنّ عطاءك لشرف ، وإن سؤالك لزَيْن ، وما بامرىء بذل إليك وجهه نَقْصٌ ولا شَيْن . فوَصله وأحسن إليه .

استنجاز المواعيد

كلمات فى معنى هذا العنوان

من أمثالهم فى هذا : أنجز حُرٌّ ما وَعد .

وقالوا : وَعد الكريم نَقْد ، ووَعْد اللئيم تَسْويف .

٩١/١ وقال الزُّهرى : حقيق على من أورق بوَعد أن يُثمِر بفِعْل .

وقال المُغيرة : من أخّر حاجة نقد ضَمِنها .

وقال المُوبَذان الفارسىّ : الوَعد السحابة ، والإنجازُ المطر .

وقال غيره : المواعيد رءوس الحوائج ، والإنجاز أبدانها .

لعبد الله بن عمر فى خلف الوعد وصدقه

وقال عبد الله بن عمر [رحمه الله] : خُلف الوعد ثُلث النِّفاق ، وصِدْق الوعد ثُلث الإيمان ، وما ظنّك بشىء جعله الله [تعالى] مِدْحةً فى كتابه ،

ونحراً لأنبيائه ، فقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾ .

وصف جبار بن سلمى لعامر بن الطفيل

وذكر جبّار بن سُلْمى[1] عامرَ بن الطُّفَيل ، فقال : كان والله إذا وَعد الخير وفّى ، وإذا أوعد بالشر أخلف ، وهو القائل[2] :

ولا يرهبُ ابنُ العمّ ما عِشتُ صَوْلتِي ويأمن منّى صَوْلةَ[3] المُتهدّدِ
وإنّى وإنْ أوعدتُه أو وعدتُه ليكذِب إيعادى ويَصْدُق موْعدى

شعر لابن أبي حازم فى نعم ولا

وقال ابن أبى حازم[4] :

إذا قلتَ فى شيء « نعم » فأتمّه فإن « نعم » دينٌ على الحرّ واجبُ
وإلا فقُل « لا » تسترِحْ وتُرِحْ بها لئلا يقولَ الناسُ إنك كاذب

من كتاب الله تعالى فى الخلف وكلمة لعمر بن الحارث فى ذلك

ولو لم يكن فى خُلف الوعد إلا قول الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ لكفى .

وقال عمر بن الحارث : كانوا يفعلون ولا يقولون ، ثم صاروا يقولون ويفعلون ، ثم صاروا يقولون ولا يفعلون ، [ثم صاروا لا يقولون ولا يفعلون] : فزعم أنهم ضنّوا بالكذب فضلا عن الصدق .

لبعض الشعراء فى التعلل بالوعود الكاذبة بين عبدالرحمن

وفى هذا المعنى يقول الحسن بن هانئ :

قال لى ترضى بوَعْدٍ كاذبٍ قلتُ إن لم يكُ شحْمٌ فنَفَشْ[5]

---

(١) فى الإصابة : « بضم السين وقيل بفتحها » .
(٢) فى عيون الأخبار : « وأنشد أبو عمرو بن العلاء فى مثل هذا المعنى » مكان قوله « وهو القائل » .
(٣) كذا فى ا وعيون الأخبار . والذى فى سائر الأصول « سطوة » .
(٤) فى بعض الأصول : « ابن أبى حاتم » .
(٥) النفش : الصوف : وهذا مثل ، أى إن لم يكن فعل فرياء . وقيل النفش : اللبن . يضرب عند التبلغ باليسير . (انظر الأمثال للميدانى) . والذى فى الأصول : « فنفس » بالسين المهملة ، وهو تصحيف .

ومثله قول [عبّاس بن] الأحنف ، ويقال إنه لمُسلم بن الوليد ، صريع الغوانى :

ما ضَرَّ مَن شَغَل الفؤاد ببُخله لو كان علّلنى بوعدٍ كاذبِ
صَبْراً عليك فما أرى لِيَ حيلةً إلا التمسكَ بالرّجاء الخائب
سأموت من كَمَدٍ(١) وتَبقى حاجتى فيما لديْك وما لها من طالب

بين عبد الرحمن ابن أم الحكم وعبد الملك بن مروان

قال عبدُ الرحمن بن أم الحَكَم لعبد الملك بن مروان فى مواعيد وَعدها إياه فمَطَله بها : نحن إلى الفِعْل أحوجُ منّا إلى القول ، وأنت بالإنجاز أولى منك بالمَطل . واعلم أنك لا تستحق الشكر إلا بإنجازك الوعد ، واستِتْمامك المعروف

حديث بين القاسم ابن معن وعيسى ابن موسى فى وعد مطول

القاسم بن مَعْن المَسعوديّ قال : قلت لعيسى بن موسى : أيها الأمير ، ما انتفعتُ بك مذ عرفتُك ، ولا أوصلتَ لى خيراً مذ صَحِبتك . قال : ألم أكلِّم لك أميرَ المؤمنين فى كذا وأسأله لك كذا ؟ قال : قلت : بلى ، فهل استنجزتَ ما وعدت ، واستَتْممْتَ مابدأت ؟ قال : حال من دون ذلك أمورٌ قاطمة ، وأحوالٌ عاذرة . قلت : أيها الأمير ، فما زدْت على أن نَبّهت العجز من رَقدته ، وأثرت الحُزن من رَبْضَته ، إنّ الوعد إذا لم يشفعه إنجاز يُحقّقه ، كان كلفظٍ لا معنى له ، وجِسْم لا رُوح فيه .

بين عبد الصمد ابن الفضل وخالد ابن ديسم

وقال عبد الصمد بن الفَضْل الرَّقاشى لخالد بن دَيْسم ، عامل الرَّىّ .

أخالد إنّ الرَّىّ قد أجحفتْ بنا وضاق علينا رَحْبُها ومَعاشُها
وقد أطمعتْنا منك يوماً سحابةٌ أضاءت لنا برْقاً وأبطا رشاشها(٢)
فلا غَيْمُها يصحو فيُيْئِس طامعا ولا ماؤها يأتى فتروَى عِطاشها

(١) فى ا : « عن عجب » .
(٢) فى عيون الأخبار :
* أضاء لنا برق وكف رشاشها *

خبر رواه سعيد ابن سلم بين أبيه وبشار بن برد

وقال سعيد[١] بن سَلْم : وعد أبى بشّارا العُقيلىَّ حين مدحه بالقصيدة التى يقول فيها :

٩٢ / ١ صَدَّت[٢] بخدٍّ وَجلَتْ عن خَدٍّ ثم انثنت كالنَّفَس المُرتدّ

فـكتب إليه بشّار بالغد :

ما زال ما منَّيتنى من همِّـــى والوَعْد غمٌّ فأرِح[٣] من غمِّى
إن لم تُرِد حَمْدى[٤] فراقِبْ ذمِّى

فقال له أبى : ياأبا معاذ ، هلاّ استنجحت الحاجة بدون الوعيد ؟ فإذ لم تفعل فتربّص ثلاثاً وثلاثاً ، فإنى والله مارضيتُ بالوعد حتى سمعتُ الأبرش الـكلبىَّ يقول لهشام : يا أمير المؤمنين ، لا تَصنع إلىَّ معروفاً حتى تَعِدنى ، فإنه لم يأتنى منك سَيْب على غير وَعْد إلا هان علىَّ قَدْرُه ، وقلَّ منِّى شكره . قال له هشام : لئن قلت ذلك لقد قاله سيِّد أهلك أبو مُسلم الخَوْلانىّ : إنَّ أوقع المعروف فى القلوب ، وأبرَده على الأكباد معروف منتظَر بوعد لا يُكدِّره المَطْل .

ليحيى البرمكى فى السرور بالوعد

وكان يحيى بن خالد بن برْمك لا يقْضى حاجة إلا بوعد ، ويقول : من لم يَبِت على سُرور الوَعد لم يجِد للصَّنيعة طَعْماً .

لبعضهم فى الخلف

وقالوا : الخُلْف ألأم من البُخل ، لأنه من لم يفعل المعروف لزِمه ذمُّ اللؤم وحدَه ، ومَن وَعد وأخلَف لزمه ثلاثُ مَذمات : ذمّ اللؤم ، وذمٌّ الخُلف ، وذم الـكذب .

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . والذى فى ا : « سعيد بن مسلم بن قتيبة » . والذى فى زهر الآداب للحصرى : « عقبة بن مسلم بن قتيبة » : ولعله : سعيد بن عقبة بن مسلم فصاحب الخبر مع بشار هو عقبة بن سلم ، وكان واليا لأبى جعفر المنصور على البصرة . (انظر الأغانى ج ٣ طبعة دار الكتب المصرية) .

(٢) كذا فى الأغانى . والذى فى الأصول : « ضنت » .

(٣) كذا فى الأغانى . والذى فى الأصول : « فاسترح » .

(٤) كذا فى ا والأغانى . والذى فى سائر الأصول : « مدحى » .

شعر لزياد الأعجم

قال زياد الأعجم :

لله دَرّكَ مِن فـــتًى لو كنت تفعل ما تقولْ
لا خير فى كَذِبِ الجوا د وحَبَّذا صِدْقُ البخيلْ

بين حبيب الطائى والحسن بن وهب

استبطأ حبيب الطائىّ الحسنَ بن وهب فى عِدَة وعدَها إياه ، فكتب إليه أبياتًا يستعجله بها . فبعث إليه بألف درهم ، وكتب إليه :

أعجَلْتِنا فأتاك عاجلُ بِرِّنا قُلًّا ولو أخّرته لم يَقْلل
فَخُذ القليل وكُن كمن لم يسألِ ونكون نحن كأننا لم نَفعل

عبد الله بن مالك الخزاعى وابن دأب وشعر للشماخ والسموأل فى حضرة المهدى

وقال عبد الله[1] بن مالك الخُزاعىّ : دخلت على أمير المؤمنين المهدىّ وعنده ابنُ[2] دأب وهو يُنشد قولَ الشّمّاخ :

وأشعثَ[3] قد قَدّ السِّفار قميصَه يجُرّ شِواءً بالعصا غيرَ مُنْضجِ[4]
دعوتُ إلى ما نابنى فأجابنى كريمٌ من الفِتْيان غَيْرُ مُزَلَّجِ[5]
فَتًى يملأ الشِّيزى[6] ويُرْوِى سِنانه ويضْرب فى رأس الـكَمِىّ المُدجَّجِ
فتًى ليس بالراضى بأدنى مَعيشةٍ ولا فى بُيوت الحىّ بالمُتولِّجِ

فرفع رأسه إلىّ المهدىّ وقال : هذه صِفَتك أبا العبّاس . فقلت : بك نِلْتها يا أميرَ المؤمنين . [فضَحِك إلىّ وقال : هل تُنشِد من الشعر شيئًا ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين .] قال : فأنشدنى . فأنشدته قولَ السّموأل :

إذا المرء لم يَدْنَس من اللؤم عِرْضُه فكُلّ رداء يرتديه جميلُ

---

(١) فى الأصول : « عبد الملك » . وهو تحريف . (انظر الأغانى ج ٩ ص ١٦٥ طبعة دار الكتب) .

(٢) فى الأمالى (ج١ ص ٢٦٦) : أن الذى أنشد هذه الأبيات للمهدى هو المفضل الضبى.

(٣) كذا فى ديوان الشماخ والأمالى . والذى فى الأصول : « وأبيض » .

(٤) السفار : السفر . أى رب أشعث شقت كثرة السفر وكثرة العمل لرفقائه ثوبه .

(٥) المزلج : البخيل . والناقص المروءة .

(٦) كذا فى ا والأمالى وديوان الشماخ . والشيزى : خشب أسود تتخذ منه للقصاع ؛ ويطلق أيضا على الجفان التى تسوى منه ، وهو المراد هنا ، والذى فى سائر الأصول « بمرئ السارى » .

وإنْ هو لم يَحْمِل على النفس ضَيْمها فليس إلى حُسْن الثناء سَبيل
إذا المرء أَعْيَتْه المُروءة يافعاً فمَطْلبها كَهْلاً عليه ثقيل
تُعيِّرنا أنّا قليلٌ عَديدُنا فقلتُ لها إنّ الكِرام قليل
وما ضرَّنا أنّا قليلٌ وجارنا عَزيز وجارُ الأكثرين ذَليل
ونحن أُناس لا نرى القَتْل سُبَّةً إذا ما رأته عامرٌ وسَلول
يُقرِّب حُبُّ الموت آجالَنا لنا وتَكْرهه آجالُهم فتطول
٩٣/١ وما مات منّا سيِّد حَتْفَ أنفه ولا طُلَّ[1] منّا حيث كان قَتيل
تَسيل على حدّ السيوف[2] نفوسُنا وليست على غير السيوف[2] تَسيل
ونُنْكر إن شِئْنا على الناس قولَهم ولا يُنْكرون القولَ حينَ نقول
فنحنُ كماء المُزْن ما فى نِصابنا كَهامٌ ولا فينا يُعَدّ بَخيل[3]
وأسيافُنا فى كل شَرْق ومَغْرب[4] بها من قِراع الدارعين فُلول

فقال: أحسنت! اجلس، بهذا بلغتم، سَلْ حاجتك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، تكتب لى فى العطاء ثلاثين رجلا من أهلى؟ قال: نعم، فرضٌ علىّ إذا وعدت. فقلت: يا أمير المؤمنين، إنك متمكّن من القُدرة[5] وليس دونك حاجز عن الفعل، فما معنى العِدَة؟ فنظر إلى ابن دأب كأنه يريد منه كلاماً فى فضل المَوْعد. فقال ابنُ دأب:

حَلاوة الفِعْل بوَعْد يُنْجَز لا خير فى العُرْف[6] كنَهْب يُنْهَز

فضحك المهدىّ وقال:

(١) طل: أى ذهب دمه هدرا.
(٢) فى الحماسة: « الظبات ».
(٣) الكهام: الكليل الحد.
(٤) فى الحماسة: « غرب ومشرق ».
(٥) كذا فى ا. والذى فى سائر الأصول: « المدة ».
(٦) كذا فى ا. والذى فى سائر الأصول: « الفعل ».

الفِعْل أحسنُ ما يكو ن إذا تقدّمه ضَمان

من المهلب لبنيه

وقال المُهلّب بن أبى صُفْرة لبَنيه : يا بَنىّ ، إذ غدا عليكم الرجل وراح مُسلماً ، فكفى بذلك تقاضيا .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

أروح بتَسْليمى عليك وأغتَدى وحسْبُك بالتَّسْليم منّى تقاضِيَا

وقال آخر :

كفاك مُخبِّراً وَجْهى بشَانى وَحسْبُك أن أراك وأن ترانِى

وما ظنّى بمن يَعْنيه أمرِى ويَعْلم حاجتى ويرَى مَكانى

من العتابى إلى بعض أهل السلطان يستنجزه

كتب العتّابى إلى بعض أهل السلطان : أما بعد ، فإن سحائب وَعْدك قد أبرقت ، فليكن وَبْلها سالماً من عِلَل المَطْل ، والسلام .

بين الجاحظ ورجل وعده

وكتب الجاحظ[(١)] إلى رجل وَعده : أما بعد ، فإن شجرة وَعْدك قد أورقت ، فليكن ثمرها سالماً من جوائح المطل ، والسلام .

استنجاز دعبل الخزاعى لعبد الله ابن طاهر

ووعد عبد الله بن طاهر دِعْبلاً بغلام ، فلما طال عليه تصدّى له يوماً ، وقد ركب إلى باب الخاصّة ، فلما رآه قال : أسأت الاقتضاء ، وجهلت المأخذ ، ولم تُحْسن النظر ، ونحن أولى بالفضل ، فلك الغلام والدابة لما ننزل إن شاء الله [تعالى] . فأخذ دِعْبل بعنانه وأنشده :

يا جَوادَ اللسان من غير فِعْل ليتَ فى راحَتيْك جُودَ اللسان

عَينَ مِهْران قد لَطَمت مِراراً فاتَّق ذا الجلال فى مِهْران[(٢)]

---

(١) فى ا : « رجل » .

(٢) يضرب المثل للرجل الذى يكذب فى حديثه فيقال : هو يلطم عين مهران . وللمحلم فى ذلك :

وكم عين لمهران إذا ما اجتمعوا تلطم

(انظر مجمع الأمثال للميدانى) .

عُرْتَ عَيْناً فَدَعْ لِمِهْرَانَ عَيْناً   لا تَدَعْه يَطوف فى العِمْيان

قال : فنزل له عن دابّته ، وأمر له بالغلام .

استنجاز خلف ابن خليفة لأبان بن الوليد فى جارية وعده بها

وسأل خَلَف بن خَلِيفةَ أبانَ بنَ الوليد جاريةً فوعده بها ، وأبطأت عليه ، فكتب إليه :

أرى حاجَتى عند الأمير كأنّها   تَهُم زماناً عنده بمقامِ
وأحْصَر عن إذكاره إن لَقِيتُه   وصِدْق[1] الحياء مُلجِمٌ بلجام
أراها إذا كان النهار نَسيئةً   وبالليل تُقضى عندَ كلِّ مَنام
فيا ربِّ أخرجها فإنك مُخرج   مِنَ المَيْت حيًّا مُفصِحاً بكلام
فَتعلمَ ماشُكْرى إذا ماقضيتَها[2]   وكيف صَلاتى عندها وصِيامى

شعر لأبى العتاهية فى مطول

٩٤/١ وكتب أبو العتاهية إلى رجل وعده بعِدَة ومَطله بها :

لا جعل الله لى إليك ولا   عندك ما عِشْتُ حاجةً أبدًا
ماجئتُ فى حاجة أُمِرّ بها   إلا تثاقلتَ ثم قلت غدا

لدعبل فى مثل هذا

وكتب دِعْبل إلى رجل وعده وعداً وأخلفه :

أحسبتَ أرضَ الله ضَيِّقةً   عنّى فأرضُ الله لم تَضِق
وجعلتَنى فَقْعاً بقرقرة   فوَطِئْتَنى وَطْئا على حَنَق[3]
فإذا سألتُك حاجةً أبداً   فاضرِب لها قُفلا على غَلَق

(١) كذا فى ا وعيون الأخبار (ج ٣ ص ١٤٨) والذى فى سائر الأصول : « شدق » .

(٢) فى الشعر والشعراء (ص ٤٤٩ طبعة أوربة) : « قبضتها » . وزيد فيه بعد هذا البيت :

« وإن حاجتى من بعد هذا تأخرت   خشيت لما بى أن أزور غلامى

فضحك أبان وبعث إليه بجارية » .

(٣) الفقع (بالفتح ويكسر) : البيضاء الرخوة من الكمأة . والقرقرة : الأرض المطمئنة اللينة . ويقال للذليل : هو أذل من فقع بقرقرة ، لأنه لا يمتنع على من اجتناه ، أو لأنه يوطأ بالأرجل .

وأعِـــدّ لى غُلاًّ وجامعةً(١) فاجمعْ يدىّ بهـا إلى عُنُق
ما أطولَ الدُّنيا وأوسعَها وأدلّنى بمسالك الطُّرق

شعر للمؤلف فى بخيل مطله

ومن قولنا فى رجل كتب إلىّ بعِدَةٍ فى صحيفة ومطّلنى بها :

صَحِيفَـــةٌ طابَعها اللُّومُ عُنوانُها بالجهل مختـــومُ
يُهْـدَى لها والخُلف فى طَيِّها والمَطلُ والتّسْويف واللُّوم
مِن وَجهه نَحْسٌ ومن قُربه رِجْس ومن عِرْفانه شُوم
لا تَهتضم إن بتّ ضيفاً له فخُبزُه فى الجوْف هاضوم
تَكلِمه الألحاظُ من رِقَّةٍ فَهْو بلَحْظ العيْن مَـكلوم
لا تأتدم شيئاً على أكْله فإنه بالجـــوع مَأدوم

وقلت فيه :

صحـيفة كُتبتْ(٢) ليتٌ بها وعسى عُنوانُها راحةُ الرّاجي إذا يَئِسا
وَعْد(٣) لهاجس فى القلْب قد بَرِمت أحشاء صَدْرى به من طول ما هَجسا
يَراعة غَرّنى منهـا وَميضُ سَنًى حتى مَددتُ إليها الـكفّ مُقتَبِسا
فصادفَتْ حَجَراً لو كنتَ تضربه من لُؤمه بعصا مُوسى لَما انبجسا
كأنما صِيغ من بُخْـل ومن كَذِب فـكان ذاك له رُوحاً وذا نَفَسا

وقلت فيه :

رَجاءٌ دون أقربِه السَّحابُ ووَعْد مثل ما لَمَع السَّرابُ
وتَسْويف يَكِلّ الصبرُ عنه ومَطْلٌ ما يقوم له حِساب
وأيامٌ خلَت من كل خَيْر ودُنيا قد توزّعها الـكِلاب

---

(١) الجامعة : الغل ، لأنها تجمع اليدين إلى العنق .
(٢) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « فنيت » .
(٣) فى ا : « عهد » .

لطيف الاستمناح

كلام للحكماء فى هذا الباب

قالت الحكماء : لطيف الاستمناح سبب النجاح ، والأنفُس ربما انطلقت وانشرحت بلطيف السؤال ، وانقبضت وامتنعت بجفاء السائل ؛ كما قال الشاعر :

وجَفوتَنى فقطعتُ عنك فوائدى كالدَّر يَقْطعه جَفاء الحالبِ

للعتابى فى إجمال الطلب

وقال العتَّابى : إن طلبتَ حاجةً إلى ذى سلطان فأجمِل فى الطلب إليه ، وإياك والإلحاحَ عليه ، فإنّ إلحاحك يَكلِم عِرْضك ، ويُريق ماء وجهك ، فلا تأخذ منه عِوَضاً لما يأخذ منك ؛ ولعلَّ الإلحاحَ يجمع عليك إخلاقَ الوجه ، وحِرْمان النجاح ؛ فإنه ربما ملَّ المطلوبُ إليه حتى يستخفّ بالطالب .

للحسن بن هانئ وغيره فى ذلك

وقال الحسن بن هانئ :

تأنَّ مواعيدَ الكِرام[1] فربُما حملتَ من الإلحاح سَمْحاً على بُخلِ

٩٥/١

وقال آخر :

إن كنتَ طابَ حاجةٍ فتجمَّلِ فيها بأحسنِ ما طلبتَ وأجْمِل
إنَّ الكريمَ أخا المُروءة والنُّهى مَن ليس فى حاجاته بمُثقِّل

بين مروان بن أبى حفصة ويزيد بن مزيد

[وقال مروان بن أبى حَفصة : لقيتُ يزيدَ بن مَزْيد[2] وهو خارج من عند المهدىّ ، فأخذتُ بعِنان دابته وقلت له : إنى قلت فيك ثلاثة أبيات أريد لكل بيت منها مائة ألف . قال : هات ، لله أبوك ! فأنشأت أقول :

يا أكرمَ الناس من عُجْم ومن عَربِ بعدَ الخليفة يا ضِرْغامة[3] العَربِ
أفنيتَ مالكَ تُعطيه وتُنهبه يا آفة الفِضّة البيضاء والذّهب

(١) فى ا : « الرجال » .
(٢) فى الأصول : « مرثد » . وهو تحريف . (انظر الأغانى) .
(٣) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « ياخير عامة » . وهو تحريف .

إن السِّنانَ وحَدَّ السيف لو نَطَقا لا خبرا عنك فى الهَيْجاء بالعَجب

فأسرلى بها] .

بين قوم من بنى أمية وعبد الملك ابن مروان

المدائنىّ قال : قَدِم قوم من بنى أُمية على عبد الملك بن مَرْوان ، فقالوا : يا أميرَ المؤمنين ، نحن ممّن تَعرف ، وحقّنا ما لا يُنكر ، وجِئْناك من بعيد ، ونَمُتّ بقَريب ، ومهما تُعطنا فنحن أهله .

بين عبد الملك ابن صالح والرشيد

دخل عبد الملك بن صالح [على الرشيد] فقال : أسألك بالقرابة والخاصة ، أم بالخلافة والعامة ؟ قال : بل بالقَرابة والخاصة . قال : يداك يا أمير المؤمنين بالعطيّة أطلق من لسانى بالمسألة . فأعطاه وأجزل له .

بين أبى الريان وعبد الملك ابن مروان

ودخل أبو الرَّيّان على عبد الملك بن مَروان ، وكان عنده أثيراً ، فرآه خاثراً[1] ، فقال : يا أبا الرَّيان ، مالَك خاثراً[1] ؟ قال : أشكو إليك الشَّرف يا أمير المؤمنين . قال : وكيف ذلك ؟ قال : نُسأل ما لا نَقدر عليه ونَعتذر فلا نُعذر . قال عبد الملك : ما أحسنَ ما استمنحت ، واعْتَرَرْت[2] يا أبا الرَّيان ! أعطوه كذا وكذا .

مسألة الشعبى للحجاج

العتّابى قال :

كتب الشَّعْبىّ إلى الحجّاج يسأله حاجة ، فاعتلّ عليه . فكتب إليه الشّعبى : والله لا عذرتُك وأنت والى العراقَيْن ، وابنُ عظيم القَريتين . فقضى حاجته . وكان جد الحجاج لأمه عُروة بن مسعود الثَّقفىّ .

مسألة عبدالعزيز ابن زرارة لمعاوية

العُتْبىّ قال :

قدم عبد العزيز[3] بنُ زرارة الكِلابىّ على أمير المؤمنين مُعاوية ، فقال :

(١) كذا فى أكثر الأصول . والخاثر : الثقيل النفس غير النشيط . والذى فى ا : « حائرا » . والذى فى عيون الأخبار : « واجما » .

(٢) كذا فى ا . واعتره ، إذا أتاه يطلب معروفه . والذى فى سائر الأصول : « واستنورت » . ولعله محرف عن قوله « واستدررت » .

(٣) كذا فى ا هنا وفيما سيأتى فى جميع الأصول عند الكلام على الوفود . والذى فى سائر الأصول هنا : « عبد الله » .

إنى لم أزل أهُز ذوائب الرِّحال إليك ، فلم أجد مُعوّلا إلا عليك ؛ امتطى الليلَ بعد النهار ، وأسِم المجاهلَ بالآثار ؛ يقودنى إليك أملٌ ، وتَسوقنى بَلْوى ، والمُجتهد يُعْذر ، وإذا بلغتك فقَطْنى . فقال : احطُط عن راحلتك رَحْلَها .

مسألة كريز بن زفر ليزيد بن المهلب

ودخل كُرَيز بن زُفَر (١) بن الحارث على يزيدَ بن المُهلَّب فقال : أصلح الله الأمير ، أنت أعظم من أن يُستعان بك ويُستعان عليك ، ولستَ تفعل من الخير شيئًا إلا وهو يَصغُر عنك وأنت أكبر منه ، وليس العجبُ أن تفعل ، ولكن العَجب أن لا تفعل قال : سَلْ حاجتك . قال : قد حَملت عن عَشيرتى عَشْر دِيات . قال : قد أمرتُ لك بها وشَفعتُها بمثلها .

مسألة رجل لحاتم الطائى

العُتبىّ عن أبيه قال :

أتى رجل إلى حاتم الطائى فقال : إنها وقعت بينى وبين قومى دِيات فاحتملتُها فى مالى وأملى ، فعَدِمتُ مالى وكنتَ أملى ، فإن تحملها عنى فربَّ هَمٍ فرّجته ، وغَمٍّ كفيته ، ودَين قضيتَه ؛ وإن حال دون ذلك حائل لم أذُمَّ يومك ، ولم أيأس من غدك . فحَملها عنه .

مسألة رجل لخالد القسرى واعتلال خالد عليه

المدائنىّ قال :

سأل رجل خالداً القَسْرىّ حاجةً ، فاعتلّ عليه . فقال له : لقد سألتُ الأميرَ من غير حاجة . قال وما دعاك إلى ذلك ؟ قال رأيتك تُحبّ مَن لك عنده حُسنُ بلاء ، فأردت أن أتعلّق منك بحَبْل مَودة . فوصله وحَباه وأدنى مكانَه .

بين أبى بكر الهجرى والمنصور

والأصمعىّ قال :

دخل أبو بكير الهَجَرِىُّ على المَنصور ، فقال : يا أمير المؤمنين ، نَغَض (٢) فِىّ ، وأنتم أهلَ البيت بركة ، فلو أذِنت لى فقبّلتُ رأسك [لعلّ الله يُشدّد لى

---

(١) فى ا : « كوثر بن الحارث » . وفى عيون الأخبار : الهذيل بن زفر » .

(٢) نغض فى ، أى تحركت أسنانه وقلقت .

منه][1] . قال : اختر منها ومن الجائزة . فقال : يا أمير المؤمنين أهونُ علىّ من ذَهاب دِرْهم من الجائزة ألاّ تبقى حاكَّة[2] فى فَمِى . فضَحِك المنصور وأمر له بجائزة .

مثل من حسن جوار أبى دلف

وذكروا أن جاراً لأبى دُلف ببغداد لَزِمه كبيرُ دَين فادح حتى احتاج إلى بَيْع داره . فساوموه بها ، فسألهم ألفى دينار ، فقالوا له : إن دارك تُساوى خمسمائة [دينار] . قال : وجوارى من أبى دلف بألف وخمسمائة [دينار] . فبلغ أبا دُلف ، فأمر بقضاء دَينه ، وقال له لا تبع دارَك ولا تَنتقل من جوارنا .

لطيف الكناية فى مسألة امرأة لقيس ابن سعد ابن عباد

ووقفت امرأة على قَيْس بن سَعْد بن عُبادة ، فقالت : أشكو إليك قِلّةَ الجِرْذان . قال : ما أحسنَ هذه الكناية ! املئوا لها بيتها خبزاً ولحماً وسمناً [وتَمْراً[3]] .

إبراهيم بن أحمد[4] عن الشَّيبانى قال :

طرفه بين المنصور وأزهر السمان المحدث

كان أبو جعفر المنصور أيام بنى أمية إذا دخل [البصرة] دخل مُستتراً ، فكان يجلس فى حلقة أزهر السَّمان المُحدِّث . فلما أفضت الخلافه إليه ، قدم عليه ٩٦/١ أزهر ، فرحّب به وقرّبه ، وقال له ما حاجتُك يا أزهر ؟ قال : دارى مُتهدِّمة ، وعلىّ أربعة آلاف دِرْهم ، وأريد أن يَبنى محمد ابنى بعِياله ، فوصله باثنى عشر ألفا ، وقال . قد قَضينا حاجتك يا أزهر ، فلا تأتنا طالباً : فأخذها وارتحل . فلما كان بعد سنة أتاه . فلمارآه أبو جعفر ، قال : ما جاء بك يا أزهر ؟ قال جِئتك مُسلِّماً . قال : إنه يَقع فى خَلَد أمير المؤمنين أنك جئتَ طالباً . قال : ما جئتُ إلا مسلِّماً . قال : قد أمرنا لك باثنى عشر ألفاً ، واذهب فلا تأتنا طالبا ولا مُسلِّماً . فأخذها

---

(١) هذه العبارة من عيون الأخبار .
(٢) الحاكة : السن ، لأنها تحك صاحبها أو تحك ما تأكله ، صفة غالبة .
(٣) هذه الكلمة من عيون الأخبار .
(٤) لعله : أحمد بن إبراهيم الدورق ، لا إبراهيم بن أحمد ، هذا إذا كان المراد بالشيبانى هنا : أبا عمرو إسحاق بن مرار . (انظر التهذيب ج ١٢ ص ١٨٢) .

ومَضى . فلما كان بعد سنة أتاه ، فقال : ما جاء بك يا أزهر؟ قال : أتيتُ عائداً . قال : إنه يقع فى خَلَدَ أمير المؤمنين أنك جئتَ طالباً . قال : ما جئتُ إلا عائداً . قال : قد أمرنا لك باثنى عشر ألفاً ، واذهب فلا تأتنا لا طالباً ولا مُسلماً ولا عائداً . فأخذها وانصرف . فلما مضت السنة أقبل ، فقال له : ما جاء بك يا أزهر ؟ قال : دُعاء كنت أسمعك تدعو به يا أمير المؤمنين ، جِئْت لأَكتُبَه . فضحك أبو جعفر وقال : إنه دعاء غير مُستجاب ، وذلك أنِّى قد دعوتُ الله تعالى به أن لا أراك ، فلم يَستجب لى ، وقد أمرنا لك باثنى عشر ألفاً ، فاذهب وتعالَ متى شئتَ ، فقد أعيتنى فيك الحِيلة .

بين داود بن المهلب وأعرابى مدحه

أقبل أعرابىّ إلى داود بن المُهَلَّب فقال له : إنى مدحتك فاستمع . قال : على رِسْلك ، ثم دخل بيتَه وتقلّد سيفَه وخرج ، فقال : قُلْ ، فإن أحسنت حَكَّمْناك ، وإن أسأت قتلناك[1] . فأنشأ يقول :

أَمِنتُ بداوُدٍ وجُود يَمينــــه | من الحدَث المَخْشِىّ والبُؤس والفقر
فأصبحتُ لا أخشَى بداودَ نَبْوةً | من الحَدَثان إذ شددتُ به أَزْرِى
له حُـكمُ لُقمانٍ وصُورة يُوسُفٍ | ومُلْك[2] سُليمانٍ وعَدْلُ أبى بَكر
فتًى تَفرَقُ الأموالُ من جُود كَفِّه | كما يَفْرَقُ الشيطانُ من ليلة القَدْر

فقال : قد حكَّمناك ، فإن شئت على قدرِكَ وإن شِئْتَ على قَدْرى . قال : بل على قَدْرى ، فأعطاه خمسين ألفاً . فقال له جلساؤه : هلا احتكمت على قدْر الأمير ! قال : لم يك فى ماله ما يَفِى بقَدره . قال له داود : أنت فى هذه أشعر منك فى شعرك ، وأمر له بمثل ما أعطاه .

(١) فى ا : « فإن أصبت حكمناك ، وإن لم تحسن قتلناك » .
(٢) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « وحكم » .

بين إسحاق الموصلي والرشيد

الأصمعي قال: كنت عند الرشيد إذ دخل عليه إسحاق[1] بن إبراهيم الموصلي فأنشده:

وآمرة بالبُخل قلتُ لها اقصِرِي فليس إلى ما تأمُرِين سَبيل[2]
فَعالى فَعالُ المُكْثِرين تَجمّلاً ومالى كما قد تعلمين قليل
فكيف أخاف الفقر أو أُحْرم الغِنَى ورأىُ أمير المؤمنين جميل

فقال له [الرشيد]: لله [درّ][3] أبيات تأتينا بها! ما أحسنَ أصولَها، وأبين فصولَها، وأقلّ فضولَها! يا غلام، أعطه عشرين ألفاً. قال: والله لا أخذت منها دِرْهما [واحدا]. قال: ولم؟ قال: لأن كلامك والله يا أمير المؤمنين خير من شعرى. قال: أعطوه أربعين ألفاً. قال الأصمعي: فعلمت والله أنه أصْيَد لدراهم الملوك منّى.

وفود زيد بن منية على معاوية وعتبة

العُتبي عن أبيه قال:

قَدم زيد بن مُنْية[4] من البَصْرة على مُعاوية — وهو أخو يَعْلى بن مُنْية صاحب جمل عائشة رضى الله عنها ومتولّى تلك الحروب ورأسِ أهل البصرة، وكانت ابنة يَعْلَى عند عُتبة بن أبي سفيان — فلما دخل على مُعاوية شكا دَيْنه، فقال: يا كعب، أعطه ثلاثين ألفاً. فلما ولّى قال. ولِيَوم الجمل ثلاثين ألفاً [أخرى]. ثمّ قال له: الحق بِصِهْرك — يعنى عُتبة — فقدم عليه مِصْر، فقال: إنّى سِرْت إليك شهرين، أخوض فيهما المَتالف، ألبَس أردية الليل مرة، وأخوض فى لُجج السَّراب أُخرى، مُوقَرًا[5] من حسن الظن بك، وهاربا من

(١) كذا فى ا والأغانى (ج ٥ ص ٣٢٢ طبعة دار الكتب) والأمالى (ج ١ ص ٣١) والذى فى سائر الأصول: «إبراهيم» وهو تبديل.
(٢) فى الأغانى والأمالى: «فذلك شىء ما إليه سبيل».
(٣) هذه الكلمة من الأغانى والأمالى.
(٤) فى الأصول: «منبه» فى الموضعين. وهو تصحيف. (انظر المعارف والمشتبه والطبرى وتهذيب التهذيب). ومنية: أمه، وهى منية بنت الحارث بن جابر من بنى مازن.
(٥) موقرا: مزودا محملا.

دهر قَطِم[١] ، ومن دين آزِم[٢] . بعد غِنًى جَدَعْنا به أنوفَ الحاسدين . فقال عُتبة : إن الدهر أعاركم غِنى ، وخَالَطكم[٣] بنا ، ثم استردّ ما أمكنه أخذه ، وقد أبقى ٩٧/١ لكم منّا ما لا ضيعةَ[٤] معه ، وأنا رافع يدى و يدَك بيد الله . فأعطاه ستين ألفاً كما أعطاه معاوية .

مثل من حسن احتيال أبي ساسان في قضاء حاجة لعلي بن سويد بن منجوف

إبراهيم الشيبانى[٥] قال :

قال عبد الله بن علىّ بن سُوَيد بن مَنْجُوف :

أعدمَ أبى إعدامة [شديدة] بالبصرة وأنْفَض[٦] ، فخرج إلى خراسان ، فلم يُصب بها طائلا ، فبينا هو يشكو تعزُّرَ الأشياء عليه ، إذْ عدا غلامُه على كُسوته و بغلته فذهب بهما . فأتى أبا ساسان حُضَينَ بن المُنْذِر الرَّقَاشِيّ فشكا إليه حالَه . فقال [له] : والله يابن أخى ما عمُّك ممن يَحمل مَحاملك ، ولكن لعلّى أحتال لك : فدعا بكُسوة حَسنة فألبسنى[٧] إياها ، ثم قال . امضِ بنا . فأتى باب والى خُراسان فدخل وتركنى بالباب ، فلم ألبث أن خرج الحاجب فقال : أين علىّ بن سُوَيد ؟ فدخلت إلى الوالى ، فإذا حُضين على فِراش إلى جانبه[٨] . فسلّمت على الوالى ، فردّ علىّ ، ثم أقبل عليه حُضين فقال : أصلح الله الأمير ، هذا علىّ بن سُويد بن مَنْجوف ، سيِّد فِتْيان بكر بن وائل ، وابن سيِّد كُهولها ، وأكثر الناس مالاً حاضراً بالبصرة ، وفى كل موضع ملكت به بكرُ بن وائل مالا ، وقد تحمَّل بى إلى الأمير فى حاجة .

---

(١) قطم : صئول .

(٢) كذا فيما سيأتى فى الأصول عند الكلام على الوفود . والذى فى الأصول هنا « أزم » .

(٣) فى ا : « وأحاطكم » .

(٤) كذا فى ا هنا وفيما سيأتى فى جميع الأصول . والذى فى سائر الأصول هنا : « وقدمنا لكم ما لا ضيعة ... الخ » .

(٥) فى رسائل البلغاء : « أبو اليسر إبراهيم بن محمد بن المدبر » .

(٦) أنفض : هلك ماله وفنى زاده .

(٧) يلاحظ أن هنا التفاتا بالانتقال من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم .

(٨) فى بعض الأصول : « فراش جنبه » .

قال : هى مَقضيَّة . قال : فإنه يسألك أن تمُدّ يدك فى[١] ماله ومَرا كبه وسلاحِه إلى ما أحببت . قال : لا والله لا أفعل ذلك به ، نحن أولى بزيادته . قال : فقد أعفيناك من هذه إذ كرِهتَها ، فهو يسألك أن تُحمّله حوائجك [بالبَصرة] . قال : إن كانت حاجة فهو فيها ثِقَة ، ولـكن أسألك أن تكلّمه فى قَبول مَعُونة منّا ، فإنا نحب أن يُرى على مثله من أثرنا . فأقبل علىّ أبو ساسان فقال : يا أبا الحسن ، عزمتُ عليك أن لا تردّ على عمّك شيئاً أكرمك به . فسكتُّ . فدعا لى بمال ودوابّ وكساو ورَقيق . فلما خرجت قلت : أبا ساسان ، لقد أوقفتنى على خُطّة ما وقفت على مثلها [قط] . قال : اذهب إليك يابن أخى ، فعمّك أعلم بالناس منك . إن الناس إن علموا لك غِرَارة من مال حَشَوْا لك أخرى ، وإن يَعلموك فقيراً تعدَّوْا عليك مع فقرك .

من طرائف أبى دلامة مع المهدى وقد ولدت لأبى دلامة بنت

إبراهيم الشَّيْبانى[٢] قال :

وُلدت لأبى دُلامة ابنة ليلا ، فأوقد السِّراج وجعل يخيط خَرِيطة من شُقَق[٣] . فلما أصبح طواها بين أصابعه وغدا بها إلى المهدىّ فاستأذن عليه ، وكان لا يُحجب عنه[٤] . فأنشده :

لو كان يَقعد فوق الشمس من كرم قومٌ لقِيلَ اقعدُوا يا آل عبّاسِ
ثم ارتقُوا من شُعاع الشمس فى دَرَج إلى السماء فأنتم أكرمُ الناس

قال له المهدىّ : أحسنت والله أبا دُلامة ! فما الذى غدا بك إلينا ؟ قال : وُلدت لى جارية يا أمير المؤمنين . قال : فهل قلتَ فيها شعراً ؟ قال : نعم ، قلت :

---

(١) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « من » .
(٢) سيق هذا الخبر فى الأغانى (ج ١٠ ص ٢٣٩ — ٢٤٠ طبعة دار الكتب المصرية) . وهو يختلف عنه هنا اختلافا كثيرا .
(٣) كذا فى ا . والشقق : جمع شقة (بالضم) . وهى من الثياب : السبيبة المستطيلة . والذى فى سائر الأصول . « شقيق » : وهو تحريف .
(٤) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « عليه » .

فما ولَدتْكِ مريمُ أمُّ عِيسى ولم يَكفُلكِ لقمانُ الحكيمُ
ولكن قد تَضمُّكِ أمُّ سَوْءٍ إلى لَبَّاتها وأبٌ لَئِيمُ

قال : فضحك المهدى . وقال : فما تريد أن أُعينك به فى تربيتها أبا دلامة ؟ قال : تملأ هذه يا أمير المؤمنين ، وأشار إليه بالخريطة بين إصبعيه . فقال المهدى : وما عسى أن تحمل هذه ؟ قال : من لم يَقنع بالقليل لم يقنع بالكثير . فأمر أن تملأ مالا . فلما نُشِرت أخذت عليهم صحنَ الدار ، فدخل فيها أربعة آلاف درهم .

من طرائفه مع المهدى حين أتى به إليه وهو سكران

وكان المهدى قد كسا أبا دلامة ساجًا[1] . فأُخذ به وهو سكران ، فأُتِى به إلى المَهدىّ ، فأمر بتمزيق الساج عليه ، وأن يُحبس فى بيت الدَّجاج ، فلما كان فى بعض الليل وصحا أبو دلامة من سُكْره ورأى نفسه بين الدَّجاج ، صاح : يا صاحب البيت . فاستجاب له السجّان ؛ فقال : مالك ياعدو الله ؟ قال له : ويلك !
٩٨/١ من أدخلنى مع الدّجاج ؟ قال : أعمالُك الخبيثة ، أُتى بك أمير المؤمنين وأنت سكران فأمر بتَمْزيق ساجك وحَبْسك مع الدَّجاج . قال له : ويلك ! أوَتقدر على أن تُوقد سِراجًا ، وتَجيئنى[2] بدوَاة ووَرق [ولك سَلَبى هذا] . فأتاه بدواة وورق ؛ فكتب أبو دلامة إلى المهدىّ :

أمِنْ صَهباء صافيةِ المِزاجِ كأنّ شعاعها لَهَبُ السِّراجِ
تَهش لها النفوسُ وتَشْتهيها إذا بَرزت تَرقرق فى الزُّجاج
[وقد طُبِختْ بنار الله حتى لقد صارت من النُّطَف[3] النِّضاج]
أميرَ المؤمنين فدَتْك نَفسى علامَ حَبستَنى وخَرقتَ ساجى
أُقاد إلى السجون بغَيْر ذَنْب[4] كأنّى بعضُ عُمّال الخراج

(١) الساج : الطيلسان الأخضر أو الأسود .
(٢) كذا فى ا . والتى فى سائر الأصول : « ارقب لى سراجا وجئنى » .
(٣) النطفة : الماء الصافى قل أو كثر .
(٤) فى ا والأغانى : « جرم » .

ولو معهم حُبست لهان وَجْدى[١] ولكنى حُبست مع الدَّجاج
دَجاجات يُطيف بهن دِيك يُناجي[٢] بالصِّياح إذا يُناجي
وقد كانت تُخبِّرنى ذُنوبى بأنّى من عَذابك غيرُ ناجى
على أنّى وإنْ لاقيتُ شرًّا لِخَيْرك بعد ذاك الشرّ راجِى

ثم قال : أوصِلْها إلى أمير المؤمنين . فأوصلها إليه السجّان . فلما قرأها ، أمر بإطلاقه وأدخله عليه ، فقال : أين بِتّ الليلة أبا دُلامة ؟ قال : مع الدَّجاج يا أمير المؤمنين . قال : فما كنت تصنع ؟ قال : كنت أُقاقِي معهن حتى أصبحت . فضحك المهدى وأمر له بصلة جَزيلة ، وخَلع عليه كُسوة شَريفة .

من أبي دلامة إلى عيسى بن موسى

وكتب أبو دُلامة إلى عيسى موسى[٣] ، وهو والى الكوفة رُقعةً فيها هذه الأبيات :

إذا جئتَ الأميرَ فقُلْ سلامٌ عليك ورحمةُ الله الرَّحيم
فأمّا بعد ذلك فلِى غَريمٌ من الأنصار قُبِّح من غريم
لَزومٌ ما علمتُ لِباب[٤] دارى لُزومَ الكَلْب أصحاب الرَّقيم[٥]
له مائةٌ علىّ ونِصْف أُخرى ونِصْف النِّصْف فى صكٍّ قديم
دراهمُ ما انتفعتُ بها ولكنْ وصلتُ[٦] بها شيوخَ بنى تميم

(١) كذا فى ا . والذى فى الأغانى : « لكان سهلا » مكان قوله « لهان وجدى » والذى فى سائر الأصول : « ذاكم » . وهو تحريف .
(٢) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « ينادى » .
(٣) فى الأغانى (ج ١٠ ص ٢٦١) : « ودخل أبو دلامة على سعيد بن دعلج مولى بنى تميم فقال » . ثم ذكر الأبيات .
(٤) فى الأغانى : « غريم لازم بفناء بيتى »
(٥) يريد بأصحاب الرقيم : أهل الكهف . وفى معنى الرقيم أقوال مختلفة ؛ فقيل : هو الكتاب ، وإلى هذا القول يذهب أهل اللغة . وقيل : هو لوح كتبت فيه أسماؤهم ، أو هو الدواة ، بلغة الروم ؛ أو هو القرية ، أو الوادى . (انظر لسان العرب مادة رقم) .
(٦) فى ا : « حبوت » .

[أتَوْنى بالعشيرة يسألونى ولم أكُ فى العشيرة باللئيم[١]]

قال: فبعث إليه بمائة ألف درهم[٢].

من طرائفه أيضا مع أبى دلف

ولقى أبو دُلامة أبا دُلف فى مَصادٍ، وهو والى العراق، فأخذ بعِنان فرسه وأنشد[٣]:

إنى حلفتُ لئن رأيتُك سالماً بقُرَى العِراق وأنت ذو وَفْرِ
لتُصلِّيَنّ على النبىّ محمدٍ ولتمــلأَنّ دراهماً حِجْرى

فقال: أما الصلاة على النبىّ، فنعم، صلّى الله عليه وسلّم؛ وأما الدراهم، فلمّا نرجع إن شاء الله تعالى. قال له: جُعلت فِداك، لا تفرِّق بينهما. فاستلفَها [له]، وصُبّت فى حِجْره حتى أثقلته.

ومن ملحه مع المهدى

ودخل أبو دلامة على المهدىّ[٤]، فأنشده أبياتاً أعجب بها، فقال له: سَلْنى أبا دُلامة واحتكم وأفرط ما شئت. فقال: يا أمير المؤمنين، كَلْب أصطاد به. قال: قد أمرنا لك بكلب؛ وهاهنا بلغتْ [همّتك، وإلى هاهنا انتهت] أُمنيّتك؟ قال لا تعجل علىّ يا أمير المؤمنين، فإنه بَقِى علىّ. قال: وما بقى عليك؟ قال: غلام يقود الكلب. قال: وغلام يقود الكلب. قال: وخادم يَطْبخ [لنا] الصّيد. قال: وخادم يَطْبخ الصّيد. قال ودار نَسْكنها. قال: ودار نَسكنها. قال وجارية تأْوى إليها. قال وجارية تأوى إليها، قال: قد بقى الآن المَعاش، قال: قد أقطعناك ألفَىْ[٥] جَرِيب[٦] عامرة وألفَىْ جَريب غامرة. قال:

---

(١) هذا البيت من الأغانى.

(٢) فى ا: «بمائتى». والذى فى الأغانى: «فضحك وأمر له بمائتين وخمسة وسبعين درهما وقال: ما أساء من أنصف، وقد كافأتك عن قومك وزدتك مائة».

(٣) فى الأغانى: «لما قدم المهدى الرى دخل عليه أبو دلامة فأنشأ يقول». ثم ذكر الأبيات وساق بعد حديثاً يختلف عما هنا:

(٤) فى الأغانى أن هذه القصة كانت بين أبى دلامة والمنصور، وقيل: كانت بينه وبين السفاح. وهى تختلف فى سياقها هنا عنها هناك.

(٥) فى الأغانى: «مائة» فى الموضعين.

(٦) الجريب من الأرض: ثلاثة آلاف وستمائة ذراع؛ وقيل: عشرة آلاف ذراع.

وما الغامرة يا أمير المؤمنين ؟ قال : التى لا تعمر (١) . قال : أنا أُقطع أمير المؤمنين خمسين ألفاً من فيافى بنى أسد . قال قد جعلتُها كلّها لك عامرة . قال : فيأذن لى أمير المؤمنين فى تقبيل يده ؟ قال : أما هذه فدعْها . قال : ما منعتنى شيئاً أيسرَ هى أمّ ولدى فقداً منه (٢) .

فكاهة له أيضا مع المنصور حين أعفاه وغيره من لبس القلانس

ودخل أبو دُلامة على أبى جعفر المنصور يوماً وعليه قَلَنْسوة طويلة — وكان قد أخذ أصحابه بلُبْسها وأخذهم بلُبْس دَراريع عليها مكتوبٌ بين كتفى الرجل : « فسيكفيكهم الله وهو السميعُ العليم » وأمرهم بتعليق السيوف على أوساطهم — فدخل عليه أبو دلامة فى ذلك الزِّىّ ، فقال له : كيف أصبحت أبا دلامة ؟ قال : بشَرّ حال يا أمير المؤمنين . قال : كيف ذلك ؟ ويلك ! قال : وما ظنّك يا أمير المؤمنين بمن أصبح وجهُه فى وسطه ، وسيفه فى أسته ، [وقد] نبذ كتاب الله [عز وجل] وراء ظهره . قال : فضحك أبو جعفر ، وأمر بتغيير ذلك ، وأمر لأبى دُلامة بصِلة .

منه أيضا إلى العباس بن المنصور يستمنحه ثمن جارية اشتراها

وأوصل أبو دُولامة إلى العبّاس بن المنصور رقعةً فيها هذه الأبيات :

قِفْ بالدِّيار وأىّ الدهرِ لم تقفِ ... على منازل بين الظَّهر (٣) والنَّجَف (٤)
وما وُقوفك فى أطــلال منزلةٍ ... لولا الذى استحدثتْ (٥) فى قلبك الكَلِفِ
إن كنتَ أصبحْتَ مَشْغوفاً بجارية (٦) ... فلا وربِّك لا تَشفيك من شَغَفِ
ولا تَزيدك إلا العَلَّ من أسفٍ ... فهل لقلبك من صَبْرٍ على الأسف (٧)

(١) فى الأغانى : « ما لا نبات فيه » .
(٢) فى الأغانى : « والله ما منعت عيالى شيئاً أقل ضررا عليهم منها » .
(٣) كذا فى الأغانى . والظهر : موضع . والذى فى الأصول : « السهل » .
(٤) النجف (بالتحريك) : موضع بظاهر الكوفة ، وهو دومة الجندل بعينها : وبالقرب منه قبر أمير المؤمنين على بن أبى طالب .
(٥) فى الأغانى : « استدرجت من » مكان قوله « استحدثت فى » .
(٦) فى الأغانى : « بساكنها » .
(٧) مكان هذا البيت فى الأغانى :
دع ذا وقل فى الذى قد فاز من مضر ... بالمكرمات وعز غير مقترف

هذى مقالة شَيخ من بنى أَسَد　　يُهدى السلامَ إلى العبّاس فى الصُّحُف
تَخُطّها من جَوارى[١] المِصْر كاتبةٌ　　قد طالما ضُرِبتْ فى اللام والألف[٢]
وطالما اختلفت صَيْفاً وشـاتيةً　　إلى مُعلّمهـا باللّوح والكَتِف[٣]
حتى إذا ما استوى الثّدْيان وامتلأَت[٤]　　منها وخِيفتْ على الإسْراف والقَرَف[٥]
صِينت ثلاثَ سِنينٍ ما تَرى أحداً　　كما تُصان بِبحرٍ دُرّةُ الصَّدَف[٦]
بينا الفتى يتمشّى نحو مَسْجده[٧]　　مُبادراً لصلاة الصبح بالسُّدَف[٨]
حانت له نَظْرةٌ منها فأبصرها　　مُطِلّةً بين سِجْفَيها من الغُرَف
فخـرّ فى التُّرْب ما يدرى غداتَئذٍ　　أخرّ مُنكشِفاً أم غيرَ منكشِف
وجاءه القـومُ أفواجاً بمائهمُ　　لِيَنْضحوا الرجلَ المَغشىّ بالنُّطَف[٩]
فوَسْوَسُوا بقُرانٍ فى مسامعه　　خوفاً من الجِنّ والإنسانُ لم يَخَف
شيئاً ولكنّه من حُبّ جاريةٍ　　أمسى وأصبح من موت على شَرف[١٠]
قالوا: لك الخيرُ[١١] ما أبصرتَ؟ قلتُ لهم　　جِنّيّةً أقصدتنى من بنى خَلَف
أبصرتُ جاريةً محجوبةً لهمُ　　تطلّعت من أعالى القصر ذى الشُّرَف
فقلت مَنْ أيُّكم والله يأجُرُه　　يُعِير قوّته منّى إلى ضَعَف

(١) كذا فى ا والأغانى. والذى فى سائر الأصول: «فخطه من بوادى». وهو تحريف.
(٢) ضربت فى اللام والألف، أى ضربها معلمها لتتقن الخط.
(٣) الكتف: عظم عريض يكون فى أصل كتف الحيوان، كانوا يكتبون فيه لقلة القراطيس.
(٤) فى الأغانى: حتى إذا نهد الثديان وامتلأ ا.
(٥) كذا فى ا والأغانى. والقرف: التهمة. والذى فى سائر الأصول: «الإشراف للعرف». وهو تصحيف.
(٦) فى الأغانى: * كما يصون تجار درة الصدف *
(٧) فى الأغانى: * فبينما الشيخ يهوى نحو مجلسه *
(٨) السدف: جمع سدفة: وهى الظلمة.
(٩) النطف: جمع نطفة (بالضم)، وهى الماء الصافى قل أو كثر.
(١٠) فى الأغانى: «موقوفا على التلف» مكان قوله «من موت على شرف».
(١١) فى الأغانى: «لك الويل».

فقام شيخٌ بَهِىٌّ من تِجارهم[١] قد طالما خَدع الأقوامَ بالحلف
فابتاعها لى بألْفَىْ أحمر[٢] فغـــدا بها إلىّ فألقاها على كَتِفِى
فبتُّ ألثِمُها طَوْراً وتلثِمنى[٣] طوراً ونفعل بعض الشىء فى اللُّحُف
بِتْنا كذلك حتى جاء صاحبُهـــا يَبْغى الدّنانير بالميزان ذى الكِفَفِ
وذاك[٤] حقٌّ على زَنْد وكيف به[٥] والحقّ فى طَرَف والعَيْن[٦] فى طَرَف
وبين ذاك شُهودٌ لم أبالِ بهم[٧] أكنتُ معترفاً أم غيرَ معترف
فإن تَصِلْنى قضيتُ القومَ حقّهم وإن تَقُل لا فحَقُّ القوم فى تَلف

فلما قرأ العبّاس الأبيات أُعجب بها واستظرفها، وقضى عنه ثمن الجارية. ١٠٠/١
واسم أبى دلامة: زَنْد.

قصة جعفر بن يحيى مع عبد الملك ابن صالح الهاشمى

إبراهيم بن المهدىّ[٨] قال: قال لى جعفر بن يحيى يوماً: إنى استأذنت أمير المؤمنين فى الحِجامة وأردت أن أخلو وأفرَّ من أشغال الناس وأتوحّد[٩]. فهل أنت مُساعدى؟ قلت: جعلنى الله فِداك، أنا أسعد الناس بمُساعدتك، وآنس بمُخالاتك. قال: بكِّر إلىّ بُكور الغُراب. قال: فأتيت عند الفجر الثانى فوجدت الشمعةَ بين يديه، وهو قاعد ينتظرنى للميعاد. قال: فصلّينا ثم أفضنا فى الحديث حتى جاء وقت الحجامة، فأُتى بحجّام فحَجَمنا فى ساعة واحدة، ثم قُدّم إلينا طعام فطَعِمنا.

(١) فى الأغانى: «رجالهم».
(٢) فى الأغانى: «درهم».
(٣) فى الأغانى: «وألزمها»:
(٤) كذا فى ا: والذى فى سائر الأصول والأغانى: «وذكر».
(٥) فى الأغانى: «وصاحبه» مكان قوله «وكيف به».
(٦) يريد «بالعين»: الذهب. والذى فى الأغانى: «والطين» والمعنى عليه غير واضح.
(٧) فى الأغانى: «لا يضرهم» مكان قوله «لم أبال بهم».
(٨) ذكر فى الأغانى (ج ٥ ص ٤٠٧ طبعة دار الكتب المصرية) إسحاق الموصلى فى هذه القصة مكان إبراهيم بن المهدى.
(٩) كذا فى ا. والذى فى سائر الأصول: «وأتروح».

فلما غسلنا أيدينا خُلع علينا ثيابُ المُنادمة ، وضُمِّخنا بالخَلوق ، وظَلِلْنا بأسَرِّ يوم مَرَّ بنا . ثم إنه ذكر حاجةً فدعا الحاجب ، فقال : إذا جاء عبد الملك القَهْرمانى[(١)] فأْذن له . فنَسِيَ الحاجب ، وجاء عبد الملك بن صالح الهاشمى ، على جَلالته وسنِّه وقَدْره وأدبه ، فأذِن له الحاجب . فما راعنا إلا طلْعةُ عبد الملك . فتغيّر لذلك جعفرُ بن يحيى وتَنغَّص عليه ما كان فيه . فلما نظر عبدُ الملك إليه على تلك الحال دعا غلامَه فدفع إليه سيفَه وسَوادَه وعِمامته ، ثم جاء ووقف على باب المجلس ، وقال : اصنعُوا بى ما صَنعتم بأنفسكم . قال : فجاء الغلام فطرَح عليه ثيابَ المُنادمة . ودعا بالطعام فطَعِم ، ثم دعا بالشراب فشرب ثلاثا ، ثم قال : ليُخفَّفْ عنى ، فإنه شىء ما شربتُه قط . فتهلّل وجهُ جعفر وفَرِح به ، وكان الرشيد قد عَتب على عبد الملك بن صالح ووَجد عليه . فقال له جعفر بن يحيى : جعلنى الله فِداك ، قد تفضَّلت وتطوّلت وأسعدت ، فهل من حاجة تبلغُها مقدرتى ، أو تحيط بها نِعْمتى فأَقْضِيَها لك مُكافأةً لما صنعت ؟ قال : بلى ، إن قلب أمير المؤمنين عاتبٌ علىّ ، فسَلْه الرضا عنى . قال : قد رَضى عنك أميرُ المؤمنين . ثم قال : علىّ أربعة آلاف دينار . قال حاضرة ، ولكن من مال أمير المؤمنين أحبُّ إليك[(٢)] . قال : وابنى إبراهيم أُحِب أن أشدَّ ظهره بِصِهْر[(٣)] من أولاد أمير المؤمنين . قال : قد زوّجه أميرُ المؤمنين ابنته عائشة[(٤)] . قال : وأُحب أن تَخفِقَ الألوية على رأسه . قال : قد ولاّه أمير المؤمنين مصر . قال : وانصرف عبد الملك ، ونحن نَعجب من

---

(١) فى الوزراء والكتاب للجهشيارى : « عبد الملك بن نجران » .

(٢) عبارة الوزراء والكتاب « قال » إنها لعندى حاضرة ، ولكن أجعلها من مال أمير المؤمنين فإنها أنبل لك وأحب إليك » . وعبارة الأغانى : « فإن أحببت أن تقبضها فاقبضها من منزلى الساعة ، فإنه لم يمنعنى من إعطائك إياها إلا أن قدرك يجل على أن يصلك مثلى ، ولكنى ضامن لها حتى تحمل من مال أمير المؤمنين غدا » .

(٣) فى ا : « بظهر » .

(٤) فى الأغانى وابن الأثير : « الغالية » . والذى فى الطبرى : « أم الغالية » .

إقدامه هى قضاء الحوائج من غير استئذان أمير المؤمنين . فلما كان من الغد وقَفنا على باب الرشيد ودخل جعفر ، فلم نلبث أن دُعِى بأبى يوسف القاضى ومحمد بن الحسن و إبراهيم بن عبد الملك ، فعُقد النكاح ، وحُملت البِدَر إلى منزل عبد الملك ، وكتب سجلّ إبراهيم على مصر . وخرج جعفر فأشار إلينا . فلما صار إلى منزله ونحن خلفَه ، نزل ونزلنا بنزُوله . فالتفت إلينا فقال : تعلّقت قلوبكم بأول أمر عبد الملك فأحببتمُ معرفة آخره ، و إنى لما دخلتُ على أمير المؤمنين ومَثَلت بين يديه ابتدأت القصّة من أوّلها [كما كانت] ، فجعل يقول : أحسنَ والله ! أحسن والله ! فما صنعت ؟ فأخبرته بما سأل وبما أجبتُه به . فجعل يقول فى ذلك : أحسنت ، أحسنت ! وخرج إبراهيم والياً على مصر .

مسألة رجل لبعض الأكاسرة

قدم رجلٌ على مَلك من[1] ملوك الأكاسرة ، فمكث ببابه حيناً لا يَصِل إليه ، فتلطّف فى رُقعة أوصلها إليه ، وفيها أربعةُ أسطر :

فى السطر الأول : الضُّر[2] والأمل أقدمانى عليك .

والسطر الثانى : الفقر لا يكون معه صَبْر [على المطالبة] .

السطر الثالث : الانصراف بلا فائدة فِتْنة وشماتةٌ للعدو .

والسطر الرابع : فإما نَعَمْ مُثْمِرة ، و إما لا مُرِيحة .

فلما قرأها وقّع تحت كل سطر منها بألف مِثقال وأمر له بها[3] .

بين شاعر ويحيى ابن خالد البرمكى

ودخل رجل من الشعراء على يحيى بن خالد بن برمك فأنشده :

سألتُ النّدى هل أنت حرٌّ فقال لا ولكنّنى عَبْدٌ ليحيى بنِ خالد ١٠١/١
فقلتُ شِراءً قال لا بل وراثةً توارثَنى عن والدٍ بعد والد

---

(١) فى عيون الأخبار (ج ٣ ص ١٢٦) : لزم بعض الحكماء باب بعض ملوك . . الخ .
(٢) فى ا وعيون الأخبار : « الضرورة » .
(٣) فى عيون الأخبار : « فلما قرأها وقّع فى كل سطر : زه . فأعطى ستة عشر ألف مثقال فضة » .

فأمر له بعشرة آلاف .

شعر أعرابى لخالد بن عبد الله القسرى يستمنحه

ودخل أعرابىّ على خالد بن عبد الله القسْرى فأنشده :

أخالدُ إنى لم أزُرْكَ لخَلّةٍ سِوَى أننى عافٍ وأنت جوادُ
أخالدُ بين الحمد والأجْر حاجَتى فأيّهما تأتى فأنت عِمادُ

فأمر له بخمسة آلاف درهم .

شعر للمؤلف فى استمناح أبى العباس القائد

ومن قولنا فى هذا المعنى . ودخلتُ على أبى العبّاس القائد فأنشدته :

الله جرّد للندى والباسِ سَيفاً فقلّده أبا العبّاسِ
مَلِكٌ إذا استقبلتَ غُرّة وَجهه قَبَضَ الرّجاء إليك[1] رُوحَ اليأسِ
وَجْهٌ عليه[2] من الحَياء سكينةٌ ومَحبّة تجرى مع الأنفاس
وإذا أحبّ الله يوماً عبدَه ألقَى عليه محبّةً للناس

ثم سألته حاجةً فيها بعضُ الغِلَظ . فتلكّأ [فيها] علىّ ، فأخذت سحَابة[3] من بين يديه فوقعت فيها على البديهة :

ما ضرّ عندك حاجتى ما ضرّها عُذرا إذا أعطيتَ نفسك قَدْرها
انظر إلى عَرْض البلاد وطُولها أوَلستَ أكرمَ أهلها وأبرّها
حاشَى لجودك أن يُوعِّر حاجتى ثِقَتى بجُودك سَهلت لى وَعْرها
لا يَجتنى حُلْوَ المحامد ماجدٌ حتى يذوقَ من المطالب مُرّها

فقضى الحاجة وسارَع إليها .

بين عبد الله بن يحيى والمتوكل

وأبطأ عبدُ الله بن يحيى[4] عن الديوان ، فأرسل إليه المتوكل يتعرّف خَبره ، فكتب إليه :

(١) فى ا : « لديك » .
(٢) كذا فى يتيمة الدهر . والذى فى الأصول : «وبه عليك» مكان قوله : « وجه عليه » .
(٣) كذا فى أكثر الأصول . والسحاية : القرطاس . والذى فى ا : « السحاءة » . وهى بمعناها .
(٤) هو عبد الله بن يحيى بن خاقان ، وزير المتوكل .

عَلِيلٌ من مَكانَيْن   من الإفلاس والدَّيْنِ
ففى هذين لى شُغُلٌ   وحَسْبى شُغْل هَذَين

فبعث إليه بألف دينار.

قصة رجل جاء يستمنح الفضل ابن يحيى

عبدُ الله بن منصور قال: كنت يوماً فى مجلس الفضل بن يحيى. فأتاه الحاجب فقال: إن بالباب رجلاً قد أكثر فى طلب الإذن، وزعم أن له يداً يَمت بها. فقال: أدْخله. فدخل رجلٌ جميلُ [الوجه] رثُّ الهيئة. فسلم فأحسن. فأومأ إليه بالجلوس، فجلس. فلما عَلِم أنه قد انطلق وأمكنه الكلامُ قال له: ما حاجتك؟ قال له: قد أعربتْ [بها] رَثاثة هيئتى وضعفُ طاقتى. قال. أجل، فما الذى تمُت به؟ قال: ولادة تقرُب من ولادتك، وجِوار يَدْنو من جوارك، واسم مُشْتق من اُسمك. قال: أمّا الجِوار فقد يُمكن أن يكون كما قلت، وقد يوافق الاسمُ الاسمَ، ولكن ما عِلْمك بالولادة؟ قال: أعلمتْنى أُمى أنها لما وضعتْنى، قيل: إنه وُلد الليلةَ ليحيى بن خالد غلام وسُمِّى الفضل، فسمَّتنى فُضيلا، إعظاما لاسمك أن تُلحِقنى به. فتبسَّم الفضل وقال: كم أتى عليك من السنين؟ قال: خمسٌ وثلاثون سنة. قال: صدقْتَ، هذا المِقدار الذى أتيتُ عليه، فما فعلتْ أمك؟ قال: تُوفِّيت رحمها الله. قال: فما منعك من اللُّحوق بنا فيما مضى؟ قال: لم أرضَ نفسى للقائك [لأنها كانت] فى عامِّية وحَداثة تُقعِدنى عن لقاء الملوك. قال: يا غلام، أعطِه لكلّ عام [مضى] من سِنيه ألفا، وأعطِه من كُسوتنا ومَراكبنا ما يصلُح له. فلم يخرج من الدار إلا وقد طاف به إخوانه وخاصة أهله. ١٠٢/١

شعر لحبيب بن أوس إلى أحمد ابن أبي دواد

وكتب حَبيب [بن أوس] الطائى إلى أحمد بن أبى دُواد:

اعلمْ وأنت المرء غيرَ مُعلَّمٍ   وافهمْ ـ جُعلتُ فِداكَ ـ غيرَ مُفَهَّمِ
أنّ اصطناع العُرف[1] ما لم تُولِه   مُستكمِلاً كالثوب ما لم يُعْلَمِ

(١) فى ديوان أبى تمام: «البر».

والشُّكر — ما لم يُستَثر بصَنيعةٍ ... كالخطّ تقرؤه وليس بمُعْجَم
وتفنُّنى(١) فى القوْلِ إكثارٌ وقد ... أسرجتَ فى كرم الفعال فألْجِم

شعر لدعبل إلى طاهر بن الحسين

وقال دِعبل بن علىّ الخزاعىّ فى طاهر بن الحسين [صاحب خراسان] :

أيا ذا اليَمِينَين والدعْوتين ... ومَن عنده العُرْف والنَّائلُ
أترضى لِمثلِىَ أنّى مُقيمٌ(٢) ... ببابك مُطَّرَحٌ خامل
رضيتُ من الودّ والعائدات ... ومن كل ما أمَّل الآمل
بتَسْليمةٍ بين خَمسٍ وستّ ... إذا ضمَّك المجلسُ الحافل
وما كنتُ أرضى بذا من سِواك ... أيرضَى بذا رجلٌ عاقل
وإن ناب شُغل ففى دون ما ... تُدَبِّره شُغُل شاغل
عليك السلامُ فإنّى امرؤٌ ... إذا ضاق بى بَلد راحل

بين زياد ورجل من ضبة تلطف فى مسألته

[الأصمعىّ قال] :

ونظر زياد إلى رجل من ضبَّة يأكل أكلا قبيحاً ، وهو أقبح الناس وجهاً ، فقال : يا أخا ضَبة ، كم عِيالُك ؟ قال : سبع بنات أنا أجمل منهنّ [وجها] ، وهنّ آكل منّى : فضحك زياد وقال : لله درُّك ! ما ألطف سؤالك ! افرضوا [له و] لكل واحدة منهن مائة وخادماً ، وعجِّلوا [له و] لهنّ أرزاقهم . فخرج الضَّبى وهو يقول :

إذا كنتَ مرتادَ السَّماحه والندَى ... فنادِ(٣) زياداً أو أخاً لزياد
يُجِبْك امرؤٌ يُعطى على الحمد ماله ... إذا ضنّ بالمعروف كلُّ جواد
ومالِى لا أُثنى عليك وإنّما ... طَريفِىَ من مَعروفكم وتِلادى

شعر لدعبل بين يدى بعض أمراء الرقة

ووقف دِعْبل ببعض أمراء الرَّقة ، فلما مَثل بين يديه قال : أصلح الله

(١) كذا فى ديوان أبى تمام . والذى فى الأصول : « ويفوتنى » . وهو تحريف .
(٢) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « لمثلى فى أن يقيم » . وهو تحريف .
(٣) فى ا : « فبادر » .

الأمير، إنى لا أقول كما قال صاحب مَعْن :

بأى الخلَّتين عليك أثْنى ... فإنى عند مُنصَرفِى مَسُولُ
أبالحُسنَى وليس لها ضِياء ... علىّ فمن يُصَدِّقُ ما أقول
أم الأُخرى ولستَ لها بأهلٍ ... وأنت لكلّ مَكرُمة فَعول

ولكننى أقول :

ماذا أقول إذا أتيتُ مَعاشرى ... صِفْراً يداى من الجواد المجْزِلِ
إن قلتُ أعطانى كذبتُ وإن أقُل ... ضنَّ الأميرُ[1] بمالِه لم يَجْمُلِ
ولأنت أعلمُ بالمَكارم والعُلا ... مِن أن أقولَ فعلتَ ما لم تَفعَلِ
فاختَرْ لنفسك ما أقولُ[2] فإننى ... لا بدَّ مُخبِرهم وإن لم أُسألِ

قال له : قاتلك الله ! وأمر له بعشرة آلاف درهم .

بين ابن عدل وعبد الملك بن بشر بن مروان

العُتبىّ قال :

دخل ابن عَبْدل[3] على [عبد الملك بن[4]] بِشر بن مروان ، لما وَلِىَ الكوفة فقعد بين السِّماطين ، ثم قال : أيها الأمير ، إنى رأيت رُؤْيا فأْذن لى فى قصصها . فقال : قل . فقال :

١٠٣/١ أغفيتُ قبلَ الصبحِ نَوم مُسَهَّد ... فى ساعةٍ ما كنت قبلُ أنامُها
فرأيتُ أنّك رُعْتنى بوَليدة ... مَفلوجَة[5] حَسَنٍ علىّ قِيامها
وبِبَدْرة حُمِلت إلىّ وبَغْلة ... شهباء ناجيةٍ[6] يَصِرّ[7] لجامُها

(١) فى ا : «الجواد» .
(٢) فى ا : «ما تشاء» .
(٣) فى الأصول : «ابن دعبل» . والتصويب من الأغانى . وهو الحكم بن عبدل من شعراء الدول الأموية . (انظر الأغانى ج ٧ ص ٤٠٧ طبعة دار الكتب المصرية) .
(٤) التكلة من الأغانى .
(٥) فى ا والأغانى : «مفنوجة» .
(٦) فى ا : «فارهة» .
(٧) فى الأغانى : «يصل» .

قال له [عبد الملك[1] بن] بِشر بن مروان : كل شىء رأيتَ فهو عندى إلا البغلة ، فإنها دهماء فارهة . قال : امرأتى طالق ثلاثاً إن كنتُ رأيتها إلا دهماء ، إلا أنى غَلِطْت

تلطيف البطين الشاعر فى استمناح على ابن يحيى

الشَّيبانى عن البُطَين الشاعر قال :

قدِمت عَلَى علىِّ بن يحيى الأَرْمِينىِّ فـكتبتُ إليه :

رأيتُ فى النّوم أنّى راكبٌ فرساً ... ولى وَصيفٌ وفى كفِّى دنانيرُ
فقال قوم لهم حِـــذْق ومَعرفة ... رأيت خيراً وللأحلام تعبير
رُؤْياك فسِّر غداً عند الأمير تَجِدْ ... تَعبير ذاك وفى الفَأل التَّباشير
فجئتُ مُستبشراً مُستشعراً فَرِحاً ... وعند مثلك لى بالفِعْل تَيْسير

قال : فوقّع لى فى أسفل كتابى : أضغاثُ أحلام ، وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين . ثم أمر لى بكلّ شىء ذكرتُه فى أبياتى ورأيتُه فى منامى .

أبيات لبشار يستمنح بها ابن يقطين

وقال بشّار العُقيلى :

حتى متى ليتَ شِعرى يابن يَقْطين ... أُثنى عليك بما لامِنْك تُولينى
أمَا علمتَ جزاكَ الله صالحـــةً ... عنِّى وزادك خيراً يابن يَقْطينِ
أنى أُريدك للدنيا وزينتها ... ولا أُريدك يومَ الدِّين للدِّين

لآخر يستمنح ابن العلاء بن مرداس

وقال آخر فى مثل هذا المعنى :

يابن[2] العَلاء ويابن القَرْم[3] مِرْداس ... إنّى لأُطْرِيك فى أهلى وجُلاّسى
أُثنى عليـك ولى حال تُكذِّبنى ... فيما أقولُ فأَستحيِي من الناس
حتى إذا قِيل ما أعطاك من صَفَد[4] ... طأطأت من سُوء حالى عندها راسى

(١) التكلة من الأغانى .
(٢) هو عمرو بن العلاء بن مرداس . وهذا الشعر لأبى العتاهية ، وكان امتدح عمراً فتأخر عنه بره .
(٣) القرم (بالفتح) : السيد .
(٤) كذا فى الأصول . والصفد : العطاء ، والذى فى ديوان أبى العتاهية : « صفر » .

الأخذ من الأمراء

كلمة لعثمان ابن عفان فى هذا الباب

حدَّثنا جعفر بن محمد عن يزيد بن سِمْعان عن عبد الله بن ثَوْر عن عبد الحميد ابن وَهب عن أبى الخَلاّل ، قال :

سألت عثمانَ بن عفان عن جائزة السلطان ، فقال : لَحْم طَرِىّ زَكىّ .

لعكرمة فى قبول جوائز الأمراء

جعفر بن محمد عن يحيى بن محمد[1] العامرىّ عن المُعتمر عن عِمْران بن حُدَير[2] ، قال :

انطلقت أنا ورجل إلى عِكْرمة ، فرأى الرجلُ عليه عِمامةً مُتخرِّقة . فقال الرجل : عندنا عمائمُ ، ألاَ نبعث إليك بعمامة منها ؟ قال عِكْرمة : إنّا لا نَقبل من الناس شيئاً ، إنما نقبل من الأمراء .

خميصة للحسن البصرى أهداها إليه مسلمة بن عبد الملك

وقال هشام بن حسّان :

رأيتُ على الحسن البصرىّ خَميصةً[3] لها أعلامٌ يصلِّى فيها ، أهداها إليه مَسلمة بن عبد الملك .

خفان للرسول صلى الله عليه وسلم أهداهما إليه النجاشى

وكان النبىّ صلّى الله عليه وسلم يَلْبس خُفّين أسوَدَين أهداهما إليه النجاشىّ صاحبُ الحبشة .

قبول عبد الله بن عمر هدايا أهل الفتنة

وقال نافع : كان عبد الله بن عمر يَقبل هدايا أهل[4] الفِتْنة ، مثل المختار وغيره .

من جوائز الرشيد لمالك ابن أنس

ودخل مالك بن أنس على هارون الرشيد ، فشكا إليه دَيْناً لزِمه ، فأمر له

---

(١) فى ا : «يحيى بن عثمان العامرى» .

(٢) كذا فى تهذيب التهذيب . وهو عمران بن حدير السدوسى أبو عبيدة البصرى . والذى فى الأصول : «جرير» . وهو تحريف .

(٣) الخميصة : كساء أسود مربع له علمان .

(٤) فى ا : «هدايا أمراء» .

بألف دينار عَيْن . فلما وضع يديه للقيام قال : ياأمير المؤمنين ، وزوّجتُ ابنى محمداً فصار علىّ فيه ألفُ دينار . قال : ولابنه ألفُ دينار .

فلقد مات مالك وتركها زنته فى مِزْود .

زياد فى عطاء الربيع بن خثيم

وقال الأصمعى : حدّثنى إسحاق بن يحيى بن طلحة قال :

كان الربيع بن خُثَيم[١] فى ألف ومائة من العطاء ، فكلّم فيه [أبى] معاويةَ فألحقه بألفين . فلما حضر العطاء نُودى الربيع بن خُثَيم ، فقيل له : فى ألفين ، فقعد . فنظروا فوجدوا على اسمه مكتوباً : كلّم فيه ابن يحيى بن طلحة[٢] ١٠٤/١ أمير المؤمنين فألحقه بألفين .

بين إبراهيم بن أدهم ورجل أراد أن يهدى إليه جبة

وقال رجل لإبراهيم بن أدهم : يا أبا إسحاق ، كنتُ أريد أن تقبل منّى هذه الجُبّة كسوة . قال : إن كنتَ غنيًا قبلتُها منك ، وإن كنت فقيراً لم أقبلها منك . قال : فإنى غنىّ . قال : وكم مالُك ؟ قال : ألفا دينار . قال : فأنت تودّ أنها أربعة آلاف . قال : نعم . قال : فأنت فقير لا أقبلها منك .

بين إبراهيم بن الأغلب وأسد ابن الفرات

وأمر إبراهيم بن الأغلب ، المعروف بزيادة الله ، بمالٍ يُقسَم على الفقهاء ، فكان منهم من قَبِل ، ومنهم من لم يَقبل . فكان أسدُ بن الفرات فيمن قَبِل ، فجعل زيادة الله يَغْمِص[٣] على كل من قَبِل منهم : فبلغ ذلك أسدَ ابن الفرات ، فقال : لا عليه ، إنما أخذنا بعض حقوقنا واللهُ سائله عما بقى .

فخر الشعراء بقبولهم جوائز الملوك

وقد فخرت العربُ بأخذ جوائز الملوك ، وكان من أشرف ما يتموّلونه ، فقال ذو الرمة :

---

(١) فى الأصل : « خيثم » . وهو تبديل . (انظر الطبقات لابن سعد والفهرست لابن النديم) .

(٢) كذا فى ا والذى فى سائر الأصول : « إسحاق بن يحيى بن طلحة » . وهو تحريف ، إذ أن الذى كلم معاوية هو يحيى بن طلحة لا ابنه إسحاق .

(٣) يغمص : يعيب .

وما كان مالى من تُراثٍ ورثتهُ … ولا دِيَةٍ كانت ولا كَسْبَ مَأْثَمِ
ولكنْ عطاء الله من كل رِحْلَةٍ … إلى كل مَحْجوب السُّرادق خِضْرِم

وقال آخر : يهجو مروانَ بن أبى حفصة ويَعيبه بأخذه من العامّة ، ويفخر بأنه لا يأخذ إلا من الملوك ، فقال :

عَطايا أميرِ المؤمنين ولم تكن … مُقَسَّمةً من هؤلا وأولئكا
وما نِلتَ حتى شِبْتَ[1] إلا عطيّة … تقوم بها مَصرورةً فى ردائكا

تفضيل بعض الناس على بعض فى العطاء

عطية عمر بن الخطاب لسعيد ابن حذيم

ذكر عمر بن الخطّاب رضى الله عنه الفقراء ، فقال : إن سعيد بن حِذْيم[2] منهم . فأعطاه ألفَ دينار ، وقال : سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقول : إذا أعطيت فأَغْنِ .

تفضيل الرسول صلى الله عليه وسلم لرجل فى العطاء

وقَدِم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفدٌ من العرب فأعطاهم ، وفضّل رجلا منهم . فقيل له فى ذلك . فقال : كل القوم عِيالٌ عليه .

بين النبى صلى الله عليه وسلم والعباس بن مرداس فى عطايا حنين

وأعطى النبىّ صلّى الله عليه وسلم يوم حُنين المؤلّفة قلوبهم فأعطى الأقرع ابن حابس التّميمى وعُيينة بن حصْن الفَزارى مائةً من الإبل ، وأعطى العبّاس ابن مِرداس السُّلمىّ خمسين ، فشقّ ذلك عليه ، فقال أبياتاً ، فأتاه بها وأنشده إياها ، وهى :

أيذهبُ نَهبى ونَهْبُ العُبَيْـــدِ[3] بين عُيَينة والأقْرعِ

---

(١) فى الأصول : « شئت » . وهو تحريف .
(٢) كذا فى ا والطبرى والطبقات ومعجم البلدان والإصابة (ح ٤ ص ٥١) والاشتقاق . والذى فى سائر الأصول والإصابة (ج ٢ ص ١٩٦) : « خذيم » والذى فى حلية الأولياء (ج ١ ص ٢٤٤ طبعة القاهرة) : « جذيم » .
(٣) العبيد : اسم فرس عباس بن مرداس .

ولا كان حِصْنٌ ولا حابسٌ يفوقان مِرْداسَ[1] فى مَجْمَعِ
وما كنتُ غيرَ امرئٍ منهمُ ومن تَضَعِ اليومَ لم يُرْفَعِ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لِبلال : اقطع عنّى لسان العبّاس . فأعطاه حتى أرضاه .

كلمة لصفوان بن أمية فى سبب حبه للرسول صلى الله عليه وسلم

وقال صَفْوان بنُ أُميّة : لقد غزوتُ مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، وما خَلَقَ الله خلقاً أبغضَ إلىّ منه ، فما زال يُعطينى حتى ما خلق الله خلقاً أحبَّ إلىّ منه . وكان صفوان بن أمية من المؤلّفة قلوبُهم .

شكر النعمة

كلمة لسليمان التيمى فى هذا الباب

سليمان التّميمى[2] قال :

إن الله أنعم على عباده بقَدْر قُدرته . وكلّفهم من الشكر بقدر طاقتهم .

كلمات غير منسوبة فى هذا المعنى

وقالوا : مكتوب فى التوراة : اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شَكَرَك .

وقالوا : كُفر النعمة يُوجب زوالَها ، وشُكْرُها يوجب المَزِيد فيها .

وقالوا : مَنْ حَمِدَك فقد وفّاك حقّ نعمتك .

حديث فى هذا أيضا

وجاء فى الحديث : مَن نشر معروفاً فقد شكره ، ومن ستره فقد كَفَره .

لابن عباس فى شكر المنعم

وقال عبدُ الله بن عبّاس : لو أنّ فِرْعون مِصْرَ أسدَى إلىّ يداً صالحة لشكرتُه عليها .

كلمات أخرى فى هذا

وقالوا : إذا قَصُرَت يداك عن المكافأة . فليطُل لسانك بالشُّكر .

---

(١) فى السيرة لابن هشام : « شيخى » بتخفيف الياء وتشديدها ، فعلى التخفيف ، يريد أباه مرداسا ، وعلى التشديد ، يريد أباه وجده .

(٢) كذا فى ا والسيرة لابن هشام وتهذيب التهذيب . وهو سليمان بن عبد الرحمن بن عيسى بن ميمون التميمى الدمشقى أبو أيوب ، ابن بنت شرحبيل بن مسلم الخولانى . ولد سنة ١٥٣ هـ وكانت وفاته سنة ٢٣٢ هـ . والذى فى سائر الأصول : « التيمى » وهو تحريف .

وقالوا : ما نَحَلَ الله تعالى عباده شيئاً أقلَّ من الشكر ، واعتبر ذلك بقول الله عزّ وجلّ : « وقَليلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُور » . ١٠٥/١

بين الواقدى ويحيى البرمكى فى قوم جاءوا لشكر معروفه

محمد بن صالح عن[1] الواقدى قال : دخلت على يحيى بن خالد البرمكى ، فقلت : إنّ هاهنا قوماً جاءوا يشكرون لك معروفاً ، فقال : يا محمد ، هؤلاء يشكرون معروفاً ، فكيف لنا بشكر شكرهم .

للنبى صلى الله عليه وسلم فى شاكر النعمة وكافرها

وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : ما أنعم الله على عَبده نِعْمة فرأى عليه أثرها إلا كتب : حبيب الله شاكراً لأنعمه ، وما أنعم الله على عبده نعمة فلم يَرَ أثرها عليه إلا كتب : بغيض الله كافراً لأنعمه .

بين عدى بن أرطاه وعمر بن عبد العزيز فى شكر النعمة

وكتب عدىّ بن أرطاة إلى عمر بن عبد العزيز : إنى بأرض كَثُرَت فيها النِّعم ، وقد خِفْت على من قِبَلى من المسلمين قِلّة الشُّكر والضعفِ عنه . فكتب إليه عمر رضى الله عنه : إن الله تعالى لم يُنعم على قوم نعمةً فحَمِدوه عليها إلا كان ما أَعْطُوه أكثرَ مما أخذوا[2] . واعتبر ذلك لقول الله تعالى : ﴿ ولقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وسُلَيمانَ عِلْماً وقَالاَ الحمْدُ لله الذى فَضَّلَنا ﴾ . فأىّ نعمة أفضل مما أوتى داود وسُليمان .

بين النبى صلى الله عليه وسلم وعائشة فى شعر لزهير بن جناب فى شكر النعمة

وسمع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عائشة رضى الله عنها تُنشد أبيات زُهير بن جَناب[3] :

---

(١) كذا فى ا والذى فى سائر الأصول : « محمد بن صالح الواقدى » وظاهر أن فى العبارة نقصا . فاسم الواقدى محمد بن عمر . كما أن المعروف أن محمد بن صالح بن مهران البصرى يروى عن الواقدى . (انظر تهذيب التهذيب) .

(٢) « ما أعطوه ... الخ » : أى ما ينالهم من النعمة عن شكرهم أكثر مما أخذوا منها قبل الشكر . هذا ما يلوح لنا من معنى هذه العبارة بدليل قوله تعالى : « ولئن شكرتم لأزيدنكم » .

(٣) فى الأصول : « حباب » . وهو تصحيف . (انظر الشعر والشعراء) .

ارفَع ضعيفك لا يَحُرْ بك[١] ضَعْفُهُ يوماً فتدركَه عواقبُ ما جَنَى
يَجْزيك أو يُثنى عليك فإنّ من أثنى عليك بما فعلتَ كمن جَزَى

فقال النَّبى عليه الصلاة والسلام : صدق ياعائشة ، لا شَكَرَ اللهُ من لا يشكر الناس .

شعر فى شكر المنعم وذم اللئيم

[الخُشَنىّ[٢]] قال : أنشدنى الرياشىّ :

إذا أنا لم أشكر على الخَيْر أهلَه ولم أذمُمِ الجِبْسَ[٣] اللئيم المُذَمَّما
ففيم عرفتُ الخيرَ والشكرَ باسمه وشقّ لىَ اللهُ المسامعَ والفَما

وأنشدنى فى الشكر :

سأشكر[٤] عَمْراً[٥] ما تراخت مَنيَّتى أيادى لم تُمنَن وإن هى جلَّتِ
فَتًى غيرَ محجوب الغِنَى عن صديقه ولا مُظهِرَ الشكوى إذا النعلُ زَلَّتَ
رأى خَلَّتى من حيث يخفى مكانُها فكانت قَذَى عَينيه حتى تجلَّت

---

(١) كذا فى الشعر والشعراء . ولا يحر : لا يرجع . والذى فى الأصول : « لا يجز » وهو تصحيف .

(٢) الخشنى : هو محمد بن عبد السلام الخشنى أبو عبد الله .

(٣) كذا فى ا . والجبس (بالكسر) : الجبان واللئيم . والذى فى سائر الأصول : « البخس » .

(٤) العرب تستعمل السين إذا أرادت تكرار الفعل وتأكيده .

(٥) هو عمر بن عثمان بن عفان ، وهذا الشعر لعبد الله بن الزبير (بفتح الزاى) من شعراء الدولة الأموية . وكان عمرو رآه فى ثياب رثة فاقترض ثمانية آلاف درهم بائنى عشر ألفا وأرسلها إليه مع رزمة ثياب . فقال ابن الزبير هذه الأبيات . (انظر خزانة الأدب ج ١ ص ٣٤٥) . وقد جاء فى الكامل غير منسوب إلى قائله .

قلة الكرام فى كثرة اللئام

النبى صلى الله عليه وسلم فى معنى هذا المعنى

قال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : الناس كإبلٍ مائةٍ لا تكاد تَجِد فيها راحلة[١] .

للحكماء

وقالت الحكماء : الكِرَام فى اللئام كالغُرّة فى الفرس .

شعر فى هذا المعنى

وقال الشاعر :

تُفاخرنى[٢] بكَثْرتها قُرَيْظٌ وقبلى وَالد الحجلَ الصقورُ[٣]
فإن أكُ فى شِرارِكُم قليلاً فإنّى فى خِيارِكم كَثِير
بُغاث الطَّير أكثرُها فِراخاً وأمُّ الصقر مِقلات[٤] نَزُور

[وقال] السَّمَوْأل :

تُعيِّرنا أنّا قليلٌ عَدِيدُنا فقلت لها إن الكِرَام قليلُ
وما ضرّنا أنّا قليلٌ وجارُنا عَزِيزٌ وجارُ الأكثرين ذَلِيل

[وقال حَبيب :

ولقد تكون ولا كريمَ نَنالُه حتى نَخُوض إليه ألفَ لئيمٍ]

قال ابن أبى حازم :

---

(١) الراحلة من الإبل : الصالحة لأن ترحل .

(٢) فى ا « تكابرنى » . وقد نسب هذا الشعر من الحماسة للعباس بن مرداس ، وقيل لمعاوية بن مالك معود الحكماء ؛ كما نسب فى الأمالى لكثير عزة . ومكان هذا البيت فى الحماسة والأمالى :

ضعاف الطير أطولها جسوما ولم تطل البزاة ولا الصقور

(٣) كذا فى ا . ووالد : فاخر بكثرة الولد . والحجل : القبيح . ويضرب به المثل فى كثرة بيضه . ومن قولهم فى ذلك : فقال الحجل للقطا : قطاقطا ، بيضك ثنتا وبيضى مائتا . والذى فى سائر الأصول : « وقبلى ... الخ » . وعلى كل من الوجهين فمعنى الشطر الثانى من هذا البيت غير ظاهر .

(٤) المقلات : التى تلد واحدا ثم لا تلد بعد ذلك ، يستعمل فى كل شىء .

وقالوا لو مدحتَ فتًى كريماً … فقلتُ وكيف لى بفتًى كريمِ

١٠٦/١ بلوتُ ومرَّ بى خمسون حولاً … حَسْبك بالمجرَّب من عليمِ

فلا أحدٌ يُعدّ ليوم خيرٍ … ولا أحدٌ يعود على عديمِ

وقال دِعْبل :

ما أكثرَ الناسَ لا بَلْ ما أقلَّهمُ … والله يعلم أنى لم أقل فندا

إنى لأُغْلِق عينى ثم أفتحها … على كثيرٍ ولكن ما أرى أحدا

وأحسن ما قيل فى هذا المعنى قولُ حبيب الطائى :

إنّ الجياد[1] كثيرٌ فى البلاد وإنْ … قلّوا كما غيرهم قُلٌّ وإن كثُروا

لا يَدْهمنّك من دَهْمائهم عجبٌ[2] … فإنّ جُلّهمُ أو كلَّهمُ بَقر

وكلما أضحتْ[3] الأخطار بينهمُ … هَلْكى تبيَّن من أضحى له خَطر

لو لم تُصادف شيات البَهْم أكثرَ ما … فى الخَيْل لم تُحْمد الأوضاح والغُرَر[4]

لكسرى فى الفقر والشح

[الأصمعىّ قال :

قال كِسْرى : أىّ شىء أضرّ ؟ فأجمعوا على الفقر . فقال كِسْرى : الشُّح أضرّ منه ، لأنّ الفقير يجد الفُرجة فيتسع] .

(١) فى ديوان أبى تمام : « الكرام » .
(٢) فى الديوان : « عدد » .
(٣) فى الديوان فى الموضعين « أمس » .
(٤) كذا فى ا والديوان . والشيات : جمع شية ، وهى سواد فى بياض أو بياض فى سواد . والأوضاح : جمع وضح ، وهو التحجيل فى القوائم . والغرر : جمع غرة ، وهو بياض فى الجبهة . والذى فى سائر الأصول :
لو لم تصادف أشباه البهم أحمرها … فى الحمد لم يمدح الأرحام والغرر
وفيه تحريف ظاهر .

من جاد أولا وضن آخراً

بين أعرابى وبصرى جاد ثم ضن

نزل أعرابىٌّ برحل من أهل البَصرة ، فأكرمه وأحسن إليه ، ثم أمسك . فقال الأعرابى :

تَسرَّى فلما حاسَبَ المرءُ نفسه ... رأى أنه لا يستقرُّ له السَّرْوُ(١)

شعر بشار فى يزيد بن منصور حين قطع عنه وظيفة كانت اه

وكان يَزيد بن منصور يُجرِى لبشّار العُقيلىّ وظيفةً فى كل شهر ، ثم قطعها عنه فقال :

أبا خالد ما زلتَ سابحَ غَمْرَةٍ ... صغيراً فلما شِبْتَ خيّمتَ بالشاطِى(٢)

جريتَ زماناً سابقاً ثم لم تزل ... تأخَّرُ حتى جئتَ تَقْطُو مع القاطِى(٣)

كسِنَّور عبد الله(٤) بيع بدِرْهم ... صَغيراً فلما شَبَّ [بيع] بقِيراط

شعر لمسلم بن الوليد فى محمد بن منصور حين أمسك عنه معروفه

وقال مُسلم بن الوليد صريع الغوانى لمحمد بن منصور بن زياد .

أبا حَسن قد كُنتَ قَدّمت نعمةً ... وألحقتُ شُكراً ثم أمسكتَ وانيا

فلا ضَيْرَ لم تَلْحقك منّى مَلامةٌ(٥) ... أسأت بنا عَوْداً وأحسنتَ باديا

---

(١) تسرى تكلف السرو ، وهو المروءة فى شرف . والذى فى الأصول : « جاشت » و « السرر » مكان قوله : « حاسب » و « السرو » . وهو تحريف فى كليهما . (انظر عيون الأخبار ج ٣ ص ١٥٧) .

(٢) خيم : أقام .

(٣) القاطى : الثقيل المشى ، أو الذى يقارب فى مشيه .

(٤) سنور عبد الله يضرب مثلا لمن يكون مرجوا فى صغره فإذا كبر تراجع ولم يفلح . قال الدميرى : وهذا مثل مولد ليس من كلام العرب . قال ابن خلكان : ولقد كشفت عن سنور عبد الله المظان وسألت عنه أهل المعرفة بهذا الشأن فما عرفت الخبر عن ذلك ولا عثرت له على أثر ، ثم إنى ظفرت بقول الفرزدق :

رأيت الناس يزدادون يوما ... على فعل الجميل وأنت تنقص

كمثل الهر فى صغر يغالى ... به حتى إذا ما شاب يرخص

ومن هنا أخذ بشار قوله . وليس المراد منه هرا معينا بل كل ما قيمته فى صغره أكثر منها فى كبره . (انظر ما يعول عليه فى المضاف والمضاف إليه) . ولعل المراد بعبد الله أى إنسان يكون له مثل هذا الهر .

(٥) فى ا : « ظلامة » .

شعر من سليمان الأعمى فى سليمان ابن على يذم قبضة يده عنه

فأُقسم لا أجزيك بالسّوء مثلَه   كَفى بالذى جازيتَنى لك جازيا

وقال سُليمان الأعمى، وهو أخو صريع الغوانى، فى سليمان بن علىّ:

يا سَوْءةً يُكبِر الشَّيطانُ إن ذُكِرَت   منها العجائبَ جاءتْ من سُليمانا
لا تَعْجَبَنَّ بخَيْرٍ زَلّ عن يده   فالكوكبُ النَّحْسُ يَسْقِى الأرضَ أحيانا

من ضن أولا ثم جاد آخرا

وفادة الحارث المخزومى على عبد الملك ورده له ثم صلته إياه

قَدِم الحارث بن خالد المَخزومىّ على عبد الملك فلم يَصِله، فرجع وقال فيه:

صحِبتُك إذ عَيْنى عليها غِشاوةٌ   فلما انجلَتْ قطّعتُ نفسى ألومُها
حَبَسْتُ عليك النفسَ حتى كأنما   بكَفّيك يَجْرى بُؤْسها ونَعِيمها

فبلغ قولُه عبدَ الملك، فأرسل إليه فردّه، وقال: أرأيتَ عليك غَضاضة من مقامك ببابى؟ قال: لا، ولكنى اشتقت إلى أهلى ووطنى، ووجدت فضلاً من القول فقلت، وعلىّ دَيْن لزمنى. قال: وكم دَينك؟ قال: ثلاثون ألفا. قال: فقضاء دينك أحبّ إليك أم ولاية مكة؟ قال: بل ولاية مكة. فولاّه إياها.

بين الحطيئة وعتيبة العجلى فى مثل هذا

وقدم الحطيئةُ المدينةَ فوقف إلى عُتَيبة [بن النهّاس العِجلىّ[1]] فقال: أعطنى. فقال: مالك عندى فأعطيَكَه، وما فى مالى فَضْل عن عيالى فأعودَ به عليك. فخرج عنه مُغضباً. وعرّفه به جلساؤه، فأمر بردّه، ثم قال له: ياهذا إنك وقفت إلينا فلم تستأنس ولم تسلّم، وكتمتَنا نفسك، كأنك الحُطيئة؟ قال: هو ذلك. قال: اجلس، فلك عندنا كل ما تُحب. [فجلس[2]]، فقال له: من أشعر الناس؟ قال: الذى يقول:

ومن يجعل المعروفَ من دون عِرْضه   يَفِرْهُ[3] ومن لا يَتَّق الشتْمَ يُشتَمِ

(١) فى الأصول: «عيينة». والتصويب والتكملة عن الشعر والشعراء والأغانى (ج ٢ ص ١٢٦ طبعة دار الكتب المصرية).

(٣) يفره: يوفره.

[يعنى زُهيرا : قال : ثم من ؟ قال : الذى يقول :

من يَسأل الناسَ يحرموه وسائلُ الله لا يَخيبُ

يعنى عَبيدا . قال : ثم من ؟ قال : أنا[1]] .

فقال لوكيله : خُذ بيد هذا فامضِ به إلى السوق ، فلا يُشيرنّ إلى شىء إلا اشترَيته له . فمضى معه إلى السوق ، فعرضَ عليه الخز والقَز ، فلم يلتفت إلى شىء منه وأشار إلى [الأكسية[1]] والـكَرابيس[2] [الغِلاظ[3]] [والأقبية[4]] . فاشترى له منها حاجته ، ثم قال : أمسك . قال : فإنه قد أمرنى أن أبْسطِيدى بالنفقة قال : لا حاجة فى أن يكون له على قومى يَدٌ أعظم من هذه ، ثم أنشأ يقول : ١٠٧/١

سُئِلتَ فلم تَبْخَـــل ولم تُعطِ طائلاً فسِيّانِ لا ذَمٌّ عليك ولا حَمْـــدُ
وأنت امرؤٌ لا الجودُ منك سَجيّة فتُعطى وقد يُعْدِى[5] على النائلِ الوُجْدُ

من مدح أميراً فخيبه

أعرابى مدح سعيد بن مسلم فلم يجزه فهجاه

قال سَعيد بن سَلْم[6] : مدحنى أعرابىٌّ فأبلغ ، فقال :

ألا قُل لسارى اللَّيل[7] لا تَخْشَ ضِلّةً سعيدُ بن سَـلْم نورُ[8] كل بلادِ

(١) التكملة من الشعر والشعراء والأغانى .
(٢) الكرابيس : جمع كرباس (بالكسر) . وهو ثوب غليظ من القطن الأبيض ، معرب .
(٣) هذه الكلمة من الشعر والشعراء والأغانى .
(٤) فى الأصول : « والقطن » . وما أثبتناه من الشعر والشعراء . وبين سياق الخبرين هنا وفى الشعر والشعراء والأغانى خلاف فى الألفاظ والعبارات .
(٥) كذا فى الأصول وخزانة الأدب (ج ١ ص ٤١١) والديوان ولسان العرب مادة (عدا) . ويعدى : يعين . والوجد (مثلث الواو) : اليسار والسعة . والذى فى الأغانى : « ولا يعدى ... الخ » .
(٦) كذا فى عيون الأخبار . (ج ٢ ص ٣٢) والكامل . وهو سعيد بن مسلم بن قتيبة . والذى فى الأصول : « مسلم » وهو تحريف ، كما لا يستقيم به وزن الشعر بعد .
(٧) كذا فى الأصول والكامل . والذى فى عيون الأخبار (ج ٢ ص ٣٧) :
« ألا يا ساريا بالليل »
(٨) فى الكامل : « ضوء » .

لنا سيّد أربَى على كلّ سـيّد جوادٌ حثَا فى وجه كلّ جواد(١)

قال : فتأخرتُ عنه قليلا . فهجانى فأبلغ ، فقال :

لـكلّ أخى مَدْح ثوابٌ علمتهُ(٢) وليس لِمَدْح الباهلىّ ثوابُ
مَدحتُ سعيداً والمديحُ مَهزّةٌ فـكان كصَفْوان(٣) عليه تُراب

هجاء الحسن بن رجاء لأبى دلف حين منع عطاءه عنه

ومدح الحسنُ بن رجاء أبا دُلف فلم يُعطه شيئاً ، فقال :

أبا دُلف ما أكذبَ الناس كلّهم سِوايَ فإنى فى مَديحك أكذب(٤)

لبعض الشعراء فى مثل هذا المعنى

[وقال آخر فى مثل هذا المعنى :

إنى مدحتُـــــك كاذباً فأثبتَنى لَمّا مدحتُك ما يُثاب الكاذِبُ](٥)

وقال آخرُ فى مثل هذا المعنى :

لئن أخطأتُ فى مَدحيـ ـك ما أخطأتَ فى مَنْعِى
لقــد أحللتُ حاجاتى بوادٍ غــيرِ ذى زَرْعِ

هجاء أبى تمام لعياش بن لهيعة

ومَدح حبيبٌ الطائىّ عياشَ بن لَهيعة ، وقدِم عليه مصرَ ، واستسلفه مائتى مِثقال . فشاور فيها زوجته ، فقالت له : هو شاعر يَمدحك اليوم ، ويهجوك غداً ، فاعتلّ عليه واعتذرَ إليه ولم يقض حاجتَه . فقال فيه(٦) :

عيّاش إنك للئيم وإنّنى مُذ صِرتَ موضعَ مطلبى للَئيمُ

ثم هجاه حتى مات . وهجاه بعد موته ، فقال فيه :

لا سُقِيتْ أطلالُك الدائرة ولا انقضتْ عَثرتك العاثرة

---

(١) يريد : حثا التراب فى وجوه الأجواد . وذلك كناية عن تقصيرهم عنه فى العطاء شبهه فالجواد السابق الذى يثير الغبار فى وجوه الخيل اللاحقة .
(٢) فى عيون الأخبار والكامل : « يعدّه » .
(٣) الصفوان : الحجر الصلد الأملس لا ينبت شيئاً.
(٤) فى ا : « كاذب » .
(٥) ما يثاب الكاذب : أى ثواب الكاذب . وهو مفعول ثانى لقوله « أثبتنى » .
(٦) فى الديوان أن هذا الشعر فى هجاء المباركى .

يا أســـدَ الموت تخلّصته من بين فَـكّى أسدِ القاصره[١]
[ماحُفْرة واراك مَلحودها بِبَزة الرَّمْس[٢] ولا طاهره]

شعر للمؤلف فى هجاء بعض موالى السلطان وقد سأله إطلاق محبوس فلم يفعل

ومن قولنا فى هذا المعنى ، وسألت بعض موالى السلطان إطلاق محبوس[٣] فتلـكّأ فيه ، فقلت :

حاشا لمِثْلك أن يَفُكّ أسـيرا أو أن يكون من الزمان مُجيرَا
لَبِستْ قوافى الشعر فيك مَدارِعاً سُوداًوصَـكّت[٤] أوجُهاً وصُدورا
هلاّ عَطفْتَ برحمـة لمّا دَعَتْ ويلاً عليك مدائحى وثُبورا
لوأنّ لُؤمك عادَ جُوداً عُشْرُه ما كان عندك حاتمٌ مَذكوراً

بين ربيعة الرق الشاعر ويزيد ابن حاتم وابن أسيد السلمى

قال : ومدح ربيعة الرَّقِّى[٥] يزيدَ بن حاتم الأزدىّ ، وهو والى مصر
١٠٨/١ فاستبطأه ربيعة . فشخص عنه من مصر وقال :

أرانى – ولا كُفْران لله – راجعاً بخُفَى حُنين من نَوال ابنِ حاتمِ

فبلغ قولُه يزيدَ بن حاتم . فأرسل فى طلبه ، فرُد إليه . فلما دخل عليه قال له : أنت القائل :

* أرانى ولا كُفران لله راجعاً *

قال : نعم ؛ قال : فهل قلتَ غير هذا ؟ قال : لا والله ؛ قال : لترجعَنّ بخُفَى

(١) كذا فى هبة الأيام . والقاصرة : موضع يمر به السائر إذا سار من مكة يقصد مصر . ويذكر أصحاب السير أن عقبة بن أبى لهب سافر إلى مصر فأكله أسد بالقاصرة . والذى فى الديوان المطبوع : « العامرة » والذى فى الأصول : « القاهرة » . وفى كلتا الكلمتين تحريف .

(٢) فى الديوان : « ببزرة الرجس » . ورواية هذه الأبيات فى هبة الأيام تختلف عنها هنا اختلافا كثيرا .

(٣) فى ا : « حاجة » مكان قوله « إطلاق محبوس » .

(٤) فى بعض الأصول : « وخلت » .

(٥) كذا فى الكامل وفيما سيأتى فى الأصول عند الكلام على الأجواد . وهو ربيعة ابن ثابت مولى بنى سليم بن منصور ، نشأ بالرقة . والذى فى الأصول هنا : « الراقى » . وهو تحريف .

خُنين مملوءة مالا فأمر بخَلْع نعليه[1] ومُلئت له مالا . فقال فيه لما عُزل عن مصر ووُلّى يزيد بن أُسيد[2] السُّلَمى مكانه :

بكى أهل مصر بالدّموع السواجم ... غداةَ غَدا منها الأغرُّ ابنُ حاتمِ

وفيها يقول :

لشتّان ما بين اليَزيدَين فى النّدى ... يزيد سُليم والأغرِّ ابن حاتمِ

فَهمُّ الفتى الأزدىّ إنفاقُ[3] ماله ... وهمُّ الفتى القيْسى جمعُ الدراهم

فلا يَحسب التَّمتام أنى هَجَوتُه ... ولكننّى فَضّلت أهل المكارم

أجواد أهل الجاهلية

بعض من أخبار حاتم فى ذلك

الذين انتهى إليهم الجُود فى الجاهلية ثلاثة نفر : حاتم بن عبد الله بن سعد الطائى ، وهَرِم بن سِنان المُرّى ، وكعب بن مامةَ[4] الإيادى .

قوم حاتم لغلامه يسار

ولكن المضروب به المثل : حاتم وحده ، وهو القائل لغلامه يَسار ، وكان إذا اشتد البرد وكَلِب الشتاء أمر غلامه فأوقد ناراً فى يَفاع[5] من الأرض لينظرُ إليها مَن أضلّ الطريق ليلاً فيَصمِد نحوه ، فقال فى ذلك :

أوقد فإنّ الليلَ ليلٌ قَرٌّ ... والريحَ يا مُوقِد[6] ريحٌ صِرٌّ

عسى يَرَى نارَكَ من يَمُرّ ... إن جلبتْ ضيفاً فأنت حُرّ

ما صنعة بأسير من عنزة

ومَرّ حاتم فى سَفَره على عَنَزة ، وفيهم أسير . فاستغاث بحاتم ولم يحضُره

---

(١) فى ا : « خفه » .

(٢) كذا فى الكامل للمبرد والأغانى (ج ١٤ ص ٣٨) . وهو يزيد بن أسيد (بضم الهمزة) بن زفر بن أسماء بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة . والذى فى الأصول : « يزيد بن حاتم » وهو تحريف .

(٣) فى الكامل : « إتلاف » .

(٤) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « إمامه » وهو تحريف .

(٥) كذا فى ا وشعراء النصرانية . واليفاع (كسحاب) : التل . والذى فى الأصول ونهاية الأرب : « بقاع » .

(٦) كذا فى شعر النصرانية . والذى فى الأصول ونهاية الأرب : « ياواقد » .

مثل من جوده في ذبحه فرسه في عام قحط وشعر له في ذلك

فـكاكه ، فاشتراه من العنزيين وأطلقه ، وأقام مكانه في القيد حتى أدّى فداءه.

وقالوا : لم يكن حاتم ممسكا شيئاً ما عدا فرسَه وسلاحَه ، فإنه كان لا يجود بهما .

وقالت نَوار امرأة حاتم : أصابتْنا سنة اقشعرّت لها الأرض واغبرّ أفق السماء ، وراحت الإبل حُدْبا حدابير[1] ، وضنّت المراضع على أولادها فما تَبِضّ بقطرة ، وحلَقت[2] السنة المال وأيقنا بالهلاك . فوالله إنّا لفي ليلة صِنَّبْر[3] ، بعيدةِ ما بين الطَّرفين ، إذ تضاغى[4] صِبْيَتنا جُوعا ، عبد الله وعديّ وسَفّانة ، فقام حاتم إلى الصبيّين ، وقمت أنا إلى الصبيّة ، فوالله ما سكتوا إلا بعد هدأة من الليل ، وأقبل يعلّلني بالحديث ، فعرفتُ ما يريد فتناومتُ ، فلما تَهوَّرت[5] النجوم ، إذا شيء قد رفع كِسْر[6] البيت ثم عاد ؛ فقال : من هذا ؟ قالت : جارتُكَ فلانة ، أتيتُك من عِند صِبْيَة يتعاوَون عُواء الذئاب ، فما وجدتُ مُعوَّلا إلا عليكَ يا أبا عديّ . فقال : أعجليهم فقد أشبعك الله وإيّاهم . فأقبلت المرأة تحمِل اثنين ويَمشي جانبيها أربعة ، كأنها نَعامة حولها رئالُها . فقام إلى فرسه فوَجأ لَبّته بمُدية فخرّ ، ثم كَشطه عن جِلده ، ودفع المُدية إلى المرأة ، فقال لها : شأنَك . فاجتمعنا على اللحم نَشوى ونأكل ، ثم جعل يمشي في الحي يأتيهم بيتاً بيتاً ، فيقول : هُبُّوا أيها القوم عليكم بالنار ، فاجتمعوا والتفع في ثوبه ناحية ينظر إلينا ، فلا والله إن ذاق منه مُزْعه[7] ، وإنه لأحوج إليه منّا ، فأصبحنا وما على الأرض من الفرس إلا عَظْم وحافر ، فأنشأ حاتم يقول :

(١) الحدابير . جمع حدبار وحدبير (بالكسر فيهما) ، وهي الناقة الضامرة .
(٢) أي أهلكته واستأصلته كما تستأصل الموسى الشعر .
(٣) صنبر : شديدة البرد .
(٤) تضاغى : صاح .
(٥) تهورت : ذهبت وولت .
(٦) يريد الشقة السفلى من الخباء .
(٧) المزعة (بالضم والكسر) : القطعة من اللحم .

مَهلاً نَوارُ أقلّى اللومَ والعَذَلا … ولا تقولِى لشىء فاتَ ما فَعلاَ
١٠٩/١ ولا تقولى لمالٍ كنتُ مُهلِكَه … مَهلاً وإن كنتُ أُعطى الإنس والخبلا[1]
يرى البخيلُ سبيلَ المال واحدة … إنّ الجواد يرى فى ماله سُبلا[2]

بينه وبين ولده فى كلبة رآه يضربها

[ورُئى حاتم يوماً يضرب ولده لما رآه يضرب كَلْبة كانت تدل عليه أضيافه ، وهو يقول :

أقول لأبنى وقد سُطْتُ يديه … بكَلْبة لا يزال يَجْلِدُها
أُوصِيك خيراً بها فإنّ لها … عندى يداً لا أزال أحمدها
تَدُلّ ضَيْفِى علىّ فى غَلَس الـ … ـلّيل إذا النار نام موقِدها

قصته مع أبى الخيبرى

ذكرت طيئ عند عدىّ بن حاتم : أنّ رجلاً يعرف بأبى الخَيْبرىّ مرّ بقبر حاتم فنزل به وجعل ينادى : أبا عدِىّ[3] ، أقرِ أضيافك . [قال: فيقال له : مهلا ما تُكلم من رمّة بالية ؟ فقال : إن طَيِّئاً يزعمون أنه لم ينزل به أحد إلا قراه] ، كالمستهزئ . فلما كان فى السَّحر وثب أبو خَيْبرى يَصيح : وا راحلتاه ! فقال له أصحابه : ما شأنك ؟ قال : خرج والله حاتم بالسيف حتى عَقر ناقتى وأنا أنظر إليها . فتأملوا راحلته فإذا هى لا تنبعث ، فقالوا : قد والله أقراك . فنحروها وظلُّوا يأكلون من لحمها ، ثم أردفوه وانطلقوا . فبينما هم فى مَسيرهم إذ طلع عليهم عدىُّ بن حاتم ومعه جمل قد قرَنه ببعيره ، فقال : إن حاتما جاء فى النوم فذكر لى قولَك وأنه أقراك وأصحابك راحلتك وقال لى أبياتاً ردّدها علىّ حتى حفظتُها وهى :

أبا الخَيْبرِىّ وأنت امرؤٌ … حَسودُ العَشِيرة شتّامها[4]

---

(١) الخبل : الجن . والذى فى الأصول : « الجبلا » وهو تصحيف . والذى فى شعراء النصرانية . « الجن » مكان « الإنس » : وهو تحريف أيضا .
(٢) القصيدة طويلة . وقد اجتزى منها هنا بهذه الأبيات .
(٣) كذا فى الشعر والشعراء . والذى فى الأصول وشعراء النصرانية : « أبا جعفر » .
(٤) فى الشعر والشعراء : « لوامها » .

فماذا أردتَ إلى رِمّةٍ بداويةٍ صَخِبٍ هامُها[١]
أتبغى أذاها وإعسارَها وحولك غَوْثٌ[٢] وأنعامها
وإنّا لنُطعم أضيافَنا من الكُوم بالسَّيفِ نَعْتامها[٣]

وأمرنى بدفع راحلة عوض راحلتك نخذها، فأخذها].

شعره فى الكرم وغيره من مكارم الأخلاق

ولحاتم بن عبد الله أيضاً:

أماوىّ قد طال التجنُّبُ والهَجْر وقد عَذَرتنا عن طِلابكم العُذْر[٤]
أماوىّ إنّ المـال غادٍ ورائحٌ ويَبقى من المال الأحاديثُ والذِّكر
أماوىّ إما مانع فمُبيِّنٌ وإما عَطاء لا ينهنهه الزَّجْر
أماوىّ إنى لا أقول لسائلٍ إذا جاء يوماً حلّ فى مالىَ النَّذر
أماوىّ ما يُغنِى الثراء عن الفتى إذا حَشْرجتْ يوماً وضاق بها الصَّدر
أماوىّ إنْ يُصبح صَداى بقَفْرة من الأرض لا ماءٌ لدىّ[٥] ولا خمر
تَرَىْ أنّ ما أنفقتُ لم يكُ ضرَّنى وأنّ يَدى مما بخِلتُ به صِفْر
إذا أنا دلاّنى الذين يلوننى بمُظلمة لجٍّ[٦] جوانبها غُبْر
وراحوا سِراعاً يَنفضُون أكفَّهم يقولون قد أدمَى أظافرَنا[٧] الحفر
أماوىّ إنّ المال مالٌ بذلتُه فأوّله شُكر وآخره ذِكْر[٨]

(١) الداوية: الفلاة. والهام: جمع هامة، وهى طائر تزعم العرب قديما أنه يخرج من رأس القتيل فلا يزال يصيح اسقونى، اسقونى. حتى يؤخذ بثأره.
(٢) هو الغوث بن طيئ، جد حاتم الأعلى وإليه ينتهى نسبه. والذى فى ا والشعر والشعراء: «عوف» وهو تحريف.
(٣) الكوم: جمع كوماء، وهى الناقة العظيمة السنام. ونعتامها: نختارها.
(٤) العذر: جمع عذير، وقد جاء فى الشعر مخففا.
(٥) فى شعراء النصرانية: «هناك» مكان قوله «لدى».
(٦) فى شعر النصرانية والأغانى:
«أجبهم «بملحودة زلج» مكان قوله «يلوننى» «بمظلمة لج».
(٧) فى شعراء النصرانية: «قد دلى أناملنا».
(٨) رواية هذا البيت فى شعراء النصرانية:
وإنى لا آلو بمال صنيعة فأوله زاد وآخره ذخر

وقد يَعلم الأقوامُ لو أنّ حاتما ... أراد ثراء المال كان له وَفْر
فإنى وجَدّى رُبّ واحد أمه ... أجرتُ[١] فلا قَتْلٌ عليه ولا أَسْر
ولا أظلم بنَ العمّ إن كان إخوتى ... شُهوداً وقد أَوْدَى بإخوته الدّهر
غَنينا زمانًا بالتّصَعْلُك[٢] والغِنَى ... وكُلاًّ سَقاناه بكَاسَيْهما الدهر[٣]
فما زادنا بَأْوًا[٤] على ذى قرابةٍ ... غِنانا ولا أَزْرَى بأحلامنا[٥] الفَقْرُ

***

حديث هرم بن سنان وشعر زهير فيه

وأمّا هَرِم بن سِنان فهو صاحب زُهير الذى يقول فيه :

متى تُلاقِ على عِلاّتِه هَرِماً ... تَلْقَ السماحةَ فى خَلْق وفى خُلُقِ[٦]

وكان سِنَانٌ أبو هَرِم سيّدَ غَطفان ، وماتت أُمّه وهى حامل به ، وقالت : إذا أنا مُتّ فشُقّوا بطنى فإن سيّد غَطفان فيه . فلما ماتت شَقّوا بطنَها فاستخرجوا منه سِنانا . وفى بنى سِنان يقول زهير :

قومٌ أبوهم سِنانٌ حين تَنْسُبهم ... طابُوا وطاب من الأولاد ما وَلَدُوا
لو كان يَقعدُ فوق الشمس مِن كَرم ... قومٌ بأوّلهم أو مَجْدهم قَعَدوا
جِنٌّ إذا فَزِعوا إنْسٌ إذا أَمِنُوا ... مُرَزّءون بَهاليلٌ إذا قَصَدوا
مُحَسَّدون على ما كان من نِعَم ... لا يَنْزِع الله منهم ما له حُسِدوا

وقال زُهير فى هرم بن سِنان :

---

(١) كذا فى شعراء النصرانية . والذى فى الأصول : « أخذت » .

(٢) كذا فى شعراء النصرانية . والذى فى الأصول : « بالتقصد » .

(٣) كذا فى شعراء النصرانية والذى فى الأغانى : « بكاسيهما العصر » . والذى فى الأصول : « وكل سقانا وهو كاسبنا الدهر » . وفيه تحريف ظاهر .

(٤) البأو : أن يفخر المرء بنفسه ويرفعها . ويروى : « بغيا » . (انظر شعراء النصرانية) . والذى فى الأصول : « مأوى » . وهو تحريف .

(٥) فى شعراء النصرانيه : « بأحسابنا » .

(٦) رواية هذا البيت فى الشعر والشعراء والعقد الثمين :

من يلق يوما على علاته هرما ... يلق السماحة فيه والندى خلقا

وأبيضَ فيّاضٍ يداه غَمامةٌ … على مُعتَفِيه ما تُغِبّ نوائلُه[١]

تراه إذا ما جئتَه متهلّلاً … كأنك تُعطيه الذى أنت سائلُه

أخو ثقةٍ لا تُتلِف الخمرُ مالَه … ولكنّه قد يُتلف[٢] المالَ نائلُه

أخذ الحسن بن هانئ هذا المعنى فقال :

فتى لا تَغول[٣] الخمرُ شَحْمةَ مالِه … ولكنْ أيادٍ عُوَّدٌ وَبوادِى

وقال زهير فى هرم بن سنانٍ وأهل بيته :

إليك أعملتُها فُتْلاً مَرافقُها … شَهْرَين يجهض من أرحامها العَلَق[٤] ١١٠/١

حتى دفعْن إلى حُلْوٍ شمائلُه … كالغيث يَنْبُتُ فى آثاره الوَرَق

من أهل بيتٍ بَرَى ذو العرش فضلَهم … يُبْنَى لهم فى جِنان الخُلْد مُرْتَفَق

المُطعمون إذا ما أزمةٌ أزَمَتْ … والطيّبون ثِياباً كلّما عَرِقوا

كأنّ آخرَهم فى الجود أوّلُهم … إنّ الشمائلَ والأخلاقَ[٥] تتّفق

إن قامروا قَمروا أو فاخروا فَخروا … أو ناضلوا نَضلوا أو سابقوا سَبقوا

تَنافَسُ الأرضُ موتاهم إذا دُفِنوا … كما تُنوفِس عند الباعة الوَرِق[٦]

وقال فيهم أيضاً :

وفيهم مَقامات حِسانٌ وُجوهُهم … وأنديةٌ يَنْتابها القَوْلُ والفِعْلُ

على مُكْثِريهم حَقّ مَنْ يَعْتفيهم … وعند المُقِلّين السماحةُ والبَذْل

(١) كذا فى ا . وما تغب : ما تنقطع . والذى فى سائر الأصول : « فواضله » . والذى فى الشعر والشعراء : « نوافله » .

(٢) فى الشعر والشعراء : « يذهب » فى الموضعين .

(٣) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « لا تلوك » .

(٤) العلق : الدم الجامد .

(٥) فى ا : « فى المجد » مكان قوله : « فى الجود » . و « فى الإخوان » مكان قوله : « والأخلاق » .

(٦) تنافس ، أى تتنافس . يريد أن كل بقعة من الأرض ترغب فى الانفراد بموتاهم دون سواها ، وذلك لنفاستهم . والورق : الذهب .

فما كان من خَيْرٍ أَتَوْه فإنما تَوارثه آباء آبائهم قبـــل
وهل يُنْبِتِ الخَطِّىَ إلاّ وَشِيجُه وتُغْرَسُ إلاّ فى مَنابتها النَّخْلُ]

* * *

إيثار ابن مامة رفيقة السعدى بالماء

وأما كعب بن مامةَ الإيادىّ ، فلم يأت عنه إلا ما ذكر من إيثاره رفيقَه النَّمَرِىّ[1] بالماء حتى مات عطشا ونجا النمرىّ ، وهذا أكثر من كل ما أُثنى لغيره وله يقول حبيب :

يجودُ بالنّفس إن ضَنَّ البَخيلُ بها والجُودُ بالنفس أقصى غايةِ الجُودِ

شعر آخر لحبيب فيه وفى حاتم

وله ولحاتم الطائى يقول :

كعبٌ وحاتمٌ اللذان تقسَّما خطط العُلاَ من طارف وتَليدِ
هذا الذى خَلَفَ السحابَ ومات ذا فى المجد[2] مِيتة خِضْرِم[3] صِنْديد
إلاّ يكُن فيها الشهيدَ فقومُه لا يَسمَحون به بألف شَهيد

أجواد أهل الإسلام

[illegible] عددهم

وأما أجواد أهل الإسلام فأحدَ عشر رجلاً فى عصر واحد لم يكن قبلهم ولا بعدهم مثلُهم .

أجواد الحجاز

فأجواد الحجاز ثلاثة فى عصر واحد : عُبيد الله بن العبّاس ، وعبد الله بن جعفر ، وسعيد بن العاص .

أجواد البصرة

وأجواد البصرة خمسة[4] فى عصر واحد ، وهم : عبد الله بن عامر بن كُرَيز وعُبيد الله بن أبى بكرة ، مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ومُسلم بن زيادة ،

---

(١) كذا فى هبة الأيام وبلوغ الأرب . والذى فى الأصول : « السعدى » .
(٢) كذا فى ديوان أبى تمام . والذى فى الأصول : « فى الجهد » .
(٣) الخضرم : الكريم .
(٤) فى الأمالى (ج ٣ ص ٢٥) : « ثلاثة » ولم يذكر فيه ابن كريز ولا ابن زياد .

وعُبيد الله بن مَعمر القُرشىّ ، ثم التَّيْمىّ[(١)] ، وطَلْحة الطلحات ، وهو طلحة بن عبد الله بن خَلف الخُزاعىّ ، وله يقول الشاعر [يرثيه ، ومات بسِجِسْتان وهو والٍ عليها] :

نَضَّر[(٢)] اللهُ أعظُماً دَفَنوها بِسجِسْتان طلحةَ الطلحاتِ

أجواد الكوفة

وأجواد أهل الكوفة ثلاثة فى عصر واحد ، وهم : عَتّابُ بن ورقاء الرِّياحى ، وأسماء بن خارجة الفَزَارى . وعِكْرمةُ بن رِبْعىّ الفيّاض[(٣)] .

فمن جود عبيد الله بن عباس

ما سبق إليه فى الجود وشعر فيه

أنه أول من فطّر جيرانَه ، وأول من وضع الموائد على الطُّرق ، وأول من حَيّا على طعامه ، وأول من أَنْهَبه ، وفيه يقول شاعر المدينة :

وفى السَّنة الشَّهباء أطعمتَ حامضاً وحُلْوًا ولَحْماً تامكا ومُمَزَّعا[(٤)]
وأنت ربيعٌ لليتامى وعِصْمةٌ إذا المَحْلُ من جَوِّ السماء تَطَلّعا
أبوك أبو الفَضْل الذى كان رحمةً وَغوْثاً ونُوراً للخلائق أجمعا

مكافاته على يد سبقت إليه

ومن جوده : أنه أتاه رجل وهو بفِناء داره ، فقام بين يديه فقال : يابن عباس ، إنّ لى عندك يداً ، وقد احتجتُ إليها . فصعَّد فيه بصرَه وصوّبه ، فلم يعرفه ، ثم قال له : ما يدُك عندنا ؟ قال رأيتُك واقفاً بزَمزم وغلامُك يَمْتَح[(٥)] لك من مائها ، والشمس قد صَهرتك ، فظلّلتك بطَرف كسائى حتى شَرِبت قال : إنى لأذكر ذلك ، وإنه يتردّد بين خاطرى وفِكْرى ، ثم قال لقَيِّمه : ما عندك ؟ قال : مائتا دينار وعشرة آلاف درهم ؛ قال فادفعها إليه وما أُراها تَفِى بحق يده

(١) فى الأصول : « التميمى » . وهو تحريف .
(٢) فى معجم البلدان (ج ٣ ص ٤٣) : « نظر » . وهذا الشعر لعبد الله بن قيس الرقيات .
(٣) فى الأصول : « العاصى » . والتصويب من الأغانى (ج ١١ ص ٣٩) .
(٤) السنة الشهباء : التى لا خضرة فيها ولا مطر . وتامكا : مكتنزا . وممزعا : مقطعا مفرقا .
(٥) المتح : الاستقاء .

١١١/١ عندنا . فقال له الرجل : والله لو لم يكن لإسماعيل ولدٌ غيرُك لـكان فيه ما كفاه فـكيف وقد وَلد سيّد الأولين والآخرِين محمداً صلّى الله عليه وسلم ، ثم شَفَعه بك وبأبيك .

قصته مع الحسين ابن على ومشاطرته إياه ماله

وَمن جوده أيضاً : أن معاوية حَبس عن الحُسين بن علىّ صِلاتِهِ حتى ضاقت عليه حالُه . فقِيل له : لو وَجّهت إلى ابن عمك عُبيد الله ، فإنه قد قدم بنحو من ألف ألف دِرْهم . فقال الحُسين : وأين تقع ألف ألف من عُبيد الله ، فوالله لهو أجود من الريح إذا عَصفت ، وأسخَى من البحر إذا زَخر . ثم وجه إليه مع رسوله بكتاب ذكر فيه حَبْسَ معاوية عنه صِلاتِهِ وضِيقَ حاله ، وأنه يحتاج إلى مائة ألف درهم . فلما قرأ عُبيد الله كتابَه ، وكان من أرقّ الناس قلباً وألينهم عطفاً ، انهملت عَيناه ، ثم قال : ويلك يا معاوية مما اجترحتْ يداك من الإثم حين أصبحت ليِّن المِهاد ، رفيع العماد ، والحُسين يشكو ضيقَ الحال ، وكثرة العيال . ثم قال لقَهرمانه : احمل إلى الحُسين نصفَ ما أملـكه من فضة وذهب وثوب ودابّة ، وأخبِرْه أنى شاطرتُه مالى ، فإن أقنعه ذلك وإلا فارجع واحمل إليه الشّطر الآخر ؛ فقال له القيِّمُ : فهذه المُؤن التى عليك من أينَ تقُوم بها ؟ قال : إذا بلغنا ذلك دللتُك على أمرٍ يُقيم حالَك . فلما أتى الرسولُ برسالته إلى الحُسين ، قال : إنّا لله حَمّلت والله على ابن عمى وما حَسِبْته يتّسع لنا بهذا كلّه ؛ فأخذ الشطر من ماله . وهو أول من فعل ذلك فى الإسلام .

بينه وبين حاجب لمعاوية فى هدايا هداها له معاوية يوم النيروز

ومن جوده : أن معاوية بنَ أبى سُفيان أهدَى إليه وهو عنده بالشام من هدايا النَّيْروز حُللا كثيرة ومِسْكا وآنية من ذهب وفضّة ووجّهها مع حاجبه ، فلما وضعها بين يديه نظر إلى الحاجب وهو ينظر إليها ، فقال : هل فى نفسك منها شىء ؟ قال : نعم والله ، إنّ فى نفسى منها ما كان فى نفس يعقوب من يوسف عليهما السلام ؛ فضَحك عُبيد الله ، وقال : فشأنَك بها فهى لك . قال : جُعلت فداك ، أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيَجِدَ علىّ . قال : فاختِمها بخاتمك وادفعها إلى

الخازن فإذا حان خروجنا حملها إليك ليلاً . فقال الحاجب : والله لهذه الحِيلة فى الكرم أكثر من الكرم ولَوَدِدْتُ أنّى لا أموت حتى أراك مكانه — يعنى معاوية — فظنّ عُبيد الله أنها مَكيدة منه ، قال : دَع عنك هذا الكلام فإنا قوم نَفِى بما وَعدنا ، ولا تنقض ما أكّدنا .

قصته مع سائل لا يعرفه

ومن جوده أيضاً : أنه أتاه سائل وهو لا يعرفه ، فقال له : تصدّق ، فإنى نُبِّئت أن عُبيد الله بن عبّاس أعطى سائلاً ألف درهم واعتذر إليه ؟ فقال له : وأين أنا من عُبيد الله ؟ قال أين أنت منه فى الحَسب أم كثرة المال ؟ قال : فيهما ؛ قال : أما الحسب فى الرجل ، فمرُوءته وفِعْله ، و إذا شئت فعلت ، و إذا فعلت كنت حسيبا ، فأعطاه ألفى درهم واعتذر له من ضِيق الحال ؛ فقال له السائل : إن لم تكن عُبيد الله بن عبّاس فأنت خيرٌ منه ، و إن كنت هو فأنت اليوم خيرٌ منك أمسِ ؛ فأعطاه ألفاً أخرى . فقال السائل : هذه هِزّة كريم حسيب ، والله لقد نَقرتُ حبّة قلبى فأفرغتها فى قلبك ، فما أخطأت إلا باعتراض الشك بين(١) جوانحى .

حديثه مع أنصارى ولد له مولود

ومن جوده أيضاً : أنه جاءه رجل من الأنصار فقال : يا بن عم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إنه وُلد لى فى هذه الليلة مولود ، و إنى سمّيته باسمك تبرّكاً منّى به ، و إنّ أمّه ماتت . فقال عُبيد الله : بارك الله لك فى الهِبة وأجزل لك الأجر على المُصيبة ، ثم دعا بوكيله ، فقال : انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تَحضنه ، وادفع إليه مائتى دينار للنّفقة على تربيته ، ثم قال للأنصارى : عُد إلينا بعد أيام فإنك جئتنا وفى العيش يُبس وفى المال قِلّة . قال الأنصارى : لو سَبقتَ حاتما بيوم واحد ما ذكرته العربُ أبداً ، ولكنه سَبقك ، فصِرْت له تالياً ، وأنا ١١٢/١
أشهد أن عَفوك أكثر من مجهوده ، وطَلّ كرمك أكثر من وابله .

---

(١) فى ا : « من » .

جود عبد الله بن جعفر

شراؤه لابن أبى عمار جارية كان قد تعشقها وخبر ذلك

ومن جود عبد الله بن جعفر أن عبد الرحمن بن أبى عَمّار دخل على نخّاس يعرض قِيانا له ، فعَلِق واحدةً منهن ، فشُهِر بذكرها حتى مشى إليه عطاء وطاوس ومُجاهد يَعْذُلونه ، فكان جوابه أن قال :

يَلُومنى فيكِ أقوامٌ أُجالسهم   فما أُبالى أطار اللومُ أم وَقعا

فانتهى خبره إلى عبد الله بن جعفر ، فلم يكن له هَمٌّ غيره ، فحَجّ فبعث إلى مولى الجارية ، فاشتراها منه بأربعين ألف درهم ، وأمر قَيِّمة جواريه أن تزيّنها وتحلّيها ، ففعلت . وبلغ الناسَ قدومُه فدخلوا عليه ، فقال : مالى لا أرى ابن أبى عمّار زارنا ! فأُخبر الشيخ ، فأتاه مسلِّما . فلما أراد أن يَنهض استجلسه ثم قال : ما فَعل حُب فلانة ؟ قال : فى اللحم والدم والمُخ والعَصب . قال : أتعرفها لو رأيتَها ؟ قال : لو أُدخلتُ الجنةَ لم أنكرها . فأمر بها عبدُ الله أن تخرج إليه وقال له : إنما اشتريتها لك ، ووالله ما دنوتُ منها ، فشأنَك بها ، مُباركاً لك فيها . فلما ولّى ، قال ياغلام ، احمل معه مائة ألف درهم يَنعم بها معها . قال : فبكى عبد الرحمن فرحا ، وقال : يأهل البيت ، لقد خصّكم الله بشرف ما خصّ به أحداً قبلكم من صُلب آدم ، فتهنئكم هذه النعمة ، وبورك لكم فيها .

جوابه لمن عذله فى كثرة الإعطاء

ومن جوده أيضا : أنه أعطى امرأة سألته مالاً عظيما . فقيل له : إنها لا تعرفك . وكان يُرضيها اليسير . قال : إن كان يُرضيها اليسير فإنى لا أرضى بالكثير ، وإن كانت لا تعرفنى فأنا أعرف نفسى .

جود سعيد بن العاص

عيادة معاوية إياه فى مرضه بالشام وإجازة صلة معاوية

ومن جود سعيد بن العاص : أنه مرِض وهو بالشام ، فعادَه مُعاوية ومعه شُرَحْبِيل بن السِّمط ومُسْلِم بن عُقْبة المُرّى ، ويَزيد بن شَجَرة الرَّهاوى[1] ،

(١) فى الأصول : « الزهرى » وهو تحريف . (انظر الأنساب والطبرى) .

فلما نظر سعيدٌ معاويةَ وثب عن صدر مجلسه إعظاماً لمعاوية ، فقال له معاوية : أقسمتُ عليك أبا عثمان أن لا تتحرّك ، فقد ضَعُفتَ بالعلّة . فسقط ، فتبادر مُعاوية نحوه حتى حَنا عليه وأخذ بيده ، فأقعدَه على فراشه وقعد معه ، وجعل يُسائله عن عَلَّته ومَنامه وغِذائه ، ويَصف له ما ينبغى أن يتوقّاه ، وأطال القعود معه . فلما خرج التفت إلى شُرَحبيل بن السِّمط ، ويزيدَ بن شجرة ، فقال : هل رأيتما خَلَلا فى مال أبى عُثمان ؟ فقالا : ما رأينا شيئاً نُنكره . فقال لمُسلم بن عُقبة : ما تقول ؟ قال : رأيت . قال : وما ذاك ؟ قال : رأيت على حَشَمه ومواليه ثياباً وَسِخة ، ورأيتُ صحن داره غيرَ مَكْنوس ، ورأيت التجّار يُخاصمون قَهرمانه . قال : صدقتَ ، كلُّ ذلك قد رأيتُه . فوجّه إليه مع مُسلم بثلاثمائة ألف . فسَبق رسولٌ يُبشّره بها ويُخبره بما كان ، فغضِب سَعيد وقال للرسول : إن صاحبَك ظنَّ أنه أحسن فأساء ، وتأوّل فأخطأ . فأمّا وَسَخ ثياب الحشَم فمن كَثْرة حركته اتسخ ثوبُه ؛ وأما كَنْس الدار فليست أخلاقُنا أخلاقَ مَن جعل داره مرآته ، وتزيُّنَه لُبْسه ، ومعروفه عِطْره ، ثم لا يبالى بمن مات هَزلا من ذى لُحمة أو حُرْمة . وأما مُنازعة التجّار قَهرماني ، فمن كَثْرة حوائجه وبَيْعه وشرائه لم يجد بدّا من أن يكون ظالماً أو مظلوما ؛ وأما المال الذى أمر به أميرُ المؤمنين ، فوصلتْه كلُّ ذى رَحِم قاطعة ، وهَنأتْه كرامتُه المُنعَم بها عليه ، وقد قَبِلناه وأمرنا لصاحبك منه بمائة ألف ، ولشُرَحْبيل بن السِّمط بمثلها ، وليزيدَ بن شَجَرة بمثلها ، وفى سَعة الله وبَسْط يدِ أمير المؤمنين ما عليه مُعوّلنا .

فركب مُسْلم بن عُقبة إلى معاوية فأعلمه . فقال : صدق ابنُ عمّى فيما قال ، وأخطأت فيما انتهيت إليه ، فاجعل نصيبَك من المال لرَوْح بن زِنْباع عقوبةً لك ، فإنه من جَنى جنايةً عُوقب بمثلها ، كما أنه مَن فعل خيراً كوفئ عليه .

مناوبة معاوية بينه وبين مروان فى ولاية المدينة وحديثه عن مروان عند معاوية

١١٣/١ ومن جوده أيضاً : أن معاوية كان يداول بينه و بين مَرْوان بن الحكم فى ولاية المدينة ، فكان مَروان يُقارضه[١] . فلما دخل على معاوية قال له : كيف تركت أبا عبد الملك ؟ — يعنى مَرْوان — قال : تركته مُنفِّذاً لأمرك ، مُصْلِحاً لعملك . قال معاوية : إنه كصاحب الخُبزة كُفى إنضاجَها فأكلها . قال : كلاّ يا أمير المؤمنين ، إنه من قوم لا يأكلون إلا ما حَصدوا ، ولا يحصُدون إلا ما زرعوا . قال : فما الذى باعدَ بينك وبينه ؟ قال : خِفْتُه على شرفى وخافنى على مثله . قال : فأى شىء كان له عندك ؟ قال : أسوءه حاضراً وأسرُّه غائباً . قال : يا أبا عثمان ، تركتنا فى هذه الحروب . قال : حملتَ الثِّقْل وكفيتَ الحزم . قال : فما أبطأ بك ؟ قال : غِناك عنى أبطأنى عنك ، وكنتُ قريباً ، لو دعوتَ لأجبناك ، ولو أمرتَ لأطعناك . قال : ذلك ظَنّنا بك . فأقبل معاوية على أهل الشام ، فقال يأهل الشام ، هؤلاء قومى وهذا كلامهم . ثم قال : أخبرنى عن مالِكَ ، فقد نُبِّئت أنك تَتجر[٢] فيه . قال : يا أمير المؤمنين ، لنا مالٌ يخرج لنا منه فَضْل ، فإذا كان ما خرج قليلا أنفقناه على قلته ، وإن كان كثيراً فكذلك ، غيرَ أنّا لا نَدَّخر منه شيئاً عن مُعسر ، ولا طالب ، ولا مستحمل ، ولا نَستأثر منه بفِلْذة لحم ، ولا مُزْعة شَحْم . قال : فكم يدُوم لك هذا ؟ قال : من السنة نصفها . قال : فما تصنع فى باقيها ؟ قال : نجد من يُسلِّفنا ويُسارع إلى مُعاملتنا . قال : ما أحد أحوج إلى أن يُصلَح من شأنه منك . قال : إنّ شأننا لصالح يا أمير المؤمنين ، ولو زِدْت فى مالى مثلَه ما كنتُ إلا بمثل هذه الحال . فأمر له معاوية بخمسين ألف درهم ، وقال : اشترِ بها ضَيعة تُعينك على مُروءتك . فقال سعيد : بل أشترى بها حمداً وذِكراً باقياً ، أُطعم بها الجائع ، وأزوِّج بها الأيِّم ، وأفُكّ بها العانى ، وأواسى بها الصديق ، وأُصلح بها حال الجار . فلم تأت عليه ثلاثة أشهر وعنده منها دِرْهم . فقال معاوية : ما فَضيلةٌ بعد الإيمان بالله

(١) يقارضه ، أى ينظر كل واحد منهما إلى صاحبه شزرا .

(٢) فى بعض الأصول : « تتحرى فيه » .

هى أرْفع فى الذِّكر ولا أنبه فى الشّرَف، من الجُود، وحَسْبك أنّ الله تبارك وتعالى جعل الجُود أحد(١) صِفاته.

جوده لأحد سماره

ومن جُوده أيضاً ما حكاه الأصمعى، قال: كان سَعيد بن العاص يَسْمُر معه سُمّاره إلى أن يَنقضِىَ حينٌ من الليل، فانصرف عنه القوم ليلةً ورجلٌ قاعد لم يَقُم. فأمر سَعيد بإطفاء الشّمعة وقال: حاجتَك يا فتى؟ فذكر أنّ عليه ديناً أربعةَ آلاف درهم، فأمر له بها. وكان إطفاؤه للشمعة أكثر من عطائه.

جود عبيد الله بن أبى بكرة

مثل من جوده

ومن جود عُبيد الله بن أبى بَكْرة: أنه أدْلى إليه رجلٌ بحُرْمة، فأمر له بمائة ألف دِرْهم. فقال: أصلحك الله، ما وصلَنى أحدٌ بمثلها قط، ولقد قطعتُ لسانى عن شُكْر غيرك، وما رأيتُ الدنيا فى يَدِ أحدٍ أحسنَ منها فى يدك، ولولا أنتَ لم تبقَ لها بَهْجة إلا أظلمت ولا نُورٌ إلا انطَمس.

جود عبيد الله بن معمر القرشى التيمى

بينه وبين رجل جاء ليبيعه جاريته

ومن جود عُبيد الله بن مَعْمر القُرشىّ: أنّ رجلاً أتاه من أهل البَصْرة كانت له جارية نَفيسة قد أدّبها بأنواع الأدب حتى بَرعت وفاقت فى جميع ذلك، ثم إنّ الدهر قَعد بسيِّدها ومال عليه. وقَدِم عُبيد الله بن مَعمر البصرةَ من بعض وُجوهه فقالت لسيِّدها: إنى أريد أن أذكر لك شيئاً أستحِى منه، إذ فيه جَفاء منّى، غيرَ أنه يُسَهِّل ذلك علىّ ما أرى من ضِيق حالك، وقلّة مالك وزَوال نِعمتك، وما أخافه عليك من الاحتياج، وضِيق الحال، وهذا عُبَيْدُ الله بن معمر قَدِم البصرة، وقد علمت شرفَه وفضلَه وسَعَةَ كفِّه وجُودَ نفسه، فلو أذِنت لى فأصلحتُ من شأنى، ثم تقدّمتَ بى إليه وعرضْتَنى عليه هديّةً، رجوتُ أن ١١٤/١ يأتيك من مُكافأته ما يُقيلك الله به ويُنهضك إن شاء الله. قال فبكى وَجْداً عليها وجَزَعا لفراقها منه، ثم قال لها: لولا أنك نَطقتِ بهذا ما ابتدأتُكِ به

(١) فى الأصول: «آخر».

أبداً . ثم نهض بها حتى أوقفها بين يدى عُبيد الله ، فقال : أعزّك الله ، هذه جارية ربّيتُها ورَضيت بها لك فاقبلْها منّى هديّةً . فقال : مِثْلى لا يَسْتهدى من مثلك ، فهل لك فى بيعها ، فأُجزل لك الثمن عليها حتى ترضى؟ قال : الذى تراه . قال : يُقْنِعُك منى عَشْرَة بِدَر ، فى كل بَدْرة عشرة آلاف درهم ؟ قال : والله يا سيدى ما امتدّ أملى إلى عُشر ماذكرت ، ولكن هذا فَضلك المعروف ، وجُودك المشهور . فأمر عُبيد الله بإخراج المال حتى صار بين يدى الرجل وقَبَضه ، وقال للجارية : ادخلى الحِجاب . فقال سيدها : أعزّك الله لو أذِنتَ لى فى وَداعها ؟ قال : نعم . فوقفت وقام ، وقال لها وعيناه تَدْمعان :

أَبُوحُ بحُزْن من فِراقك مُوجِعٍ ... أُقاسِى به ليلاً يُطيل تفكُّرِى
ولولا قعودُ الدهر بى عنكِ لم يكن ... يُفرّقنا شىءٌ سوى الموتِ فاعذُرى
عليكِ سلامٌ لا زيارةَ بيننا ... ولا وصلَ إلا أن يشاء ابنُ مَعمر

قال عُبيد الله بن مَعمر : قد شئتُ ذلك ، فَخُذْ جاريتَك ، وبارَك الله لك فى المال . فذهب بجاريته ومالِه ، فعاد غنيًا .

فهؤلاء أجواد الإسلام المشهورون فى الجود المَنسوبون إليه ، وهم أحدَ عشرَ رجلا كما ذكرنا وسمّينا ، وبعدهم طبقة أخرى من الأجواد ، قد شُهروا بالجود وعُرفوا بالكرم ، وحُمدت أفعالهم . وسنذكر ماأمكننا ذكره منها إن شاء الله تعالى .

الطبقة الثانية من الأجواد

فمنهم الحكم بن حنطب (١)

حديث نصيب عنه

قيل لنُصَيْب بن رباح : خَرِف شِعْرك أبا مِحْجن ؛ قال : لا ، ولكنْ خَرِف الكرم ، لقد رأيتُنى ومدحت الحَكَم بن حَنْطب ، فأعطانى ألفَ دينار ومائة

---

(١) هو الحكم بن المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنطب . (انظر الأغانى ج ١ ص ٣٦٦ طبعة دار الكتب المصرية . والأمالى) .

ناقة وأربعمائة شاة[1] .

جوده لأعرابى وشعر الأعرابى فيه

وسأل أعرابىّ الحكمَ بن حنطب ، فأعطاه خمسمائة دينار ؛ فبكى الأعرابىّ فقال : ما يُبكيك يا أعرابىّ ؟ لعلّك استقْلَلْتَ ما أعطيناك ؟ قال : لا والله ، ولكنى أبكى لما تأكل الأرضُ منك ، ثم أنشأ يقول :

وكأنّ آدمَ حين حان وَفاتُه   أوصاك وهو يجُود بالحَوْباء[2]
بِبَنيه أن تَرعاهُم فرَعيتَهم   وكَفَيْتَ آدمَ عَيْلة الأبناء

حديث بعض أهل منبج عنه

العُتبىّ قال : أخبرنى رجلٌ من أهل مَنْبِج ، قال : قدم علينا الحكم ابن حَنْطب ، وهو مُمْلِق فأغنانا . قال له : كيف أغناكم وهو مُملق ؟ قال : علّمنا المكارمَ فعاد غنيُّنا على فقيرنا .

ومنهم معن بن زائدة

بينه وبين رجل سأله أن يحمله

وكان يقال فيه : حدِّث عن البَحْر ولا حرج ، وحدِّث عن مَعن ولا حرج . وأتاه رجلٌ يسأله أن يحْمِله ، فقال : يا غلام ، أعطه فرساً وبِرْذوناً وبغلا وعَيْراً وبعيراً وجارية ، وقال : لو عرفتُ مَرْكوباً غيرَ هؤلاء لأعطيتُك .

لمروان بن أبى حفصة فى مدحه

العُتبىّ قال : لما قدِم مَعْن بن زائدة البَصرةَ واجتمع إليه الناس ، أتاه مَرْوان بن أبى حَفْصة فأخذ بِعِضادَتَىْ الباب[3] ، فأنشده شعره الذى قال فيه :

فما أحجمَ الأعداءُ عنك بَقِيَّةً[4]   عليك ولكن لم يروا فيك مَطْمَعا
له راحتان الحتفُ والجُود فيهما   أبَى اللهُ إلا أن يَضُرَّ وينفعا[5]

---

(١) ساق أبو الفرج هذا الخبر فى الأغانى وهو يختلف عنه هنا زيادة وألفاظا .

(٢) الحوباء : النفس .

(٣) عضادتا الباب : خشبتان من جانبيه .

(٤) كذا فى الأغانى (ج ١٠ ص ٩١ طبعة دار الكتب المصرية) . ويريد بالبقية : الإبقاء . والذى فى الأصول : « تقية » .

(٥) زيد فى الأغانى بعد هذين البيتين : « قال : فقال له معن : احتكم . قال : عشرة آلاف درهم . فقال معن : ربحنا عليك تسعين ألفا . قال : أقلنى . لا أقال الله من يقيلك » .

ومنهم يزيد بن المُهلَّب

كلمة لهشام بن حسان فيه

وكان هشام بن حسَّان إذ ذكره قال : والله إن كانت السُّفُن لتَجْرِى فى جُوده .

اعتذاره عن عدم بنائه داراً له

وقيل ليزيد بن المُهلَّب : مالك لا تبنى داراً ؟ قال : منزلى دار الإمارة أو الحَبْس .

فيه ليزيد بن عبد الملك حين أتى برأسه

ولما أُتى يزيدُ بن عبد الملك برأس يزيدَ بن المهلَّب نال منه بعضُ جلسائه ، ١١٥/١ فقال له : مَهْ ! إن يزيد بن المهلَّب طاب حَيًّا ، وركب عظيما ، ومات كريما .

مدحه الفرزدق فى الحبس فأثابه

ودخل الفرزدق على يزيدَ بنِ المهلَّب فى الحبس فأنشده :

صَحَّ فى قَيدِك السماحةُ والجو د وَفكُّ العُناة والإفضالُ[1]

قال : أتمدحنى وأنا فى هذه الحال ؟ قال : أصبتُك رخيصاً فاشتريتُك[2] . فأمر له بعشرة آلاف .

احتماله عن موسى ابن نصير ديته مائةمرة لسليمان ابن عبد الملك

وقال سُليمان بن عبد الملك لموسى بن نُصير : أُغرَم ديتَك خمسين مرة . قال : ليس عندى ما أغرم . قال : والله لتغرمنَّ ديتك مائة مرة . قال يزيد بن المُهلَّب : أنا أغرمها عنه يا أمير المؤمنين . قال : اغرم . فَغرمها عنه مائة ألف .

قصة عثمان بن حيان مع يزيد ابن المهلب

العُتبى قال : أخبرنى عَوَانة قال :

استعمل الوليدُ بن عبد الملك عثمانَ بن حَيّان المُرّى على المدينة وأمره

(١) فى الأصول : « والأغلال » . ورواية هذا البيت فى الشعر والشعراء (ص ٢٩٩ طبعة أوربة) :

أصبح فى قيدك السماحة والجو د وحمل الديات والحسب

والذى فى هبة الأيام :

أصبح فى قيدك السماحة والجو د وحمل الديات والحسب
لا بطر إن ترادفت نعم وصابر فى البلاء محتسب

ثم ذكر بعدها حديثاً يختلف عما هنا بعض الاختلاف .

(٢) فى الشعر والشعراء : « فأسلفتك » .

بالغِلْظة على أهل الظِّنّة ، فلمّا استُخْلف سليمانُ أخذه بألفى ألف درهم . فاجتمعت القَيسيَّة فى ذلك ، فتحمَّلوا شَطْرَها وضاقوا ذَرْعا بالشَّطْر الثانى ، ووافق ذلك استعمالُ سليمان يزيدَ بن المهلّب على العِراق . فقال عمر بن هُبيرة : عليكم بيزيدَ بن المُهلَّب فما لها أحدٌ غيره . فتحمَّلوا إلى يزيدَ وفيهم عمر بن هُبيرة ، والقَعقاع بن حَبيب ، والهُذيل بن زُفر بن الحارث ، وانتهوا إلى رُواق يزيد . قال يحيى بن أقْتل — وكان حاجباً ليزيد بن المهلَّب ، وكان رجلا من الأزد — : فاستأذنت لهم ، فخرج يزيدُ إلى الرُّواق فقرَّب ورحَّب ، ثم دعا بالغداء ، فأُتوا بطعام ، ما أنكروا منه أكثرُ مما عَرفوا . فلما تغدَّوْا ، تكلّم عثمان بن حيّان وكان لَسِناً مُفوَّها وقال : زادك الله فى توفيقك أيها الأمير ، إن الوليدَ بن عبد الملك وجَّهنى إلى المدينة عاملاً عليها ، وأمرنى بالغِلْظة على أهل الظِّنّة وصخد عليهم ، وإنّ سليمان أغرمنى غُرما ، والله ما يَسعه مالى ولا تحمله طاقتى ، فأتيناك لتَحمِل من هذا المال ما خفّ عليك ، وما بقى والله ثقيل علىّ . ثم تكلّم كلٌّ منهم بما حضره ، وقد اختصرنا كلامهم ، فقال يزيد بن المهلّب : مَرحبا بكم وأهلا ، إن خير المال ما قُضيت فيه الحقوق ، وحُملت به المَغارم . وإنما لى من المال ما فضل عن إخوانى ، وايم الله ، لو علمت أن أحداً أملأ بحاجتكم منّى لهديتكم إليه ، فاحتكموا وأكثروا . فقال عثمان بن حَيّان : النّصف ، أصلح الله الأمير . قال : نعم وكرامة ، اغدوا على مالكم فخُذوه . فشكروا له وقاموا فخرجوا . فلما صاروا على باب السُّرادق ، قال عُمر بن هُبيرة : قَبّح الله رأيكم ، والله ما يُبالى يزيدُ أنِصفَها تحمَّل أم كلَّها ، فمن لكم بالنِّصف الباقى ؟ قال القوم : هذا والله لرأى . وسمع يزيدُ مناجاتهم ، فقال لحاجبه : انظر يا يحيى إن كان بَقى على القوم شىء فليرجعوا . فرجعوا إليه ، وقالوا : أقِلْنا . قال : قد فعلتُ . قالوا : فإن رأيتَ أن تحملَها كُلَّها فأنت أهلُها ، وإن أبيت فما لها أحدٌ غيرك . قال : قد فعلت . وغدا يزيدُ بن المهلب إلى سليمان فقال : يا أمير المؤمنين أتانى عثمان بن حَيّان وأصحابه ، قال : أمْسِك فى المال ؟ قال نعم . قال سليمان :

والله لآخذنّه منهم . قال يزيد . إنى قد حملته . قال : فأدّه . قال يزيد : والله ما حملتهُ إلا لأؤديه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إن هذه الحَمالة وإن عظم خَطبها ، فَحَمْدها والله أعظم منها ، ويَدِى مبسوطة بيدك . فابسُطها لسُؤالها . ثم غدا يزيد بالمال على الخُزّان فدفعه إليهم . فدخلوا على سليمان فأخبروه بقبض المال . فقال : وَفَت يمينُ سليمان ، احملوا إلى أبى خالدٍ مالَه : فقال عدىّ ابن الرِّقاع العاملىّ :

وللهِ عَيْنا مَن رأى كَحَمالةٍ   تَحمَّلها كَبْشُ العِراق يزيدُ

بينه وبين رجل من قضاعة

الأصمعىّ قال : قدم على يزيدَ بن المُهلَّب قومٌ من قُضاعة من بنى ضِنَّة[1] ، فقال رجل منهم :

واللهِ ما نَدْرِى إذا ما فاتَنا   طَلَبٌ إليك مَن الذى نَتطلَّبُ
ولقد ضَرَبنا فى البِلاد فلم نَجدْ   أحداً سواكَ إلى المَكارم يُنسب
فاصبِرْ لعادَتِنا التى عوّدْتَنا   أو لاَ فأَرْشِدنا إلى من نَذْهب

وأمر له بألف دينار . فلما كان فى العام المُقبل وفَد عليه فقال :

مالِى أرى أبوابَهم مَهْجورةً   وكأنّ بابَك مَجمع الأسواق[2]
حابوكَ أم هابوكَ أم شامُوا النَّدَى   بيَدَيك فاجتمعُوا منَ الآفاق
إنّى رأيتُك للمَكارم عاشِقاً   والمَكْرُماتُ قليلةُ العُشّاق

(١) فى الأصول : « ضبة » : وهو تصحيف . (انظر الأمالى ج ٢ ص ٢٨٣ والأغانى ج ٢١ ص ٦٢ طبعة أوربة والمشتبه للذهبى) . والذى فى الأمالى أن هذا الشعر قاله الضبى لعبد الملك بن مروان .

(٢) مكان هذا الشعر فى الأمالى :

يرُبّ الذى يأتى من الخير إنه   إذا فعل المعروف زاد وتمما
وليس كبان حين تم بناؤه   تتبعه بالنقض حتى تهدما

ثم زيد بعد ذلك : « فأعطاه ألفى دينار ، ثم أتاه فى العام الثالث فقال :

إذا استمطروا كانوا معازير فى الندى   يجودون بالمعروف عوداً على يد

فأعطاه ثلاثة آلاف دينار » .

فأمر له بعشرة آلاف دِرْهم .

عطاؤه لأعرابية أهدت إليه عنزا

ومرّ يزيدُ بن المُهلب في طريق البَصرة بأعرابيَّة فأهدت إليه عَنْزاً فقبلها ، وقال لابنه معاوية : ما عندك من نَفقة ؟ قال : ثمانمائة دِرْهم . قال : ادفعها إليها . قال : إنها لا تعرِفك ويُرْضيها اليسير . قال : إن كانت لا تعرِفني ، فأنا أعرف نفسي ، وإن كان يُرضيها اليسير ، فأنا لا أرضَى إلا بالكثير .

ومنهم يزيد بن حاتم

منه إلى عالم ستوصله فوصله

وكتب إليه رجلٌ من العلماء يَستوصله ، فبعث إليه ثلاثين ألف دِرْهم ، وكتب إليه : أما بعد ، فقد بعثتُ إليك بثلاثين ألفاً لا أُكثّرها امتناناً ، ولا أُقلّلها تجبُّرا ، ولا أستثيبُك عليها ثناء ، ولا أقطع لك بها رجاء ، والسلام .

بينه وبين ربيعة الرقى الشاعر

وكان ربيعة الرَّقيّ قد قَدِم مصرَ فأتى يزيدَ بن حاتم الأزْديّ ، فلم يُعْطِه شيئاً ، فخرج وهو يقول :

أراني - ولا كُفْران لله - راجعاً بِخُفَّىْ حُنَين من نَوال ابنِ حاتمِ

فسأل عنه يزيدُ ، فأُخبر أنه قد خرج ، وقال كذا ، وأُنشِدَ البيت ؛ فأرسل في طَلبه ، فأُتِيَ به فقال : كيف قلتَ ؟ فأنشده البيتَ . فقال : شُغِلنا عنك . ثم أمر بخُفّيه فخُلِعتا من رجليه ومُلِئتا مالاً ، وقال : ارجع بها بدلا من خُفى حُنين . فقال فيه لمّا عُزِل عن مصر ووُلى مكانه يزيد بنُ أُسَيْد[1] :

بَكَى أهلُ مصرٍ بالدُّموع السَّواجِم غداةَ غدا منها الأغرُّ ابنُ حاتِم

وفيها يقول :

لَشتّانَ ما بين اليَزيدَيْن فى النَّدى يزيدِ سُلَيم والأغرِّ ابن حاتِم
فهَمُّ الفتى الأزْدِىِّ إتلافُ مالِه وهَمُّ الفتَى القَيْسِىّ جَمْعُ الدَّراهم
فلا يَحْسب التَّمْتام أنى هَجوتُه ولكنَّنى فضّلت أهلَ المكارم

(١) انظر الحاشية (رقم ٢ ص ٢٨٧) من هذا الجزء .

وخرج إليه رجلٌ من الشعراء يَمدحه ، فلما بلغَ مصر وجدَه قد مات ، فقال فيه : لبعض الشعراء فى رثائه

لئن مصرُ فاتَتْني بما كنتُ أرْتجى   وأحلَفنى منها الذى كنتُ آملُ
فما كلّ ما يَخشى الفتى بمُصيبِه   ولا كلُّ ما يرجو الفتى هُوَ نائل
وما كان بَيْنى لو لَقِيتُك سالما   وبين الغِنَى إلاّ ليـــالٍ قلائل

ومنهم أبو دلف

واسمه القاسم بن إسماعيل ، وفيه يقول علىُّ بن جَبلة : للشعراء فى مدحه

إنّما الدُّنيـــا أبو دُلَفٍ   بَين مَبْداهُ ومُحْتَضَرِهْ[1]
فإذا ولّى أبو دُلف   ولّتِ الدُّنيا على أثَرِه

وقال فيه رجل من شعراء الكوفة[2] :

١١٧/١ اللهُ أجرَى من الأرزاقِ أكثرَها   عَلَى العِباد على كَفّىْ أبى دُلَفِ[3]
بارَى الرياحَ فأعطَى وهى جاريَةٌ[4]   حتى إذا وقفتْ أعطى ولم يَقِف
ما خطّ « لا » كاتِباه فى صَحِيفته   يوماً كما خُطّ « لا » فى سائر الصُّحُف

فأعطاه ثلاثين ألفاً[5] .

ومدحه آخرُ فقال له :

يُشْبِهه الرعدُ إذا الرعدُ رَجَفْ   كأنه البرقُ إذا البرقُ خَطَفْ

(١) مبداه ومحتضره ، يريد : حلوله البدو وحلوله الحضر . وفى رواية : « باديه » وهى بمعناها . وفى رواية : « مغزاه » . أى حين يغزو .

(٢) الشاعر هو على بن جبلة . (انظر الأغانى ج ١٨ ص ١٠٩ طبعة بلاق) .

(٣) فى الأغانى :

على يديك فشكراً يا أبا دلف

(٤) فى الأغانى :

أعطى أبو دلف والريح عاصفة

(٥) تختلف القصة فى الأغانى عنها هنا زيادة وألفاظا .

كأنه الموتُ إذا الموتُ أزِف ... تَحمِله إلى الوغى الخيلُ القُطُف[1]
إنْ سار سار المجـدُ أو حلّ وقَف ... أنظرْ بعَيْنيك إلى أسنى الشّرف
هل نالَه بقُــدْرةٍ أو بكُلَف ... خَلْقٌ من الناس سِوَى أبي دُلَف

فأعطاه خمسين ألفاً .

ومن أخبار معن بن زائدة

مدح لبعض الشعراء فيه استحسنه الرشيد وأنشده

قال شَرَاحيل[2] بن مَعْن بن زائدة :

حجّ هارون الرشيدُ وزميلُه أبو يوسف القاضى ، وكنتُ كثيراً ما أُسايره ، إذ عَرض له أعرابىٌّ من بنى أَسَدٍ فأنشده شِعْراً مدحه فيه وأَفْرَط ؛ فقال له هارون : ألم أنْهكَ عن مثل هذا فى مَدْحك يا أخا بنى أسد ؟ إذا قلتَ فينا فقل كقول القائل فى أب هذا :

بنو مَطَرٍ يومَ اللقاء كأنّهــم ... أُسودٌ لها فى غِيل خفّان[3] أشْبُلُ
هُمُ يَمنعون الجارَ حتى كأنما ... لجارهمُ بين السِّماكين مَنْزِل
بهاليل[4] فى الإسلام سادُوا ولم يكُن ... كأوّلهم فى الجاهليّــة أوّل
وما يَسْتطيع الفاعلون فعالَهم ... وإن أحسنُوا فى النّائبات وأَجْمَلُوا
هُمُ القومُ إن قالوا أصابُوا وإن دُعُوا ... أجابوا وإنْ أعطَوْا أطابوا وأجْزَلوا

ومنهم خالد بن عبد الله القسرى

لشاعر فى مدحه

وهو الذى يقول فيه الشاعر :

إلى خالدٍ حــتى أنَخْن بخالدٍ ... فنِعْم الفَتى يُرْجَى ونِعْمَ المُؤَمَّلُ

(١) القطف : جمع قطوف ، وهى الفرس تقارب الخطو فى سرعة .
(٢) كذا فى الطبرى . والذى فى الأصول : « شرحبيل » .
(٣) خفان (كحسان) : موضع كثير الغياض قرب الكوفة ، وهو مأسدة ، والذى فى الأغانى (ج ١٠ ص ٩٠ طبعة دار الكتب) : « فى بطن خفان » . وهذا الشعر لمروان بن أبى حفصة يمدح به معن بن زائدة .
(٤) فى الأغانى : « لهاميم » . ولهاميم : جمع لهميم ، وهو السابق الجواد .

جائزته لأعرابي قصده

بينا خالد بن عبد الله القَسْرىّ جالس فى مِظَلّة له إذ نظر إلى أعرابىّ يَخُبّ به بعيرُه مُقبِلاً نحوه ، فقال لحاجبه : إذا قَدِم فلا تَحْجُبْه . فلما قَدِم أدخله عليه فسلّم وقال :

أصلحك اللهُ قَلّ ما بيدِى فما أُطِيق العِيالَ إذ كَثُروا
أناخ دهرٌ ألقى بكَلْكَلِه فأرسلُونى إليك وانتظروا

فقال خالد : أرسلوك وانتظروا ؟ والله لا تنزل حتى تنصرف إليهم بما يَسُرّهم ، وأمر له بجائزة عظيمة وكُسوة شريفة .

ومنهم عدى بن حاتم

بينه وبين ابن دارة الشاعر

دخل عليه ابنُ دارة فقال : إنى مدحتُك ؟ قال : أمسك حتى آتيك بمالى ، ثم امدَحْنى على حَسبه ، فإنى أكره ألاّ أعطيك ثمن ما تقول ، لى ألفُ شاة وألف دِرْهم وثلاثة أعْبُد وثلاث إماء وفرَسى هذا حُبِس فى سبيل الله ، فامدَحْنى على حَسب ما أخبرتُك . فقال :

تَحِنُّ قَلوصى فى مَعَدٍّ وإنما تُلاقِى الربيعَ فى ديار بنى ثُعَلْ
وأبقى الليالى من عدىّ بن حاتمٍ حُساماً كنَصْلِ السيف سُلّ من الخِلَلْ[1]
أبوك جوادٌ لا يُشَقّ غُباره وأنت جوادٌ ما تَعذَّرُ[2] بالعِلَلْ
فإن تتقوا[3] شرّاً فمثلكُم اتّقى وإن تفعلوا خيراً فمثلكُم فَعلْ

قال له عَدِىّ : أمسك لا يبلغ مالى أكثرَ من هذا .

---

(١) الخلل جمع خلة (بالكسر) ، وهى جفن السيف المغشى بالأدم .
(٢) كذا فى الشعر والشعراء . وما تعذر ، يريد ما تتعذر ، . والذى فى الأصول « ليس تعذر » .
(٣) كذا فى الشعر والشعراء . والذى فى الأصول : « تفعلوا » .

أصفاد الملوك على المدح

١١٨/١ سَعيد بن مُسلم الباهلىّ قال :

بين الرشيد وأعرابي مدحه ومدح ابنيه الأمين والمأمون

قَدم على الرشيد أعرابىّ من باهلةَ وعليه جُبّة حِبَرة ورِداء يَمان ، قد شدّه على وسطه ، ثم ثَناه على عاتقه ، وعِمامته ، قد عَصبها على فَوْدَيْه ، وأرْخى لها عَذَبة من خَلْفه . فمَثَل بين يدى الرشيد . فقال سعيد : يا أعرابى ، خُذْ فى شرف أمير المؤمنين . فاندفع فى شعره . فقال الرشيد : يا أعرابى ، أسمعك مُسْتحسناً وأُنكرك مُتّهِما ، فقل لنا بيتين فى هذين . — يعنى محمداً الأمين وعبد الله المأمون ابنيه وهما عن حِفافيه — فقال : يا أمير المؤمنين ، حَملتنى على الوَعْر القَرْدد[١] ، ورجعتنى عن السَّهل الجَدد[٢] ، رَوْعة الخلافة ، وبُهْر الدَّرجة ، ونفور القَوافى على البديهة ، فأَرْوِدنى تتألّفْ لى نَوافرُها ، ويُسْكُنْ رُوعى . قال : قد فعلتُ ، وجعلت اعتذارَك بدلاً من امتحانك . قال : يا أمير المؤمنين ، نَفّست الخِناق ، وسَهّلت مَيدان السِّباق ؛ فأنشأ يقول :

بَنَيتَ لعَبْـــد الله ثم محمّدٍ ذُرَى قُبّة الإسلام فاخضرّ عُودُها
هما طُنُباها[٣] بارَكَ اللهُ فيهما وأنت أميرَ المؤمنـــين عَمودُها

فقال الرشيد : وأنت يا أعرابىّ ، بارك الله فيك ، فَسلْ ولا تـكن مسألتك دون إحسانك . قال : الهُنَيْدة[٤] يا أمير المؤمنين . فأمر له بمائة ناقة وسَبْع خِلَع .

شعر لمروان ابن أبى حفصة فى مدح المهدى وجائزة المهدى هو وآل بيته له

وقال مروان بن أبى حفصة : دخلت على المهدىّ فاستنشدنى ؛ فأنشدته الشعر الذى أقول فيه :

---

(١) القردد : ما ارتفع وغلظ من الأرض .
(٢) كذا فى ب . والجدد (محركة) : الأرض الغليظة المستوية . والذى فى سائر الأصول : « الجدود » وهو تحريف .
(٣) الطنب (بضمتين) : حبل طويل يشد به سرادق البيت ، أو هو الوتد .
(٤) الهنيدة : اسم للمائة من الإبل ، أو لما فوقها ودونها ، أو للمائتين .

طَرَقتْك زائرةً فحَىِّ خيالَها   بيضاء تَخْلِط[1] بالحياء[2] دَلالَها
قادتْ فؤادَك فاستقاد ومثلُها   قاد القلوبَ إلى الصِّبَا فأمالَها

حتى انتهيتُ إلى قولى :

شَهِدتْ من الأنفال آخرُ آية[3]   بتُراثِهِمْ[4] فأردتُمُ إبطالَها
أو تجحدون مقالةً عن رَبِّكم[5]   جبريلُ بلّغها النبىَّ فقالَها
هل تَطْمِسون من السماء نُجومَها   بأكفِّكم أو تسترون هِلالَها

قال : وأنشدته أيضاً شعرى الذى أقول فيه :

يابْنَ الذى ورِث النبىَّ محمداً   دون الأقارب من ذَوى الأرحام
الوَحْىُ بين بَنى البَناتِ وبينكم   قُطِع الخِصامُ فلاتَ حينَ خِصَام
ما للنساء مع الرِّجال فريضةٌ   نزلتْ بذلك سورةُ الأنعام
أنَّى يكونُ وليس ذاك بكائنٍ   لِبَنى البناتِ وراثةُ الأعمام
ألغَى سِهامَهم الكتابُ فحاوَلوا   أن يَشْرَعوا فيها بغير سِهام
ظَفِرتْ بنو ساقى الحجيج بحقِّهم   وغُرِرتُم بِتَوَهُّم الأحلام

قال مروان بن أبى حفصة : فلما أنشدت المهدىَّ الشعرَيْن ، قال : وجَب حقُّك على هؤلاء — وعنده جماعةٌ من أهل بيته — قد أمرت لك بثلاثين ألفاً ، وفرضتُ على موسى خمسة آلاف ، وعلى هارون مثلَها ، وعلى علىّ أربعة آلاف ، وعلى العبّاس كذا ، وعلى فلان كذا . فحسَبتُ سبعين ألفاً . قال : فأمر بالثلاثين ألفاً فأُتِى بها ، ثم قال : اغدُ على هؤلاء ، وخُذ ما فرضتُ لك ، فأتيْت موسى ،

(١) كذا فى الأغانى . والذى فى الأصول : « بيضاء تنشر » .
(٢) كذا فى ب . والذى فى الأغانى : « بالجمال » . والذى فى سائر الأصول : « بالخباء » . وهو تصحيف .
(٣) يريد قوله تعالى : « والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله إن الله بكل شىء عليم » .
(٤) كذا فى الأغانى . والذى فى الأصول : « ببراءة فرجوتم » .
(٥) كذا فى الأغانى . والذى فى الأصول : « أو تدفعون ... ربه » .

فأمر لى بخمسة آلاف ، وأتيت هارون فأمر لى بمثلها ، وأتيتُ عليًّا ، قال : قَصَّر بى دون إخوتى فلن أُقصِّر بنفسى ، فأمر لى بخمسة آلاف ، فأخذتُ من الباقين سبعين ألفاً .

بين أعشى ربيعة وعبد الملك بن مروان

ودخل أعشى رَبيعة على عبد الملك بن مروان وعن يمينه الوليدُ ، وعن يساره سُليمان . فقال له عبد الملك : ماذا بَقِى يا أبا المُغيرة ؟ قال : مضَى ما مضى و بقى ١١٩/١
[ما بَقى[١]] ، وأنشأ يقول :

وما أنا فى حَقِّى ولا فى خُصومتى بمُهْتَضَمٍ حقِّى ولا قارعٍ سِنِّى
ولا مُسْلِمٍ مَولاى من سُوء ما جنَى[٢] ولا خائفٍ مولاى من سُوء ما أجنى
وفَضْلِىَ فى الأقوال والشعرِ أنّنى أقولُ الذى أعنِى وأعرفُ ما أعنِى[٣]
وأنّ فؤادى بين جَنبىّ عالمٌ بما أبصرتْ عَيْنى وما سَمِعتْ أذنى
وأنّى[٤] وإن فَضّلت مَروانَ وابنَه على الناس قد فَضّلت خيرَ أبٍ وابن

فضحك عبدُ الملك ، وقال للوليد وسليمان : أتلومانى على هـــذا ؟ وأمر له بعشرة آلاف .

العُتبىّ قال :

صلة عبد الرحمن ابن أم الحكم للفرزدق على بيتين

دخل الفَرزدق على عبد الرحمن [الثّقفى[٥]] بن [أم[٦]] الحكم ، فقال له عبدُ الرحمن : أبا فِراس ، دَعْنى من شعرك الذى لا يأتى آخرُه حتى يُنسَى

(١) زيادة يقتضيها السياق . والذى فى ب : « مضى وبقى » .
(٢) فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٢٧٧) والأغانى (ج ١٠ ص ١٦٠) : « عند جنابة » مكان قوله « من سوء ما جنى » .
(٣) رواية هذا البيت فى عيون الأخبار والأغانى :
وفضلى فى الشعر واللب أننى أقول على علم وأعلم ما أعنى
(٤) فى عيون الأخبار والأغانى : « فأصبحت إذ » مكان قوله : « وأنى وإن » .
(٥) هذه الكلمة عن الأمالى .
(٦) هذه الكلمة عن ديوان الفرزدق .

أوّله ، وقُل فىّ بيتين يعلقان أفواه الرُّواة ، وأُعطيكما عطيةً لم يُعْطِكها أحدٌ قبلى . فغدا عليه وهو يقول :

وأنت ابنُ بَطْحَاوَىْ قُريش[1] فإن تَشأ ... تكُنْ فى[2] ثقيفَ سَيْلَ ذى حَدَبٍ غَمْرِ[3]

وأنت ابنُ فَرْعٍ ماجدٍ لِعَقِيلةٍ ... تَلقّت له الشمسُ المُضيئة بالبَدْرِ[4]

قال : أحسنت . وأمر له بعشرة آلاف .

بين الفضل بن يحيى وفتى من التجار اعترضه فى طريقه مادحا له

أبو سُويد قال : أخبرنى الكُوفىّ قال :

اعترض الفضل بن يحيى بن خالد فى وقت خُروجه إلى خُراسان فَتًى من التجّار كان شَخَص إلى الكوفة فقُطِع به وأُخِذ جميعُ ما كان معه ، فأخذ بعِنان دابّة الفضل وقال :

سأُرْسِل بَيْتًا ليس فى الشِّعر مثلُه ... يُقطِّع أعناقَ البُيوت الشَّوارِدِ

أقام النَّدى والبأسُ فى كلِّ منزل ... أقامَ به الفضلُ بن يحيى بن خالدِ

قال فأمر له بمائة ألف دِرْهم .

جائزة زبيدة لمروان بن أبى حفصة لمدحه الأمين

العُتبىّ : قال أبو الجَنوب مَرْوان بنُ أبى حَفْصَة أبياتاً ورفعها إلى زُبيدة بنت جعفر يمتدح ابنها محمداً ، وفيها يقول :

---

(١) قد سميت قريش فى الجاهلية قريش البطحاء ، وهم الذين كانوا ينزلون الشعب بين أخشبى مكة ؛ وقريش الظواهر ، وهم الذين كانوا ينزلون خارج الشعب . وأكرمهما قريش البطاح . فالمراد ببطحاوى : بطحاء قريش . وقد قالت العرب الرقمتان ورامتان وأمثال ذلك وهى تريد واحدا . وقيل : بل المراد : بطحاء قريش وبطحاء المدينة . وفى هذا تعسف : لأن العرب لم تكن نزلت المدينة عند هذه التسمية . (انظر معجم البلدان) . وقيل أراد أعلى مكة وأسفلها ، أى عبد شمس وبنى هاشم . (انظر ديوان الفرزدق) .

(٢) كذا فى معجم البلدان . والذى فى العمدة : « تكن من » . والذى فى ديوان الفرزدق : « تنل من » . والذى فى الأصول : « فكن من » .

(٣) الحدب : الحدور فى صبب .

(٤) كذا فى الديوان ، ويريد بالشمس والبدر : أمه وأباه . وله ، أى لأجله . وقوله : « بالبدر » متعلق بقوله « تلقت » . والذى فى الأصول والعمدة :

وأنت ابن سوار اليدين إلى العلا ... تلقت بك الشمس المضيئة للبدر

لله دَرُّكِ يا عَقِيـلة جعفرِ ماذا ولدتِ من العُلا والسُّودَدِ
إنّ الخِـلافةَ قد تبيّن نُورُها للناظِرين على جَبين مُحَمّد

فأمرت أن يُملأ فَمُه دُرًّا .

صلة الحسن بن سهل لعلى بن جبلة

وقال الحسنُ بنُ رجاء الكاتب : قَدِم علينا علىّ بن جَبَله إلى عَسْكر الحسن ابن سَهل والمأمون هناك بانياً على خديجة بنت الحسن بن سهل ، المعروفة ببُوران ، ونحن إذ ذاك نُجرى على نيِّف وسبعين ألف فلّاح[1] ، وكان الحسن بن سهل مع المأمون يتصبّح ، فكان الحسنُ يجلس للناس إلى وقت انتباهه . فلما قَدِم علىّ ابن جُبَلة نزل بى ، فقلت له ، قد قَوِى شُغل الأمير . قال : إذاً لا أضيع معك . قلت : أجَلْ . فدخلت على الحسن بن سهل فى وقت ظُهوره فأعلمتهُ مكانَه . فقال : ألا ترى ما نحن فيه ؟ فقلت : لستَ بمشغول عن الأمرِ له . فقال : يُعطَى عشرةَ آلاف إلى أن نتفرّغ له . فأعلمت علىَّ بن جبلة . فقال فى كلمة له :

أعطيتَنى يا وَلىّ الحق مُبتدئاً عطيّةً كافأتْ حَمْدى ولم تَرَنِى
ما شِمتُ برقَكَ حتى نِلتُ رَيِّقه كأنما كنتَ بالجدْوى تُبادرنى

بين ابن طوق ورجل غرض

عرض رجل لابن طَوْق ، وقد خرج متنزِّهاً فى الرّحبَة ، فناوله رقعةً فيها جميع حاجته ، فأخذها فإذا فيها :

جعلتُك دُنياىَ فإن أنتَ جُدْتَ لى بخـيرٍ وإلا فالسّلام على الدُّنيا

١٢٠/١ فقال : والله لأُصدِّقن ظنك . فأعطاه حتّى أغناه .

بين عبد الله بن طاهر ودعبل بن على الخزاعى

عَرض دِعْبل بن علىّ الشاعر لعبد الله بن طاهر الخُراسانىّ ، وهو راكب فى حَرّاقة له فى دِجلة ، فأشار إليه برُقْعة ، فأمر بأخذها فإذا فيها :

عَجِبْتُ لحرّاقةِ ابنِ الحُسيْـن كيفَ تَسير ولا تَغرَقُ
وبحـران : من تحتها واحدٌ وآخر من فَوْقها مُطْبِق

(١) فى الأصول : « ملاح » . وهو تحريف . ويريد بقوله « نجرى عليهم » أى نعطيهم ما يستحقونه من الجرايات والأرزاق .

وأعجبُ مِن ذاكَ عِيدانُها   إذا مَسَّها كيف لا تُورِق

فأمر له بخمسة آلاف دِرْهم وجارية وفَرَس .

بين ابن طاهر ودعبل

وخرج عبدُ الله بن طاهر ، فتلقّاه دِعْبل بُرُقعة فيها :

طلعتْ قَنَاتُك بالسعادة فوقَها   مَعْقودةً بلواء مُلْكٍ مُقْبِلِ(١)

تَهتزّ فوق طَرِيدتَيْن كأنما   تَهفُو يُقَصّ(٢) لها جَناحا أَجْدل

رَبِح البَخيلُ على احتيالِ عِرضه   بِنَدَى يدَيْك ووَجْهك المتهلّل(٣)

لو كان يَعلم أن نَيْلك عاجلٌ   ما فاض منه جَدْوَل فى جَدْول(٤)

فأمر له بخمسة آلاف .

جائزة عبد الله ابن طاهر لبعض مداحه من الشعر

ووقف رجل من الشعراء إلى عبد الله بن طاهر فأنشده :

إذا قيل أىّ فتًى تعلمون   أهشَّ إلى البَأس والنّائل

وأضربَ لِلهام يومَ الوغى   وأطعَم فى الزّمن المَاحِل

أشار إليك جميعُ الأنام   إشارةَ غَرْقَى إلى ساحل

فأمر له بخمسين ألف درهم .

بين عبد الله ابن طاهر وأحمد ابن مطير فى جائزة نالها ابن مطير من بعض الولاة

أحمد بن مُطَير قال : أنشدتُ عبدَ الله بن طاهر أبياتاً كنتُ مدحت بها بعضَ الوُلاة ، وهى :

له يومُ بُؤْسٍ فيه للناس أبْؤُسٌ   ويومُ نَعِيمٍ فيه للناس أَنْعُمُ

فيَقْطُر يومَ الجود من كفّه النّدى   ويقطُر يومَ البُؤس من كفّه الدّم

فلو أنّ يومَ البُؤس لم يَثْنِ كفّه   عن الناس لم يُصبح على الأرض مُجرم

---

(١) يريد بالقناة : القناة التى يعقد فوقها لواء الأمير .

(٢) فى الأصول : « يفصلها » . ولعلها محرفة عما أثبتناه .

(٣) يريد أن جود الممدوح قد كفى السائلين أن يسألوا البخلاء فيمنعوهم فيذموا لذلك ، فقد وفر الممدوح على البخلاء أعراضهم بكرمه .

(٤) الظاهر من معنى هذا البيت أنه يشير إلى بحر مريدا تفضيل الممدوح عليه فى الجود ، مع ملاحظة أنه لم يسبق للبحر ذكر فى هذا الشعر . فلعل هنا بيتاً أو أكثر قد سقط من الناسخ قبل هذا البيت .

ولو أنَّ يوم الجُود فرَّغ كفه   لبذْل الندَى ما كان بالأرض مُعدم

فقال لى عبدُ الله : كم أعطاك ؟ قلتُ خمسةَ آلاف ؛ قال : فقبِلتَها ؟ قلت : نعم ؛ قال لى : أخطأت ، ما ثمن هذه إلا مائة ألف .

صلة المنصور لحماد عجرد على بيتين

ودخل حمّاد عَجْرد على أبى جعفر بعد موت أبى العبّاس أخيه فأنشده :

أنوك بعد أبى العبّاس إذ بانَا   يا أكرمَ الناس أعراقًا وعِيدانَا
لو مَجَّ عُودٌ على قوم عُصارتَه   لمَجَّ عودُك فينا الشُّهدَ والبانا

فأمر له بخمسة آلاف درهم .

القَحْذَمىّ قال :

موسى شهوات والسعيدين : بن خالد بن عمرو وابن خالد بن أسيد

جاء موسى شهوات[1] إلى سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ، فقال : إنّ هنا جارية تعشَّقتُها ، وأبَوْا أن يَنقصُونى عن مائتى دينار . فقال : بورك فيه . فذهب إلى سعيد بن خالد بن أَسيد ، وأمه عائشة بنت طلحة الطَّلحات[2] ، فدعا بمِطْرف خزّ فبسطه وعقد فى كل رُكن من أركانه مائة دينار ، وقال لموسى : خذِ المِطْرف بما فيه ؛ فأخذه ، ثم غدا عليه فأنشده :

أبا خالدٍ أعنِى سعيدَ بن خالدٍ   أخا العُرْف لا أعنِى ابنَ بِنْت سَعيدِ[3]
عَمِيدَ الندى ما عاشَ يرضَى به الندَى   فإن مات لم يرضَ الندى بعَمِيد ١٢١/١
دَعُوه دَعُوه إنكم قد رَقدتمُ   وما هو عن أحسابكم برَقُودِ

شعر لأبى العباس الزبيرى فى آل مروان

العُتبىّ : سمعت عمّى ينشد لأبى العبّاس الزُّبيرىّ :

وكلُّ خليفةٍ ووَلِىّ عَهدٍ   لكُم يا آلَ مرْوانَ الفِداء
إمارتُكم شِفاء حيثُ كانت   وبعضُ إمارةِ الأقوامِ داء

(١) فى الأصول : « سهران » . وهو تحريف .
(٢) طلحة الطلحات : هو أبو محمد طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى ؛ وإنما قيل له : طلحة الطلحات ، لأن أمه طلحة بنت أبى طلحة (انظر وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧١).
(٣) ابن بنت سعيد : هو سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ، وأمه بنت سعيد بن العاص .

فأنتم تُحْسِنون إذا مَلكتم وبعضُ القوم إن مَلكوا أساءوا
أأجعلكم وغيرَكم سواء وبينكم وبينهمُ الهواء
هُمُ أرض لأرجلكُم وأنتم لأيديهم وأرجلهم سماء[1]

فقلت له : كم أعطى عليها ؟ قال : عشرين ألفاً .

بين أبى مسلم ورؤبة

الأصمعىّ قال : حدّثنى رُؤْبة قال : دخلتُ على أبى مُسلم صاحب الدعوة ، فلما أبصرنى نادى : يا رؤْبة ، فأجبته :

لَبَّيك إذ دعوتنى لبَّيكا[2] أحمدُ ربًّا ساقنى إليكا
الحمد والنِّعمة فى يَدَيْكا

قال : بل فى يدى الله تعالى . قلت له : وأنت إذا أنعمت أجدْت . ثم قلت : يأذن لى الأمير فى الإنشاد ؟ قال : نعم ، فأنشدته :

ما زال يأتى المُلْكَ من أقطارِه وعن يَمينه وعن يَسارِهِ
مُشمِّراً لا يُصْطلى بنَاره حتى أقرَّ المُلكَ فى قَراره

فقال : يا رؤْبة ، إنك أتيتنا وقد شفَّ المالُ واستنفده الإنفاق ، وقد أمرنا لك بجائزة وهى تافهة يَسيرة ، ومنك العَوْد وعلينا المُعوَّل ، والدهرُ أطرقُ مُسْتَتِبٌ[3] فلا تجعل بيننا و بينك الأسِدَّة . قال رُؤْبة : فقلت : الذى أفادنى الأميرُ من كلامه أكثرُ من الذى أفادنى من ماله .

نصيب وهشام ابن عبد الملك

ودخل نُصيب بن رباح على هشام فأنشده :

إذا استبق الناسُ العُلا سَبَقْتَهمُ يمينُك عَفْواً ثم صَلَّت شِمالَكَ[4]

---

(١) فى الأصول : « سواء » . وهو تحريف .
(٢) فى الأغانى : « قلت وقولى مستجد جوكا »
(٣) البعير الأطرق : البين الطرق . والطرق ضعف فى الركبة واليدين ، وإذ ذاك يكون ضعيفا . والمستتب : الذليل . والواو فى « والدهر » واو الحال ، أى إن لك العودة حين ينزل الدهر على حكمنا ويستذل لأمرنا .
(٤) صلت : تبعت وجاءت تالية . والذى فى الأغانى (ج ١ ص ٢٣٩ طبعة دار الكتب) . « شمالها » مكان قوله شمالك » .

فقال هشام : بلغتَ غاية المدح فسَلْنى . فقال : يا أمير المؤمنين ، يداك بالعطيّة أطلقُ من لسانى بالمسألة ؟ قال : لا بد أن تفعل ؟ قال : لى أُبنة نفضتُ عليها من سَوادى فـكَسدها ، فلو أنفقها أمير المؤمنين بشىء يجعله لها ؟ قال : فأقطعها أرضاً ، وأمر لها بحُلَى وكُسوة فنفقت السوداء .

صلة عبد الله بن جعفر لنصيب

الرِّياشى عن الأصمعى ، قال : مَدح نُصيب بن رَباح عبدَ الله بن جعفر ، فأمر له بمال كثير ، وكُسوة شريفة ، ورَواحل مُوقَرة بُرًّا وتمرا . فقيل له : أتفعل هذا بمثل هذا العبد الأسود ؟ قال : أما لئن كان عبدًا إن شِعْرَه فى لحُرّ ، ولئن كان أسودَ إنّ ثناءه لأبيض ، وإنما أخذ مالاً يفنى ، وثيابا تَبْلى ، ورواحل تنضى ، وأعطى مديحا يُرْوى ، وثَناء يَبْقى .

بين هشام وأبى النجم العجلى

وذكروا عن أبى النَّجْم العِجْلىّ أنه أنشد هِشاماً شعره الذى يقول فيه :

* الحمدُ لله الوهوب المُجْزِل *

وهو من أجود شعره ، حتى انتهى إلى قوله :

* والشمسُ فى الجوّ كَعَينِ الأَحْوَلِ *

وكان هشامٌ أحولَ ، فأغضبه ذلك ، فأمر به فطُرِد . فأمّل أبو النّجم رَجعتَه ، فكان يأوى إلى المسجد . فأرق هِشام ذاتَ ليلة فقال لحاجبه : ابغنى رجلاً عربيا فَصيحا يُحدّثنى ويُنشدنى . فطلب له ما سأل ، فوجد أبا النّجم ، فأتى به . فلما دخل عليه قال : أين تـكون منذ أقْصيناك ؟ قال : حيثُ ألقانى رسولُك . قال : فمن كان أبا النجم أبا مَثْواك ؟ قال : رجلين أتغدّى عند أحدهما وأتعشّى عند الآخر . قال : فمالك من الوَلد ؟ قال : ابنتان . قال : أزوّجتَهما ؟ قال : زوّجت إحداهما . قال : فبِمَ أوصيتها ليلة أهديتها ؟ قال : قلت لها :

سُبّى الحَماة وابْهَتى عليها ... وإن أبتْ فازدانى إليها
ثم اقرعى بالعُود مِرْفقيها ... وجَدّدى الخُلْف به عليها

قال : فل أوصيتها بعد هذا ؟ قال : نعم :

أوصيتُ من بَرَّةَ قلباً بَرّا بالكلب خيراً والحماة شرّا
لا تسأمِى خَنْقاً لها وجَرّا والحىّ عُمِّيهم بشرٍّ طُرّا
وإن كسَوْكِ ذهباً ودُرّا حتى يَرَوْا حُلْو الحياة مُرّا

قال هشام : ما هكذا أوصى يعقوب وَلده . قال أبو النجم : ولا أنا كيعقوب ولا ولدى كولده . قال : فما حال الأُخرى ؟ قال : هى ظلاّمة التى أقول فيها :

كان ظلاّمة أختَ شيبان يَتيمة ووالداها حَيّـانْ
الرأس قَمْل كله وصِئْبان وليس فى الرِّجلين إلا خيطان
فهى التى يَذْعر منها الشّيطان

قال هشام لحاجبه : ما فعلت بالدنانير التى أمرتك بقبضها ؟ قال : هى عندى ، وهى خمسمائة دينار . قال له : ادفعها لأبى النجم ليجعلها فى رِجْلَى ظلاّمة مكان الخيطين .

جائزة مروان ابن محمد لطريح الثقفى وذى الرمة على مدحهما له

أبو عُبيدة قال : حَدَّثنى يونس بن حَبيب قال :

لما استُخلف مروان بن محمد دخل عليه الشعراء يهنّئونه بالخلافة ، فتقدّم إليه طُريح بن إسماعيل الثقفى ، خال[1] الوليد بن يزيد ، فقال : الحمد لله الذى أنعم بك على الإسلام إماما ، وجعلك لأحكام دينه قِواما ، ولأُمة محمد المصطفى جُنّة ونظاما ، ثم أنشده شعره الذى يقول فيه :

تَسوء عداكَ فى سَداد ونَعْمة خلافتُنا تِسْعين عاما وأشهرا

فقال مروان : كم الأشهر ؟ قال : وفاء المائة يا أمير المؤمنين ، تبلغ فيها أعلى درجة وأسعد عاقبة فى النُّصرة والتمكين . فأمر له بمائة ألف درهم .

ثم تقدّم إليه ذو الرّمة مُتحانياً كَبْرَةً[2] قد انحلت عمامته مُنحدرةً على

(١) فى الأصول : « قال » . والتصويب عن الأغانى .
(٢) أى إنه طعن فى السن فتقوس ظهره .

وجهه ، فوقف يُسوِّيها . فقيل له : تقدَّم . قال : إني أُجِلّ أمير المؤمنين أن أخطُب بشَرفه مادحاً بلَوْثة عِمامتي . فقال مَروان : ما أمَّلتُ أنه قد أبقت لنا منك مَحَ ولا صَيْدح(١) في كلامك إمْتاعاً . قال : بلى والله يا أمير المؤمنين ، أرِد(٢) منه قَراحا ، والأحْسن امتداحا . ثم تقدّم فأنشد شعرا يقول فيه :

فقلتُ لها سِيرِى أمامك سَيِّدٌ ... تفرّع من مَروان أو من مُحمَّدِ

فقال له : ما فعلتْ مَىّ ؟ فقال : طُويت غَدائرِها ببُرْد بَلِىً ، ومحا التُّرب محاسن الخد فالتفت مروان إلى العَباس بن الوليد ، فقال : أما ترى القوافى تنثال انثيالا ، يُعطَى بكل من سَمّى من آبائى ألفَ دينار . قال ذو الرُّمة : لو علمتُ لبلغتُ به عبدَ شمس .

مدح إبراهيم بن هرمة للمنصور وصلة المنصور إياه

الربيعُ حاجبُ المنصور قال : قلت يوما للمنصور : إن الشعراء ببابك وهم كثيرون طالت أيّامهم ، ونَفدت نفقتهم . قال : اخرج إليهم فاقرأ عليهم السلام وقُل لهم : من مَدَحنى منكم فلا يَصِفنى بالأسد ، فإنّما هو كلب من الكلاب ، ولا بالحَيّة ، فإنما هى دُوَيبّة مُنتنة تأكل التراب ، ولا بالجبل ، فإنما هو حجر أصمّ ، ولا بالبحر ، فإنما هو غُطامط(٣) لجَب ، ومن ليس فى شعره هذا فليدخل ومن كان فى شعره فلينصرف . فانصرفوا كُلُّهم إلا إبراهيم بن هَرمة ، فإنه قال له : أنا له يا ربيع ، فأدخلنى . فأدخله ، فلما مَثَل بين يديه ، قال المَنصور يا ربيع ، قد علمتُ أنه لا يُجيبك أحد غيره ، هات يابن هرمة . فأنشده قصيدته التى يقول فيها :

١٢٣/١

له لحظاتٌ عن حفافَىْ سَريره ... إذا كرّها فيها عَذابٌ(٤) ونائلُ

لهم طِينةٌ بيضاء من آل هاشمٍ ... إذا اسودّ من كوم(٥) التراب القبائل

(١) مى : صاحبة ذى الرمة . وصيدح : ناقته .
(٢) فى الأصول : «أود» . وهو تحريف .
(٣) غطامط (بالضم) : عظيم الأمواج . والذى فى الأصول : «عطائط» وهو تحريف .
(٤) فى عيون الأخبار : «عقاب» .
(٥) فى الأصول : «كرم» . ولم نجد له معنى يناسب السياق . ولعله محرف عما أثبتناه . أو عن وصف آخر للتراب يفيد ذمه وتقبيحه» .

إذا ما أَبَى شيئاً مَضَى كالذى أبى(1) وإن قال إنّى فاعِل فهو فاعل

فقال : حسبك ، هاهنا بلغت ، هذا عين الشعر ، قد أمرت لك بخمسة آلاف درهم . فقُمْتُ إليه وقبلت رأسه وأطرافه ثم خرجت ؛ فلما كِدْتُ أن أخفى على عينيه سمعته يقول : يا إبراهيم . فأقبلت إليه فَزِعا ، فقلت : لَبَّيْك ، فِداك أبى وأمى . قال : احتفظ بها فليس لك عندنا غيرُها . فقلت : بأبى وأمى أنت ، أحفظها حتى أُوافيك بها على الصراط بخاتَم الجِهْبذ

بين على بن الجهم وجعفر المتوكل

على بن الحُسين قال : أنشد علىُّ بن الجهم جَعْفراً المتوكّل شعرَه الذى أوله

* هى النفس ما حَمَّلتها تتحمَّلُ *

وكان فى يد المتوكل جَوهرتان . فأعطاه التى فى يمينه ، فأطرق مُتفكراً فى شىء يقوله ليأخذ التى فى يساره . فقال : مالك مفكراً ؟ إنما تفكِّرُ فيما تأخذ به الأخرى خُذْها لا بُورِك لك فيها . فأنشأ يقول :

بسُرَّ من رَى إمامُ عدْل تَغرِف من بحره البِحارُ
يُرْجَى ويُخشى لكلِّ أمرٍ كأنه جَنَّـةٌ ونار
المُلْكُ فيـه وفى بَنِيه ما اختلف الليـلُ والنهار
يَداه فى الجُود ضَرَّتان عليه كِلْتاهما تَغار
لم تأتِ منـه اليمينُ شَيْئا إلا أتت مِثْلَه اليَسار

لبعض الشعراء فى مدح الهول

وقال آخر فى الْهَوْل(2) :

إذا سألتَ النَّدى عن كل مَكْرُمة لم تُلف نِسْبتها إلا إلى الهَوْلِ
لو زاحم الشمسَ ألفى الشمس مُظْلِمةً أو زاحم الصّمّ(3) ألجاها إلى المَيْل

(1) فى الأصول والأمالى فى الموضعين : «أتى» . وهو تصحيف .
(2) لعله الهول بن أخى سعيد بن ساجور . (انظر الطبرى) .
(3) الصّمّ : أى الجبال .

أمضى من الدهر إن نابته نائبةٌ وعند أعدائِه أمضَى من السَّيل

مدح أبي يزيد الشاعر لعبد الله ابن طاهر وصلة ابن طاهر إياه

ودخل شاعر من أهل الرىّ يقال له أبو يزيد[1] على عبد الله بن طاهر صاحب خُراسان فأنشده :

اشرب هَنيئاً عليك التاجُ مُرتفقاً من شاذِيَاخَ ودَعْ غمدانَ لليَمنِ[2]
فأنت أولَى بتاج المُلْك تَلبسه من هَوْذة بن علىّ[3] وابنِ ذى يَزَن

فأمر له بعشرة آلاف درهم .

بين الحجاج وليلى الأخيلية

ودخلت لَيْلى الأخيلِيّة على الحجّاج فأنشدته :

إذا وَرد الحجّاج أرضاً مَريضة تَتَبّع أقصى دائها فشفَاهَا
شَفاها من الدّاء العُضال[4] الذى بها غُلامٌ إذا هَزّ القَناة سَقَاها

فقال لها : لا تقولى : غلام ، ولكن قُولى : همام . ثم قال : أىّ النساء أحبّ إليك أُنزلك عندها ؟ قالت : ومَن نِساؤك أيها الأمير ؟ قال أم الجلاَس بنت سعيد بن العاص الأُمويّة ، وهِنْد بنت أسماء بن خارجة الفزَاريّة ، وهند بنت المُهلّب بن أبى صُفْرة العَتَكيّة قالت : القَيْسِية[5] أحبّ إلىّ . فلما كان من الغد ١٢٤/١

(١) كذا فى الكامل للمبرد . وهو شاعر من أهل الرى . والذى فى الأصول : « أبو زيد » . وهو تحريف .

(٢) كذا فى معجم البلدان . ومرتفقا : ثابتا دائما . وشاذياخ : مدينة نيسابور أم بلاد خراسان . وكان قديما بستانا لعبد الله بن طاهر بن الحسين . وغمدان : قصر لملوك اليمن بين صنعاء وطيوه . والذى فى الأصول والكامل للمبرد « شاذمهر » مكان « شاذياخ » وهى مدينة أو موضع بنيسابور . (انظر معجم البلدان) .

(٣) كذا فى الأصول والكامل . والذى فى معجم البلدان : من « ابن هوزة » مكان قوله « من هوذة بن على » .

(٤) فى الكامل للمبرد : « العقام » .

(٥) القيسية : تريد هند بنت أسماء ، وإنما اختارتها لأنها ابنة عمها . (انظر الأغانى) .

دخلت عليه . قال : يا غلام ، أعطها خمسمائة . قالت : أيها الأمير ، أحْسبها أُدْما[١] . قال قائل : إنما أمر لك بشاء قالت : الأمير أكرم من ذلك . فجعلها إبلاً [إناثا[٢]] على استحياء ، ، وإنما كان أمر لها بشاء [أولا[٣]] .

(١) الأدم : البيض من الإبل ، وهى أكرمها .
(٢) هذه الكلمة عن الكامل للمبرد :

كمل بحمد الله الجزء الأول من كتاب العقد الفريد لأبى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى المتوفى سنة ٣٢٨ هجرية .

ويليه الجزء الثانى وأوله « كتاب الجمانة فى الوفود »

والحمد لله على ما أنعم والصلاة والسلام على نبيه الأكرم

فهـــرس

الجزء الأول من العقد الفريد

فهرس رجال السند

(ا)

(ج)

(ح)

(خ)

(ر)

(ز)

(س)

---

(١) لعله هو أبو القاسم جعفر بن أحمد بن محمد الذى تقدم ذكره .

فهرس الشعراء

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(١) ذكر بالصاد المهملة . وهو تصحيف

(١) فى ص (١٠١) : « السوأل تحريف .

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(١) ذكر بالنون بدل الثاء . وهو تصحيف .

فهرس الأعلام

(١) ذكر خطأً فى بعض المواضع «أبو عمرو».

(ب)

(١) ذكر خطأ : « حزوة »

(١) ذكر فى ص ٦٨ بالصاد المهملة ، وهو تصحيف .

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

---

(١) ذكر باسم مسلم (فى ص ٢٩٣) وهو تحريف .

(ش)

(١) فى كتب التاريخ : « الأسدى » .

(غ)

(ف)

(١) فى ابن دريد والأغانى والكامل : « عمرو » .

---

(١) لعله عبيد بن مالك النمر النسابة (انظر فهرست العقد لمحمد شاف)

(١) قد يكون هو مسلم بن عمر الباهلى الذى ورد ذكره فى الجزء الثانى من العقد (ص ٢٩٣ طبعة الأزهرية)

(١) ذكر فى ص (٩٣) باسم « سلم » وهو تحريف

(١) ذكر باسم « نميل » بالنون بدل الثاء . وهو تصحيف .

فهـــرس القبائل

(١) ذكرت خطأ « عنترة » .

(١) ذكر خطأ باسم « علان بن عنترة » .

(١) ذكروا خطأ فى ص ٥٤ باسم « متزة » .

فهرس أسماء الأماكن

فهرس أسماء الكتب

فهرس القوافى

فهرس أنصاف الأبيات

فهرس الأيام

فهرس الأمثال

فهرس الموضوعات

حسن السياسة وإقامة المملكة

بسط المعدلة ورد المظالم

صلاح الرعية بصلاح الإمام

قولهم في الملك وجلسائه ووزرائه

صفة الإمام العادل

هيبة الإمام في تواضعه

حسن السير والرفق بالرعية

ما يأخذ به السلطان من الحزم والعزم

التعرض للسلطان والرد عليه

صفحة

تحكم السلطان على أهل الدين والفضل إذا اجترءوا عليه

المنشورة

حفظ الأسرار

الإذن

الحجـــاب

باب من الوفاء والغدر

صفحة

الولاية والعزل

باب من أحكام القضاة

فرش كتاب الحروب

صفة الحروب

العمل فى الحروب

الصبر والإقدام فى الحرب

صفحة

فرسان العرب فى الجاهلية والإسلام

المكيدة فى الحرب

صفحة

وصايا أمراء الجيوش

الترغيب فى حسن الثناء
واصطناع المعروف

الجود مع الإقلال

العطيلة قبل السؤال

استنجاح الحوائج

استنجاز المواعيد

صفحة

لطيف الاستمناح

الأخذ من الأمراء

تفضيل بعض الناس على بعض فى العطاء

شكر النعمة

قلة الكرام فى كثرة اللئام

من جاد أولا وضن آخراً

صفحة

ومنهم معن بن زائدة

ومنهم يزيد بن المهلب

ومنهم يزيد بن حاتم

ومن أخبار معن بن زائدة

ومنهم خالد بن عبد الله القسري

ومنهم عدي بن حاتم

أصفاد الملوك على المدح

